الأثر السلجوقي على اليمن حتى منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي *

إعداد الأستاذ الدكتور /
عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع **

جاء الإسلام ـ بصفته نظاماً ومنهجاً ـ لتحرير البشر من ربقة العبودية لبعضهم بعضاً ، وجعل العبودية لله وحده ، فهو سبحانه الذي خلق الخلق، وهو وحده الذي وضع نظام إدارة خلقه ، وأي نظام آخر لا يكون مؤهلاً لإدارة خلقه لأنه نظام أتي من غير صانعه ، ومن ثم فلن يكون خبيراً بما يصلح هذا الخلق .

إن الإسلام جاء للبشرية جمعاء بكل ألوانها وأقوامها ، وأزمانها دون تفرقة بين قوم وقوم ولا جنس وجنس ولا لون ولون ، وقد وضع الله للإنسان منهجاً ذا قواعد ثابتة ، ليتحرك الإنسان داخل إطار مرن متطور زماناً ومكاناً وظروفاً ويقبل كل متغيرات البشر ، شريطة ألا يخرج عن القواعد الثابتة .

وهكذا تلقى العرب الإسلام وتكيفت به حياتهم، وخرجوا به : من الظلمات إلى النور، ومن التفرق إلى التوحد ، ومن الوثنية إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الخمول إلى الذكر والتصدُّر، حتى صاروا قادة العالم لزمن طويل . وأوصلوا الإسلام إلى أمم وشعوب أخرى كالفرس، والترك ، والأكراد ، والروم، والأفارقة ، وغيرهم. وقد انطبعت حركة المسلمين لحوالي قرنين من الزمان بكل ما يتعلق بحياة العرب (عادات ، وأسماء ، ومصطلحات ، وملابس ، وأعراف مالم تتعارض مع مُثل الإسلام وقيمه) .

ورغم ما بذله العرب في ظل الإسلام إلا أنهم تراجعوا عن الصدارة والقيادة والريادة ، وسلموا الراية لأقوام آخرين .. أسلموا وامتلأت نفوسهم بالحمية للإسلام ، وقاموا للجهاد في سبيل الله، والموت في سبيله ، فتصدروا قافلة الإسلام وصارت الراية بأيديهم ، ومن ثم أثروا في حياة المسلمين من حيث العادات والأعراف والأسماء والمسميات وكل ما يتعلق بأشكال إدارة الدولة سياسياً وعسكرياً وإدارياً ومالياً واجتماعياً .

وأول الأمم التي كان لها أثرها على المجتمع الإسلامي بعد العرب أمة الفرس فهي أمة ذات تراث

- * بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الأول لدولة السلاجقة 27-2010/9/30م
- ** أستاذ التاريخ والحضارة - قسم التاريخ. كلية الآداب. جامعة صنعاء

ضخم إداري وفكري وعسكري وسياسي، وقد صارت تلك الأمة بأكملها تابعة للدولة الإسلامية، وجزءاً من المجتمع الإسلامي ، ومما ساعد على تأثيرهم أنهم كانوا وراء الانقلاب الذي حصل في نظام الحكم وتحويله من أسرة بني أمية إلى أسرة بني العباس ، وكانت التأثيرات الفارسية واضحة المعالم سواءً في فكرة تحول الحكم إلى بني العباس في أرض يعيش عليها الفرس ، أو في التنظيمات السرية التي كان لها أصل فارسي ولم يعهدها العرب ، أو في الخلفية التصورية للمكانة المقدسة للحاكم كما كانت عند الفرس ، أو في الآداب والتقاليد التي كانت تمارس عند الحاكم الفارسي القديم كلها جاءت من التراث الفارسي .

ومما ساعد على ذلك أنه في ظل الدولة العباسية تم نقل معظم التراث الفارسي إلى اللغة العربية ، فانتشرت التقاليد السياسية والإدارية والاجتماعية الفارسية، وتسربت المسميات والمصطلحات والألقاب إلى الدولة الإسلامية، وصارت تمارس بشكل عادي دون حرج أو تحرج لأن الإسلام لا يمنع ذلك ، مادام لا يؤثر على قِيَمِه الثابتة ، ومع هذا تسرب إلى أوساط المجتمع بعض الممارسات التي تتجاوز المشروع في الإسلام .

ومما زاد من هذا التأثير تلك النزعة الفارسية التي تَغَلّفت بغلاف شيعي على يد البويهيين[1] (حكموا بين عام 334هـ/945م وعام 447هـ/1055م) الذين حكموا شرق بلاد الإسلام فعملوا على تعميق الثقافة الفارسية ، وأدخلوا في التراث الإسلامي تقاليد وعادات تصطدم مع ثوابت الإسلام .

وعاونهم على السير في هذا الاتجاه (العبيديون[2] (حكموا بين عام 297هـ/909م وعام 567هـ/1171م) في مغرب الدولة الإسلامية وكلاهما أوصلا دار الإسلام إلى حالة من الاضطراب والضياع إلى حد أن الذهبي (ت 748هـ/1374م)[3] يقول : "وضاع أمر الإسلام بدولة بني بويه ، وبني عبيد الرافضة ، وتركوا الجهاد ، وهاجت نصارى الروم ، وأخذوا وسلبوا" .

ولهذا تراجعت قوة الإسلام ، فقيض الله للإسلام أمة أخرى لم تكن في الحسبان ، هذه الأمة هي أمة الترك التي بدأت بالسلاجقة[4] وانتهت بالعثمانيين[5]. ولا يعنينا هنا الحديث عن العثمانيين ولكن السلاجقة هم المعنيون بالحديث هنا.

فالسلاجقة حكموا في ظل سلاطينهم العظام بين عامي 429هـ/1038م و 552هـ/1117م وكان حكمهم يمثل سلطة فاعلة ، إلى جوار سلطة رمزية للخليفة العباسي بينما الحاكم الفعلي هو السلطان السلجوقي.

وقد أحدث السلاجقة تغييرات كثيرة تأثرت بها دار الإسلام في مشرقها ومغربها وشمالها وجنوبها . ومنها آثار إيجابية مهمة وآثار سلبية خطيرة . ومن أبرز تلك التغييرات بنوعيها الإيجابي والسلبي :

إعادة هيبة الخلافة بعد أن كانت قد أهينت في عهد بني بويه[6] .

1. انشاء جيش نظامي لا مهمة له إلا القتال مما أدى إلى اقتداء الدول بعدهم بهذا النهج .

إيجاد نظام إداري دقيق كان له أثره في مؤسسات الدولة بل حتى الدول التي لا ترتبط بالسلاجقة ولا تتبعهم فالوزير نظام الملك (ت 485هـ/1092م) أسس نظاما إداريا مكتوبا حيث كان كتابه المعروف بـ(سياسة نامة) متضمنا آراء ونظريات وإجراءات تعد أساسا لنظام الحكم وإدارة الدولة والممالك[7] .

2. الاهتمام بالمنشآت المدنية والعسكرية التي أصبحت مرآة ينقل مثلها إلى بلدان دار الإسلام.

إقامة المدارس العلمية النظامية[8] التي صارت أنموذجا يُحتذى .

3. الاهتمام بالعلم والعلماء حتى أصبح الحكّام يتنافسون في هذا الأمر .

4. احتضان الصوفية .. وكان هذا في بداية الأمر مأموناً ولكنه تحول فيما بعد وسيلة الحكام لاحتضان وتبني المتصوفة الذين لا يحركون ساكناً أمام سياسة الدولة ومظالمها ، ومن ثم يضمن الحكام ولاء الناس لهم ما داموا يرعون للمشائخ مكانتهم وحضور احتفالاتهم.

تدخل النساء في تدبير الحكم من وراء أبنائهم أو إخوانهم القُصّر .. كما حصل من تركان خاتون[9] أم محمودبن ملكشاه السلجوقي الذي كان ينافس أخاه بركيارق بن ملكشاه وكان محمود لا يزيد عمره عن أربع سنين وشهور إلا أن امه هي التي كانت تدير الأمور وهذا نفسه سيكون له أثره فيما بعد سواءً في الشام أو مصر أو اليمن .

5. النزاع والصراع الشديد بين أبناء الأسرة الواحدة ومن غلب يكون هو السلطان وهذا صار ظاهرة واضحة في كل أنظمة الحكم.

6. إحياء الجهاد في سبيل الله ضد الكافرين مما كان له دور في إحياء روح الجهاد الإسلامي ضد الروم، وتواصلت هذه الروح في أيام الدولة الزنكية ثم الأيوبية ثم المماليك ثم العثمانيين.

التأثيرات السياسية والإدارية والعسكرية :

كانت اليمن - كونها جزءاً من دار الإسلام - تعاني- عند قيام دولة السلاجقة في مشرق دار الإسلام - من المرض نفسه الذي كان قد واجهه السلاجقة في شرق بلاد الإسلام ، فالانقسام السياسي وتوزيع أرض اليمن بين قوى قبلية محلية ، وقوى (زيدية - شيعية) متصارعة فيما بينها بالإضافة إلى تسرب شيعي - إسماعيلي - رافضي إلى فرقة زيدية عُرفت بالحسينية نسبة إلى الحسين بن القاسم العياني[10].

هذا بالإضافة إلى وجود إمارة في تهامة وهي الدولة الزيادية التي كانت تحت زعامة عبيد عبيد آل زياد ، وكانت تابعة ، لإمارة مكة[11] .

ولما وصل النفوذ العبيدي إلى الحجاز كانت بعض الزعامات القبلية في اليمن تقدم ولاءها للعبيديين لكي تستمر في الحكم[12] .

وفي الثلث الأول من القرن الخامس الهجري كانت اليمن تعاني من آلام مخاض عسير أنتج قيام الدولة الصليحية التابعة فكرياً وسياسياً للدولة العبيدية الإسماعيلية الباطنية في مصر (الفاطمية)[13] .

وبقيام الدولة الصليحية في اليمن - جنوب دار الإسلام - صار - غالباً - التوجه الشيعي هو صاحب الهيمنة في اليمن كما هو الحال في مشرق دار الإسلام (تحت حكم البويهيين) وفي مغربها (تحت حكم العبيديين) .

فاليمن دخل ضمن هيمنة الاتجاه الشيعي الإسماعيلي تحت قيادة الدولة الصليحية عام 439هـ/1047م في الوقت الذي كان السلطان السلجوقي طغرل بك (ت 455هـ/1063م) قد قضى على الدولة البويهية في مشرق بلاد الإسلام وذلك بدخوله بغداد سنة (447هـ/1055م) وإزاحة آخر ملوك بني بويه الملقب بالملك الرحيم، فشمل حكمهم جميع مناطق آسيا الغربية من حدود أفغانستان شرقاً إلى حدود بلاد الروم في آسيا الصغرى غرباً[14] .

ورغم أن الدولة السلجوقية كانت هي القوة النافذة السلطة في الدولة العباسية إلا أن نفوذها لم يمتد إلى مغرب دار الإسلام وجنوبه ، وإنما اقتصر نفوذها على مشرق دار الإسلام وشمالها ، لأنها كانت قد فتحت باب الجهاد الذي كان قد توقف في عهد بني بويه للتوسع على حساب الدولة البيزنطية الرومية[15] في شمال وشمال غرب دار الإسلام (انظر الخريطة) .

لقد سعى الشيعة (الباطنية - الاسماعيلية[16] ليوجدوا لهم مقراً جديداً في جنوب دار الإسلام وذلك لما خسروا مكانهم في المشرق بظهور دولة السلاجقة.

إلا أنه من الواضح أن الدور الشيعي الصليحي في اليمن كانت قدرته أقل من قدرة دولة بني بويه



نقلاً عن أطلس تاريخ العالم لهاني أبو غضيب ، طبعة ٢٠٠٤

في المشرق ، ودولة بني عبيد في المغرب في التغيير والتأثير فلم تنجح كما نجح البويهيون في شرق دار الإسلام من إثارة الصراعات المذهبية بين الشيعة والسنة وربما يرجع ذلك لعدة أسباب منها :

1. عدم وجود تعصب مذهبي شيعي ـ سني في اليمن.
2. وجود شيعة زيدية وهي لا تحمل الفكر الشيعي الرافضي فعمل هذا على وجود توازن داخل المجتمع ؛ لأن الزيدية لا صلة لها بالشيعة الإسماعيلية ولا بالرافضة منهم .
3. رغبة زعامات الصليحيين ألا يكون هناك صدام مع الناس محافظة على كيانهم السياسي .
4. أن الدولة العبيدية نفسها في عاصمتها مصر كانت قد تعرضت لهزات كثيرة سياسية واجتماعية كانت تنذر بسقوطها ، ولذا لم تكن الدولة الصليحية واثقة من مد يد العون لها من العبيديين[17] .
5. وجود دولة بني نجاح السُّنية المرتبطة بالدولة العباسية ومن ثم فالصليحيون حرصوا على كسب الناس إلى صفهم بعدم إثارتهم مذهبياً .

ومن أبرز التأثيرات السلجوقية السياسية التي حصلت في اليمن ما يأتي :

1. مجيء عنصر (الغز) إلى اليمن وهم من الأتراك[18] وكان مقرهم في منغوليا ثم تفرقوا ونزحوا غرباً فكان منهم السلاجقة ثم العثمانيون[19] .

والذي يعنينا هنا أن مجموعة منهم عرفوا بالغز وصلت فرقة عسكرية منهم إلى مكة، وكان زعيم النجاحيين في اليمن[20] وهو جياش بن نجاح (ت 452هـ/1060م) يعالج صراعاً مريراً مع الصليحيين الذين يدينون بالمذهب الشيعي الإسماعيلي فلجأ للاستعانة بالغز في مكة ، فاستجابوا له ، وانضم منهم إليه حوالي ألفي فارس[21] ، كان لهم دور كبير في ترجيح كفة آل نجاح .

وبعد أن حققوا لجياش ما يصبو إليه ، إذا بهم يتحولون إلى قوة يُخشى منها ، ورغم ما بذله جياش من محاولات للتخلص منهم إلا أنه اضطر إلى إقطاعهم إقطاعاً من الأرض في تهامة ، وأصبحوا جزءاً من المجتمع اليمني لهم قياداتهم، وتأثيراتهم على الحياة السياسية ، وكأنهم قبيلة أو فرعٌ من الكيان البشري لليمن، فشاركوا مشاركة فعالة مع الأيوبيين الذين كانوا يضمون في قواتهم العديد من العناصر ، ومنهم (الغز) واستمر أثرهم وتأثيرهم في عهد بني رسول الذين يرجع أصلهم إلى الجنس التركي فكان لقيادات الغز في دولتهم أثر كبير ، فقد تولوا قيادات عليا ، وقاموا بأعمال خيرية كثيرة[22] .

2. التصدي للشيعة عسكرياً وفكرياً .. وهذا الاتجاه بدأ في أوساط السلاجقة في شرق دار الإسلام، وتمكنوا من تحجيم دورهم ، وقامت مدارس لمعالجة التأثيرات الشيعية في العراق وما حولها. ثم لما قامت دولة بني أيوب في مصر عملت على إزالة الفكر الشيعي بصورة منظمة وباتجاهات مختلفة .

ولما دخل الأيوبيون إلى اليمن كان لهم الدور نفسه في إزاحة الفكر الشيعي الإسماعيلي بطرق عسكرية وعلمية من خلال ضرب القوى الإسماعيلية عسكرياً، ومن خلال إنشاء المدارس العلمية ، وإشاعة الفكر السني .

فقد قضى الأيوبيون وهم خلفاء السلاجقة على الكيانات السياسية الشيعية الإسماعيلية في اليمن. واصطدموا بالزيدية وإن لم تكن هذه كالشيعة الاسماعيلية إلا أنها لم تكن تخضع للخلافة العباسية، بينما كان الأيوبيون يسعون لتوحيد دار الإسلام كلها تحت قيادة واحدة .

3. استخدام المصطلحات والترتيبات السياسية والإدارية والعسكرية التي كانت مستخدمة في الدولة السلجوقية وجاءت عن طريق الأيوبيين ثم عن طريق المماليك (الأتراك) ، ولذلك نجد تشابهاً كبيراً بين النظم الإدارية والدواوين في اليمن مع مثيلاتها في مصر حتى في المسميات، لأن ملك اليمن ينحو في أموره منحى صاحب مصر ليتسمع أخباره ، ويحاول إقتفاء آثاره في أحواله وأوضاع دولته[23] .

ولذلك كانت الدولة الرسولية تحرص على استقدام خبراء في الإدارة بمختلف أنواعها ، وبالذات العسكرية ، ويكون الاستقدام عادةً من مصر[24] .

ومن ضمن ما وجد في اليمن مما تركه السلاجقة ألقاب كبار الدولة . فكان هناك لقب ملك ولقب سلطان .. فالملك يطلق على أمراء الأسرة المالكة فإذا حكم يطلق عليه سلطان فيكون الملك السلطان[25] .

وكان للسلاجقة دور في تبني مصطلحات ومسميات هي في الأصل فارسية ولكنها صارت جزءاً من الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية في عهد السلاجقة ، وما بعدهم ووصلت إلى اليمن بحكم تأثر المسلمين بما يجاورهم من بلدان .

ومنها كلمة (خانة) الفارسية الأصل والتي معناها البيت . ولكنها صارت ملازمة لنشاطات ومهام ومسميات كثيرة في الدولة الأيوبية والرسولية فيقال .. (السلاح خانة) أي بيت السلاح[26] والطبلخانة (أي بيت الطبل) ، أو الفرقة العسكرية الموسيقية[27] .

و (الداودار) هي كلمة فارسية وصلت عبر السلاجقة وتعني صاحب الدواة أي الذي يقوم بتدوين اسم القادمين على السلطان فيستأذن لهم للدخول عليه[28] .. هذا المصطلح صار مستعملا في صنعاء حتى في البيوت الكبيرة ممن ليس لهم سلطان كالتجار الكبار فيشار للشخص المتولي هذا العمل بـ (دويدار) بيت فلان .

ومن المصطلحات الإدارية التركية المتداولة مصطلح (الجامكية) وهي كلمة تركية بمعنى الراتب أو العلوفة المقررة للجنود، وكانت تدفع نقداً مشاهرة أو سنوياً[29] ، فقد صار هذا المصطلح مستخدماً في اليمن، ومعمولاً به في سجلات الدولة، وينقله المؤرخون في رواياتهم ضمن ما ينقلونه من مسميات دارجة[30] .

ومنها انتشار مسمى (أتابك) [31] وهو لفظ تركي ، وقد عرف في اليمن أمراء بهذا اللقب ومنهم الأتابك سنقر الذي كان أميراً من أمراء آخر الدولة الأيوبية في اليمن[32] ، ثم أصبح في ظل الدولة الرسولية من المقربين ، وأطلق على قيادة الجيش الرسولي في عهد السلطان المؤيد (ت 721هـ/1321م) لقب (أتابك العسكر)[33].

4. التحية المعطاه للسلطان حيث كان الداخل على السلطان يقوم بتقبيل الأرض أمام السلطان تعبيراً عن الاحترام(34) وهي تحية لم تكن معهودة في اليمن .

5. تدخل النساء في تدبير شئون السلطنة والتأثير على الأحداث بشكل كبير والحديث عن

هذا الأمر يطول[35] ، إلا أنه لابد من الإشارة إلى أسماء مجموعة من النساء اللاتي كان لهن مشاركة سياسية فاعلة في الدولة الرسولية، ومن هؤلاء النسوة : بنت جوزة أم قطب الدين الملكة ابنة الأتابك سنقر خلف عليها المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول (ت 647هـ/1249م) بعد الملك المسعود الأيوبي (ت 626هـ/1229م)[36] .. ومنهن : الدار نجمى أخت السلطان المنصور نور الدين عمر، وبعد مقتله صارت على خلاف مع ابن أخيها السلطان المظفر الأول (ت 694هـ/1294م)[37] .. ومنهن : الدار الشمسي (ت 695هـ/1361م) ابنة السلطان المنصور نور الدين عمر وأخت المظفر الأول ، وكان لها دور في تثبيت حكم أخيها المظفر ، وأدارت الأحداث بنفسها[38] .. ومنهن : الدار جهة صلاح (ت 762هـ/1360م) أم المجاهد (ت 764هـ/1362م) ابن المؤيد (ت 721هـ/1321م)، وكان دورها السياسي بارزاً في المحافظة على ملك ابنها المجاهد الذي أسره المماليك في مكة سنة (751هـ/1350م) ، وظلت تحكم اليمن حتى أُفرج عن ابنها بعد سنة وأربعة أشهر[39]

6. وجود الإقطاع[40] العسكري .. وقد بدأ في أوساط العنصر التركي في الدولة العباسية في القرن الرابع الهجري . فكان إقطاع الأرض للجند والقادة بديلاً عن الرواتب المفروضة لهم[41] .

وأول ما بدأ العمل بهذا الإقطاع العسكري في اليمن في عهد جياش بن نجاح (ت 452هـ/1060م) ترضية لبعض القادة الأتراك (الغز) حيث اقطع بعضهم وادي ذؤال في تهامة اليمن[42] .

7. إضفاء الألقاب العديدة ، ومنها المضافة إلى المُلك، أو إلى الدين ، أو إلى الإسلام ، وكان هذا سائداً في عهد السلاجقة ثم توسعت في عهد الأتابكيات التي كانت تتبع السلطان السلجوقي ولو إسمياً كآل زنكي ، ثم اقتدى بهم الأيوبيون فاستخدموا تلك الألقاب وزادوا عليها[43] فنقلوها إلى اليمن وصارت مستعملة في مراسلاتهم ، ومنحهم إياها للقادة والمقربين.

وخلاصة هذا التأثير ان معظم نظم الحكم والإدارة والنظم العسكرية المتبعة في اليمن دخلت اليهم عن طريق الأيوبيين خلال حكمهم (569-626هـ/1173-1228م) وهم بدورهم ورثوها عن السلاجقة ، فاستفاد بنو رسول من تلك النظم كلها وما أبدعوه ما هو إلا تطوير لما تحتاجه حياتهم السياسية والإدارية والعسكرية[44] .

التأثيرات الاجتماعية :

عرفنا سابقاً كيف أصبح المجتمع اليمني يضم في نسيجه أجناساً أخرى صاروا جزءاً من النسيج الاجتماعي ..

فالغز – الأتراك – الذين جاءوا إلى اليمن في القرن الخامس الهجري لم يعودوا غرباء عن اليمن بل لوناً من ألوان النسيج البشري الاجتماعي كغيرهم ممن دخلوا اليمن قبل ذلك مثل الفرس الذين عُرفوا بالأبناء[45] ، والديلم والطبريين الذين جاءوا من بلاد الديلم وطبرستان عند قيام الدولة الزيدية ، وكمن جاء من قبائل عربية غير يمنية واستقروا في اليمن فصار الجميع يكونون الوان النسيج البشري اليمني دون نظرة مغايرة لهذا الجنس أو ذاك، لأن الإسلام – الذي يدينون به – لا يعترف بمقاييس التفرقة على أساس اللون والجنس والقوم ، فما دام الجميع يدينون بالإسلام فهم إخوة لا تفرقهم أي مؤثرات أخرى .

فلما جاء الأيوبيون وهم خليط من أكراد وأتراك وروم وشوام ومصريين فاستقروا في اليمن وصاروا جزءاً منه .

وكذلك لما جاء بنو رسول – وهم تركمان – استكثروا من الأجناس المتعددة من غير اليمنيين

باستقدامهم إلى اليمن إما لخبرتهم ومهارتهم المعمارية ، أو لتبحرهم العلمي[46]، فصار هؤلاء جزءاً من البنية الاجتماعية البشرية من أهل اليمن، فهذا الاختلاط البشري يؤدي بالبداهة إلى تبادل التقاليد والأعراف والعادات والمظاهر سواءً في الملابس، أو الأطعمة والأشربة، أو الأسماء والألقاب.

ومن ثم ظهرت في اليمن ألقاب وأسماء اجتماعية أصلها تركي وردت إلى اليمن عن طريق التأثير المتبادل، ومن ذلك أن المرأة الشريفة أو ذات المقام العالي تعرف بالخاتون وهو لقب تركي يعني المرأة الشريفة، ويطلق اللقب على نساء الملوك والسلاطين[47]. وكذلك الطواشي وهو لقب عام للخصيان وليس له أصل في العربية ثم صار شائعاً في عصر المماليك (الأتراك) كما يطلق عليهم المؤرخون[48].

ويطلق لفظ الطواشي على جند الأمراء أي الحراس لهم[49] إلا أن عملهم السائد هو خدمة بيوت السلطان وحريمه[50] ، ومن ثم فإن الطواشي - في عهد بني رسول - تنسب إليه المرأة الشريفة لأنه يقوم بخدمتها ، بل ربما كان هو القائد الذي يقود الأحداث باسمها .. ولهذا يقال لها: جهة الطواشي جمال الدين معتب - مثلاً -[51]، ويطلق على المرأة الجهة وهو لفظ سلجوقي - تركي يطلق على المرأة الجليلة القدر ، وبالذات من تكون زوجة للسلطان أو أخته أو أمه[52] ، وقد يقرن بهذا اللقب لقب آخر وهو الدار أو الآدر فيقال الدار أو الآدر جهة الطواشي فلان[53] .

وللأتراك أثر في الملابس فقد ورد بأن شباب صنعاء كانوا يلبسون ملابس تركية تسمى الفتوحى[54]، وإذا كان قد ورد هذا النوع من الملابس ، فإن من البداهة أن العديد من أنواع الملابس التركية وغيرها كانت موجودة في اليمن سواء في عالم الرجال أم في عالم النساء وربما يَكُنْ أكثر تأثراً من الرجال بحكم طبيعتهن .

ووجدت المراسيم الاجتماعية في عهد بني رسول على ما كان عليه الحال في أوساط السلاجقة ، مثل وجود منصب الجمدار وهو من يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه[55] .

والبشمقدارية وهما كلمتان تركيتان ، فبشمق تعني النعل ، ودار تعني الممسك .. فكأنها تعني الحامل لنعل الأمير أو السلطان ، وهذا كما يقول ابن طولون من أقبح البدع ، وهو من الرعونة والحمق[56]، ومن الملاحظ أن كلمة (بشمق) مازالت تستعمل في صنعاء حتى اليوم وبالذات عند كبار السن .

التأثيرات العمرانية :

من البداهة بمكان أن تكون هناك تأثيرات متبادلة بين أجزاء دار الإسلام ، لأنها كانت بمثابة جسم الإنسان الذي يتأثر بتأثر جزء منه .. ولهذا فإن شكل بناء المسجد النبوي في المدينة المنورة صار انموذجاً يُحتذى في كل بلدان وأمصار دار الإسلام وغيرها ، حيث صار هناك (وحدة في التصميم)، و (تنوع) في عناصر المسجد بحسب اختلاف البيئات[57]، ومن ثم فإن الدولة القوية في أي مكان من دار الإسلام حينما تقدم على إقامة منشآت معمارية سواءً مدنية أو عسكرية تكون تلك المنشآت بمثابة نماذج يحتذيها الآخرون فيبنون على مثالها ، فتكون التأثيرات المتبادلة طبيعية ، فمثلاً الخطوط الكوفية الهندسية التي نقشت جدران المساجد والقصور كيف انتقلت إلى اليمن إلا عبر هذا التأثير والتأثر[58].. ومحراب جامع ذي جبلة - كما يقول الآثاريون -[59] فيه تأثيرات إيرانية ، وبالتأكيد جاءت عن طريق البويهيين أولاً ثم السلاجقة ..

ودقة التشابه والتماثل في نظام البناء والتخطيط في مناطق كثيرة من دار الإسلام تثير عجب الباحثين[60] مما يدل على أن الخلفية التصورية واحدة ، فأفرزت سلوكاً معمارياً واحداً ؛ لأن التصور الإسلامي لله والكون والإنسان والحياة يفرز أعمالاً وسلوكاً موحداً[61] .

وقد وصف ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) مصر بأنها أم العالم[62] ، ولهذا كانت مقصد

الدول ومنها اليمن التي استقت منها تلك المآثر العمرانية وما زال بعضها قائماً حتى اليوم .

التأثيرات العلمية :

الإسلام يقوم على العلم ، فلا إسلام بلا علم، ولهذا كان العلم إفرازاً طبيعياً لاعتناق الإسلام، وأعني بالعلم مدلوله العام .. كل أنواع العلم والمعرفة ما دام ذلك العلم يؤدي إلى إنارة بصيرة الإنسان للتعرف على من خلق الكون ، ومن يديره ومن يقدر الأقدار فيه ، ومن يملك زمام أمور الحياة البشرية ، ثم يؤدي إلى نفع البشر فهو علم مطلوب، ويحث عليه الإسلام .. أما ما يؤدي إلى العبثية ، أو الترف العقلي المخل بالحياة البشرية فالإسلام لا يرتضيه ولا يقره .

ومن هنا فإن أية أمة اعتنقت الإسلام بدأت تتعاطى العلوم المختلفة حتى بَزّت وفاقت أقرانها .. فالسلاجقة الذين دانوا بالإسلام وورثوا العرب والفرس في قيادة بلاد الإسلام كان لهم باع طويل في المجال العلمي وامتد أثرهم إلى جميع أصقاع دار الإسلام .. ومنها اليمن .

ومن أبرز ما أحدثه السلاجقة من تأثير علمي في اليمن أن وجد (نظام) تعليمي جديد يتمثل في إقامة (مدارس) (نظامية) أي أنها تعتمد النظام التعليمي الرسمي المتمثل في بناء المدرسة بمرافق كثيرة ومنها مرافق المنامات لطلاب العلم ومشايخه، ثم ترتيب هيئة تدريسية وإدارية لإدارة المدرسة ، وتخصيص المال الكافي لإنجاح العملية التعليمية في المدرسة عن طريق الأوقاف[63] .

هذا النظام التعليمي الجديد لم تعرفه بلاد الإسلام إلا عن طريق السلاجقة والذي بدأه نظام الملك الوزير السلجوقي الشهير[64] الذي أسس العديد من المدارس في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري في كثير من مدن العراق وفارس وخراسان[65] .

وبما أن التأثيرات السلجوقية في مشرق بلاد الإسلام حملها الأيوبيون إلى كل المناطق التي كان لهم فيها وجود[66] ، فإن اليمن كان من ضمن تلك المناطق وصارت مصر هي المنارة التي يهتدي بها أهل اليمن سواء أكانت القيادات السياسية أو الفكرية ، فكان للأيوبيين دور في ظهور المدارس النظامية في اليمن في القرن السادس الهجري على غرار المدارس التي أنشأها السلاجقة[67] .

وبالتأكيد أن الأيوبيين تلقوها عن آل زنكي وهم من التركمان الذين كانوا من قادة آل سلجوق فورثوهم في كثير من مناهجهم ، ومنها المنهج العلمي المتبع ، ومن مظاهره نشأة المدارس العلمية، حيث كان لهم دور مشهود في ازدهار الحركة العلمية[68] فجاء بنو أيوب وساروا على منوال من سبقهم ، وزادوا عليها ، فازدهر في عصرهم الوقف العلمي .

وليس معنى هذا عدم وجود مدارس في اليمن قبل هذا التاريخ بل لقد وردت إشارات بلفظ (مدرسة)[69] ، إلا أنها في هذه المدة المبكرة لم تكن مدارس نظامية كاملة كما كان الحال في وسط الدولة السلجوقية ، وإنما هي أماكن للتعليم ، أنشأها أو أطلقت على مقرات العلماء المشهورين في تلك الأماكن ولهذا نسبت المدارس إلى العلماء الذين درسوا بها ، وربما انتهى ذكرها بوفاته[70] ، وقد جاء بنو رسولٍ وهم من الأتراك مهما زعموا أنهم يحملون نسباً يمنياً قديماً فإن الحقائق التاريخية تظل كما هي دون تبديل، فهم في الحقيقة ينتسبون إلى الجنس التركي ، وقد عرفوا بالغز كما يطلق عليهم أحد مؤرخيهم وهو ابن حاتم اليامي[71] . ومن ثم فإن نسب بني رسول لا علاقة له بالأصول العربية لأن هذا مشكوك فيه عند كثير من المؤرخين[72] بل هم من التركمان[73] .

والمهم أن بني رسول حكموا ما بين (626هـ/1229م - 858هـ/1454م) ، وكان عصرهم من أزهى عصور اليمن في نشأة المدارس النظامية ، وازدهارها، ورصد الأوقاف لها حتى صارت اليمن مهوى أفئدة العلماء لما وجدوه لدى

ملوكهم وسلاطينهم الرعاية الكريمة للعلماء والمتعلمين[74].

وقد تجمعت عوامل كثيرة لاشتهار عصر بني رسول بالحركة العلمية وبناء المدارس النظامية، إلا أنه من أبرز العوامل رغبة الحكام والسلاطين في إضفاء الأبهة على مملكتهم بإنشاء المدارس الفخمة، ومنافسة حكام مصر من المماليك الذين يعدون امتداداً للأيوبيين والسلاجقة.

فقد كان بنو رسول مقتدين بالأيوبيين الذين هم ورثة آل سلجوق[75]..

وكان للرحلة العلمية المتبادلة أثر في إنشاء المدارس العلمية في اليمن فالمرتحلون من اليمن إلى مصر والشام والعراق، والقادمون إلى اليمن، كان لهم دور في إنشاء المدارس على غرار المدارس (النظامية) في العراق ومصر والشام[76]، مع العلم أن أسلوب وشكل البناء للمدارس كان يظاهي ما بنيت به المدارس في مصر مما يشير إلى أن الدولة الرسولية استعانت بمهندسين معماريين في تلك البلدان حتى صارت الأشكال المعمارية متقاربة[77].

ومن أبرز ما قام به الأيوبيون والرسوليون في اليمن اقتداءً بالسلاجقة تشجيع الزهاد، ثم المتصوفة حتى صاروا يشكلون طائفة أو فئة لها مكانة مرموقة، وأنشِئَت لهم الزوايا والربط، والمقرات الخاصة بهم، ورصد الأوقاف لها، وكان عمل الأيوبيين هذا استمراراً لما كان عليه الحال[78] في الدولة الزنكية وقبلهم السلاجقة، رغم أن المتصوفة[79] في عهد السلاجقة كانوا كما قال الإمام الغزالي[80] قد استطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد، وسخروا الخدم لأنفسهم، وعملوا على اقتناص الأموال، واتخذوا من الخانقاهات (الخانقاوات)[81] متنزهات، فالمتصوفة في البداية كانوا عوناً للأمة في الارتفاع بمستواها التربوي، ثم صاروا عامل ضعف في جسم الأمة استغلهم الحكام لتحقيق مآربهم في كل بلاد الإسلام واليمن جزء منها[82].

قائمة الهوامش والمصادر

1. البويهيون : نسبة إلى رجل ديلمي يدعى (بويه) وكان له أولاد ثلاثة : علي والحسن وأحمد ، استخدمهم مرداويج أحد أمراء الدولة الزيارية، وبعد موت هذا أعلن الأخوة الثلاثة بسط نفوذهم على بغداد وأهانوا الخلفاء والخلافة العباسية ، فامتد حكمهم من سنة 334هـ/945م حتى سنة 447هـ/1055م وحكم معهم خمسة خلفاء عباسيين (انظر: سهيل زكار . تاريخ الدول العربية في العصر العباسي الثاني 28-34، مطبعة جامعة دمشق 1410هـ/1990م) .
2. العبيديون : نسبة إلى عبيد الله (المهدي) وقد نسب نفسه إلى فاطمة الزهراء ، ونسبوا دولتهم إلى الفاطميين ، بينما كثير من النَّسَّابَه ينفون عنهم هذا النسب ، فهم دولة باطنية إسماعيلية شيعية (انظر : العبدة . محمد . أيعيد التاريخ نفسه 37 ، 38 ، عمان 1990م) .
3. سير أعلام النبلاء 232/16. وانظر 250-252 أشرف على التحقيق / شعيب الأرنؤوط ، ط الأولى 1409هـ/1988م ، مؤسسة الرسالة، بيروت . فقد أوضح ما ابتدعه البويهيون والعبيديون من طقوس شيعية ، ومناسبات اتخذوها أعياداً لهم، كالمولد النبوي . ويوم عاشوراء ، واللطم على الحسين، وإبراز قبور ومشاهد لم تكن معروفة كمشهد علي في العراق، ومشهد الحسين في مصر .
4. السلاجقة : نسبة إلى جدهم سلجوق بن دقاق (القوس الجديد) من الأتراك الغز حيث أسلم فبدأ مع أتباعه يقاتل الكفار من الترك ويتوسع على حسابهم حتى توفي فتولى بعده ابنه ميكائيل فقاتل حتى استشهد وكانوا ذوي عُدَد وعَدَد وقد تفرعت السلالة إلى عدة فروع وحكمت في إيران والعراق وسوريا وآسيا الصغرى، ومنهم سلاجقة الفرس والعراق والروم وسوريا (انظر: عماد الدين الأصفهاني . تاريخ دولة آل سلجوق 7، ط 3 ، 1400هـ/1980م ، دار الآفاق ، بيروت - د. علي الصلابي. دولة السلاجقة 20-23 ، ط الأولى 1427هـ/2006م ، دار المعرفة ، بيروت) .
5. العثمانيون : نسبة إلى عثمان بن أر طغرل من عشيرة تركمانية من الغز الذين وفدوا مع السلاجقة إلى الأناضول (انظر : محمد فؤاد كوبريلى . قيام الدولة العثمانية 118-126، ترجمة / د. أحمد السعيد سليمان ، دار الكاتب العربي ، مصر) .
6. انظر : الصلابي . دولة السلاجقة ، 135 - زكار. تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي الثاني 30 .

7. انظر : الصلابي . دولة السلاجقة . 137 .
8. نسبة إلى الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (ت 485هـ/1092م) وزير آل سلجوق الذي كان خير وزير حيث دبر الممالك وخفف المظالم، ورفق بالرعية وبنى الوقوف وهاجر العلماء إليه ولم تتركه الإسماعيلية حتى قتلته فعاش سعيداً ومات شهيداً (انظر: الذهبي . سير أعلام النبلاء 19/94-96 . السبكي . طبقات الشافعية الكبرى 322/4 ، 323) .
9. باشرت أمور الدولة بنفسها وقادت الجيوش حتى أقنعت الخليفة أن يعترف بابنها محمود سلطاناً (انظر: الصلابي. دولة السلاجقة 144 ، 145)
10. ابن حاتم . بدر الدين محمد بن حاتم اليامي المداني . السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن 15، 16 ، تحقيق/ ركس سمث ، لندن . 1974م – وانظر للمؤلف: الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة 143، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء، 2004م – وانظر عن الأوضاع في اليمن قبل دخول الأيوبيين إلى اليمن : الشويعر . محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن. دور الإمام عبد الله بن حمزة في الصراع السياسي والمذهبي في اليمن 2-53 (رسالة ماجستير صادرة عن جامعة الملك سعود ، قسم التاريخ ، 1423هـ/2002م) .
11. انظر للمؤلف : تاريخ اليمن في الإسلام 185-196 ، ط السابعة 1430هـ/2009م ، مكتبة الإحسان ، صنعاء .
12. المرجع نفسه 184 ، 185 .
13. انظر للمؤلف : من ملامح الوجه الحضاري لليمن 368، ط الأولى 1430هـ/2009م ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء . والصليحيون نسبوا إلى فرع من حمير عرفوا بالأصلوح ، وكان علي الصليحي (ت 459هـ/1163م) هو الذي أقام الدولة .
14. الصلابي. دولة السلاجقة 71 – استانلي. بول. طبقات سلاطين الإسلام 142 ، الدار العالمية ، بغداد ، 1406هـ/1986م.
15. الصلابي . دولة السلاجقة 38 ، 39 ، 51 .
16. الباطنية : تقصد الذين يعتقدون أن كل حكم ونص في الإسلام له باطن وظاهر ، وأن الباطن هو الحقيقة، والظاهر هو الشريعة ، والمعتمد هو الباطن لأنه هو الصادر عن أئمتهم .. وأما الإسماعيلية : فهي نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق (انظر للمؤلف : تاريخ اليمن في الإسلام 162 – والصلابي . دولة السلاجقة 54 وما بعدها .
17. (الصلابي . دولة السلاجقة 74 .
18. ابن منظور . لسان العرب ، مادة : غ.ز .
19. بارتولد . ف . ب . تاريخ الترك في آسيا الوسطى 46 . ترجمة / أحمد سعيد سليمان . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة 1966هـ.
20. (الدولة النجاحية : نسبة إلى نجاح أحد عبيد عبيد بني زياد وهو من الحبش . وقد تمكن من إقامة دولة في تهامة (الحداد . محمد يحيى. تاريخ اليمن السياسي 194 . 195، عالم الكتب . 1396هـ/1976م .
21. عمارة بن علي اليمني . تاريخ اليمن 133. تحقيق / محمد بن علي الأكوع . ط الثانية 1396هـ/1976م . مطبعة السعادة . مصر .
22. الجندي . أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف (ت 732هـ/1331م) . السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق / محمد علي الأكوع 165/2 . ط الثانية 1416هـ/1995م . مكتبة الإرشاد . صنعاء – وانظر : هديل. طه حسين عوض . الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية 57 . رسالة دكتوراه . قسم التاريخ، كلية الآداب . جامعة صنعاء، 1428هـ/2007م.
23. العمري . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (القسم الخاص بمملكة اليمن) . تحقيق / أيمن فؤاد سيد 47 (وانظر . العسيري . أبو الحسن الخزرجي 65) .
24. الخزرجي . العقود اللؤلؤية 427/1 .
25. العسيري . د. محمد بن علي بن مسفر . أبو الحسن الخزرجي (732-812هـ) وآثاره التاريخية 66 . الجمعية التاريخية السعودية . الرياض . 1430هـ/2009م .
26. العراشي . عبد الحكيم محمد ثابت سلام . الجيش في اليمن في عصر الدولة الرسولية .. دراسة تاريخية 99. 208 . رسالة دكتوراه . قسم التاريخ . كلية الآداب. جامعة صنعاء.
27. القلقشندي . أحمد بن علي بن أحمد (ت 821هـ/1418م) . صبح الأعشى في صناعة الانشاء 13/4 . القاهرة 1383هـ/1963م – وانظر : العراشي. الجيش في اليمن 137.
28. ابن طولون . شمس الدين محمد بن طولون الصالحي الدمشقي (ت 953هـ/1546م) نقد الطالب لزغل المناصب 59 . تحقيق/ محمد أحمد دهمان . وخالد محمد دهمان . مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي . طبع دار الفكر المعاصر . بيروت . 1412هـ/1992م – دهمان. محمد أحمد. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي 77 . ط الأولى 1410هـ/1990م. دار الفكر . دمشق. سوريا .

29. عطية الله. أحمد . القاموس الإسلامي 564/1 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1383هـ/1963م .
30. ابن حاتم . السمط الغالي 538 ، 457 .
31. أتابك : لفظ تركي مركب من (أتا) = أب أو الشيخ المحترم و(بك) = الأمير وكان لقباً لمربي أبناء ملوك السلاجقة ثم انتشر في دار الإسلام. (انظر : الخطيب. مصطفى عبد الكريم . معجم المصطلحات والألقاب التاريخية 17، ط الأولى 1416هـ/1196م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت) .
32. انظر : هديل . الحياة الاجتماعية 372 .
33. العراشي . الجيش في اليمن 77 ، 78 .
34. هديل . الحياة الاجتماعية 252 .
35. راجع ما ذكره هديل . الحياة الاجتماعية 372 وما بعدها .
36. ابن حاتم . السمط 202 ، 223 ، 224 — وانظر : هديل. الحياة الاجتماعية 372-380 .
37. الجندي . السلوك 252/2 — ابن حاتم . السمط 203-205.
38. انظر : هديل . الحياة الاجتماعية 381-384 .
39. الخزرجي . علي بن الحسن (ت 812هـ/1409م). العقود اللؤلؤية 84/2-92 ، تصحيح / محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، مصر ، 1332هـ/1914م — يحيى بن الحسين (ت 1100هـ/1688م) . غاية الأماني في أخبار القطر اليماني 516/2 ، تحقيق / د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكتاب العربي ، القاهرة، 1388هـ/1968م.
40. الإقطاع : أو القطائع جمع قطيعة أي الأرض المقتطعة (ابن منظور. لسان العرب .. مادة قطع) وكان الإقطاع ممارساً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وما بعده ولكن هذا الإقطاع غير ما صار عليه في عهد بني رسول ، إلا أنه ليس كالإقطاع الأوربي الذي كان يخول لأمير الاقطاعية التحكم بكل ما في اقطاعيته شراءاً أو بيعاً بشراً وشجراً وحيوانات (الخطيب . معجم المصطلحات 37)
41. الدوري . د.عبدالعزيز . مقدمة في التاريخ الاقتصادي 89، دار الطليعة ، بيروت 1421هـ/1984م .
42. عمارة . تاريخ اليمن 133 .
43. الباشا . الألقاب السياسية 64 ، 65 .
44. العسيري . أبو الحسن الخزرجي 65-67 .
45. انظر للمؤلف : تاريخ اليمن في الإسلام 27 .
46. الخزرجي . العقود اللؤلؤية 426/1 ، 438 ، 15/2 ، 264.
47. الباشا . الألقاب 264 ، 265 .
48. ابن طولون . نقد الطالب في زغل المناصب 66 .
49. الباشا . حسن (الدكتور) . الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار 382 ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1978م.
50. دهمان . معجم 109 .
51. الخزرجي . العقود اللؤلؤية 252/2 — نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف 525 ، تحقيق / محمد عبد الرحيم جازم ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، 2003م .
52. دهمان . معجم الألفاظ التاريخية 55 . وذكرت أسماء نساء من بني رسول أطلق عليهن هذا اللقب مثل جهة صلاح ، وجهة معتب (انظر: نور المعارف 408/1 ، 525 ، 529 ، 531) .
53. هديل . الحياة الاجتماعية 350 .
54. المصدر نفسه 248 .
55. دهمان . معجم الألفاظ التاريخية 54 — وانظر: ابن طولون. نقد الطالب لزغل المناصب 65 .
56. نقد الطالب 65 — دهمان . معجم الألفاظ 34.
57. د. يحيى وزيري . العمارة الإسلامية والبيئة 136، عالم المعرفة رقم 304 ، يونيو 2004م ، الكويت .
58. انظر : شيحة . مصطفى عبد الله . مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية 62 ، 63 ، ط الأولى ، 1408هـ/1987م .
59. بربارة فنستر . تقارير آثارية من اليمن 35 ، ترجمة / عبد الفتاح البركاوي ، المعهد الألماني للآثار ، صنعاء 1982 .
60. مثلاً سماكة جدار القبلة للمساجد ظاهرة رصدها الباحثون في معظم بلاد دار الإسلام (انظر : غيلان حمود غيلان (الدكتور) . محاريب صنعاء 174 ، 175 ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء 2004هـ .
61. انظر : الفاروقي د. إسماعيل راجي ، ولمياء الفاروقي. أطلس الحضارة الإسلامية 575-580، مكتبة العبيكان، الرياض 1419هـ/1998م. فهو يربط بين التصور الإسلامي والأعمال الهندسية ، ويذكر خطط المساجد الأساس على مستوى دار الإسلام كلها شرقها وغربها فيثبت التقارب والتشابه بينها .
62. المقدمة 400 ، طبعة الشعب ، مصر .
63. انظر للمؤلف : الوقف العلمي في اليمن في عهد الدولة الرسولية (626-858هـ/1226-1454م) ، بحث مقدم للمؤتمر الدولي السادس للحضارة اليمنية (عدن الحضارة والتاريخ) ، جامعة عدن ، ابريل 2007م.

64. البعض ينسب المدارس النظامية إلى لقب الوزير نظام الملك ، وأحسب أن النسبة إلى النظام التعليمي هو الأنسب من نسبتها إلى لقب الوزير .
65. (انظر : المقريزي . تقي الدين . المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار 393/2 ، دار صادر بيروت – أحمد شلبي. موسوعة النظم والحضارة الإسلامية مجلد3 جزء5 والتربية الإسلامية 113 ، الطبعة السابعة 1982م مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
66. الصلابي . دولة السلاجقة 328 ، 329 .
67. الأكوع . إسماعيل بن علي . المدارس الإسلامية في اليمن 7، منشورات جامعة صنعاء ، 1400هـ/1980م – السنيدي . عبد العزيز بن راشد بن عبد الكريم. المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية 45 ، ط الأولى 1424هـ/2003م ، الرياض .
68. انظر : المزيني . إبراهيم بن محمد أحمد (الدكتور). الحياة العلمية في العهد الزنكي 105 وما بعده ، الرياض 1424هـ/2003م .
69. ابن سمرة الجعدي . عمر بن علي (ت بعد 586هـ/1190م) طبقات فقهاء اليمن 120، 194، 195، 161، 177 ، تحقيق / فؤاد سيد ، دار القلم ، بيروت .
70. انظر : السنيدي . المدارس اليمنية 45-47 .
71. أطلق ابن حاتم اليامي على كتابه اسم : السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن (انظر عنه : العسيري . أبو الحسن الخزرجي 277) .
72. انظر الدراسة القيمة التي قام بها العسيري عن هذا الموضوع في أبو الحسن الخزرجي وآثاره التاريخية 542-554 .
73. المقريزي (ت 845هـ/1441م) السلوك لمعرفة دول الملوك ج2/ق1 ص234 – ابن تغري بَرْدَى . جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ/1469م) . الدليل الشافي على المنهل الصافي 502/1 . تحقيق/ فهيم محمد شلتوت ، مطبوعات جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الكتاب (21) من التراث الإسلامي (نقلاً عن العسيري . أبو الحسن الخزرجي 550) .
74. انظر للمؤلف : الأوقاف العلمية في اليمن – وقد ألف الدكتور عبد العزيز السنيدي دراسة قيمة عن المدارس في عهد بني رسول مما يعد كتابه مرجعاً للباحثين .
75. محمد عبد العال أحمد . بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما 365، 366، الهيئة العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1980م .
76. الوصابي . عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحبيشي (ت 783هـ/1380م) . تاريخ وصاب المسمى (الاعتبار في التواريخ والآثار) 182 ، تحقيق / عبد الله محمد الحبشي، ط الأولى 1979م ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء – الفاسي. تقي الدين محمد بن أحمد المكي (ت 832هـ/1428م) . العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين 386/3 ، ط الثانية 1406هـ/1986م، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
77. الخزرجي . العقود اللؤلؤية 377/1 ، 378 .
78. المزيني . الحياة العلمية في العهد الزنكي 135-142 .
79. انظر : الصلابي . دولة السلاجقة 426-432 .
80. إحياء علوم الدين 250/2 ، دار الندوة الجديدة، بيروت.
81. الخانقاوات أو الخانقاهات : جمع خانقاه ويجمع على خوانق ، وهي كلمة فارسية تعني محلاً للتزهد والبعد عن الناس وتعد كالدير في النصرانية (دهمان . معجم 66 – الخطيب . معجم 158) .
82. انظر : الحبشي . عبد الله . الصوفية والفقهاء في اليمن، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء 1396هـ/1976م.

الدولة والحق في شمال اليمن
1322 ـ 1367هـ الموافق 1918 ـ 1948م

دكتور/ عبدالرب علي حيدر

المقدمة:

يكتسب موضوع الدولة والحق في اليمن أهمية معرفية وتطبيقية معاً وبناءً عليه تتأصل أحكام الدراسات السياسية والحقوقية والدولانية، فالدولة والحق من الموضوعات الهامة التي ستساعد على تفسير وفهم القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية المعتملة في اليمن المعاصر.

من الناحية التطبيقية فإن دراسة الدولة والحق، والخروج باستنتاجات معللة بشأنها وإبراز انعكاساتها المختلفة على الدولة والسياسة وسلوك الجماعات السكانية لا شك سوف يمكن من التعاطي مع تلك الظواهر على نحو عقلاني وإيجابي.

تتزايد حيوية هذا الموضوع في وقتنا الراهن خاصة مع تعاظم الحاجة الى بناء الدولة اليمنية الحديثة، دولة النظام والقانون والمؤسسات التي ما زالت بعيدة المنال، وما زالت تستأثر باهتمام الرأي العام وقوى المجتمع الحية ليس فقط على المستوى المحلي بل والعالمي.[1]

إن ما نرمي إليه هو معرفة الأسس الفلسفية والرؤى الفكرية التي قامت عليها المملكة المتوكلية اليمنية باعتبارها الأرضية التي نشأت عليها دولة السلطة الإمامية في اليمن في عشرينيات وخمسينيات القرن العشرين، وكذلك البنى المؤسسية والتشريعات القانونية الذي قامت عليها، وبالتالي الموروث الفكري والحقوقي التي ورثتها العهود اللاحقة، ومدى حضورها في واقع الحياة المعاصرة.

المقومات الاساسية للدولة:

يجمع فقهاء القانون الدستوري، تقريبا، على العناصر الرئيسية التي تعتبر مقومات لقيام أي دولة وهي:

1 - العنصر البشري، أي الشعب الذي يعيش على إقليم الدولة ويتمتعون بجنسيتها، بغض النظر عن عدد السكان.

(1) أنظر إن شئت اتفاق 23 فبراير 2009م بين المؤتمر الشعبي العام، وأحزاب اللقاء المشترك الممثلين في برلمان الجمهورية اليمنية حول تأجيل الانتخابات وبيان مؤتمر لندن حول اليمن 28 فبراير 2010م.

2 - تمتع هذا الشعب، أو الجماعة البشرية بالاستقلال السياسي، حيث لا يكون خاضعاً لأية سلطة غير السلطة التي انبثقت منه.

3 - أن يكون أفراد هذا الشعب مستقرين على أرض معينة، ويكون لإقليم الدولة حدود تفصله عن أقاليم الدول المجاورة له. إذ إن للحدود أهمية فهي تعني امتداد سيادة الدولة صاحبة الإقليم ويندرج تحت إقليم "أرض الدولة" مجموعة الأملاك العامة والخاصة، وما في باطن الأرض وما فيه من خيرات ومصادر الثروات، بما فيه المياه الإقليمية والمجال الجوي.

4 - حكومة تتولى شئون الشعب وتنظم العلاقات بين أفراده[1]، تتولى إدارته واستغلال موارده وتنظمها لمصلحة الوطن.

نقف هنا عند هذه المقومات الرئيسية لقيام أي دولة، ونقارنها مع واقع حال الدولة، المتوكلية اليمنية، التي أعلن قيامها عام 1918م، الإمام يحيى بن محمد حميد الدين. ولتوضيح الصورة علينا أن نذكر الأوضاع السياسية والتاريخية في عام 1918م في منطقة جنوب غرب شبه الجزيرة العربية حيث كانت على النحو التالي:

ولاية اليمن العثمانية، وفي إطارها يتمتع الإمام يحيى بوضع خاص بمقتضى "اتفاق دعان 1911م" كإمام للقبائل الزيدية.

الاستعمار البريطاني في عدن والمحميات، ونظمت اتفاقية عام 1904م طبيعة العلاقة بين العثمانيين والبريطانيين.

إمارة محمد الإدريسي في عسير وجزء من تهامة.

مناطق خاضعة للزعامات المحلية في المناطق الشرقية مأرب والجوف...الخ.

في نوفمبر1918م أعلن الإمام يحيى نفسه ملكاً على المملكة المتوكلية اليمنية، جاعلاً من المناطق التي كانت تحت إدارته الذاتية، عمران وما بعدها الى صعدة، منطلقاً لحكمه، وتسلم صنعاء من الوالي العثماني، وحينها أخذ الإمام يعد العدة لشغل الفراغ السياسي والقانوني الذي خلفه العثمانيون اثر انسحابهم بمقتضى نتائج الحرب العالمية الأولى التي خسرتها تركيا وحلفاؤها، وقد حصلت ولاية اليمن على استقلالها. وعندئذ أخذت مسألة الشرعية والسيادة تطرح نفسها على أجندة الحياة السياسية بقوة. إذا كانت مسألة الشرعية في مناطق القبائل الشمالية محسومة بولائها للإمام.

أما بقية المناطق فقد توزعت على النحو الآتي : كانت مناطق القبائل الشمالية الشرقية خاضعة للزعامات المحلية، وظلت كذلك حتى منتصف الثلاثينات من القرن الماضي. أما بقية المناطق الغربية والجنوبية، فقد كانت النية مبيتة لاخضاعها بأي شكل من الأشكال بما فيها استخدام القوات العسكرية.

ونظرا للعوامل الجغرافية وشحة الأرض الزراعية في المنطقة الشمالية الشرقية وكون ابنائها من القبائل وكونها قبائل مسلحة فقد خرجت من دائرة اهتمام الإمام المباشرة لإخضاعها لسيطرته، الى منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين حين قرر إخضاعها. بيد أن بعض الزعامات القبلية من تلك التي كانت موالية للإمام خرجت عليه وطلبت الدخول في الحماية البريطانية[2].

كانت مسألة الحدود في الدولة اليمنية في مطلع القرن العشرين قضية معقدة وظلت قنابل موقوته، عرضت أمن اليمن واستقراره طوال القرن العشرين للاضطرابات والحروب الداخلية، والحروب مع الدول المجاورة في البر وفي المياه الإقليمية لليمن في البحر الأحمر.

وقد استغل الاستعمار البريطاني مسألة الحدود للضغط على الإمام وعمل على احتوائه

(1) قائد محمد طربوش، نظام الحكم في الجمهورية العربية اليمنية، دراسة مقارنة مع البلدان العربية ذات النظام الجمهوري، مكتبة مدبولي القاهرة،ط1، 1410هـ. 1990م، ص145.

(2) ينظر دلال بنت مخلد الحربي. علاقة سلطنة لحج ببريطانيا 1337هـ . 1378هـ / 1918. 1959م. ط1. 1417هـ 1997م. فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية. ص166.

كما عمل مع بقية الحكام والأمراء في الحجاز والخليج وعمل منذ الأيام الأولى على استدراج الإمام للاعتراف باتفاقية الحدود بين البريطانيين والأتراك الموقعة عام 1904م.

ولكن الإمام رفض الاعتراف بتلك الاتفاقية فشجع البريطانيون محمد الادريسي ودعموه ليوسع إمارته الى أن احتل ميناء الحديدة وحرم الإمام من المنافذ البحرية.

وبذلك اشتد الضغط البريطاني على الإمام لإجباره على توقيع اتفاقية حدودية. إلا أن الإمام ظل يفاوض ويناور سنوات عديدة إلى أن اضطر إلى توقيع اتفاقية 1934م مع الانجليز.

ولتسيير أمور الدولة، اي دولة، لا بد من وجود حكومة كعنصر رئيسي تقوم بإدارة شئون الشعب وتنظم العلاقات بين أفراده، وتعمل على توجيه الجهود وتنسيقها من أجل استغلال الموارد وتنظيمها لمصلحة الوطن. وعمل الإمام يحيى على الأخذ بشكل الدولة البسيطة[1]. فأسس سلطة حكم ملكي مطلق، وعمل على التفرد والسيطرة المركزية، وكَيَّفَ بعض الأجهزة الإدارية الموروثة من العهد العثماني لخدمته وتعزيز سلطاته الشاملة السياسية والتنفيذية والقضائية والعسكرية.

وأدار بنفسه شئون البلاد صغيرها وكبيرها واحتفظ لنفسه بالنظر والبت في كل القضايا الزمنية (الشئون الدنيوية)، بالإضافة الى كونه الإمام الروحي والمفتي الشرعي لكل اليمنيين.

أي أنه لا حدود لسلطاته وصلاحياته، ولا يتعرض للمساءلة والمحاسبة. فلا دستور ولا قوانين أو تشريعات ولوائح للمساءلة والمحاسبة. بل كل شيئ يسير وفق إرادته ومشيئته. على الرغم أنه أوجد جهازا إداريا بسيطا لم يتعد عددا من المكاتب المركزية مثل مكتب المحاسبة، والإنشاءات، والمعارف، وبيت البريد، والسلك، والإدارة الخارجية لكنها كانت تخضع في عملها لما يحقق رغبات الإمام.

وفي وقت متأخر عندما كبر أبناؤه، عينهم وزراء مسئولين على تلك المكاتب[2]. ولم يعر العلاقات الدبلوماسية اي اهتمام، لا مع الدول الشقيقة أو الأجنبية. فلم توجد ممثليات دبلوماسية في اليمن ولم يبعث بممثليه وسفرائه إلى الخارج إلا بشكل محدود وفي وقت متأخر، رغم أنه وقع اتفاقيات دولية كان أغلبها مع دول أوربية، ومع عدد محدود من الدول العربية مثل العراق الذي كان يحكمه ملك، وقد كانت أول وأقصر اتفاقية احتوت على الاعتراف المتبادل، وعلى السلم والصداقة بين البلدين[3]. وكل ذلك قد عكس طبيعته الحذرة وتوجسه من العالم الخارجي، الأمر الذي كان يعني عدم ثقته بأحد حتى بأقرب المقربين إليه.

وبعبارة أخرى فقد كانت سلطة الإمام تحدد وفقالما كان يراه هو، لا كما كان يجب أن يكون وحسب مقتضيات العصر، إذلم يصدر الإمام يحيى ايا من الوثائق التي تحدد الحقوق والواجبات للسكان، بل إن اليمني كان يتنقل من بلدة إلى أخرى من دون أن يكون لديه أي وثيقة أو هوية، ومن الناحية الاجتماعية فقد كانت المراتبية حاضرة بقوة؛ فتذكر بعض المراجع وجود أشخاص كانوا يملكون عبيدا بالمئات[4].

وفي نفس الفترة التي عاشها العهد الإمامي عرفت بلدان عربية ملكية دساتير نظمت حياة الناس والعلاقة بين الحاكم وشعبه مثل

(1) الدولة البسيطة تكون ذات سيادة موحدة، وتتركز السلطات في يد حكومة واحدة ولها دستور واحد ويخضع مواطنوها لسلطة واحدة، وقوانين واحدة. للمزيد أنظر قائد محمد طربوش، مرجع سبق ذكره، ص146.

(2) أنظر الموسوعة اليمنية، ج1، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط1، 1412هـ- 1992م، ص431-435.

(3) أنظر ثورة اليمن الدستورية، تأليف مجموعة من الضباط منهم المشير عبدالله السلال، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب بيروت، ط1، 1405هـ - 1985م، ص220.

(4) أنظر، محمد سعيد العطار، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، أبعاد الثورة اليمنية، دار الطليعة بيروت، 1965م، و سلطان أحمد عمر نظرة في تطور المجتمع اليمني، دار الطليعة بيروت، 1970م.

دستور العراق عام 1925م، ودستور الأردن عام 1928م[1].

"إن تاريخ الدولة في اليمن يحملنا على القول: إن مفهوم (الدولة) في اليمن لم يحمل ذلك المضمون الذي بموجبه تكون الدولة أداة سياسية وحقوقية بيد (الطبقة المهيمنة اقتصادياً) وقد رأينا أن من يهيمن سياسياً يهيمن اقتصادياً واجتماعياً"[2].

ومن هنا يبرز جلياً سبب التكالب والصراع على السلطة وتحت مختلف اليافطات والأيديولوجيات وعلى مختلف مراحل تاريخ اليمن السياسي.

"فمن يستولي على السلطة يصبح قادراً على إعادة توزيع كل أشكال الثروة، من أرض، ومواشي وقصور، ونقد. وهنا تطلب سلطة الدولة باعتبارها تكريساً (لحق القوة)، وباعتبارها غطاءً شرعياً له[3].

وبالتالي فإن مقدار ودرجة المشاركة في عملية الاستيلاء على السلطة هي التي تحدد مستوى القرب والبعد عن هرم السلطة.

المساواة القانونية.. أما المساواة القانونية فلا يمكن الحديث عنها لغياب الدستور والقانون وحقوق المواطنة. الأمر الذي دفع بالأحرار اليمنيين الى تبني المساواة القانونية ووفقاً لفهمهم المحدود ومستوى وعيهم بذلك أنذاك. حيث نصَّ في الميثاق الوطني المقدس لعام 1948م في المادة 29: "يصير أفراد الشعب اليمني في درجة واحدة من حيث المساواة المطلقة، إلا ما كان للمواهب والأعمال، ويكون الكل تحت حكم الشريعة السمحاء الصحيحة، وتجري أحكامها على الصغير والكبير دون فارق"[4].

(1) أنظر، قائد محمد طربوش، مرجع سابق، ص160.

(2) المرجع نفسه، ص240.

(3) أنظر إن شئت اتفاق 23 فبراير 2009م بين المؤتمر الشعبي العام، وأحزاب اللقاء المشترك الممثلون في برلمان الجمهورية اليمنية حول تأجيل الانتخابات وبيان مؤتمر لندن حول اليمن 28 فبراير2010م.

(4) عن قائد محمد طربوش وثائق دستورية يمنية، مكتبة المروة الوثقى، تعز، 2003م، ص61.

ونصت نفس المادة 29 على أن "تصان أموال الناس جميعاً وأعراضهم وأرواحهم إلا في أمر شرعي أو قانون شرعي"[5].

عاش اليمنيون حياة صعبة في مختلف الجوانب. ففتكت الأمراض والأوبئة بحياة مئات الآلاف في ظل غياب أبسط جوانب الرعاية الصحية.

والتهمت المجاعات مئات الآلاف من البشر، وموقف الإمام غير مبالي بل إنه أجاب على من أخبره أن الناس يموتون بالمئات من الجوع، فقال "من مات فهو شهيد ومن عاش فهو عتيق". وكل ذلك كان يحدث وسياسة الإمام الضريبية وجمع الزكوات وغيرها من الإتاوات تحت مسميات مختلفة في تصاعد مستمر.

الأمر الذي أدى الى فقدان المزارعين الصغار لمتكاتهم الزراعية وهجرتهم القهرية إلى عدن وخارج اليمن، في الوقت نفسه برزت وتركزت الحيازات الزراعية في أيدي أسرة الإمام وأقاربه وكبار موظفيه.

إن سياسة الظلم والقهر والنهب كانت من أبرز عوامل عدم الاستقرار الذي لم تعرفه المملكة الإمامية، كانعكاس لغياب القانون والعدالة وتكريس حق القوة والبطش. مما أدى إلى الانتفاضات والتمردات ذات الطابع المحلي أو المحدود إلى أن أخذت المواجهة العامة كما حدث عام 1948م.

نظرية الإمامة:

الأصل في نظرية الإمامة عند جميع فرق الشيعة قائمة على اساس اعتقادهم بأن الإمامة قد اختص بها الإمام علي بن أبي طالب وذريته من الحسن والحسين أبناء فاطمة الزهراء رضوان الله عليهم.

أي أن الإمام ليس ممثلا للمجتمع ولا يستمد شرعيته منه، وإنما يستمد شرعيته كونه من أحفاد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتقتصر ممارسة السيادة لدى الشيعة الزيدية

(5) قائد محمد طربوش، المرجع نفسه.

الهادوية فقط في مجلس أو مجمع العلماء من المذهب الزيدي. (والإمام الحاكم من له حق السيادة والنيابة في الحكم طبقاً للشروط المذهبية الزيدية الهادوية).

إن الإمامة اصل من اصول الدين، والإمام مسئول عن رعيته أمام الله. وهو ملزم بتنفيذ شريعة الله في الأرض.

من شروط الإمامة وفقاً للإمام الهادي يحيى بن الحسين الدعوة لنفسه (الدعوة أو إعلان إمامته).. وتجريد السيوف (الخروج مقاتلا) إن هذه الشروط من أهم ما تميزت به الهادوية الزيدية بالإضافة إلى شروط أخرى عند بقية فرق الشيعة في الإمامة.

إن إشهار الدعوة للإمامة من قبل من تتوفر فيه شروط الإمامة الهادوية، والخروج لقتال الإمام الظالم تعني أن الأئمة غير معصومين عن الخطأ وبالتالي قد يقع في المحظور وهو اقتراف الظلم. الأمر الذي يحتم الجهاد ضده حتى وإن كان من أحفاد الإمام علي وفاطمة الزهراء. فلا قداسة لأحد على الآخر ولا أحقية أو ملكية لأسرة على أسرة، لهذا فقد تنقلت الإمامة الهادوية في اليمن من بيت إلى آخر ومن أسرة أو سلالة إلى أخرى، وإن أدى ذلك إلى خروج أكثر من إمام في نفس الوقت.

أن مبدأ الدعوة للإمامه "والخروج عن الحاكم الظالم من قبل إمام فارس مقدام قد أدى إلى عدم الاستقرار والاضطرابات السياسية في مناطق حكم الأئمة الزيدية الذين بلغوا بحسب بعض الإحصائيات (69)* إماماً، خلال الفترة من 284هـ. 897م إلى 1382هـ. 1962م.

كما أن إقامة الإمامة بالسيف قد يكون على حساب بقية الشروط الواجب توافرها وفقاً لمتطلبات نظرية الإمامة الهادوية.

"إن تجريد السيوف" "ومنابذة الظالمين والشدة "والغلظة على الفاسقين"، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قمة السلطتين الدينية والزمنية. إن هذا قد ميز الزيدية عن "الباطنية التي اعتصمت بالتقية، التي يبدي أتباعها خلاف ما يبطنون تجنباً للبطش أو رفضا للخوض في قضايا جدالية مختلف عليها.

ومع ذلك فإن مساحة الحرية الفكرية في المذهب الزيدي المعتزلي قد أثمرت وفتحت باب الاجتهاد واسعاً في وقت أغلق هذا الباب لدى مذاهب أخرى.

اتخذ الإمام الهادي يحيى بن الحسين من "أصول العقيدة لدى المعتزلة" [1]، أساساً ومنطلقاً فلسفياً وأيدلوجياً لدولته التي أقامها في شمال اليمن صعدة 284هـ. 897م، مع جعله الإمامة بمفهومها الهادوي - إثبات الإمامة في آل البيت - أصلاً جديداً في فكر معتزلة اليمن بل احتلت "نظرية الإمامة مكانة هامة في حياة الهادي فكراً وممارسة" [2] ومواضعا في من يتولى الإمامة شروطاً ومواصفات في رسائله (العدل والتوحيد)، 2/74 . 79 نوردها نقلاً عن علي محمد زيد، وهي أن يكون "ورعاً تقياً، صحيحاً نقياً، وفي أمر الله مجاهداً، وفي حطام الدنيا زاهداً، وكان فهماً لما يحتاج إليه، عالماً بتفسير ما يرد عليه، شجاعاً كمياً، بذولاً سخياً، رؤوفاً بالرعية، متعطفاً محسناً حليماً، مساوياً لهم بنفسه، مشاوراً لهم في أمره، غير مستأثر عليهم، ولا حكماً بغير حكم الله فيهم، قائماً شاهراً لنفسه، رافعاً لرايته، مجتهداً، مفرقاً للدعاة في البلاد، غير مقصر في تأليف العباد، مخيفاً للظالمين، مؤمناً للمؤمنين، لا يأمن الفاسقين، ولا يأمنونه، بل يطلبهم ويطلبونه، وقد باينهم وباينوه، وناصبهم وناصبوه، فهم له خائفون، وعلى هلاكه جاهدون، يبغيهم الغوائل، ويدعو إلى جهادهم القبائل، متشرداً

---

* لا يعني هذا أن كل الأئمة حكموا اليمن بشكل كامل ومستمر بل إن عددا منهم كان يعارض الدول القائمة وتنحصر سلطته في مدينة أو منطقة في الشمال الغربي لليمن وفي فترات الدول القوية كانت الإمامة ودعاتها تضمحل بل تأفل وتنتهي من الخارطة السياسية اليمنية. المحرر.

(1) علي محمد زيد، معتزلة اليمن، دولة الهادي وفكره، دار الكلمة صنعاء، ط2، 1985م، ص221 . 223.

(2) المرجع نفسه، ص259.

عنهم، خائفاً منهم، لا يردعه عن أمور الله ولا يمنعه على الاجتهاد عليهم كثرة الارجاف شمري مشمر، مجتهداً غير مقصر "[1].

أي أن الإمام الهادي يحيى بن الحسين قد اتخذ من أصول العقيدة الخمسة لدى المعتزلة، أصول الزيدية، الهادوية. وهي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي "مرحلة التكلم" التي مر بها الإمام الهادي كمرحلة من مراحل تطوره الفكري أخذ الأصول حسب ما ورد ترتيبها أعلاه دون إضافة أو حذف. لكنه في مرحلة لاحقة أخذ يغير في خطابه الفلسفي وأخذ يخاطب الناس بعيدا عن « طابع الجدل الكلامي بحيث أصبح ذلك الخطاب يقترب من اسلوب الوعظ» [2].

ونظرا لمقتضيات وطبيعة المرحلة "أي مرحلة التأسيس للدولة الهادوية" كما عرفت فيما بعد، وفي مرحلة التأسيس والتسييس استبدل أحد أصول العقيدة الخمسة التي سبق ذكرها (المنزلة بين المنزلتين) بأصل (إثبات الإمامة في آل البيت) وهو بهذا يكون قد أحدث "تغيير أساسياً.. جعل نظرية الإمامة الزيدية أصلاً من أصول الدين" [3]. ونحن نتفق مع ما ذهب إليه علي محمد زيد من أنه قد "أصبح للأصول الخمسة (أصول العقيدة طابع سياسي مباشر)" [4]. انسجاماً مع طبيعة المرحلة والمهمة التي تصدى لها الإمام الهادي يحيى بن الحسين. وغدت هذه الإضافات والتجديدات أساساً ومنطلقاً لكل الأئمة والطامعين بها ولدويلاتهم التي تعاقبت وتصارعت بالحكم في اليمن بمن فيها دولة الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين.. موضوع بحثناهذا.

(1) المرجع نفسه، ص67 . 68.

(2) علي محمد زيد: معتزلة اليمن مرجع سابق. ص221.

(3) المرجع نفسه، ص222.

(4) المرجع نفسه، ص222.

توفى الإمام المنصور بالله محمد بن حميد الدين والد الإمام يحيى عام 1322هـ . 1904م، ووفقا للتقاليد المتبعة "كانت المراجعة" والمشاورة في مجلس علماء الزيدية ومن ثم حكموا وفق ما ورد في الدرة المنتقاة، 3. "بأنه لا يقوم بهذه الخلة أحد قيام ابن الإمام، وأنه من خصال الكمال، وكمال الخصال، على التمام، وأنه في عين الإنسان لها كإنسان في العين" [5].

وتمت مراسيم البيعة من قبل مجلس الحل والعقد وقبول يحيى بن محمد حميد الدين للإمامة في 20ربيع الأول1322هـ الموافق 6/يونيو/1904م. واتخذ لنفسه لقباً "المتوكل على الله رب العالمين" وجاء إعلان دعوته للإمامة مع بيان نعي وفاة والده للأمة في نفس اليوم، وقد ألزم الإمام المتوكل على الله.. يحيى "المؤمنين والشيعة المودين لآل البيت" [6]، السمع والطاعة والنصح والسلوك مسلك الجماعة، والجد والاجتهاد بكل مظاهره في نصرة الدين وفي محاربة الفساد والظلم وحتى مجاهدة أنفسهم بما لحقها من درن. كما حذرهم من عواقب عدم الإلتزام والتنفيذ، حيث إن ما سبق الإشارة إليه واجب عليهم تنفيذه.

تجدر الإشارة إلى أن منشور دعوته لم يكن واضحا بالشكل الكافي بل إن الخطاب اتسم بالعمومية فحتى الجهاد ضد الأتراك "العجم" كما يحلو للخطاب الإمامي تسميتهم لم يرد ذكره، وإنما ورد الجهاد بشكل مطلق [7].

وما هي إلا أيام معدودة حتى خرج في صعدة شخص آخر يدعو لنفسه بالإمامة هو السيد حسن بن يحيى القاسمي الضحياني، وتكنى بـ الهادي وذلك يوم الاثنين 25/ربيع الأول/1322هـ 12

(5) عبدالكريم بن أحمد مطهر سيرة الإمام يحيى بن حميد الدين المسماة كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة. دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحية. جامعة اليرموك. الأردن. ط1. 1418هـ . 1998م. ص88. 89.

(6) المرجع نفسه، ص94. 95.

(7) ينظر، المرجع نفسه، ص 95.

يونيو1904م، مدعياً بالعيب والنقص في أهلية الإمام كما تذكر ذلك المصادر[1].

وما يقصد بالعيب والنقص هو أن يكون الإمام المتوكل على الله قد تولى الإمامة بأمر والده الإمام المنصور بالله محمد حميد الدين وتقريره، أو يكون تولى الإمامة لا عن أمر والده ولا تقريره.

أي أن الصراع والتنافس برز حول مسألة مشروعية وسلامة الإجراءات حول تولي الإمامة بالنسبة ليحيى حميد الدين في المملكة المتوكلية، إذ نازع الإمام يحيى مشروعية إمامته السيد حسن بن يحيى القاسمي الضحياني، بعد ستة أيام من إعلان الإمام يحيى نفسه إماماً، بدعوى العيب والنقص في أهليته. حسم الصراع، على إثر حروب ومجابهة بين الإمامين دامت عدة سنوات ، لصالح الإمام يحيى.

"ويبدو أن صراع الإمامم يحيى مع الضَّحْياني قد دفع بالأول إلى إبرام اتفاقية دعان 1911م التي نصت على أن الإمام يحيى إماماً للطائفة الزيدية. وبعد انسحاب الأتراك من اليمن دخل الإمام يحيى صنعاء وأعلن نفسه إماماً وملكاً للمملكة المتوكلية اليمنية، وهنا برزت مسألة شرعيته من جديد على عموم أبناء اليمن بمذاهبهم المختلفة. وطلب منهم المبايعة ومن تخلف فقد كُفِّرَ تأويلاً، الأمر الذي تطلب غزو مناطقهم وإخضاعهم بالقوة واعتبار ديارهم ديار حرب.

إن مسألة الشرعية لدى الإمامة الهادوية كما هي عند بقية فرق الشيعة ركن من أركان الدين. وهي حكر على العلويين من أبناء فاطمة. أي أن للإمامة طابعاً مقدساً انطلاقاً من اعتقادهم بأن الإمامة قد اختص بها علي بن أبي طالب وذريته، والإمام وفقاً لهذه النظرية ليس ممثلاً للمجتمع وإنما يستمد شرعيته كونه من أحفاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجدهم محمد صلى الله عليه وسلم، هذا علاوة عن عدة شروط يلزم توافرها لمن يدعو لنفسه بالإمامة، سبق الإشارة إليه. والأمر يختلف في المذاهب الأخرى.

(1) المرجع نفسه، ص101.

إن المبايعة قد تمت من جماعة الحل والعقد وقد تم القبول بالمهمة من قبل المكلف بالإمامة يحيى بن محمد حميد الدين، وهكذا فـ " إن الخطوات الشرعية في تولي الإمامة قد أتبعت وأن البيعة قد وقعت بطريقة شرعية، رغبة دون رهبة، ودون غصب لحق أحد. وإن البيعة عقدت له بالاختيار لا بالنص أو العهد ممن قبله "[2].

إلا أن أسلوب المفاجأة بإعلان الوفاة للإمام المنصور محمد بن حميد الدين، والد الإمام المبايَع يحيى واقتران نبأ الوفاة بمنشور دعوته - أي الإمام يحيى - لنفسه بالإمامة وعدم إشراك وإبلاغ من هم في مستوى الحل والعقد في صعدة قد سبب خروج الأمام الضحياني ودعوته لنفسه.

وقد كان هذا الخروج ومنازعة الإمام يحيى سبباً في بدء مرحلة من عدم الاستقرار السياسي وانشقاق القبائل الزيدية بين مؤيد للإمام السيد الحسن الهادي مثل: قبائل خولان في صعدة وخاصة سحار والجهوز وبلاد رازح والعامة في ضحيان صعدة وساقين وغيرها.

على ان البعض وقف على الحياد والبعض الآخر استمر متمسكاً ببيعته للإمام المتوكل على الله.. يحيى وتصاعدت الفتنة، "ولاسيما وأن الأتراك كانوا لا يرغبون في إمامة يحيى لأنه سيسير على سنة والده في محاربتهم وجهادهم "[3].

استمرت المعارك والصراعات بين الإمامين على السلطة إلى أن حسمت لصالح الإمام المتوكل على الله.. يحيى بن محمد حميد الدين عام 1328هـ. 1910م[4].

وفي الوقت الذي كان الإمام يحيى يخوض الجهاد ضد الأتراك ولم تحسم المعارك لصالح أحد الطرفين، ولظروف تتعلق بالسياسة العثمانية الداخلية والخارجية فقد اقتنع الطرفان باللجوء إلى التفاوض والحوار ثم القبول بالصلح الذي توج "باتفاق دعان" 1329هـ. 1911م.

(2) المرجع نفسه، ص94.

(3) المرجع نفسه، ص101.

(4) المرجع نفسه، ص131.

يكتسب اتفاق دعان أهمية تاريخية ومصيرية في تقرير حاضر ومستقبل اليمن السياسي آنذاك. وإن كان في تلك اللحظة التاريخية يعتبر -حسب تقييم المؤرخ الكبير سيد مصطفى سالم- ترضية للطرفين المتنازعين الإمام والعثمانيين، وهو نتيجة مجهودات حربية وسلمية طويلة[1]. والذي بموجبه اعترف العثمانيون للإمام يحيى بمستوى معين من الحكم الذاتي يشمل تلك المناطق التي تسكنها القبائل الموالية له والقابلة به كزعيم ديني ودنيوي.

كل ذلك في ظل السلطة والسيادة العثمانية على ولاية اليمن وقبول الإمام بذلك، إلا أن البعد السياسي الاستراتيجي لهذا الاتفاق أظهر الإمام حاكما محليا وزعيما دينيا للقبائل الزيدية. "وليس ممثلا للثورة والخلافة اليمنية" حسب تعبير الباحث زيد الوزير وبحسب الباحث نفسه فإن اتفاق دعان قد أتى "تثبيتاً للأمر الواقع"، وقد قسم الخريطة الجغرافية لمناطق النفوذ على النحو التالي:

1. من حدود "عمران" إلى "صعدة" للإمام يحيى خالصاً.
2. من عمران إلى "سمارة" "للدولة التركية" و"الحضرة الإمامية" مشتركاً.
3. من "سمارة" إلى "الراهدة" بالإضافة إلى منطقة "تهامة" - "للدولة التركية" خالصة[2].

إن قبول الإمام يحيى بتوزيع مناطق النفوذ المشار لها سابقاً قد حرمه من حقوقه و"واجباته "الوطنية"، "والدينية" كإمام وقائد لليمن كلها"[3].

كما يضيف زيد الوزير أن قبول الإمام "بالحضرة الشريفة بدلاً من صفة الدولة ليس إلا إنهاء عملياً لصيغة الخلافة الشرعية"، ولم يكن قبوله كذلك بصيغة "الزعامة الروحية" على الطائفة الزيدية فقط إلا اعترافاً بوجود آخر له ممثله الخاص[4].

وترتب على ذلك لاحقاً وعلى اثر انسحاب العثمانيين من اليمن وبمقتضى اتفاقية مندروس بين دولة الخلافة العثمانية الإسلامية ودول الحلفاء، ترتب فراغ سلطة شرعية في تلك المناطق التي تم خروج الأتراك منها. حيث انتقلت السلطة إلى أيدي الزعامات المحلية، وحدث الصراع على شرعية السلطة والدولة، حيث اعتبر الإمام يحيى نفسه وريثاً شرعياً للأتراك وسعى إلى بسط سلطته على المناطق التي كانت تحت السلطة العثمانية، والتي كانت تحكم وفقاً للمذهب الشافعي والحنفي، ووفقاً للتقاليد والتشريعات واللوائح للدولة العثمانية. وبمشاركة في السلطة المحلية للزعامات والقيادات في تلك المناطق. ومن ثم تمكن الإمام من السيطرة على زمام الأمور، وزج بتلك القوة القبلية في حربه في مناطق اليمن الأسفل بهدف اخضاعها لسيطرته وضمها إلى المملكة المتوكلية اليمنية.

إن اضطراب الجبهة الداخلية وبالذات في مناطق أكبر اتحادين قبليين هما حاشد وبكيل، كان أخطر التحديات، حيث لجأ البريطانيون إلى استمالة بعض زعامات هذه القبائل المتمردة على الإمام بعد خروج العثمانيين وذلك بواسطة المال وعلى الأخص قبيلة حاشد[5]. الأمر الذي دفع بالإمام يحيى يعد العدة لغزو "مناطق" اليمن الأسفل "لفتحها" وإخضاعها بالقوة المسلحة وضمها في إطار المملكة المتوكلية اليمنية مستعينا بالقبائل المسلحة الموالية له من المناطق الجبلية الشمالية.

إن حركة التمرد من قبل بعض مشايخ حاشد وبكيل ومراسلتهم مع الوالي البريطاني تدل على محاولة هؤلاء الخروج من عباءة فلسفة الحكم الإمامية من ناحية ورغبتهم في الزعامة من ناحية

(1) سيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة ط4، 1993م، ص516.

(2) زيد بن علي الوزير عن زروق الحلوى في سيرة قايد الجيش وأمير اللواء، منشورات العصر الحديث ط 1 ،1409هـ - 1988م، صـ59.

(3) المرجع نفسه، ص50.

(4) المرجع نفسه، ص50.

(5) دلال بنت مخلد الحربي، ص166.

ثانية، كما تشير إلى نظرة متفتحة ومتحررة على الآخر الأوربي الأمر الذي كان يخشاه الإمام يحيى وإن قبله على مضض في وقت لاحق عند توقيعه لاتفاقية صداقة مع الإيطاليين عام 1926م نكاية بالبريطانيين.

اعتلى الإمام يحيى عرش المملكة، بعد توقف لراتبه من السلطات العثمانية لفترة بحكم ظروف الحرب التي كانت تخوضها الخلافة العثمانية.

ولهذا فقد كانت القضية المالية والجباية من الرعية هي المؤشر والمحدد الرئيسي لاتجاه "غزواته"، في إطار إستراتيجيته العسكرية حيث يذكر بعض الباحثين ما ورد في مراسلات الإمام يحيى إلى الملك عبدالعزيز بخصوص منطقة نجران التي تقطنها قبائل يام ذات المذهب الشيعي الإسماعيلي قائلاً له "ماذا تريد من يام لا عقل للشيطان ولا مال للسلطان"[1].

إن إشكالية الحدود هي من أعقد المشكلات التي واجهت الإمام يحيى وقد أغرى موقف الإمام يحيى الضعيف في حماية حدود البلاد الدول القريبه والبعيدة الشقيقة العربية والبعيدة الأوربية. فقد نشطت الدبلوماسية البريطانية بهدف تحقيق انتصارات عبر عقد العديد من الاتفاقيات تكفل لها الهيمنة والسيطرة في منطقة شبه الجزيرة العربية. فتحركت الإمبراطورية البريطانية عبر قناتين فيما يخص مفاتحة الإمام يحيى حول قضية الحدود والنفوذ. القناة الأولى عبر لندن صنعاء مباشرة بعثة جاكوب مثلاً التي وصلت إلى صنعاء نهاية العام 1919م من وزارة المستعمرات البريطانية.

أما القناة البريطانية الثانية فقد كانت عبر عدن التي بدأت بإمساك أوراق ضغط على الإمام يحيى لإخضاعه وإدخاله ضمن دائرة النفوذ البريطاني، من خلال محاولة اختراق واستمالة قبائل حاشد وبكيل والدعم القوي الذي قدمته بريطانيا للإدريسي الذي سيطر على تهامة وميناء الحديدة. الأمر الذي كاد يسبب عزلة كاملة للسلطة الإمامية ويحرمها من أي منفذ بحري.

تكونت لدى الدوائر البريطانية ذات العلاقات بالمستعمرات وجهتا نظر فيما يخص ما سمي "بالمشكلة اليمنية" الأولى تتبناها محمية عدن برئاسة الجنرال اسكوت وتطالب ببعث الحدود التي رسمتها اللجنة العثمانية البريطانية في عام 1319هـ . 1902م و 1322هـ . 1904م[2]. وكان أصحاب وجهات النظر هذه يهدفون إلى استخدام ميناء الحديدة ورقة ضغط في المفاوضات مع الإمام ليحصلوا لقاء هذا الميناء المهم على اعتراف الإمام يحيى بالتقسيم البريطاني العثماني للأرض اليمنية إلى شطرين.

أما وجهة النظر البريطانية الثانية فكانت متشددة أكثر حيث لم توافق على تسليم الحديدية للإمام يحيى والاكتفاء بتعديل طفيف على الحدود للمستعمرة عدن والمحميات البريطانية وجعل حركة التجارة الخارجية للمملكة المتوكلية عبر ميناء عدن كمنفذ وحيد للخارج[3]. كي يسهل إخضاعه وممارسة مختلف الضغوط عليه مستقبلاً.

شددت القوات الإمامية هجماتها على المناطق الحدودية مع سلطنة لحج الواقعة تحت الحماية البريطانية، مما اضطر القوات البريطانية أن تعزز قدرتها الدفاعية بسلاح الطيران الذي أخذ يرهب القوات الإمامية.

واستمرت حروب الإمام يحيى في بسط سيطرته ومنها حربه مع الأدارسة وفي الجانب الآخر أخذت، الإمارة الإدريسية بالتوسع وفرض سلطتها عقب انسحاب العثمانيين الذين كانوا في حالة حرب مع الأدريسي بدعم وتشجيع من الإيطاليين، وقد تمكن من السيطرة على ميناء الحديدة، كما سبق، وهذا الوضع قد جعل الأمور أكثر صعوبة وتعقيداً بالنسبة للإمام.

---

(1) الكتاب الاخضر وزارة الخارجية السعودية. عن عبد الباري طاهر - الدين القبيلة بين الزيدية والوهابية. صحيفة التجمع 5 إبريل 2010 عدد (707).

(2) دلال بنت مخلد الحربي، مرجع سابق، ص166 . 167.

(3) المرجع نفسه، ص167.

أخذ البريطانيون يشددون من ضغوطهم على الإمام يحيى وضمه إلى منطقة نفوذهم مستفيدين من علاقتهم الطيبة بأسرة آل سعود والشريف حسين في مناطق نجد والحجاز. و كان هدف البريطانيين واضحاً وهو جعل منطقة شبه الجزيرة العربية تحت نفوذهم الكامل، وتأمين المستعمرة عدن ذات الأهمية الاستراتيجية.

ومن أجل ذلك فقد سعت الدبلوماسية البريطانية إلى إخماد وتهدئة أي بؤر توتر بمنطقة شبه الجزيرة العربية، حتى لا تتمكن القوة المنافسة الأخرى من استغلالها والنفوذ منها.

يتضح ذلك من خلال الحرب الدبلوماسية الشرسة التي دارت بين الإمام يحيى وممثلي الدبلوماسية البريطانية أثناء الفترة الممتدة 1918م - 1926م[1].

حيث استطاع الإمام يحيى السيطرة على الحديدة إثر وفاة محمد الإدريسي الأب وضعف وتدهور إمارته من بعده. وبذلك يكون الإمام قد حقق نصراً كبيراً وانتزع ورقة ضغط قوية من يد البريطانيين ظلوا يلوحون بها لإجباره على الخضوع والقبول باتفاقية 1904م بين العثمانيين والبريطانيين فيما يخص الحدود اليمنية الجنوبية.

أخذت الحروب الإمامية تحت شعار الوحدة اليمنية الكثير من الوقت والجهد وكلفت الكثير من الخسائر في الأموال والمعدات، كما خلفت نظام حكم متخلف ومهزوز.

تردد الإمام في بسط سيطرته ونفوذه على المناطق الجنوبية في لحج وغيرها عندما عرض القائد العثماني سعيد باشا عليه ذلك[2].

(1) ينظر، المرجع نفسه، ص159 . 215.

(2) انظر خطاب سعيد باشا. لحج ، نوفمبر 1918م . يحمل نداء للإمام بالحضور إلى الجنوب لاستلام ما تحت يده . عن ثورة اليمن الدستورية ، مرجع سابق صـ 178.

ونظر الإمام لصبيا . منطقة في عسير. على أنها. لا عقل للشيطان ولا مال للسلطان .[3].

فعد العدة العسكرية لجيشه من القبائل المسلحة لغزو اليمن الأسفل الكفار تأويلا، واستطاع بعد معارك استمرت سنوات من فرض سيطرته.

إن سياسة الجباية المالية والنظرة الأيديولوجية المذهبية الضيقة قد ترتب عليها آثار كارثية في بناء يمن النصف الأول من القرن العشرين. فلم تمض سوى أقل من عقدين من الزمن من عمر مملكته التي حاول تشييدها بالسيف والبارود قد ترتب عليها خسرانه لنجران وعسير وجيزان واضطراره على توقيع معاهدة الطائف 1934م والتي بموجبها وقعت أراضي شاسعة شمالاً وغرباً وجنوباً وشرقاً، تحت سيطرة المملكة العربية السعودية، وفي نفس العام اضطر أن يوقع مع الاستعمار البريطاني اتفاقية الحدود الجنوبية، الأمر الذي وسع من قاعدة المعارضة التي كانت في الأول من خارج المذهب الزيدي وفي ما بعد اشترك فيها أبناء هذا المذهب.

إن سياسة الإقصاء من الحكم لأبناء اليمن لأسباب مذهبية هي إحدى السمات الرئيسية التي اتسم بها الحكم المتوكلي الإمامي، ولم يكتف بذلك بل عمد إلى سياسة استئثارية بالحكم، فعمد إلى إقصاء حتى شركاءه من بيت الوزير وغيرهم، ليحل محلهم أبناءه الذين لقبهم بسيوف الإسلام. وعين أكبرهم سيف الإسلام أحمد ولياً للعهد وأميراً على أهم ألوية "اليمن الأسفل" تعز وإب انذاك..

أما بقية أجزاء اليمن الشرقية مثل مأرب والجوف وغيرها فظلت خارج سلطة الإمام إلى العام 1934م يحكمها زعماء قبليون محليون وقد يكون لشحة الأرض وحاصلات الجبايات النقدية والعينية التي لم تكن كافية حتى لتغطية نفقات

(3) الكتاب الأخضر، الصادر عن وزارة الخارجية للمملكة العربية السعودية، عن عبد الباري طاهر. صحيفة التجمع، عدد707.

موظفيه فيها ويبدو أن مقتضيات التعامل مع السياسات الدولية في عشرينيات القرن العشرين قد دفعت بالإمام يحيى بإعلان نفسه ملكاً[1] كي يساعد على الاعتراف به ملكاً على اليمن.

إن إعلان الإمام لنظام الحكم الملكي في اليمن يعد خطوة غير مسبوقة لدى الإمامة الهادوية في اليمن.

الأمر الذي أثار حفيظة وتوجس حلفائه في الحكم من عواقب ما سوف يترتب عليه من حصر السلطة في أفراد أسرته وهو ما كشف عنه لاحقاً عندما سعى إلى توريث الحكم لأكبر أبنائه سناً سيف الإسلام الأمير أحمد ومنحه لقب "ولي العهد"، حاول الإمام ان يقوم نفسه بصورة مختلفة في مناطق متباينة ففي المنطقة الشافعية برز مجاهداً في نشر الإسلام وفي مناطق القبائل في الشمال حرص على أن يظهر مكافحاً ضد الطاغوت واجتثاثه.

إن محاولة التلون الأيديولوجي والسياسي هذه من قبل الإمام قد أدت إلى اختلاف الدوافع والأسباب للمعارضة ضد الإمام يحيى، ففي المناطق الزيدية كانت المعارضة من أوساط السادة الهاشميين لنهجه في "التوريث" "والملكية" وهنا برز السؤال التالي:

ماهي آلية الدولة التي ورثها الإمام يحيى في بناء المملكة / دولته؟ وإلى أي مدى استفاد الإمام من الترات الحداثي الذي خلفه الاتراك في بناء الدولة؟؟

ونسارع في الإجابة بأنه لا يمكن الحديث عن أي موروث من آليات الدويلات الإمامية السابقة عليه "لأن ارتدادات العزلة الخاصة والعامة ترينا أن ما كان يتكون.. يعود ثانية ليتفكك ويبني كل معتزل جيتوه الخاص من أحجاره"[2].

ويؤكد ذلك تعدد الدول الإمامية التي كانت تقوم على أساس الخروج على الإمام الظالم ونزع السلطة من يده بالقوة مما يؤدي إلى القضاء على موروثه في بناء السلطة "الدولة"، والتخلص من أفراده الذين استعان بهم في مختلف أجهزة سلطته.

إن الإمام الجديد يأتي بجهازه الإداري الجديد الذي يبدأ من الصفر، فيختار مركز حكمه ويقيم تحالفاته القبلية.

لهذا كله لم تتشكل أسس دولانية بسبب ما يمكن أن نطلق عليه نفي النفي في سياسة بناء السلطات الإمامية المتعاقبة.

وما خلفه الأتراك من الأسس الدولانية كان متواضعاً كون اليمن ولاية في إطار السلطنة العثمانية، ومع ذلك فقد كانت نسبة الاستفادة منه متواضعة جداً.

يتضح لنا ذلك من خلال تعقبنا لتجربة الإمام يحيى على المستويين النظري والتطبيقي في بناء دولته.

في مثل هذه الظرف يشكل بناء دولة يمنية تحدياً كبيراً نظراً لغياب آلية الدولة وما يترتب على ذلك من العمل على الصعيد النظري لصياغة رؤية فكرية تعكس الهوية الدينية، والوطنية، والقومية لمشروع بناء الدولة.

وعلى الصعيد العملي التنفيذي وما يستلزم من خطط وبرامج وسياسات تستهدف تحويل الأسس النظرية والفكرية إلى واقع حي وملموس، يستوعب الواقع الجديد بامتداده الجغرافي، وتعدده المذهبي والثقافي، والاجتماعي. ويتفاعل مع طبيعة القرن العشرين بمنجزاته العلمية والتقنية.

يعكس مسمى الدولة المملكة المتوكلية اليمنية التي أعلنها عام 1918م الإمام ـ المتوكل على الله ـ يحيى بن محمد حميد الدين، شكل

(1) مصطلح الملك ظل بعيدا عن الفكر النظري لمختلف الفرق الاسلامية التي بحثت في الإمامية ، لما لهذا المصطلح من معنى سلبي لارتباطه بالقهر والجبروت، عن محمد عمارة الحكم في الاسلام ، دار الشروق : بيروت 1409هـ - 1989 م صـ 42.

(2) يحيى علي الإرياني، توازن الوطن.. مرتهن بتصحيح اختلاله، دراسات يمنية، عدد43، يناير1991م، ص200.

نظامها السياسي فهو نظام ملكي ووراثي كما عرف لاحقاً وبذلك فقد أعلن نفسه ملكاً على هذه الدولة، أي كسلطة زمنية، بالإضافة إلى كونه إماماً دينياً للمسلمين.

وقد امسك بزمام هاتين السلطتين وهذا أمر ليس بجديد في الفكر السياسي الإسلامي الهادوي، إلا أن الجديد هو مسمى المملكة كشكل لنظام الحكم، الذي لم يكن شائعاً، وإنما كان المألوف هو مسمى "الإمامة".

هذا إضافة إلى ما استحدثه وأضافه في نظرية الإمامة الهادوية وهو أمر "التوريث" لابنه ولي عهده سيف الإسلام أحمد.

وقد غدا التوريث تقليداً، وهو يخالف ويتعارض مع جوهر نظرية الإمامة في السياسة وقد أثار هذا التحول في موضوع انتقال السلطة عن طريق التوريث أو الوصية تململ واستياء علماء الزيدية، فتطور لاحقاً إلى صراع بين أسرة حميد الدين وأقوى حلفائها بيت الوزير.

إن التوريث وإن كان يهدف في رأينا إلى تأمين سلس لانتقال الحكم في إطار أسرة آل حميد الدين، خاصة في ظل توسع حكم الإمامة الزيدية ليشمل نطاقا جغرافيا واسعا وتعددا مذهبيا أكبر.

إلا أن سياسة التوريث قد ضربت في الصميم النهج الثوري لنظرية الإمامة السياسية بما تعنيه من خروج عن الحاكم الظالم ومواجهة المستبدين والعابثين الفاسدين.

وهي تعتبر ردة سياسية وفكرية، وبالذات قبل أن يصبح معروفاً ومألوفاً أسلوب التداول السلمي للسلطة، عن طريق صندوق الاقتراع والنظم الانتخابية الحديثة والعصرية.

إن الإمامة المتوكلية في القرن العشرين تبرز غير ذات علاقة بتلك الأسس الفكرية "الكلامية" التي أخذ بها الإمام الهادي يحيى بن الحسين "عن المعتزلة"، وما مثلته من نقلة فكرية متطورة للفكر الفلسفي بشكل عام والفكر الفلسفي السياسي بشكل خاص، بما مثلته من قيم الحرية وإعلاء الاجتهاد ومقاومة الظلم والطغاة، بغض النظر عن صلة القرابة بآل البيت فلا عصمة لأحد كائن من كان.

اخفاق الإمام يحيى في بناء الدولة:

يؤرخ للعودة الأخيرة للعثمانيين لليمن بسيطرتهم على مناطق "اليمن الأسفل" بدخولهم مدينة تعز في 1872/10/22م دون حرب[1].

وقد سيطرت القوات العثمانية على الجانب الأكبر من البلاد "كما تم في الوقت نفسه تشكيل جهاز واسع للإدارة في اليمن إذ جرى تعيين مراكز القضوات والنواحي" وأقيمت مقرات للحكومة، وتأسس جهاز البريد ومدت خطوط البرق، وشقت الطرق الواسعة، وأقيمت الموانئ والمرافئ، ووضعت الأولوية للخدمات العامة في مجال التعليم والصحة"[2].

أدخلت المطبعة لأول مرة في شبه الجزيرة العربية عام 1872م، ونشرة يمن هي أول نشرة طبعت في اليمن، وتوقفت عن الصدور منذ العام 1918م حتى العام 1926م، عندما صدرت صحيفة الإيمان الإمامية[3].

وعلى صعيد الحكم والإدارة المحلية أشركت القيادات والزعامات المحلية في الحكم. ومثلت ولاية اليمن في البرلمان التركي، بمعنى عرفت الحياة البرلمانية.

وكل مظاهر التحديث والتنمية التي سبقت الإشارة لها اقتصرت على المناطق اليمنية الواقعة تحت السيطرة العثمانية، وحرمت منه المناطق التي ظلت خارج السيطرة العثمانية، وساعدت على تكريس التخلف وخلق نوع من التمايز الثقافي والحضاري النسبي.

---

(1) اليمن في العهد العثماني، اسطنبول، 2008، ص332.

(2) المرجع نفسه، ص16.

(3) الموسوعة اليمنية، ج2، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، الجمهورية اليمنية، ص560.

الأمر الذي شكل تحدياً آخر أمام بسط الإمام سلطاته في المناطق التي كانت خارج سلطته. بل وشكل تراجعاً وانتكاسة للتوجهات الحداثية جراء سياسة العزلة الرهيبة التي انتهجها نظام الحكم الإمامي في كل المجالات. وقد انعكست هذه السياسة سلباً على مشروع بناء الدولة السلطة.

إن حديثنا عن الدولة هو نوع من التجاوز إذ أن الواقع يكشف لنا عن غياب الدولة بمفهومها التقليدي أو العصري الحديث.

وهي قضية يبدو أنها مزمنة في التاريخ اليمني قديمه وحديثه. وما كان قائماً في الواقع ما هو إلا سلطة فردية مطلقة بيد إمام المسلمين وزعميهم الوطني.

فقد ركز الإمام يحيى كل السلطات بيده السلطة التنفيذية السياسية، الخارجية والداخلية، المالية والعسكرية والأمنية. وكذلك السلطة القضائية وعاونه عدد من أفراد أسرته وأقاربه وبعض من يثق بهم.

لقد وضع التاريخ على كاهل الإمام يحيى مهاما وطنية ودينية كبيرة، فقد وجد نفسه يضطلع بدور السلطة العثمانية في حماية الديار الإسلامية والأماكن المقدسة فيها مكة والمدينة، من خطر الاستعمار الغربي.

الأمر الذي لم يرتق إلى مستواه كما كشفت الأحداث لاحقاً. فقد تسلم مقاليد الحكم في ولاية اليمن التي كانت تحت السيطرة العثمانية والتي تميزت بخصوصية ثقافية ومذهبية كان قد اعترف بها في "اتفاق دعان" 1911م، الأمر الذي كان يفرض عليه أن يمتلك استراتيجية، شاملة لبناء الدولة الوطنية، تأخذ بعين الاعتبار المعطيات الوطنية والدينية الجديدة، جاعلاً من نفسه زعمياً وطنياً لكل اليمن واليمنيين، مترفعاً عن العصبية المذهبية الضيقة، والعنصرية المقيته، لكي يستطيع أن يوحد الجبهة الداخلية ويبني دولة تستطيع أن تقف في وجه عاتية الزمن، الذي اتسم بهجمة امبريالية شرسة على المنطقة العربية. اعقاب الحرب العالمية الأولى. وبالذات على تلك المناطق التي كانت خارج السيطرة الاستعمارية ومنها بلاد اليمن والجزيرة العربية.

وكان يفترض بالدولة الإمامية الجديدة ان تقوم ليس بالدفاع عن السيادة والاستقلال، بل والعمل على تحقيق العدل ومواصلة السير بخطى التحديث التي كانت قد بدأت في بعض أجزاء البلاد ابتداءً من مطلع القرن العشرين.

فما هي خطة الإمام - المتوكل على الله - يحيى حميد الدين على الصعيد الداخلي في بناء الدولة لمواجهة التحديات والمخاطر الخارجية؟

على صيعد بناء جهاز الدولة احتفظ الإمام بكل السلطات لنفسه فهو إمام المسلمين دينا ودنيا، فهو الملك الذي تعود له الملكية لما هو في باطن الأرض وما فوقها.

وركز صلاحية السلطة التنفيذية كلها بيده، من قيمة صحيفة الإيمان التي كانت في عهده مروراً بفحص الحركة الجمركية في الموانئ إلى الإذن الخطي منه بدخول الأجانب البلاد ومغادرتهم، وكذا تحركاتهم في أنحاء البلاد يعاونه في ذلك سكرتاريته الخاصة.

"كلما تقلص النفوذ الخارجي في المناطق غير الزيدية امتدت إليها الزيدية، وكلما جاء غزو من الخارج يلوذ الشوافع به خوفاً من سيطرة الزيدية" [1].

وهذا ما حدث في عهد الإمام يحيى حيث أعلن الشوافع في مناطق الاجعود وما جاورها وساطة سلطان لحج لدى السلطات البريطانية في عدن لطلب الحماية من بريطانيا.

وعلى اثر حرب شرسة دامت سنوات أخضعت قبيلة الزرانيق في تهامة محافظة الحديدة من قبل الإمام يحيى واعتقال زعمائها والزج بهم في السجون حتى الموت، وهروب بعضهم إلى الحجاز،

(1) ينظر. أحمد محمد نعمان، سيرة حياته الثقافية والسياسية، المعهد الفرنسي، ط2، صنعاء2004م، ص201.

وعودتهم"[1] مع جيش الملك عبدالعزيز عند احتلاله الحديدة في حرب 1934م، كنتيجة لما عانوه من ظلم الإمامة

"إن أغلبية الشعب في اليمن بما في ذلك الجنوب المحتل، فإنهم جميعاً لا يدينون بهذه الإمامة، ولا يرون لها حقا في السيطرة عليهم. بل إنهم يرون فيها سلطة مفروضة عليهم، سياسيا ودينيا، وهذه الإمامة لا تقف عند حدود سلطانها السياسي، بل تفرض على شطر (معظم) الشعب معتقدات وطقوسا وأحكاما مذهبية لا تتفق مع مذهبهم"[2].

حتى أولئك الذين بادروا لمبايعة الإمام من الزعامات المشيخية في لواء تعز وإب تم عزلهم من مواقعهم القيادية في مناطقهم وزج بهم في السجون حتى مات أكثرهم.

كانت سياسة الإمام "في غاية التعسف... فليس للشوافع طريق لتسلم المناصب المهمة في الدولة الزيدية... علماً بأن الشوافع جمهرة من العلماء الأفذاذ الذين يصلحون لكل المناصب"[3].

إن القضاء الذي يرأسه الإمام هو الآخر قد خضع لسلطته المطلقة فهو من يبت في الأحكام، وينظر ويختار من يلتحقون في مدرسة تأهيلهم المتواضعة. وهو من يعينهم لاحقاً في سلك القضاء، وفق معيار الولاء الشخصي والمذهبي له.

"واختياراته الفقهية هي المرجعية المعتمدة في المحاكم الشرعية، حيث لا يوجد قانون في البلاد غيرها"[4].

في ظل غياب القانون وسلطة الدولة، استمر العمل بالقضاء العرفي الذي يعود بمصادره إلى الدين الإسلامي ممثلا بالشريعة الإسلامية والسوابق القبلية، وبقايا القوانين الوضعية للدول اليمنية القديمة. لحل قضايا النزاع المختلفة. والذي ما يزل يعمل به في الوقت الراهن. لفض النزاعات سواء بين أفراد القبيلة الواحدة أو بين القبائل بعضها مع بعض، أو حتى بين القبائل والدولة.

أما القانون الدولي الحديث فقد عرفته اليمن من خلال قواعد الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي أبرمتها المملكة المتوكلية مع غيرها من الدول.

الشريعة المتوكلية والقضاء في اليمن، هو الجهاز الذي يفترض به أن يضطلع بإحقاق الحق ورفع الظلم عن أبناء البلد وخاصة وان حرب الإمام يحيى ضد العثمانيين "راجع إلى ما أوجبه الله عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جراء بعض أعمال الولاءات الفاسدة مثل إرهاقهم للرعية، واستخفافهم بسلطان الدين، وولعهم بالجور، ومجاهرتهم بالمنكرات"[5].

"وقبل أن يلتفت الإمام يحيى إلى الأوضاع القائمة بعد انسحاب العثمانيين وترقية الشئون العامة ذهب يوزع القضاة الذين كانوا شراً وبلاءً على الأمة وعلى الشريعة"[6].

وقد أدلى بشهادة تاريخية حول أوضاع القضاء والحق والعدل كل من القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني وأحمد عبدالرحمن المعلمي. إن اختلال ميزان الحق والعدل هو أساس انهيار كل الحضارات السابقة. وإن أحد عوامل ازدهار

---

(1) عبدالباري طاهر، الدين والقبيلة بين الزيدية والوهابية، صحيفة التجمع الوحدوي، عدد707، 5إبريل/2010م.

(2) محمد محمود الزبيري، الإمامة وخطرها على وحدة اليمن، وزارة الثقافة صنعاء، 2004م، ص9.

(3) سيف الدين سعيد آل يحيى، تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن، ج1، ط1، بغداد 1986م، ص63.

(4) ينظر، صراط العارفين إلى إدراك اختيار أمير المؤمنين، نظمها وشرحها القاضي العلامة عبدالله بن عبدالوهاب المجاهد المعروف بالشماحي، تجاوز الله عنه آمين، مطبعة المعارف الجليلة، بصنعاء عاصمة اليمن 1356هـ. 1937م.

(5) عبدالله محسن العزب، تاريخ اليمن الحديث، فترة خروج العثمانيين الأخير، تحقيق عبدالله الحبشي، ط1، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1986م، ص26. نقلاً عن زيد بن علي الفضيل، مجلة المسار، عدد28، 2009م.

(6) عبدالله محسن العزب، تاريخ اليمن الحديث، فترة خروج العثمانيين الأخير، تحقيق عبدالله الحبشي، ط1، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1986م، ص26. نقلاً عن زيد بن علي الفضيل، مجلة المسار، عدد28، 2009م.

الحضارات الإنسانية المعاصرة يعود بدرجة رئيسية إلى العدالة في تطبيق النظام والقانون.

إن السلطة الإمامية المتوكلية لم تفلح في إقامة نظام عدلي نزيه عادل ومحايد، بل بالإضافة إلى طائفيته، فقد أصبح أحد الأجهزة الرئيسية التي استخدمها "بشغل الناس في أنفسهم أو وسيلة للإثراء الغير الشرعي لأفراد أسرته، والويل لمن لم يستجب من القضاة لمطالبهم غير الشرعية، كما حدث للقاضي قاسم غالب أحمد مع ولي العهد أحمد حيث زج به في السجن 14 عاماً لامتناعه عن الاستجابة لرغباته في ضم أراضي الأوقاف وممتلكات فلاحين لملكيته[1].

وبالإضافة إلى التطويل في فض النزاعات وجعلها وسيلة للارتزاق لأفراد جهازه القضائي والأجهزة الأخرى. الأمر الذي دفع بالكثير إلى ترك أسرهم وقراهم والهجرة إلى خارج اليمن بسبب الشريعة المتوكلية التي كانت سبيلا للتفرقة والاستغلال والتمزيق[2].

وقد نعى الأحرار الشريعة الإسلامية شعراً،

أين الشريعة أصبحت موقوفة
في خدمة الأغراض والأهواء
ذهبت قداستها وطاح بعزها
عنف الرعاة وقسوة الأمراء
فضوت نظارة روحها إذ أرويت
بمدامع البؤساء والضعفاء
وغدت بأيدي الظالمين مخالباً
حمراً تعيث بأمة بلهاء
فكأنهم دود على أشلائها
تقتات من قيح بها ودماء
عكفوا على تعذيب شعب محمد
وكسوه ألواناً من البأساء
فهوت معالم مجده مطوية
في زعزع من غيهم نكباء

أين الرسول يرى وأين فؤاده
يدمي لما صنعة يد الأبناء[3]

لقد كان لسان حال الإمام يقول: "إن القبيلي إذا بقى له ريال سار يشتري له معبر بندق - يعني خرطوشة - ويفسد على الحكومة". النظرة العدائية للناس وإفقارهم تبدو نهج راسخ وسياسة معتمدة لدى الإمام هدف من خلالها الحفاظ على عرشه وسلطانه.

اصبح المجتمع اليمني في شمال اليمن في العهد الإمامي المتوكلي 1918-1962م يتركب من عدد من الشرائح بالمفهوم العام، ليتسع لمفهوم الطائفة (Caste)، والمرتبة (Etat) والطبقة (Class) ولكن دون أن يماثل أياً منها بالضرورة[4].

وحصر الشرائح الاجتماعية مختلفاً عليه لدى الباحثين في هذا الحقل نظراً لاختلاف معايير التقسيم.

كما "تقوم البنية التقليدية على مراتبية معينة السادة في قمة الهرم، القضاة، مشايخ، القبائل، مشايخ الأرض، الرعية، التجار، ذوو الحرف وذوو المهن- الأخدام-، ... وتتكأ قمة الحكم على الشريحة الأعلى للسيطرة على الشريحة الأدنى، وعلى هذه الأخيرة كالسيطرة على ما دونها وهكذا على أن تسيطر على كل درجات السلم الاجتماعي[5].

إن هذه التركيبة الاجتماعية قد كرست الاستبداد والاستغلال وخلقت التمايزات وحرمت الكثير من حقوقهم بل ورمت بالعديد من الفئات إلى الهامش.

وهذا ما يفسر "كثرة الصراعات السياسية، مع عقم هذه الصراعات التي لم ينجم عنها سوى تبدل الوجوه لا تبدل المؤسسات وشدة التغيرات والتقلبات السياسية مع جمود مظاهرة الحياة الاقتصادية والاجتماعية"[6].

(1) للمزيد، ينظر، قاسم غالب أحمد، رسالة من الجحيم، دار الجماهير، عدن، بدون تاريخ.

(2) ينظر، محمد أحمد نعمان، عن أحمد عبدالرحمن المعلمي وعبدالرحمن الإرياني،ص11.

(3) عبدالله عبدالوهاب نعمان، «الفضول» عن أحمد عبدالرحمن المعلمي، وعبدالرحمن الإرياني، ص4.

(4) خالد عبدالجليل شاهر، ص211، 248.

(5) المرجع نفسه، ص244.

(6) المرجع نفسه، ص245.

قرابة عقدين من حكم الإمام كانت كافية لكشف إفلاس وإخفاق سياساته في مختلف المجالات. فعلى صعيد بناء أجهزت الدولة. اقتصرت جهوده على تعزيز سلطته الفردية وبناء دولة لسلطته، لم يسمح لأحد للمشاركة في السلطة فمشائخ القبائل اقتصر دورها على لعب دور الوسيط بين الرعية والإمام، "ولم يسمح للمشايخ لممارسة أي سلطة إدارية أبعد مما يمنحهم العرف القبلي"[1]. في المناطق الزيدية أما المناطق الشافعية فقد مارس الإقصاء ضدهم حيث لم يشركهم في أي موقع حكومي وما أن كبرت "الأولاد عينهم في مواقع رئيسية في السلطة والوزارات الشكلية"[2].

استفحل الفساد وساد الظلم والقهر خاصة مع هيمنة الإمام وسيطرته المطلقة على كل الأجهزة، إلا أن سياسته هذه لم تفلح، فقد حصدت سياساته الفشل على الصعيد الداخلي خسرت أراضي يمنية واسعة في الحرب اليمنية السعودية عام 1934م، وتوقيع معاهدة "التجزئة والتشطير" 1934م مع الاستعمار البريطاني، التي كان من نتائجها وضع معالم تشطير اليمن والتنكيل بالمواطنين، الأمر الذي نتج عنه تشرد عشرات الآلاف من اليمنيين، إلى مختلف بلدان العالم، كاسرين بذلك طوق العزلة الذي حاول أن يفرضه الإمام على اليمن، وهروباً اضطرارياً من الأمراض والمجاعات التي ذهب ضحيتها الآلاف من اليمنيين.

قائمة المراجع والمصادر

1 - أبوبكر السقاف : الوحدة اليمنية وأزمة الاندماج. اليمن والعصر ، مجموعة من الباحثين ، إشراف ريمي لوفو، وآخرون ، ترجمة علي محمد زيد ، بيروت ، الفرات للنشر والتوزيع ، ط، 2008م.

2 - أحمد عبد الرحمن المعلمي – عبد الرحمن الارياني: الشريعة المتوكلية او القضاء في اليمن ، عدن ، مطبعة الحرية، (د.ت).

3 - برنارد هايكل : الخروج او الهجرة اوالديمقراطية الشورورية، الزيديون اليمنيون ومنتقدوهم. اليمن والعصر.

4 - ثورة اليمن الدستورية : تاليف ضباط من رؤساء خلايا القيادة العسكرية لثورة 1948م المشير عبدالله السلال وآخرون، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث اليمني. بيروت ، دار الآداب ،ط1،1405هـ الموافق 1985م

5 - خالد عبدالجليل شاهر : البنية الاجتماعية التقليدية في اليمن، (مثال شمال اليمن في عهد الإمام يحيى (1918م-1962م) دراسات يمنية ، عدد 43، يناير – يونيو 1991/ صادرة عن مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

6 - دلال بنت مخلد الحربي:علاقة سلطنة لحج ببريطانيا، 1337-1378هـ الموافق 1918-1959م ،ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد 1977م.

7 - رشاد العليمي : القضاء القبلي في المجتمع اليمني ، القاهرة ، دار الوادي ، (د.ت).

8 - زيد بن علي الوزير : عن زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء ، منشورات العصر الحديث ، ط1، 1409هـ 1988-م.

9 - سلطان أحمد عمر : نظرة في تطور المجتمع اليمني ، بيروت ، دار الطليعة ، 1970م.

10 - سيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث ، اليمن والإمام يحيى ، 1904هـ 1948-م، الطبعة الرابعة ، القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع.

11 - سيف الدين سعيد آل يحيى : تاريخ البعثة العسكرية العراقية الى اليمن للفترة من 1940-1942م. الجزء الاول، بغداد ، ط1، 1986م.

12 - صراط العارفين الى إدراك اختيارات أمير المؤمنين ، نظمها وشرحها القاضي العلامة عبدالله بن عبدالوهاب المجاهد المعروف بالشماحي تجاوز الله عنه .. آمين ، صنعاء مطبعة المعارف الجليلة ،1356هـ الموافق 1937 م

13 - عبدالباري طاهر : الدين والقبيلة بين الزيدية والوهابية، صحفية التجمع ، عدد (707) إبريل 2010م

14 - عبد الغني الرافعي : اليمن ظاهرها وباطنها عن مجلة الرابطة العربية ، سلسلة مقالات وأبحاث نشرتها المجلة في الأربعينيات ، القاهرة ، (د.ت)

---

(1) أبو بكر السقاف، الوحدة اليمنية، وأزمة الاندماج، ص159، اليمن المعاصر، مجموعة من الباحثين، إشراف ريمي لوفو، فرانك مرميه، ترجمة علي محمد زيد، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2008م.

(2) للمزيد، ينظر، عبدالغني الرافعي، اليمن ظاهرها وباطنها، سلسلة مقالات وبحوث، نشرتها مجلة الرابطة العربية بالقاهرة في الأربعينيات، بدون تاريخ، ص21.

15 - عبد الكريم بن أحمد مطهر : سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ، المسماة كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة . دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك ، الأردن ، الطبعة الاولى ، 1418هـ 1998-م.
16 - عبد الله محسن العزب : تاريخ اليمن الحديث ، (فترة خروج العثمانيين الأخيرة) (تحقيق عبدالله الحبشي) .ط1، بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر ، 1986م، نقلاً عن زيد بن على الوزير ، مجلة المسار ، عدد 28، 2009م.
17 - علي محمد زيد : معتزلة اليمن دولة الهادي وفكرة ، صنعاء ، دار الكلمة ، الطبعة الثانية 1985م
18 - قائد محمد طربوش : نظام الحكم في الجمهورية العربية اليمنية –دراسة مقارنة مع البلدان العربية ، ذات النظام الجمهوري ، القاهرة مكتبة مدبولي، ط1، 1410هـ الموافق 1990.
19 - قائد محمد طربوش : وثائق دستورية يمنية تعز ، مكتبة العروة الوثقى ، 2003م.
20 - قاسم غالب أحمد وآخرون : ابن الأمير وعصره، صورة من كفاح شعب اليمن ، صنعاء وزارة الثقافة والسياحة، 2004م.
21 - قاسم غالب أحمد : رسالة من الجحيم ، عدن ، دار الجماهير ، (د.ت)
22 - قاسم غالب أحمد ، محمود إبراهيم زايد : من أعلام اليمن شيخ الإسلام المجتهد محمد بن علي الشوكاني، صنعاء ، دار الكلمة ، بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر ،(د.ت).
23 - الكتاب الأخضر : صادر عن وزارة الخارجية المملكة العربية السعودية .
24 - محمد سعيد العطار : التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن ، أبعاد الثورة اليمنية ، بيروت ، دار الطليعة ، 1965م.
25 - محمد عمارة : فلسفة الحكم في الإسلام ، بيروت ، دار الشروق 1409هـ 1989-م.
26 - محمد محمود الزبيري : الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ، صنعاء ، وزارة الثقافة ، 2004م.
27 - الموسوعة اليمنية في جزءين : صنعاء، مؤسسة العفيف الثقافية 1991م.
28 - يحيى علي الارياني : توازن الوطن .. مرتهن بتصحيح اختلاله . دراسات يمنية عدد 43 يناير – يونيو 1991م.
29 - اليمن في العهد العثماني: أسطنبول 2008م.

نساء شيدن مدارس العلم في اليمن في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي

د. محمد علي العروسي•

مقدمة

العلم في الإسلام من الأمور التي فرضها الله على المسلمين والمسلمات ، قال رسول الله صلى الله علية وسلم " العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة "، لذلك أقبل المسلمون والمسلمات الأوائل على طلب العلم، فظهرت منذ بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي منشآت تعليمية مستقلة عن المساجد، تخصصت تلك المنشآت في تدريس علوم القرن الكريم والحديث الشريف والفقه وقواعد اللغة العربية وآدابها وغيرها من العلوم المختلفة، ثم ظهرت بعد ذلك مؤسسات تعليمية بمسميات مختلفة. لعل من أهمها بيت الحكمة التي أنشأها الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/813-833م) في مدينة السلام بغداد سنة 215هـ/830م، اشتملت بيت الحكمة تلك على قاعات للدرس، ومكتبة عظيمة تزخر بنفائس الكتب.

وقد تولى التدريس فيها عدد من العلماء الأكفاء، تخصص عدد منهم في مجال الترجمة. وتزامن مع ظهور هذه المراكز التعليمة ظهور عدد من المساجد التي تخصصت إلى جانب وظيفتها الدينية في تدريس العلوم الشرعية والفقهية ، وقد جاء ظهور هذا النوع من المساجد في أعقاب نهاية المحنة التي بدأت في آخر سنة من أيام حكم الخليفة العباسي المأمون واستمرت حتى نهاية حكم الخليفة العباسي المتوكل (من سنة 218هـ/833م إلى سنة 234هـ/848م).

لم يؤثر ظهور هذه المؤسسات الجديدة على دور المسجد الذ ي أستمر في تأدية وظيفته كمنشأة تعليمية إلى جانب وظيفته الأساسية كمنشأة دينية هذه الرسالة الدينية والتعليمية التي

• أستاذ الآثار و العمارة الإسلامية بجامعة صنعاء

انطلقت من المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة و المسجد الحرام بمكة، ظهرت في غالبية المساجد التي تم إنشاؤها بعد ذلك في مختلف مناطق العالم الإسلامي ، وأصبحت بعض هذه المساجد من أشهر الجامعات الإسلامية نذكر منها على سبيل المثال الأزهر الشريف بالقاهرة و جامع الأشاعر في مدينة زبيد وغيرهما ، كما زاد الإقبال على طلب العلم في الكثير من المساجد الأخرى ، خصوصاً المساجد التي تم إنشاؤها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كالجامع الكبير بصنعاء وجامع الجند بالقرب من مدينة تعز ، وما تزال الأروقة و قاعات الصلاة في هذه المساجد عامرة حتى اليوم بحلقات الدرس ومجالس العلم ، التي بدأت قبل أربعة عشر قرناً من الزمان تعلم ودرس فيها مشاهير وكبار العلماء و الفقهاء ؛ ففي جامع عمرو بن العاص بالفسطاط كان الإمام الشافعي يرأس حلقة علم كل صباح حتى تاريخ وفاته في سنة 205هـ/820م.

وقد أدى إقبال المسلمين المتزايد وحرصهم على طلب العلم ، إلى ظهور عدد كبير من المؤسسات التعليمية المختلفة في القرون الهجرية الأولى، كالمعلامة أو الكتاتيب التي بنيت بجوار المسجد، وتخصصت في تعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة و القرآن الكريم، وأدت بعض المنازل وظيفة المراكز التعليمية، كانت تلك المنازل في الأصل مساكن لعلماء وفقهاء تولوا التدريس فيها، وقام البعض الآخر منهم بتحويل منازلهم إلى مدارس للعلم ، وتوالى ظهور المؤسسات التعليمية فظهرت دور الدعوة ، ودور الحكمة و دور السنة، منها دار السنة التي أنشأها أحمد بن إسحاق بن أيوب الصبغي (توفي سنة 342هـ/953م) في مدينة نيسابور على باب الجامع ، كما انشئت بعض المدارس في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، منها مدرسة أبو حاتم البستي المولود في سنة 277هـ/890م التي أنشأها في مدينة مرو ؛ احتوت هذه المدرسة على مكتبة وغرف للسكن وخصصت منحاً مالية للطلاب القادمين للدراسة فيها من أقاليم أخرى في الدولة الإسلامية .

وانتشرت في العصر الفاطمي منشآت تعليمية عرفت بدور العلم ، ومن أهمها دار العلم التي أقامها جعفر بن محمد الموصلي (توفي سنة 323هـ/934م) في مدينة الموصل ، كما أنشأ الوزير نصر سابور بن إردشير في سنة 381او 383هـ/991-993م دوراً للعلم في مدينة بغداد، وأنشأ الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله 386-411هـ/996-1020م دار الحكمة سنة 395هـ/2005م ، وزودها بمكتبة سميت دار العلم وحوت الكثير من الكتب في العلوم المختلفة ، وكانت هذه الدار واحدة من أهم مراكز نشر المذهب الإسماعيلي في مصر في عصر الخليفة الحاكم بأمر الله ، وقد أنشأ هذا الخليفة في بداية القرن الخامس الهجري سنة 401هـ/1001م داراً للعلم بمدينة الفسطاط . وكانت عبارة عن مدرسة لتعليم المذهب السني في مصر الحق بها مكتبة وعين أبو بكر الأنطاكي ناظراً للمدرسة ،ورتب فقهاء تولوا التدريس فيها وأجرى لهم أرزاقاً شهرية ثابتة ؛ وظهرت المدارس كذلك في آسيا الوسطى في العصر السلجوقي ، ويعود تاريخ بناء أقدم المدارس المعروفة هناك إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .

وازدهرت حركة بناء ونشر مدارس العلوم الإسلامية في شرق العالم الإسلامي ، وامتدت هذه الحركة لتشمل عددا كبيراً من مناطق مغرب العالم الإسلامي ، فأنشئت المدارس في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في بلاد المغرب العربي ففي عصر الدولة الحفصية (625 - 941هـ/1228-1534م) بنيت في تونس عدد من المدارس ، ذكر الزركشي أسماء إحدى عشرة مدرسة منها مدرسة المعرض التي تعتبر أقدم هذه المدارس في ليبيا وتونس ، وفي دولة المغرب يذكر ابن مرزوق بأن مدرسة الصفّارين وكذلك مدرسة

الحلفائيين (التي أمر بإنشائها) في مدينة فاس سنة 684هـ/1277م السلطان المريني أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق (656-685هـ/1258-1286م) هما أقدم المدارس التي انشئت في المغرب العربي ، وانشئت بعد ذلك في العصر المريني عدد من المدارس في كل من مدينة فاس ومدينة تلمسان وفي مدن مغربية أخرى ، وقد أسف ابن خلدون (توفي سنة 808هـ/1406م) للتدهور و التلف الذي أصاب مدارس المغرب وتونس في عصره.

أما في بلاد الأندلس فقد ظهرت المدارس وأنشئت في غالبية مدن الأندلس مثل قرطبة و غرناطة وطليطلة واشبيلية ومالقة وغيرها ، وقد بلغ عدد المدارس التي انشئت في مدينة غرناطة وحدها مئة وسبعا وعشرين مدرسة ، نذكر منها المدرسة العظيمة التي أنشأها الملك الناصر يوسف أبو الحجاج في هذه المدينة سنة 750هـ/1349م.[1]

وأنشئت المدارس في الهند الإسلامية وكانت عبارة عن مؤسسات للتعليم العالي تتمثل وظيفتها الرئيسة في تأهيل وإعداد كبار رجالات الدولة وبخاصة القضاة .كانت تدرس في هذه المدارس العلوم الدينية المختلفة وكان يتم اختيار مدرسيها من بين العلماء ذوي الكفاءة، ويرجع تاريخ بناء أقدم المدارس في الهند إلى تاريخ قيام سلطنة دلهي سنة 602هـ/1206م ،والتي جعلت من مدينة دلهي أهم مركز لدراسة العلوم الإسلامية .[2]

لعبت المساجد منذ إنشائها دوراً هاما في نشر التعليم وتوافدت أعداد كبيره من الطلاب من مناطق مختلفة لطلب العلم في تلك المساجد ؛ ولكي لا يواجه الطلاب القادمين للدراسة من مناطق بعيدة، عن المدينة التي جاءوا لطلب العلم في مساجدها، مشكلة عدم توفير سكن لهم ، بنيت بالقرب من تلك المساجد بيوت عرفت بالخانات وخصصت لسكن الطلاب الغرباء عن المدينة ثم ظهرت المدرسة بعد ذلك كمنشأة معمارية وطراز معماري جديد في العمارة الإسلامية جمع بين وظيفتي المسجد و الخان، فوفرت المدرسة لطلابها العلم ووفرت للغرباء منهم العلم والسكن .

كانت المرأة حاضرة بقوة في كل هذه المنشآت التعليمة منذ بداية العصر الإسلامي ، ففي غالبية مساجد النساء في العالم الإسلامي . بصورة عامة وفي اليمن بوجه خاص ، كانت النساء تعقد حلقات الدرس ومجالس العلم ،وتعلمت الكثير منهن القراءة و الكتابة وحفظن كتاب الله الكريم. وقامت الكثير منهن ببناء المساجد و المدارس و الكتاتيب وأربطة العلم ودور الضيافة ، وانفقن بسخاء على العلماء و الفقهاء و المشائخ وطلبة العلم ومؤسسات التعليم المختلفة ، وعلى اقتناء الكتب ونسخها.

المدارس اليمنية

منذ بداية العصر الإسلامي وحتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كان الأطفال (من سن ست إلى عشر سنوات) في اليمن يتعلمون القراءة و الكتابة و القرن الكريم في غرف صغيرة مربعة التخطيط أو مستطيلة تلحق بالمساجد و كانت تعرف بالمعاملات (مفردها معلامة وتسمى الكُتاب)، أما طلبة العلم الذين تجاوزوا العاشرة من العمر فكانوا يدرسون العلوم الدينية المختلفة في حلقات الدرس التي تعقد يوميا بداخل المساجد خصوصاً الجامعة منها أو في منازل بعض الفقهاء الذين كانوا يفضلون القيام بالتدريس في منازلهم. المدارس اليمنية : ظهرت المدارس في اليمن في نفس الفترة التي ظهرت فيها في العالم الإسلامي[3] ووجدت المدارس

(1) إبن خلدون : المقدمة ، الفصل 5، القاهرة، 1322هـ : جرجي زيدان : التمدن الإسلامي،ج 3، ص204.

(2) (الموسوعة الإسلامية باللغة الإنجليزية) TheFirst E ncyclopedia of Islam (E.I) .I.P -1128 E.I.p 1130

(3) تناولنا في دراسة سابقة لمدارس العلوم الإسلامية في اليمن نشأة وظهور المدارس في اليمن وأثبتنا بأنها ظهرت في اليمن متزامنة مع ظهورها لأول مرة في العالم الإسلامي. وليس كما كان يعتقد الباحثون بأن المدارس ظهرت في اليمن في العصر الأيوبي (في نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر

المتخصصة (مدارس المذهب الحنفي ومدارس المذهب الشافعي) منذ النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، يؤكد ذلك تلك المنح المالية التي وهبها الوزير مّن الله الفاتكي (تولى الوزارة في سنة 517هـ/1123م ومات في 524هـ/1129) لفقهاء المدارس الحنفية وفقهاء المدارس الشافعية، وتعتبر مدرسة ابن الأبار التي أنشأها الفقيه أبو عبد الله محمد بن القاسم بن الأبار في مدينة زبيد، قبل سنة 527هـ/1132م، أول وأقدم مدرسة من مدارس الفقه الشافعي المعروفة في اليمن. وتعد كل من المدرستين الأشرقية والمجيرية (كانتا في مدينة تعز) من أقدم المدارس الأيوبية في اليمن ،ويعود تاريخ بناء كل من هاتين المدرستين إلى عهد الملك الأيوبي على اليمن طغتكين بن أيوب (نهاية القرن السادس الهجري / الثالث عشر الميلادي) والد الملك المعز إسماعيل الذي خلف والده على حكم اليمن [1] وفي عصر الدولة الرسولية حذا بنو الرسول (626-858هـ/1229-1454م) في اليمن حذو بني أيوب في بلاد الشام في أنشأ و عمارة مدارس العلوم الإسلامية التي انتشرت في اليمن في عصر بني رسول انتشارا كبيراً ، وأهتم ملوكهم وأمراؤهم ببنائها في مناطق مختلفة من اليمن خصوصا في مدينتي تعز، عاصمتهم السياسة، وزبيد، عاصمة اليمن الثقافية و لاقتصادية، خلال فترة حكمهم لليمن التي دامت مائتين وتسعا وعشروين سنة . وقد أنشأ أول ملوكهم مؤسس الدولة الرسولية الملك المنصور نو الدين عمر بن على بن رسول (626-647هـ/1229-1249م) ثمان مدارس هي : مدرسة للفقه في مكة المكرمة ، ومدرستان في تعز ، وثلاث مدارس في مدينة زبيد ، ومدرسة في عدن ، وأخرى في حد المنسكية .

كما قام الملوك والأمراء و الأميرات الذين توارثوا الحكم من بعد الملك المنصور ببناء المدارس وحرصوا على ترميم وإصلاح ما تخرب منها ، وأوقفوا على تلك المدارس الأموال الكثيرة، وأنفقوا على المدرسين وطلبة العلم بسخاء .

وقد بلغ عدد المدرس التي أنشئت إبان العصر الرسولي في مدينة زبيد وحدها أكثر من خمسين مدرسة ، وفي مدينة تعز وضواحيها حوالي ثلاثين مدرسة ، وبنيت في محافظة إب في العصر الرسولي أكثر من أربعين مدرسة منها عشر مدارس في مدينة إب وتسع مدارس في مدينة ذي جبلة ، بالإضافة إلى عدد كبير من مدارس العلوم الإسلامية ، التي بنيت في عهدهم في أماكن مختلفة من اليمن ،وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة .

الأميرات اليمنيات (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)

ساهم عدد كبير من الأميرات في عصر الدولة الرسولية في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي مساهمة هامة في أنشأ الكثير من المساجد ومدارس العلوم الإسلامية و الأسبلة

الميلادي ؛ وتناولنا بالدراسة التاريخية عددا من المدارس التي ظهرت في اليمن في العصرين النجاحي والصليحيى (من بداية القرن الخامس وحتى منتصف السادس الهجريين /الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين)، واختتما دراستنا تلك بدراسة تاريخية لبعض المدارس اليمنية في العصر الأيوبي وخصّصنا مدرسة الميلين في مدينة زبيد بدراسة تاريخية معمارية؛ هذه المدرسة التي كان جميع الباحثين يعتقدون بأنها مدرسة شيدت في العصر العثماني في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي،على يد الأمير التركي اسكندر موز ، واكتشفنا و أثبتنا في نهاية القرن الماضي و لأول مرة بأنها مدرسة الميلين أو المدرسة المعزية التي بناها الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب في نهاية القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي ؛ العروسي ، مدارس العلوم الإسلامية في اليمن (الجزء الأول): مجلة الإكليل ، العدد 2001،26 ،وفي هذا البحث نتناول بالدراسة التاريخية والمعمارية مدارس العلوم الإسلامية في اليمن في العصر الرسولي وفي البحث القادم الذي ننوي نشره إن شاء الله قريبا في مجلة الإكليل سنتناول مدارس العلوم الإسلامية في اليمن في العصرين الطاهري و العثماني .

(1) al- AROUSI.Les madrasas.Tom 1.p.30

وأربطة العلم والخانقات في عدد من مناطق اليمن المختلفة وخاصة في بعض قرى ومدن تهامة في محافظة الحديدة وفي محافظات تعز وإب وعدن، وقد أوقفت هذه الأميرات على تلك المنشآت أوقافاً جليلة، كما انفقت على العلماء والفقهاء والمدرسين والمعيدين وطلبة العلم بسخاء. ويكفي أن نشير هنا إلى أن المدارس التي أنشأتها الأميرات اليمنيات في عصر الدولة الرسولية في القرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين تفوق ،من حيث العدد ،المدارس التي ابتناها ملوك وأمراء الدولة الرسولية ، وقد بلغ عدد المدارس التي أنشأتها الأميرات الرسوليات أربعا وثلاثين مدرسة.

نتناول في هذا البحث دراسة جميع المدارس التي قامت بعض الأميرات بإنشائها في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي دراسة تاريخية موجزة ، ودراسة معمارية للمدارس التي لا تزال عامرة حتى اليوم .

لعبت الأميرات اليمنيات دوراً هاما في الحياة السياسية والدينية والعلمية والثقافية في اليمن، وكان لها دور بارز في نشر العلم والثقافة؛ والحقيقة أن مساهمة الأميرات اليمنيات منذ عصور مبكرة في بناء المساجد والمعلامات ومدراس العلوم الإسلامية والاهتمام بالعلماء والمدرسين وطلبة العلم والإنفاق عليهم يعد واحدا من أبرز مظاهر المشاركة الرائدة للأميرات اليمنيات بشكل خاص، وللمرأة اليمنية بشكل عام في نشر العلم وتطوير الحياة العلمية والثقافية في اليمن.

وفي هذا البحث سنتناول بإيجاز أشهر أميرات اليمن في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وأبرز إسهاماتهن ومشاركاتهن في نشر العلوم المختلفة في العديد من المناطق اليمنية ، من خلال قيامهن ببناء المساجد والمدارس والإنفاق على طلبة العلم والعلماء والمدرسين ،والأوقاف الجليلة التي أوقفنها على هذه المنشآت الدينية و التعليمة.

وسنذكر أهم المعلومات التي وردت في المصادر التاريخية عن هذه الأميرات وآثارهن المعمارية والخيرية والمدارس والمساجد التي أنشأنها .

وإعطاء أهم المعلومات عن شخصية وحياة كل أميرة من الأميرات اللاتي شيدن هذه المدارس(1)،وأسماء تلك المنشآت ومواقع إنشائها ، وتخصصات ووظائف وتاريخ كل منشأة ، والدور العلمي الذي لعبته في العصور التاريخية المختلفة واسماء و تاريخ وسيرة أقدم وأشهر مدرسيها و طلابها ، وذلك وفقاً للمعلومات التي نحصل عليها من مختلف المصادر و الوثائق التاريخية و المراجع المتوفرة التي ذكرتها أو ورد فيها ذكر أولئك العلماء والفقهاء الذين درسوا فيها أو تخرجوا منها في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ، سواءً المنشآت العامرة أو المندثرة التي اختفت مبانيها وصارت مواقعها غير معروفة في وقتنا الحاضر ، وسنركز بدرجة أساسية على مدراس العلوم الإسلامية التي أنشأتها هؤلاء الأميرات.

الأميرة لؤلؤة:

الأميرة لؤلؤة هي زوجة الأمير علي بن رسول وأم الملك المنصور عمر بن علي بن الرسول. أنشأت المدرسة العومانية في قرية عومان في مديرية جبلة بمحافظة إب ، وتعد مدرسة عومان أقدم المدارس التي أنشأتها أميرة يمنية ، ويرجع تاريخ بناء هذه المدرسة إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ؛ وتعتبر الأميرة لؤلؤة ببنائها مدرسة عومان أول أميرة يمنية تشيد مدرسة للعلوم الإسلامية في اليمن . بنيت هذه المدرسة بجوار قصر عومان (2) الذي كان يقع في الجهة الشمالية الغربية من مدينة جبلة .

(1) نحن على وشك الانتهاء من تأليف كتاب مدارس الأميرات الرسوليات في اليمن ، زالذي نأمل أن يتم نشره قبل هذا العام (2008) إن شاء الله.

(2) الخزرجي : العقود ج 1 ص 214و 252؛ ج2ص 18

الأميرة حبيبة :

هي الأميرة حبيبة بنت الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول : أنشأت هذه الأميرة مدرسة المعين في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وتقع مدرسة المعين في عزلة الأسلاف الواقعة في الجهة الغربية من مدينة جبلة بمحافظة إب .

الأميرة زهراء :

هي الأميرة زهراء ابنة بدر الدين الحسن بن علي بن رسول أخي الملك المنصور عمر مؤسس الدولة الرسولية . شيدت الأميرة زهراء مدرسة الخبالي في قرية الخبالي[1] إحدى قرى مديرية جبلة بمحافظة إب ، في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

أم السلطان

هي أم الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول ثاني ملوك الدولة الرسولية ، ومن آثارها المعمارية مدرستان :

أنشئت المدرسة الأولى وعرفت باسم مدرسة أم السلطان في مدينة تعز والمدرسة الثانية وتعرف باسم المدرسة السيفية الكبرى ابتنتها في مدينة زبيد[2]. يرجع تاريخ بناء هاتين المدرستين إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.

الأميرة الدار الشمسي[3] هي ابنة الملك المنصور عمر بن علي بن رسول أول ملوك الدولة الرسولية وشقيقة ابنه الملك المظفر يوسف، أنشأت هذه الأميرة مدرستين هما : المدرسة الشمسية في مدينة زبيد ، وخصصتها لتعليم القرن الكريم و الحديث النبوي الشريف ، والمدرسة الثانية كانت تعرف كذلك باسم المدرسة الشمسية، وقد أنشأتها بجوار جامع الملك المظفر يوسف بن عمر في مدينة تعز . وقد خصصت هذه المدرسة لتدريس المذهب الشافعي و تعليم القرءآن الكريم. ويرجع تاريخ بناء هاتين المدرستين إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . توفيت الأميرة الدار الشمسي في سنة 695هـ/1287م.

الأميرة دار الأسد

الأميرة دار الأسد هي إحدى زوجات الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، وقد سميت بدار الأسد نسبة إلى والدها الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن على بن رسول . أنشأت هذه الأميرة مدرسة دار الأسد في حي المغربة بمدينة تعز في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي . عرفت هذه المدرسة باسم المدرسة الأسدية نسبة إلى مؤسستها[4]. توفيت ، الأميرة دار الأسد سنة 704هـ/1296م.

الأميرة مريم بنت الشيخ العفيف

الأميرة مريم بنت الشيخ العفيف هي إحدى زوجات الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول ، أنشأت في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ثلاث مدارس هي : المدرسة العفيفية في مدينة زبيد ، وقد عرفت هذه المدرسة كذلك باسم السابقية ومدرسة مريم وتعرف حالياً بمسجد العافية، والمدرسة الثانية وكانت تعرف باسم مدرسة الجديدة ، في مدينة تعز في الحي الذي كان يعرف باسم حافة الحميراء، أما المدرسة الثالثة فتعرف باسم مدرسة مريم أو مدرسة ذي عقيب وقد أنشأتها في قرية ذي عقيب إحدى قرى عزلة وراف في مديرية جبلة . توفيت الأميرة مريم سنة 713هـ/1305م، ودفنت في مدرستها في ذي عُقيب.[5]

---

(1) الخزرجي : ص 262

(2) نفسه : ج1 ص 309: ج2 ص 50و180

(3) العقود اللؤلؤية : نفسه ج 1 ص 196 و246 : ج 2 ص 74و 180

(4) نفسه :ج1 الصفحات 179، 191، 350 وج 2 ص 47و 83

(5) نفسه : ج1 ص28، 288، 334: وج 2 ص 180 و480

الأميرة جهة دينار[1]

الأميرة جهة دينار ابنة الأمير محمد بن علي بن رسول ، إحدى زوجات الملك المظفر يوسف ، وأم ابنه الملك المؤيد . أنشأت هذه الأميرة مدرسة مدية (بضم الميم)، وتقع المدرسة في قرية مدية في عزلة وادي ضبا بمديرية ذي السفال في محافظة إب أمام قصر هذه الأميرة الذي كان قائماً في قرية مدية. كماأنشأت على يمين مدخل هذه المدرسة معلامة (كُتاب)، لتعليم الأيتام القرءآن الكريم والقراءة والكتابة . ويرجع تاريخ بناء هذه المدرسة إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.

الأميرة دار الدملوة:

هي الأميرة جهة دار الدملوة نبيلة ابنة الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، ومن آثارها المعمارية أنها أنشأت ثلاث مدارس : المدرسة الأشرفية في مدينة زبيد، وقد خصصتها لتدريس الفقه والقرءآن الكريم، ومدرسة دار الدملوة في مدينة تعز، والمدرسة الأشرفية في مدينة ظفار الحبوظي (ظفار عمان حالياً). يرجع تاريخ بناء هذه المدارس الثلاث إلى نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي.

توفيت الأميرة جهة دار الدملوة في سنة 718هـ/1317م.

الأميرة ماء السماء

الأميرة جهة ماء السماء هي ابنة الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن الرسول ، أشأت المدرسة الواثقية في مدينة زبيد . توفيت الأميرة جهة ماء السماء بزبيد سنة 724هـ/1315م ودفنت بمدينة التربية بمديرية زبيد بمحافظة الحديدة [2].

(1) الجهة لقب من الألقاب التي عرفت بها بعض الأميرات الرسوليات (السابع - التاسع الهجري / الثالث عشر - الخامس عشر الميلادي)؛ ظهر هذا اللقب لأول مرة سنة 512هـ / 1110م .د. حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة 1987.

(2) الخزرجي: العقود اللؤلؤية..... ج2 ص 30و180

التخطيط المعماري لمدارس أميرات العلم في القرن 7هـ

تميزت مدارس الأميرات بتخطيطاتها المعمارية التي لا تختلف كثيرا عن المدارس الأخرى ولكنها تميزت عن تلك المدارس بجمال عمارتها وإثراء قاعات الصلاة و قاعات الدرس فيها بالعناصر الزخرفية الملونة الرائعة و خاصة سقوفها و مناطق المحاريب التي تتوسط جدار القبلة فيها . ونستعرض في هذه الدراسة التاريخية المعمارية المدارس التي أنشأتها الأميرات في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي و التي لا تزال قائمة و عامرة حتى وقتنا الحاضر. ومن أهم هذه المدارس العامرة ثلاث مدارس أنشأتها الدار النجمي في مدينة جبلة [1].

الأميرة الدار النجمي

تعرف باسم الأميرة النجمية أو الدار النجمي ابنة علي بن رسول ، وهي أخت الملك المنصور شمس الدين عمر بن علي بن رسول مؤسس الدولة الرسولية وأول ملوكها (626-646/1229-1249م) كانت الأميرة الدار النجمي من الأميرات الرسوليات المشهورات بالصلاح وكانت حريصة على فعل الخير ، ويذكر الجندي بأنه لما بنى ابن أخيها أبو بكر بن الحسن بن على بن رسول مطاهر جامع السيدة في جبلة شق عليها وقالت : لو علمت لم يسبقني إليه .

وللدار النجمي من المآثر الدينية في مدينة جبلة المدرسة النجمية والمدرسة الشهابية والمدرسة الشرفية ومسجد الدار؛ وابتنت كذلك أماكن للطهارة و الوضوء في مسجد عراف في مدينة جبلة، وأوقفت أموالا جليلة على هذه المنشآت الدينية، وكان لريع هذه الأموال الفضل في بقاء هذه المنشآت عامرة حتى اليوم . ولوصيفتها زات المدرسة الزاتية [3] التي ابتنتها في مدينة جبلة ، تعد هذه المدرسة من حيث البناء و الزخرفة من أجمل المدارس الرسولية التي لا تزال عامرة حتى اليوم

(3) نفسه ص 217

بمحافظة إب كما قام فاخر خادم الأميرة الدار النجمي ببناء المدرسة الفاخرية بمدينة ذي السفال بمحافظة إب .[1] وفي قرية بعزلة النقيلين بمديرية السياني بمحافظة إب كذلك ابتنى حاشية الدار النجمي مدرسة البرحة . توفيت الأميرة الدار النجمي في مدينة جبلة ، في تاريخ غير معروف ، وتم دفنها في المدرسة الشرفية[2].

أولا: المدرسة الشرفية : المدرسة الشرفية واحدة من مدارس الأميرات الرسوليات التي لا تزال عامرة في مدينة جبلة حتى اليوم ، كما أن مكوناتها المعمارية وعناصرها الزخرفية الملونة لا تزال في حال جيدة . تقع المدرسة الشرفية [3] في مدينة جبلة ، في الحي المعروف باسم رأس المدينة. أنشأتها (في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي)[4] الأميرة الرسولية الدار النجمي أخت الملك المنصور عمر بن علي بن رسول مؤسس الدولة الرسولية، وأسمتها المدرسة الشرفية تخليدا لذكرى أخيها الأمير شرف الدين موسى بن على بن رسول المتوفى بمصر.

ويذكر المؤرخ الجندي بأن الأميرة الدار النجمي ألحقت بهذه المدرسة مسجداً صغيرا أنشأته عند مدخلها ، وكان يدرس فيه صحيحا البخاري ومسلم، ولا يزال هذا المسجد عامرا حتى عصرنا هذا . تزوجت هذه الأميرة بالأمير نجم الدين بن أبي بكر بن زكريا أحد أمراء الأكراد الذين قدموا إلى اليمن ولقبت باسم الدار النجمي أو النجمية نسبة إلى زوجها نجم الدين .

(1) نفسه ص 175

(2) الجندي :السلوك 2، ص 131، 176، 434، 435؛ الخزرجي : العقود 1، 135، 135؛ الأكوع، المدارس ،ص72

(3) المدرسة الشرفية هي واحدة من ثلاث مدارس أنشأتها هذه الأميرة في مدينة جبلة،والمدرسة النجمية و المدرسة الشهابية، المدرسة الشرفية التي نحن بصدد وصفها ، وسيأتي الوصف التاريخي و المعماري للمدرستين الشهابية و النجمية بعد المدرسة الشرفية .

(4) الجندي ، السلوك 2، ص 434-435.

الوصف المعماري : التخطيط المعماري للمدرسة الشرفية عبارة عن بناء مستطيل الشكل يتكون من قاعة للصلاة وإلى الشرق منها قاعة الدرس الشرقية يقابلهما في الجهة الجنوبية رواق المدرسة و قاعة الدرس الجنوبية ، وهذه القاعات والرواق تطل وتفتح على فناء مكشوف يتوسطهما ، وفي الجزء الجنوبي الغربي من هذا الفناء توجد قاعة الدرس الغربية التي تطل عليه بواسطة عقد يفتح في واجهتها الشرقية . وقد ألحقت بالمدرسة بركة وأماكن للوضوء و الطهارة ، تقع في الجهة الجنوبية الغربية للمدرسة.

أقدم وأشهر من تولي التدريس في المدرسة الشرفية :

تولى التدريس في المدرسة الشرفية عدد كبير من الفقهاء ، وأول من تولى التدريس فيها الفقية عبد الرحمن بن يحيى بن سالم بن سليمان الشهابي، كان من الفقهاء المشهورين وقد آلت إليه رئاسة الفتوى و الفقه في جبلة ، وقد تم أختياره للتدريس في المدرسة الشرفية لأنه كان أكبر الفقهاء . توفي الفقية عبد الرحمن سنة 688هـ/1280م ، وخلفه في التدريس فيها ابنه الفقيه محمد بن عبد الرحمن و استمر يدرس في الشرفية حتى تاريخ وفاته سنة 710هـ/1302م؛ ومن أوائل الفقهاء الذين تولوا التدريس في هذه المدرسة الفقية يحيى بن عثمان بن فضل (مولده سنة 617 هـ/1212م)، ويذكر المؤرخ الجندي بأن الفقيه يحيى بن عثمان بن فضل نزل من بلده إلى مدينة جبلة فدرس بالمدرسة الشرفية ، توفي هذا الفقية في مدينة جبلة سنة 678هـ/1271م[5].

و تولى التدريس في هذه المدرسة الفقيه أبو عبد الله محمد بن ينال (توفي سنة 691هـ/ 1282م)، والفقية أحمد بن أبي بكر بن عمر المعروف بالأحنف (مولده سنة 641هـ/1235م) درس في المدرسة الشرفية ثم درس في المدرسة المؤيدية

(5) الجندي ، السلوك 2 ، ص 176

في مدينة تعز فترة من الزمن ثم عاد بعد ذلك إلى مدينة جبلة وأستقر فيها إلى أن توفي سنة 717هـ/1309م.(1)

ثانياً : المدرسة النجمية : تقع المدرسة النجمية في الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة جبلة ، وهي واحدة من المدارس الرسولية التي لا تزال عامرة حتي اليوم، أنشأتها الأميرة الرسولية الدار النجمي (2) ، أخت الملك عمر بن علي بن رسول مؤسس الدولة الرسولية، في النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .

كانت هذه المدرسة في الأصل دارا أشترته الأميرة الدار النجمي من صاحبه علي بن محمد المعلم وحولته إلى مدرسة (3)

الوصف المعماري : التخطيط المعماري العام لهذه المدرسة عبارة عن بناء مستطيل الشكل يضم قاعة للصلاة ورواقا يفتحان في الجهة الجنوبية على فناء مكشوف يتم الوصول منه إلى بركة المدرسة وأماكن الوضوء في الجزء الجنوبي الشرقي من واجهة الفناء الشرقية لكل من قاعة الصلاة والرواق سقف مسطح يقع مدخل المدرسة في واجهتها الغربية.

الأهمية العلمية للمدرسة النجمية : أنشئت هذه المدرسة لتدريس العلوم الإسلامية كالفقه و النحو واللغة وعلم القراءات وغيرها وتولى التدريس فيها عدد كبير من الفقهاء أقدمهم وأشهرهم : الفقيه النحوي على بن أبي السعود بن الحسن وهو أول من درس في هذه المدرسة ، وكان فقيهاً نحوياً ولغوياً معروفاً ، استدعاه الملك المظفر يوسف بن عمر (منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) إلى مدينة تعز لتدريس ابنه الملك الأشرف النحو ؛ والفقيه سعيد بن منصور بن على بن عبدالله بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الخير بن مَسكين درس في هذه المدرسة فترة ثم زهد عن التدريس وعاد إلى قريته تيثد في عزلة دلال ببعدان (محافظة إب) وبقى فيها إلى أن توفي سنة 660هـ/ 1243م ؛ وتولى التدريس في المدرسة النجمية الفقيه أبو عبدالله محمد بن غانم (توفي سنة 567هـ/1240م) كان من الفقهاء المشهورين المبرزين في العلم والمعرفة ، تولى رئاسة الفتوى وتولى القضاء فترة في جبلة ؛ والفقيه عبدالله بن عمر بن سالم الفائشي (569-695هـ/1241-1287م) درس في هذه المدرسة وكان فقيهاً نحوياً واسع المعرفة في الفقه والنحو واللغة والقراءات ، وله مؤلف في النحو عنوانه اللوامع في النحو ؛ والفقية محمد بن أحمد بن مصباح (577-659هـ/1173-1214م) .تولى التدريس في المدرسة النجمية بعد عودته من الهند التي أرتحل إليها لنشر العلم والتدريس . والفقه عثمان بن محمد بن على أحمد الحساني كان فقيهاً صالحاً نولى إمامة المدرسة النجمية فترة ثم تخلى عن إمامة المدرسة وتفرغ لإعمال التجارة .

ثالثا : المدرسة الشهابية : تقع المدرسة الشهابية في مدينة جبلة بحافظة إب، أنشأتها الأميرة النجمية أخت الملك المنصور عمر بن على بن رسول في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. أنشأت الأميرة النجمية هذه المدرسة وأطلقت عليها اسم المدرسة الشهابية نسبة إلى أخيها الأمير شهاب الدين محمد بن على بن رسول . ويذكر المؤرخ بهاء الدين الجندي بأن هذه المدرسة هي التي كان القضاة يتولونها ، وكان كلما عين قاضي علىجبلة سكن في المدرسة الشهابية واستولى على ربع أوقافها، ومن هؤلاء القضاة الوزير القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر بن معيبد (4) الذي قام بترميمها في سنة 742هـ/ 1333م، وأطلق عليها اسم الوزيرية نسبة إليه.

(1) الأكوع ، المدارس ص 75

(2) سبقت ترجمة الأميرة الدار النجمي في المدرسة الشرفية

(3) الجندي : السلوك ج1 ص 368؛ الخزرجي العقود : ج 1 ص 125، 188، 201 ، 247

(4) يذكر الخزرجي بأن القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر بن معيبد استمر ناظرا في الثغر المحروس عدن سنة 786هـ/1376م (الخزرجي ، العقود2، ص 153)؛ وفي صفحة 170 من نفس الكتاب يذكر الخزرجي بأن القاضي المذكور استمر وزيرا في سنة 791هـ/1380م . وفي سنة 796هـ/1386م قاد جيش السلطان في معركة المحالب وكتب لهم النصر . (التفاصيل أوردها الخزرجي في الصفحات المذكورة من كتاب العقود اللؤلؤية المذكور آنفا).

الوصف المعماري للمدرسة الشهابية : التخطيط المعماري للمدرسة عبارة عن بناء من الحجر مستطيل الشكل يتكون من قاعة للصلاة وقاعة للدرس وفناء مكشوف و أماكن للطهارة و الوضوء . يتم الدخول إلى المدرسة عن طريق مدخل يفتح في الجزء الغربي من الواجهة الشمالية للمدرسة.

الأميرة ابنة شرف الدين محمد بن الحسن بن على بن رسول من مآثرها الدينية و العلمية بناء مدرسة ضراس:

تقع هذه المدرسة في قرية ضراس السفلى، إحدى قرى عزلة نخلان بمديرية السياني بمحافظة إب. تقع قرية ضراس على بعد 52كم تقريبا شمال شرق مدينة تعز .أنشأت هذه المدرسة الأميرة الرسولية ابنة شرف الدين محمد بن الحسن بن على بن رسول سنة 677هـ/1279م، وقد ورد ذكر تاريخ بناء المدرسة واسم هذه الأميرة التي ابتنتها في احد النقوش الكتابية المدونة على قطع و ألواح من الحجر التي تزدان بها الواجهات الخارجية لبيت الصلاة . أحد هذه النقوش الكتابية يعلو المدخل الشرقي لبيت الصلاة ،وهذا النقش الكتابي منفذ بخط النسخ و يتكون من سطرين: ورد في السطر الأول ((بسم الله الرحمن الرحيم أمرت بعمارة هذه المدرسة المباركة السعيدة)) وفي السطر الثاني: ((السر الرفيع والمقام العالي المنيع والدة مولانا صلاح الدين ابنة مولانا شرف الدين محمد بن علي بن رسول أجزل الله ثوابها)) واستكملت هذه العبارة على قطعة أخرى من الحجر تقع بالقرب من اللوح السابق في نفس الواجهة، حيث نقش عليها ((وجعل الجنة مآبها)). وأسفل هذا اللوح نجد تكملة النص ((بفضل محمد وآله بتاريخ الثاني عشر من ربيع آخر سنة سبع وسبعون و ستماية هجرية وصلى الله على النبي وآله)) مدونة على أربعة ألواح من الحجر تكتنف عتبة مدخل بيت الصلاة من الجانبين . كما يوجد نقش كتابي آخر ورد فيه ذكر اسم العمَّار الذي قام بتنفيذ عمارة وزخرفة هذه المدرسة ونصه « عمارة سعد السادة عمر بن عبد الله النجار». [1]

الوصف المعماري [2]: التخطيط المعماري العام لمدرسة ضراس عبارة عن بناء مستطيل الشكل يتكون من بيت للصلاة وفناء مكشوف، وقاعات للدرس وقبة ضريحية، و معلامة لتحفيظ القرن الكريم، وتعليم الأطفال القراءة والكتابة ، وبركة وأماكن للوضوء . يتم دخول إلى هذه المدرسة عن طريق مدخل يفتح في واجهتها الشرقية.

الأميرة مريم

هي الأميرة مريم بنت الشيخ العفيف ،إحدى زوجات الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول ثاني ملوك الدولة الرسولية ، اشتهرت الأميرة مريم بحب العلم وتقدير العلماء وإكرامهم .

ومن آثارها المعمارية بناء المدرسة العفيفية في مدينة زبيد ؛ تقع المدرسة العفيفية في حافة المندوب، إحدى حافات حي ربع الجزع ، أحد أحياء مدينة زبيد. تعرف هذه المدرسة حاليا لدى سكان مدينة زبيد باسم مسجد العافية ، ربما تصحيف لاسم العفيفية ، الذي كانت تعرف به، كما كانت هذه المدرسة تعرف كذلك باسم مدرسة مريم. ومن الأسماء التي عرفت بها أيضا اسم المدرسة السابقية ، وسميت بالمدرسة العفيفية نسبة إلى الشيخ العفيف والد مؤسسة المدرسة ، ويرجع تاريخ بنائها إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

---

(1) ورد ذكر هذا النقش في كتاب المدارس الإسلامية للقاضي إسماعيل الأكوع ص 216،و نورد هنا القراءة الصحيحة للنقش.

(2) زرت هذه المدرسة لأول مرة في سنة 1998م ، وقضيت في قرية ضراس يومين قمت خلالها بدراسة المدرسة ووصفها وتصويرها ؛ وزرتها كذلك في العامين 2007،2006 لنفس الهدف وبشكل موسع . والمدرسة من الناحية المعمارية في حال سليمة ، لم تتعرض غالبية مكوناتها، المعمارية والعناصر الزخرفية التي تزين بعض جدرانها، للهدم أو التلف .

وإلى جانب هذه المدرسة أنشأت هذه الأميرة مدرسة ثانية، عرفت باسم المدرسة الجديدة، وكانت تقع في الحي الذي كان يعرف باسم حافة الحميراء في مدينة تعز، وابتنت الأميرة مريم مدرسة ثالثة في قرية ذي عقيب بمديرية جبلة بمحافظة إب؛ وأوقفت على كل مدرسة من المدارس التي أنشأتها الكثير من الأراضي الزراعية التي ساعدت هذه المنشآت على الاستمرار في أداء وظيفتها منذ مئات السنين. توفيت الأميرة مريم في مدينة جبلة سنة 713هـ/1305م، و دفنت في مدرستها في قرية ذي عُقيب[1].

التخطيط المعماري[2]: المدرسة عبارة عن بناء من الآجر مستطيل الشكل تخطيطه المعماري العام يتكون من قاعة للصلاة (المقدم) ورواق (المؤخر) يتوسطهما فناء مكشوف (الشماسي)، يتم الدخول إلى المدرسة بواسطة مدخل يفتح في واجهتها الشرقية[3].

الأميرة جهة[4] دينار

هي الأميرة جهة دينار ابنة الأمير محمد بن علي بن رسول وإحدى زوجات الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول، وأم ابنه الملك المؤيد داوود بن يوسف. يذكر المؤرخون بأنه كان لهذه الأميرة قصرابتنته في قرية مدية في رأس وادي ضبًا بمديرية ذي السفال بمحافظة إب. وقد أنشأت أمام هذا القصر مدرسة مدية التي لاتزال عامرة حتى اليوم؛ ويرجع تاريخ بناء هذه المدرسة إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وقد ألحق بهذه المدرسة كتُاب (معلامة) لتعليم الأطفال القرآن الكريم و القراءة و الكتابة، ويقع مبنى هذا الكُتَّاب على يمين مدخل المدرسة

الوصف المعماري: تخطيط المدرسة عبارة عن بناء من الحجر الأحمر اللون مستطيل الشكل يتكون من قاعة للصلاة مستطيلة الشكل وفناء وبركة مستطيلة تلي المدخل الشرقي للمدرسة وتطل عليها من الجهة الغربية ثلاثة أماكن للطهارة والوضوء[5].

اشتملت غالبية مدارس الأميرات اليمنيات على قاعات للدرس وغرف للسكن، وفضلاًعن المبالغ التي كانت تدفعها تلك الأميرات للمدرسين والمعيدين في المدارس والمساجد، أجرت بعض الأميرات رواتب شهرية لبعض الدارسين فيها، ووفرت لهم الغذاء والكسوة و المسكن، وحرصت على أن توفر في تلك المنشآت التعليمية مكتبات زخرت بأعداد ضخمة من الكتب التي تتناول علوما شتى وأنشئت مدارس ذات تخطيطات معمارية مختلفة، خصصت بعضها لتدريس العلوم المختلفة، كما أنشئت مدارس للحديث والفقه والنحو و العلوم الأخرى كالفلك و الرياضيات و الطب و الكيمياء.

الخاتمة:

في نهاية هذه الدراسة يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

أولا: منذ بداية العصر الإسلامي وحتى القرن الرابع الهجري كان الأطفال (من ست إلى عشر سنوات) في اليمن يتعلمون القراءة والكتابة والقرآن الكريم في غرف صغيرة مربعة التخطيط و أحياناً مستطيلة ألحقت بالمسجد، و كانت تعرف بالمعلامة (الكُتاب)، أما طلبة العلم الذين تجاوزوا العاشرة من العمر فكانوا يدرسون العلوم الدينية المختلفة في حلقات الدرس التي كانت تعقد يومياً في المساجد خصوصاً الجامعة منها أو في منازل بعض الفقهاء الذين يفضلون التدريس في منازلهم.

(1) الجندي، السلوك، 1، ص 192؛ الخزرجي، ج 1، ص 288؛ AL-Aroussi, Les madrasas, I, pp.65.-66

(2) AL-Aroussi, Les madrasas, II, p -1719-

(3) AL-Aroussi, Les madrasas, I pp.66-73; II, p:17

(4) الجهة لقب ظهر لأول مرة سنة 512هـ/1118م ويطلق على الكعبة المشرفة في مكة المكرمة اسم الجهة الكريمة، وقد أطلق هذا اللقب على أشهر الأميرات الرسوليات.

(5) زرت هذه المدرسة في صيف 2007م

ثانياً: ساهمت المرأة اليمنية في نشر العلم والثقافة منذ القرون الهجرية الأولى و تجلت هذه المساهمة في قيام العديد من النساء اليمنيات ببناء الكثير من المنشآت الدينية والتعليمية كالمساجد ومدراس العلوم الإسلامية و المعلامات وأربطة العلم ، وتزامن ظهور هذه المنشآت في اليمن مع ظهورها في بقية مناطق العالم الإسلامي ، وكان لعدد كبير من الاميرات اليمنيات السبق في إنشاء العديد من المساجد والمعلامات أو الكتاتيب والإنفاق عليها و على حلقات الدرس التي كانت تعقد في المساجد اليمنية منذ بداية العصر الإسلامي.

ثالثاً : في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، أنشأت الأميرات اليمنيات منشآت تعليمية ودينية في مناطق مختلفة من اليمن منها المدا رس المتخصصة : مدراس المذهب الحنفي و مدارس المذهب الشافعي، ومدارس للفقه و النحو والأدب وغيرها ، وقدمت المنح المالية السخية للكثير من فقهاء و علماء و طلبة تلك المساجد و المدارس ، كما أوقفت على هذه المنشآت التعليمية أراض و مزارع وضياع و عقارات ينفق ريعها على ترميمها وتجديدها و تأثيثها وتشغيلها والإتفاق على مدرسيها وطلابها والعاملين فيها . وبفضل هذه الأوقاف الجليلة تمكنت الكثير من هذه المنشآت التعليمية من الاستمرار في أداء وظيفتها حتى يوم الناس هذا.

رابعاً : تعرفنا عن طريق هذا البحث المتواضع على أول أميرة يمنية أنشأت مدرسة للعلوم الإسلامية في اليمن وهذه المدرسة هي مدرسة عومان في جبلة بمحافظة إب ، ومؤسسة هذه المدرسة الأميرة لؤلؤة أم الملك المنصور عمر بن علي بن رسول في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .

خامساً : تميزت المنشآت التعليمية التي أنشأتها الأميرات اليمنيات بنشر ثقافة التسامح وعلمت النشء لغة الحوار وقبول الآخر مهما أختلف جنسه ولونه وثقافته ، وتخرج من هذه المساجد والمدارس أجيال لم يعرف العنف و التطرف والغلو طريقاً إليها ، وكان ذلك سبباً هاماً من أسباب تطور و ازدهار الحياة الاجتماعية و الثقافية ، ودافعاً قوياً لحماية الهوية الوطنية و الثقافية و الحفاظ عليها في العصور المختلفة.

سادساً : تؤكد نتائج البحث بأن المرأة في اليمن شريك أساسي في شتى مجالات الحياة ، ولا نجاح يمكن تحقيقه في كل جوانب الحياة ، بدون مساهماتها الحاسمة التي أثبتت عبر آ لاف السنين أنها لا تعرف الفشل ، ولدينا أمثلة تاريخية دامغة تؤكد بل تثبت صحة هذا الاستنتاج الذي توصلنا إليه في بحثنا هذا أو في بحوثنا السابقة في هذا المجال .

في نهاية هذا البحث لابد من الاعتراف بأن الباحثات و الباحثين اليمنيين وخاصة المتخصصين في مجالات الآثار والتاريخ وعلم الاجتماع والعلوم السياسية لم يولوا عنايتهم واهتماماتهم بالدور الريادي الهام الذي لعبته المرأة اليمنية في بناء اليمن وفي صنع حضارة يمنية أصيلة يزيد عمرها على الخمسة آلاف عام ، هذه الحضارة العريقة التي صنُفت في العصر الحديث كواحدة من أعظم حضارات العالم القديم؛ فالعالم قديماً وحديثاً يعرف ملكة سبأ التي حكمت اليمن وغالبية مناطق القرن الإفريقي (إثيوبيا وجيبوتي وإريتريا و الصومال حالياً) في القرن العاشر قبل الميلاد، أي قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ولقد ورد ذكر حكمة و حنكة هذه الملكة و مهاراتها وقدراتها السياسية وملكها العظيم، في الكتب السماوية وفي جميع الكتب المقدسة لدى مختلف الشعوب والأمم القديمة و الحديثة ؛ وتذكر مؤلفات أقدم العلماء والمؤرخين من كل أقطار الأرض بأن ملكة سبأ هي أعظم ملكة عرفها التاريخ الإنساني. وفي العصر الإسلامي (نهاية القرن الخامس و بداية القرن السادس الهجري/ الحادي عشر الثاني عشر

الميلادي) تعد الملكة اليمنية سيدة [1] بنت أحمد الصليحي أشهر ملكة عرفتها الحضارة العربية الإسلامية .

إننا ندعو في ختام هذا البحث المتواضع علماءنا وباحثينا ومثقفينا من الجنسين إلى دراسة تاريخ المرأة اليمنية وإسهاماتها العظيمة في الحياة العلمية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والسياسة والاقتصادية ، ودورها في الحفاظ على هويتها الوطنية وحمايتها عبر العصور التاريخية المختلفة ، وتعريف أبنائنا وبناتنا بالإنجازات العظيمة التي حققتها النساء اليمنيات في الماضي ، بهدف تحفيز بناتنا في الوقت الحاضر ودفعهن إلى اكتساب المعارف والعلوم الحديثة وخوض غمار المشاركة مع إخوانهن في شتى مجالات الحياة بغية صنع حاضر مزدهر ينعم به مجتمعنا ومستقبل مشرق تفخر به أجيالنا القادمة .

المصادر والمراجع

أولا المصادر

- ابن الربيع (عبد الرحمن بن علي ، توفي سنة 943/1536م): الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تحقيق يوسف شلحد ، بيروت ، 1983م.
- البريهي (عبد الوهاب بن عبد الرحمن): طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي ، تحقيق عبد الله الحبشي.
- الجندي (بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب : توفي سنة 732هـ/ 1331م): السلوك في طبقات العلماء و الملوك ، جزءان ، تحقيق محمد الأكوع ، الطبعة الثانية ، 1989م.
- الخزرجي (علي بن الحسن ، توفي سنة 812هـ/141م): العقود اللؤلؤية في تاريخ تاريخ الدولة الرسولية ، جزءان ، تحقيق محمد الأكوع ، 1983م .
- عمارة اليمني (نجم الدين عمارة بن علي : توفي سنة 569هـ/ 1171م): تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراءها وملوكها وأعيانها وأدبائها ، تحقيق محمد الأكوع ، الطبعة الثالثة ، صنعاء ، 1985م.
- مؤلف مجهول: تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق عبد الله الحبشي ، صنعاء ، 1984م ابن عبدالمجيد (تاج الدين عبد الباقي- توفي سنة 734هـ/ 1339م): بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق عبد الله الحبشي ومحمد أحمد السنباني . الطبعة الأولى ، صنعاء ، 1988م.

ثانياً المراجع الحديثة

- د. الباشا (حسن): الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة 1957م الأكوع (إسماعيل بن علي): المدارس الإسلامية في اليمن ، دمشق ، 1986.
- د. العروسي (د. محمد علي) :
- السياحة في اليمن – دراسة سياحية تاريخية ، الطبعة الأولى ، صنعاء ، 2007.
- المساجد التاريخية بمحافظة إب ، تتولى وزارة الأوقاف والإرشاد حاليا طباعة هذا الكتاب (2009).
- مدارس الأميرات الرسوليات في اليمن ، حوليات العفيف ، مؤسسة العفيف الثقافية ، العدد الخامس صنعاء ، 2005.
- العمارة الإسلامية في اليمن : مجلة الإكليل ، العدد 28 ، صنعاء ، 2002.
- مدارس العلوم الإسلامية في اليمن : مجلة الإكليل ، العدد26 ، 2001.
- العلماء الملوك في اليمن في عصر الدولة الرسولية ، مركز منارات 2008.
- د. أبو الفتوح (سيف النصر) ، نظرة عامة إلى المدارس اليمنية ، تخطيطاتها و عناصرها المعمارية ، مجلة الإكليل ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، صنعاء 1985 ، ص 127.
- د. شيحة (مصطفى عبد الله): مدخل إلى العمارة و الفنون في الجمهورية العربية اليمنية ، الطبعة الأولى ، القاهرة 1987م.
- معروف (ناجي): مدارس قبل النظامية ، بغداد ، 1973م. الموسوعة اليمنية ، مؤسسة العفيف الثقافية ، ط2 ، 4أجزاء ، 2003م.

مراجع باللغات الأجنبية.

AL-ARWOSI(Mohammed Ali): Les madrasas de al ville de zabid au yemen. etude historitectueale . 2 volumes . these de doctorat .universite de Provence .1994. France.

AL-ARWOSI(Mohammed Ali): zabid capital de passé . dans: Zabid patrimoine mondiale. revue56- .UNESCO.1999

(1) الملكة الصليحية سيدة بنت أحمد الصليحي (أروى بمفهوم العامة) حكمت اليمن من 482 هجرية /1099/ إلى 532هـ/1043م.

الحكيمي ... وحوار الأديان تجربة الحكيمي في حوار الكنيسة البروتستانتية سوث انجلترا (ويلز 1949م)

أ.د / عبد الله مَعمَـــر*

للحكيمي في بريطانيا تجربة رائدة في الحوار مع رجال الدين المسيحي في نهاية النصف الأول من القرن الماضي، خلال وجوده للمرة الأولى والثانية بكاردف مابين عام 1936 ـ 1952م اذ أسلم على يديه أكثر من 500 شخص من البريطانيين، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية اعتمد على الولوج المباشر الى قساوسة ورهبان الديانة المسيحية والتحاور معهم وفق معيار العقل والمنطق من خلال الاستشهاد بنصوص من معتقداتهم، وفق منهج خاص اعتمده في لقاءاته المتكررة معهم والتي كانت تقوم على: تلقي السؤال ومن ثم الإجابة عليه بالأسانيد والبراهين من خلال معرفته الشاملة بكل من الدين الإسلامي والدين المسيحي، مسترشدا بنصوص من الإنجيل والآيات القرآنية، بصورة تجعل منه في نظر المسيحي مسيحيا أكثر منهم، وفي نظر المسلم فقيهاً ومرشداً.

وفي كل الأحوال جعل من المنطق والعقل أساسا جوهريا في خطابه الحواري متجاوزا لنزعة التعصب الديني القائم على لغط الحوار والإقناع (إما القناعة بإرادتك أو القناعة بغير إرادتك)، المهم أن تقتنع بما أنا مقتنع به، وهنا تسقط لغة الحوار الى لغة الإقناع الملزم لك قبل أن نتحاور.

للحكيمي تجربة حوار رائدة سجلت عبر كتاب ضم أكثر من 45 سؤالا بإجاباتها عرف بـ (كتاب الأسئلة والأجوبة بين المسيحية والإسلام) بالردود عليها و كتاب (دين الله واحد) حاول فيه أن يلخص الموضوعات الأساسية لحواره مع القساوسة والرهبان ويفرضها بالمناقشة بالموضوعات التالية:

اعتقاد المسلمين بالله، وبمحمد عليه الصلاة والسلام، والبعث بعد الموت، وتساؤلاتهم عن اعتقاد المسلمين بألوهية المسيح ونبوته، وتعدد الزوجات، والطلاق، وحجاب المرأة. وجاءت ردوده على كل تلك التساؤلات في إجابته على الرهبان والقساوسة. وفي هذا يشير بضرورة الاعتراف لأولئك الأصدقاء الأفاضل من القساوسة والرهبان، وغيرهم من

• أستاذ علم الاجتماع والانثروبولوجيا المشارك كلية الآداب/ جامعة صنعاء
أمين عام منار للدراسات الاجتماعية وحقوق الإنسان

رجال ونساء الدين المسيحي، فقد كان لهم السبب الأول في تحفيزه على تأليف كتابين .... لما دار بينهم وبينه من بحوث دينية قيمة، كانت كثيرة ومتتابعة وعلى غاية من الأهمية، (وكم مرة دعيت الى محلاتهم الدينية لإلقاء محاضرات في الدين الإسلامي، والإجابة على ما يوجه إليّ من أسئلة، وكم من مرة حضروا الى مركزنا الإسلامي في مسجد نور الإسلام للغرض نفسه).

لقد اتبع الحكيمي في حواره أسلوبا ومنهجا خاصا به، مما يدل على سعة الاطلاع على تراث من يحاورهم ومعرفة كاملة بما يعتقدونه، دون المساس بمشاعرهم.

في الوقت الذي كانت الجالية الإسلامية تمر بأصعب الظروف آن ذاك فالعداء للدين الإسلامي وانتشار وعي زائف ومفاهيم خاطئة عنه، ونظرة التعالي لدى القساوسة على معتنقي الدين الإسلامي تعم بريطانيا في تلك الفترة، لكن استخدام العقل والمنطق كما يرى الحكيمي قد أفضى إلى تخفيف حدة الهجوم على الدين الإسلامي والجالية الإسلامية نتيجة للحوار الذي قام به.

السـيرة الذاتيـة للشيخ عبد الله علي الحكيمي

اجتمعت النسوة في ليلة ما ... من شهر ما... من ليالي 1900م، على صراخ إحداهن في قرية حُليس بالأحكوم حجرية اللواء التعزي... كان صراخ المرأة يرتفع ليعانق خرير الماء القادم من الناحية الشمالية لدار "سعد أحمد" .. وضوء القمر الساطع.. مع صوت الماء، يعانق الزرع الأخضر في الأرض الطينية... لتتمكن تلك المرأة من استنشاق أكبر كمية من الأكسجين، أو الهواء كما تسميه النسوة التي لا تعرف ما هو الأكسجين، ولا من يساعد هن على المخاض غير تلك المرأة الطاعنة في السن التي اكتسبت الخبرة ممن سبقها منهن.

بين أصوات النسوة... يظهر صوت الوليد ... تقول إحداهن ... اللهم صَل على النبي... انه ولد... بشروا.. على سعد، انه ولد... أسماه عبد الله .....

كبر الصبي متنقلا مابين غيل الماء الذي لا ينضب طوال العام... و اللون الأخضر .... وكتاب القرية ... وحب الطين الممزوج بريحه العطرية التي تفوح في الأرجاء.، وكلما كبر في السن يزداد حبه لطين الأرض...

الصبي عبدالله .. ككل الصبية في قريته وقرى اليمن الأخرى .. محروم من المدارس والتعليم.. والصحة وكل ما يمت إلى إنسانية الإنسان اليمني والعيش الكريم بصلة .. الصبي عبدالله بدت عليه.. ملامح التأمل والتفكير والنظر إلى ما هو أبعد من قريته .. يتأمل من نافذته الصغيرة ليلاً فيرى نوراً ساطعاً .. وقمراً كأنه الشمس .. يزداد الليل سكوناً.. فيزداد صوت خرير الماء القادم من أسفل القرية بجوار الدار.. فيزداد القمر سطوعاً .. الصبي عبد الله يتأمل بعقله سر الربط بين كل هذا.. من يقوم بهذا .. التناغم .. من يدير ذلك .. ومن هو المسئول؟

اليافع عبد الله تتزاحم الأسئلة في ذهنه فيقولون له في "حُليس" إنه .. الله .. ولا أكثر من ذلك .. فالقائل لا يعلم أكثر من السائل!! ونهاية الدنيا عندهم نهاية الجبل المقابل أينما تغرب الشمس. ولاشي غير ذلك، تلك هي معارف الناس في عهد الإمامة ... جهل مطبق.

الله .. الله .. من هو الله .. كيف صفاته .. ما هي ماهيته ما ... ما .. ما ..

لا أحد يجيب ... لا أحد لديه إجابات!!

بغير الله ...... من نصلي ونصوم له ... وينزل لنا المطر من السماء!!

تسمع قرعات على الباب ذات ليلة .. مع أصوات و (نباح) الكلاب ..

لقد عاد من عدن .... علي سعد الحكيمي .. عاد من عدن....

يسأل .... أين عدن ؟؟

عدن آخر الدنيا ... بلد في البحر ... من يذهب إليها قد يعود وقد لا يعود... ولا شيئ غير ذلك.

علي سعد ركب السيارة من الشيخ إلى المفاليس.. وفي المفاليس توقفت هناك حيث تنقطع الطريق .. استقل علي سعد الجمل كغيره من أبناء قريته والقرى المجاورة .. ما بين راكبٍ وسائر على قدميه.

بعد يومين كاملين من المعاناة ومكابدة الطريق يصل علي سعد إلى "المصلى" في سوق الأحكوم والقرى المجاورة .. يغسل قدميه بماء الغيل الجاري في وادي ذي العرش فيحس بدفء الأهل وحرارة عناق الأرض الخضراء، وحيرة وشغف ذاك اليافع في المعرفة .. يظل علي سعد ... سائراً بين الماء وقدماه تلامسان الرمل المبلل في أعماق الوادي لترتوي قدماه... و يشعر به يسري في كل جسده.

- يعانق ذاك اليافع يضمه إلى صدره فلم يره منذ سنوات .. يهمس في أذنه.

لا تحزن ستكون معي عندما أعود إلى عدن.

في عدن سيوجد من يجيب على كل تساؤلاتك.

في عدن تزول الحيرة عنك؟؟

في عدن بحي المعلا - حجيف - هناك ستكون معي حيث يوجد رجال علم وفقه ولغة عربية ومعارف أصول الدين - وحيث العبادي، والقاضي عبد الكريم الهندي القدسي ، والشيخ قاسم سرور، ستكون معي .. حيث هؤلاء المعلمين الأجلاء لتنال بعض المعارف على أيديهم .. لن يعجز أحد عن الإجابة عن تساؤلاتك .. فهم خير ما في اليمن من معلمين في زماننا هذا.

عبدالله ..... اليافع ذو الثلاثة عشر ربيعاً يصل عدن بعد رحلة معاناة ما بين السير على الأقدام والركوب على الجمال والحمير .. وما بين "المركوبة" تلك التي يراها لأول مرة .. تلك الآلة الشيطان التي كانت تعد في نظر اليمنيين من علامات يوم القيامة.

بعد معاناة استمرت لأيام يصل اليافع عبد الله إلى .. حجيف ... يظل يبحث عن المعرفة متنقلاً بين ثلاثة من أفضل رجال العلم والمعرفة في عصره.

تمر السنوات الخمس باحثاً عن إجابات لكثير من التساؤلات .. لكن التساؤلات تزداد والإجابات لا تتوفر .. فالمعرفة توفرها في يمن الحكمة والإيمان محدودة .. حتى وإن كان لديك الرغبة في توسيع المعارف .. فلا تجدها ..

تزداد الحيرة لديه أكثر .. فأكثر فيقرر الهروب منها إلى الأمام .. ثم الى الأمام

تساؤلات.. لا تجد إجابة .

تفكير عميق .. وتأمل واسع .

صراع الرغبة يتجاذب ما بين الداخل الطموح .. والمحيط المقفر الأجدب.

لكن لا بأس .... الفتى ... حصل على معارف كثيرة ... وتعلم اللغة الإنجليزية.....

- يتأمل العمر إنه الثامنة عشر يسأل عن التاريخ إنه العام الثامن عشر بعد الألف وتسعمائة.. حكومة الاستعمار البريطاني تقرر تدريب وتجيش كتيبة من أبناء اليمن ممن هم من خارج مدينة عدن "المحميات" فيكون للشاب عبد الله بن علي سعد أحمد الأشعري الحكيمي مكاناً فيها .. فربما في ذلك نهاية للحيرة وتوقف عن تزاحم التساؤلات في الذهن الواسع .. وربما يكون في الهروب إلى الأمام مخرج واستكانة لحالات القلق على المستقبل والخوف على الجيل الآتي من زمن أكثر سوءًا ، مما هو فيه.

لكن الكتيبة اليمانية الأولى لم يكن فيها الحال أفضل مما كان، وإن كان على الصعيد الشخصي وصل فيها الحكيمي إلى رتبة ضابط، لكن على الصعيد العام زادت من حيرته وأكثرت من التساؤلات لديه والمقارنات بين واقعه وواقع العالم الآخر. بل أظهرت للحكيمي أن عالمه اليمني لا يوجد له مثيل في السوء والرتابة والجمود والتخلف في كل بقاع الأرض. وإن كان مثل هذا غير جازم فقد يكون ما في الذهن أضغاث أحلام في ليل الواقع..

إذن لا بد من اكتشاف المجهول .. لا بد من ركوب الموج والغوص في أعماق البحر بحثاً عن حبات لؤلؤ منثور في أعماق البحر المتوسط أو وسط الصحراء بين أسوار المدن .. إنه العشق .. إنه العشق المشتعل ناراً .. عشق العلم .. والمعرفة .. عشق الباحث عن إجابات لتساؤلات لا تنقطع .

إنه العام 1925م الشباب يتدفق في خطى الواثق بالمجهول يركب الشاب عبد الله علي الحكيمي الموج بسفينة فرنسية من ميناء عدن نحو مواني عديدة لا أحد يعرف متى ترسو في الميناء القادم بعد أن تترك الأول.. تتنقل السفينة من مكان لآخر .. ومن ميناء لأخرى .. وفي كل ميناء يتوقف فيها يجد يمانياً مهاجراً تاركاً وطنه.. وأهله .. بحثاً عن لقمة عيش يقتات وبقية من هم في ذمته منها.. وقبل هذا وذاك لا بد من ترك "حق الإمام يحيى وعماله جانبا" .. في كل ميناء وجد الحكيمي حكاية .. حكاية شعب محروم من حق الحياة .. وأمة تئن وتصرخ من شدة المعاناة.. وجهل مطبق على السمع والبصر وخيبة أمل من تحسن الحال.. فالإمام هو الإمام ... عقيم الفكر والتفكير..... عدو لشعبه وأمته.

... وتساؤلات تزيد من حيرته ...

خمس سنوات بين الأمواج وفي البحار خدمة لبلد غير بلده .. وأناس غير أهله .. لكنه القدر .. مثله مثل كل اليمانيين المشردين في كل بقاع الأرض... وسبيل في تغيير وضعه .. فالتعلم محدود .. والمعرفة قاصرة .. البلد غير بلده .. والبحر لا يغني بالمعرفة .. وبلده العيش فيها محال .. والحال زواله من المحال..

توقفت سفينته كثيراً على مدى الخمس السنوات في أكثر من ميناء بشمال أفريقيا وفرنسا ومرسيليا .. وفي كل مكان كان يسمع عن الشيخ أحمد مصطفى العلوي الجزائري .. في كل مكان يسمع عن الزاوية العلوية .. يسمع عن مركز إشعاع في مقاومة الظلم .. وفي بلد يوجد من يستحق المقاومة لأنه ظالم.... يسمع عن مقاومة الاستعمار .. وفي بلد يوجد استعمار وآن له أن يرحل .... في ميناء يسمع عن سد جوانب النقص في المعرفة في الزاوية العلوية.. ولديه جوانب نقص يرغب في سدها .

زاد الصراع لديه فحلم نهاية العام 1930م بالشيخ أحمد مصطفى العلوي يدعوه .. فلما رست السفينة في الميناء نزل منها دون عودة .. سأل عن الزاوية العلوية وعن مدينة مستغانم وبينما هو كذلك .. استيقظ عند صلاة الفجر الشيخ العلوي ليجمع تلاميذه (سيأتيكم اليوم .. أو غداً رجل قصير القامة .. من بلد بعيد .. من الشرق يملأه الظلم والجور .. سيكون له شأن عظيم في بلده).. ذاك هو الحدس الصوفي .. أو ما يمكن أن تسميه الاستشعار عن بعد "الطاقة الكهرو مغناطيسية" .

تدلف قدما "الشاب عبد الله" بعد صلاة العصر بوابة المسجد العلوي، مسلما على طلاب العلم حول شيخهم فيرفع رأسه على الصوت القادم الذي يسمعه لأول مرة ... (ذاك هو من حدثتكم عنه.... لقد رأيتك في منامي ... نعم أنت هو)، يجلس عبد الله بن علي الحكيمي بجوار الشيخ أحمد مصطفي العلوي ما يزيد على أربع سنوات، محت كل ما كان قبلها من سنوات عجاف ... وزالت الحيرة، وأجيب عن التساؤلات وردت الروح وغذي العقل .. حتى نال من شيخه الإجازة ... الشيخ "التام الكامل العام" لما أبداه من قدرة فائقة على الاستيعاب وفهم المعرفة وذكاء العقل، وحسن البحث، ونبل في الإطلاع. وفجأة تداهم سكرات الموت شيخه الجليل بعد أن أجازه مرشدا وداعية مسئولا عن الزاوية العلوية في عموم اوروباء، لكن الوفاء يمنعه من ترك مستغانم وشيخه طريح الفراش، ليظل بجواره حتى يوارى الثراء داعيا له بالرحمة والمغفرة ... حاملا الحزن بين أضلعه راحلا الى مرسيليا عن طريق باريس .... وفي مرسيليا يظل بضعة أشهر مع أبناء وطنه المهاجرين ... ويبدأ في تأسيس الجمعية الإسلامية العلوية في مرسيليا.

كان ذلك في العام 1936م، والذي غادرها أيضا الى بلجيكا ثم هولندا ليستقر بضعة أيام في أهيو ... بهولندا...... ويصل بعدها الى....

- ليفربول
- هول
- شيفيلد
- كاردف

.....لتكون كاردف مبتغاه ومضجعه الأخير......

انه اليوم .... من شهر مايو 1936م ليظل ثلاثة أشهر يدرس حال الجالية بضيافة حيدر سلام العريقي، من المهاجرين اليمانيين، ليقرر بعدها من أن كاردف انسب مكان للإقامة. فعدد المهاجرين فيها كثير والتزامهم بقضايا الشرع والدين منعدم والأمية منتشرة بعددهم، وأبناؤهم يزيدون عن 600 فرد كلهم يشبهون أباءهم في التعليم. والكلمة متفرقة والتباين حاصل على أشده، لا جمعية تجمعهم، ولا مساجد للجُمَع والجماعة اللهم إلا من بعض الغرف المتواضعة اتخذت في مؤخرة البيوت لمن يقيمون الصلاة، لا توجد لهم مقابر إسلامية يقبرون بها موتاهم، بل يقبرون على غير قبلة وكل ثلاثة وأربعة في قبر واحد، وقس على ذلك عقود الزواج، وتسمية الأبناء. وتربيتهم المذبذبة بين الديانتين، وهكذا في سنة الختان والذبائح الشرعية والشعائر الدينية على اختلافها.... وبعد أن درس الحالة ... رأيت أن خير وسيلة تحقق هذا كله تأسيس جمعية .. بواسطتها يمكنني اجتياز العقبات وتذليل الصعاب (1 / ع 104، في 13/4/ 1952م).

الشيخ رائداً للمجتمع المدني .. يقول عن اسباب اختياره لكاردف ... فقد درست الحالة ورأيت أن خيروسيلة أستطيع بطريقها جمع المسلمين إلى صف واحد والتخفيف من حدة بعض الخلافات وإيجاد شيء من النعمة، .. أقول رأيت أن خيروسيلة تحقق هذا كله.. هو تأسيس جمعية بواسطتها يمكنني اجتياز العقبات وتذليل الصعاب ... هكذا يتناول عمله في تنظيم شؤون الجالية بكاردف. شيخ المجتمع المدني .. شكل منظمات جماهيرية تدافع عن حقوق الجالية.

في كاردف يشرع الشيخ الجليل في تأسيس الجمعية الإسلامية العلوية كإطار عام ومرجعي لتنظيم شؤون الجالية الإسلامية، ومنها تنبثق كافة المؤسسات التنظيمية الأخرى، من المركز الإسلامي والزاوية الصوفية العلوية، ومدرسة لتعليم أبناء المهاجرين العرب والمسلمين، ومكتبة عامة، وقاعة للمحاضرات، ومكان عبادة لكل المسلمين.. مسجد نور الإسلام ..

الشيخ الداعية في كاردف .. لا يجد مكاناً يصلي فيه كبقية مسلمي كاردف البالغ عددهم حوالي 5000 خمسة آلاف نسمة يفتح صندوقا للتبرعات والاشتراك في عضوية الجمعية فيشتري ثلاثة من المنازل المتجاورة بمبلغ خمسمائة جنية.. يدخل عليها تعديلات .. ويحولها إلى مسجد مؤقت.. وفي العام 1937م يفتتح المسجد للصلاة ويدعو إليه سفراء الدول الإسلامية.

الشيخ الداعية يستكمل تنظيم شؤون الجالية الإسلامية بكاردف يربط بين الدين والمجتمع المسلم .. يعرفهم بقيمهم الإسلامية في تعاملاتهم وإدارة شؤونهم .. الذبح قبلة .. عقود الزواج والنكاح.. غسل الميت ودفنه .. والأهم من هذا أوجد مقبرة خاصة بالمسلمين.

الشيخ الداعية ينخرط بين أوساط المجتمع الإسلامي ، والمجتمع البريطاني معلناً عن سماحة وفضائل الإسلام كدين خيرومحبة وسلام، يتقرب منه عدد ممن أحبوه .. وأحبوا دماثة أخلاقه طالبين الدخول في الإسلام .. لا يترك امرأة متزوجة من رجل مسلم إلا ويدعوها إلى الدخول في الإسلام.

الشيخ الحكيمي الداعية .. يرى في العلم طريقاً وسراجاً منيراً لكل من يريد النور .. اهتم بتعليم أبناء المهاجرين ذكوراً وإناثاً .. علمهم الدين وأصوله.. اللغة العربية وآدابها .

استقر الحال وأثمر ما قام به من تنظيم للمجتمع المسلم في بريطانيا بسرعة فائقة وقدرات غير عادية

برزت من خلال تلك الشخصية التنظيمية والقيادية الفذة التي من خلالها برز الحكيمي كقائد وطني.

كان يرى في العلم نوراً ومشعلاً فراسل وزارة المعارف المصرية والأزهر الشريف مطالباً باعتماد منح لعدد من أبناء المهاجرين اليمنيين في بريطانيا فاعتمدت له خمس منح في العام 1940م سنويا.

لكن حبه لوطنه المرتبط بإيمانه، جعله يبحث عمن يحملون في أجوافهم إشعاع نور وبصيص أمل لتكون فاتحة الخير الأولى مع الأستاذ/ أحمد محمد نعمان العام 1938م يشكو إليه الهم ويخبره بأن هناك مجموعة من أبناء اليمنيين يريدهم الوصول إلى الأزهر والذي يوافق على منح الشيخ الداعية خمس منح سنويا إلى الأزهر .... يشد الحكيمي الرحال إلى أرض الكنانة برفقة ثلاثة من طلابه فقط .. نعمان عبده علي العبسي، ونعمان محمد عبده القاضي ، وحمود سليمان .. ويتعذر سفر الأخيرين بسبب المرض .... تشق سفينتهم البحر لتصل إلى بور سعيد في 1 مارس 1940م. ليكون في استقبالهم الأستاذ أحمد محمد نعمان، و الهلالي محمد من الجزائر، وعثمان الأزهري، وزكي محمد شاهين من إدارة القنال وعدد من رجال الصحافة المصرية وفي مقدمتهم موفد عن أبي الحسن، محمد على الطاهر من جريدة الشورى المصرية.

الصحافة المصرية تتابع أخبار الرجل الواصل إلى الأزهر الشريف... ذاك الداعية الإسلامي الكبير في عموم أوروبا، وخبر مقابلته لشيخ الأزهر محمد مصطفي المراغي .. الذي بادره بالقول:

«لقد قمتم يا شيخ عبد الله بواجب كبير، وأديتم رسالة الإسلام في أوروبا ، وهذا ما كان ينوي الأزهر القيام به ، وإذا بكم قد حزتم السبق فاستقيتم من الله الرضي ومن المسلمين الثناء». وتجري العديد منها الحوار معه وتبرزه كداعية إسلامية عظيمة ... يتنقل برفقة الأستاذ أحمد محمد نعمان ، والهلالي محمد والذي أصبح مسئولا عن البعثة في مصر، وعثمان عبد الله الأزهري، بين معالم القاهرة والإسكندرية، حتى غادرها بحراً إلى ميناء عدن ليصلها في إبريل من عام 1940م.

التعليم يظل هاجس الشيخ المعلم عبد الله .. بعد عشر سنوات من الغياب عن وطنه .. يزور أنحاء مختلفة من العالم يرى فيها أن العلم طريق النور والتقدم والرقي.. وأن العلم سبيل في بناء الأوطان .. وفي وطنه الكل محروم من العلم والكل يعيش في الظلام.. ما يدفعه لفتح مدرسة في سكنه بالشيخ عثمان فور وصوله إلى عدن.

لكنه يحن إلى صوت الماء، وعطر الأرض الطيني.. يحن إلى معانقة القمر لسنابل القمح وسط أصوات «الضفادع» بين أشجار «الدندل» .. وفحيح الأفاعي المتربصة بفريستها من الضفادع الليلية. ليعود إلى تلك القرية الصغيرة الأحكوم - حُليس - قبل أن يأفل العام 1940م .. يركب السيارة من منزله في الشيخ عثمان صوب لحج ثم يتجه غربا بين رمال «خبت الرجاع» نحو الوهط .. فالمفاليس ... تصل به السيارة الى المفاليس يحاول أن يترجل منها ... ينظر إليه السائق سفيان حيدر ... لا يا شيخ ... هذه المرة الى القرية ... الى المصلى ... الأحكوم ... حُليس .. توقفنا فقط للتفتيش ....

تتجه السيارة نحو مجرى السيل القادم من الغرب - وادي الصميتة — لبضع كيلومترات مع أصوات الماء بقطراته المتطايرة في كل الأرجاء ... تتجه السيارة يمينا نحو الشمال، لتسير في الطريق القديم ، كان يعرفها جيدا ... إنها طريق الجمال المحملة بالبضائع من المفاليس نحو بقية مناطق الحجرية الأعبوس ، الأعروق، والأغابرة، والأعمور، والزبيرة، وقدس، والأحكوم، وشرجب، وذبحان، والمقاطرة، والأصابح، ..... الخ. حتى أن البعض منها كانت تصل إلى مدينة تعز.

— يتحدث السائق سفيان حيدر من أبناء عمومته .... أنا يا شيخ عبد الله أول من غامر في هذه الطريق، عام 1932م.

ــ كيف !!

ــ كانت هذه طريق القوافل تمر بها الجمال والحمير لنقل البضاعة، ❖ وعندما زاد عدد الجمال وسعت الطريق بنقيل العذير باليد والمفرس ... للجمال والحمير، لكن أنا قررت أمر بها بالسيارة اللندروفر ..... وأنت تعرف .. بعد العذير الواحد يرجع السائلة نفسها ... على طول بالسيارة إلى المصلى ... والسائلة لا تحتاج رصف ولا تسوية ... وأنا أول واحد يصل بالسيارة قبل ثمان سنوات إلى بركة المضيق ... أنت تعرفها قبل المصلى بحوالي واحد ك.م. ... بعدها كل أصحاب السيارات الذين كانوا على الخط (ساروا بعدي) ... والآن المصلى مدينة ليل ونهار شغال. أكثر من ثمان سيارات في الأسبوع تصل من عدن ركاب وبضاعة ... حتى السيارات الكبيرة تصل عنتر ناش « السيارات الأمريكية أنتر ناشيونال» .

كان يحكي ... و الشيح يزداد انشراحا لما يسمعه من كلام...

المصلى ... لا تبعد عن داره سوى بضع أمتار .. أصبحت سوقا تجاريا ونقطة تجمع وعبور لكافة المناطق في اللواء التعزي ... ذاك السوق الصغير أصبح مركزا اقتصاديا مهما ... وبوابة عبور لعدن... ومن ثم لكافة أنحاء العالم.

تنتهي السيارة من العذير صعودا .. وهبوطا.. لتنحرف قليلا نحو مجرى السيل مرة ثانية .. فالسائلة لا تحتاج إلى شق أو تسوية لتمر السيارة... فالله سواها منذ الأزل بما ينزل بها من سيول من المرتفعات الجبلية لقرى الحجرية....

ــ تشق السيارة طريقها وسط الوادي ... وادي الأثاور ... والأعبوس ...متجهة نحو الغرب صوب وادي ذي العرش تعانق الرمل الصخري الممزوج بأحجار السيل المتكورة .. فتارة تلامس إطاراتها أحجار الوادي المختلفة الأحجام ... وتارة أخرى تلامس الرمال ... وما بين هذا وذاك يترنح الشيخ يمينا وشمالا .. مع حركات السيارة التابعة لما تلامس إطاراتها.

بين قصص وحكايات أشهر سائق و أول سائق في الخط الممتد من المفاليس الى الاحكوم ـ المصلى ـ بينما يتأمل الشيخ لحظات اختفاء الشمس خلف الجبال المرتفعة بينما الساعة تتجاوز الخامسة ...

لكن أشعة الشمس المتسللة من خلف الجبال تظهر خيوطا بيضاء ممزوجة باللون البنفسجي المتعدد الألوان بين السحب ... بمنظرها السحري الذي لم يشاهده منذ سنوات ... إنها أوتار متناغمة... تصلح للعزف ... تعطيه أجمل نغم ... من إبداع الخالق....

..... تستمر السيارة في السير غربا مقتربة من وادي ذي العرش ... تلامس ... الوادي ليلا فيزداد سكونا ... ليستمتع بريحة الموز .. المنجو ... الذرة ... وبقوليات الوادي بينما كانت الجبال المحيطة بالطريق ... تزيد صوت السيارة ارتفاعا كلما ضاقت الطريق... لتعطي نغما يزيد من سحر المكان ... بوادي ذي العرش ... أضواء القمر .. والأرض الطينية الحبلى بخيراتها .. أصوات الماء بقطراته المتطايرة من تحت الإطارات ... يا لله كل ذلك يزيد من سحر المكان....ويدغدغ مشاعر وأحاسيس لم يعرفها من قبل مطلقا.

ليعود إلى قريته .... ليعودِ إليها حاملا بيده مشعل النور لأبناء قريته .. قصصاً وحكايات عما شاهده في العالم .. عن مدن رآها .. وقطارات ركبها .. وطائرات حلقت في الأجواء .. عن سفن في البحار .. وليالي مدن منورة من صنع الإنسان وكله بالعلم الذي يفتقد إليه الجميع في وطنه.. ليشرع في بناء الزاوية العلوية .. وكُتّاب لأبناء قريته الصغيرة .. أو مدرسة .. تنير لأبناء قريته الصغيرة الطريق.

يتوافد الطلاب عليه من كلِ صوب وحدب .. ويعلن يوم الافتتاح.. يقيم حفلاً .. الطالب/ مقبل معمر ينوب عن زملائه الطلاب بالحديث أمام الجمهور .. يشيد بمعلمه وقدوته .. الذي اختار طريق النور في خدمتهم.

يشاع خبر الافتتاح .. يتوافد عطشى العلم عليه من كل مكان .. يصل خبره وخبر مدرسته

إلى عامل الإمام في التربة الذي يبرق لأمير اللواء التعزي أحمد ولي العهد .. يطلبه في الدخول إلى تعز .. الشيخ المعلم يصل تعز وسط ظلام دامس .. ظلام العلم .. ظلام الكهرباء .. وظلام الحق والحقيقة ليكون الأمير أحمد مرحباً ومسهلاً به مبتسماً ليضمه إلى ثناياه .. وحاشيته.

أحمد يا جناه .. صائد مخادع لفرائسه .. ينصب شباكه فيرمي بشباكه لأول مرة .. «يعين الشيخ الحكيمي مرشداً عاماً للواء التعزي براتب قدره ستون ريالاً شهرياً» ستون ريال فرنصي شهرياً مقابل السكوت .. والخضوع .. وعدم مقاومة الظلم .. أو إبقاء شعبه مقفل العينين ..

الحكيمي المقاوم للظلم .. داعية التنوير .. محب الوطن العاشق .. يجد إلى جواره في تعز الأستاذ/ أحمد محمد نعمان والأستاذ/محمد محمود الزبيري، يتبادلون الأفكار التنويرية مع زيد الموشكي، وعبد الله عبد الإله الأغبري وآخرين وسط ظلام الليل، وعلى سراج (الكوروسين) هبة الإمام إلى شعبه العظيم صاحب الأمجاد والتاريخ المنير، يقترح عليهم تنظيم المعارضة فالجهود الفردية لا تكفي ، والدعوة إلى الإصلاح فردياً لا تقبل واليمن بحاجة لأن يشرق عليها الفجر ، يتزايد عدد النخبة المثقفة من أبناء اليمن حوله .. يدافع «الحكيمي» ويدافع عن موقفه بضرورة تشكيل معارضة منظمة تستطيع أن تضغط على الإمام في اتجاه التغيير يعلن في جلساته أن لا خلافات له.. ولا عداوة مع أحد «وكل ما في الأمر هو .. وجود العدل .. وتغيير الوضع الراهن في اليمن ، وتأمين المواطنين وإصلاح أحوالهم ، وأهالي اليمن بما فيهم ... جلالة الإمام كلهم يعدون أقاربي أحب لهم الخير والهناء والسعادة والرخاء وعلى وجه العموم فليس بيننا إلا حب الخير لليمانيين واليمن الذي هو وطن الجميع» (1/ ع 105 في 1952/4/27م).

تلك كانت مطالب الشيخ المقاوم .. ووجه الخلاف بينه ورفاقه الأحرار والإمام. والذي علم بها الأمير أحمد ولي العهد .. فجن جنونه .. أحمد يا جناه .. يأمر بالقبض على الشيخ المقاوم .. سرى الخبر في مسامعه همسا .. فما كان من داعية التنوير إلا الرحيل إلى القرية .. مدعياً المرض .. وفوراً اتجه إلى عدن .. دون عودة، حبه لوطنه أخرجه منه ليلا ... «بعد أن كتب لي زيارة وطن أحبه، حباً مرتبطاً بإيماني». ... وفي اليوم الثالث لرحيله من قريته يصل عامل الإمام حسين الجنداري برفقة رتل من العكفة إلى منزله .. فلم يجدوا غير تلك المرأة الطاعنة بالسن .. من أنجبته قبل أربعين عاماً ونيف .. والذي يبدو عليها العمر أكبر من عمرها الحقيقي بسنوات، فالإمام لم يترك أحدا يعيش .... لكن الشيخ المقاوم داعية التنوير كان قد وصل عدن عبر المفاليس .. لا أحد يلحق به.. فكانت أثاث البيت ومحتوياته بديلاً عنه .. استباح القاضي حسين الجنداري كل محتويات المنزل .. وهدمت الزاوية وترك المنزل خاوياً بعد أن سلم من الهدم بضغط من أهل القرية.

داعية التنوير يخاطب ولي العهد «أنت من عينني مرشداً عاماً للواء التعزي أنصح الناس، أنت أولى بنصيحتي .. الخ. ... الحكيمي صوت من أصوات الحق يعلو في أذن ووجه ولي العهد لا تنتهكوا أعراض الناس وتريدون منهم أن يكونوا معكم لا تظلموا.. لا تفسدوا في الأرض .. لا تحرموا الناس العلم .. وتجعلوهم وسط الظلام .. لا تحرموهم من الطرقات والعلاج إن كنتم تريدوننا نكون معكم ..

الشيخ المقاوم يجد نفسه في عدن أكثر إصراراً على تنظيم حركة المعارضة.. اليمانية... يصل إليه النعمان والزبيري عن طريق كرش بعد أن كانوا قد احتجزوا من قبل الإنجليز بصحبة نعمان عبده علي العبسي ذاك الموفد من كاردف إلى الأزهر، وكان يعمل حينها مترجماً مع الحاكم البريطاني في عدن بعد أن أنهى دراسته في الأزهر، والذي وفد إليهما بسيارة من سيارات الحكومة البريطانية إلى كرش لاصطحابهما. فكان وصولهما شداً لأزره.. ودافعاً نحو استكمال الهيكلة التنظيمية للصفوة اليمنية «معارضة الصفوة».

يشتط أحمد يا جناه غاضباً.. وتزداد عيناه جحوظاً، الحكيمي/ النعمان/ الزبيري، يلتقون معاً .. إنه الخط الأحمر الذي لا استقرار بعده ... لكن الثعلب .. أحمد يا جناه يبحث عن وسيط لشق الصف الثلاثي.. ليكون الحكيمي وسيطاً معاكسا بين ولى العهد والنعمان والزبيري ، ويعودون إلى تعز ... ويهدأ الحال قليلا .. فما لبث ثعلب الحكم إلا أن يجوع ثانية.... ليعود النعمان ، والزبيري إلى عدن .. ترفض الحكومة الاستعمارية منح حزب الأحرار تصريحا .. لتكون الجمعية اليمانية الكبرى بديلاً عنه .. يتحقق الحلم لدى الشيخ المقاوم بتشكيل معارضة منظمة يتنفس الصعداء شامخ الرأس ناظراً نحو الغد.... الآن يوجد عطاء منظم، وضمان لاستمرار هذا العطاء.. الآن لا خوف إما أن يصلح الحال أو أن بقاء الحال من المحال..

لم يكن يوجد أي خيار آخر غير المعارضة المنظمة بالرغم من معارضة الاستعمار لتشكيل حزب الأحرار لكن اليأس لم يسيطر عليهم، وإنما أعلنوا عن تشكيل الجمعية اليمانية الكبرى في بداية العام 1946م.... وكذا الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها والتي أخرت الشيخ المقاوم عن العودة إلى كاردف لمواصلة رسالته، لمدة تزيد عن خمس سنوات، زار خلالها مكة للحج ثلاثة مواسم متتالية، قابل عددا من رؤساء الجاليات العربية والإسلامية في الحج ... من الشام ... وفلسطين .... ومصر ... كما التقى الشيخ حسن البناء، والملك عبد العزيز وولي عهده الأمير سعود، والأمير فيصل، كما قابل شيخ الإسلام الشيخ محمد بن ياسين الفاداني وتدبج معه، أي أجاز كل منهما الآخر، وروى للشيخ الفاداني، والملقب بمسند العصر، عن شيخه أحمد مصطفى العلوي، وعن شيخه قاسم سرور، والعلامة الشيخ عثمان الأزهري، جاء ذلك على لسان الشيخ الفاداني (المتوفى في 1410هـ) في مخطوطه المسمي (الكواكب الدراري) في معرض حديثه عن الشيخ الحكيمي في الصفحة 235 (16).

– وفي الثاني عشر من مايو 1946م استقل السفينة من ميناء عدن متوجهاً إلى كاردف يرافقه نعمان العبسي، ونعمان القباطي من أعضاء بعثة الأزهر، ليصل إليها في 5 يونيو 1946م.

الشيخ الداعية يشرع فور وصوله إلى كردفِ في بناء مسجد نور الإسلام، ويتسلم رئاسة الجمعية الإسلامية العلوية.. الإطار التنظيمي لمسلمي بريطانيا وكاردف التي من خلالها انبثق الحكيمي في تنظيم شؤون الجالية الإسلامية باشتراك أسبوعي للمنتسبين قدره ستة بنسات فقط. وبتلك البنسات استطاع الحكيمي أن يدير الجالية الإسلامية بصورة تنظيمية فائقة كأول شخص يحاول تنظيم الجالية الإسلامية في بريطانيا وأوروبا.

الحكيمي زعيماً.. مناضلاً صلباً تواقاً للحرية يصل إلى كاردف في 22 يونيو 1946م. للمرة الثانية، وفي سبتمبر من نفس العام يوجه رسالة لأمين عام جامعة الدول العربية في أقل من عام على تأسيسها.. يعرض فيها قضية اليمن كسابقة لتدويل قضية الشعب اليمني ونقلها إلى المحافل الدولية.. ثم يوجه رسالة ثانية وثالثة .. والرابعة ..... الخ. يعرض فيها معاناة شعبه تحت حكم وظلم الإمامة.

الحكيمي.. الزعيم السياسي.. يلتقي عبد الرحمن عزام في لندن باجتماع رسمي يوم 14سبتمبر 1946م لشرح قضية اليمن لعبد الرحمن عزام، ومعاناة شعبه وأحراره في السجون.

الشيخ داعية لتسامح الأديان .. يعكف في العام 49/48م على دراسة الكتاب المقدس وكتاب العهد القديم، والعهد الجديد للاستعانة بذلك في محاورته للكنيسة البروتستانتية. ويستفيد في تأليف كتابيه «دين الله واحد» والأسئلة والأجوبة بين المسيحية والإسلام. مستعينا بذلك وبعدد من كتب عدة لرواد الفكر الأوروبي ..... داعية التسامح.. حاور الكنيسة البروتستانتية في سوث انجلترا عام 1949م، فكان للصحافة الإنجليزية

أن تتبعت أخبار هذا الحوار .. ثم تابعت أخبار كتابه عن ذلك الحوار «الأسئلة والأجوبة بين المسيحية والإسلام» لأنه أذهل أهل الدين بمعارفه عن دينهم، ودينه ... الحكيمي المحاور .. في ليلة 3 أغسطس 1949م استدعي لكنيسة (برث) من قبل جمعية الرجال المسيحيين، فكان محاوراً ناجحاً سلب عقول وفكر محاوريه من قساوسة ورهبان بإجابته على 45 سؤالاً أثمرت كتاباً مكوناً من 113 صفحة، وكتاباً آخر عمد إلى تأليف عن واحدية الأديان أسماه «دين الله واحد».

الحكيمي رائد التنوير، سبق عصره في زمن الأمية والجهل، يرى في عملية التنوير وبث الوعي وتصحيح مدارك الجماهير أمراً مهماً في تحقيق التغيير وتفادي فشل ثورة 1948م .. يهرب من ذلك الفشل الى الأمام كما هي عادته دوما ... ويسجل الهروب رقم.... ويرى في الصحافة سبيلاً في التوعية.. وفي فضح زيف الحاكم المستبد أحمد وما يدعيه من زيف.

- ففي 6 ديسمبر 1948م يظهر العدد الأول من أدائه في التنوير والحرية ومقاومة الظلم .. السلام أول صحيفة تنطق العربية في بريطانيا، وأوربا على الإطلاق، يؤسسها ويرأس تحريرها ويصدر منها 107 أعداد. حتى العام 1952م، معتبرا الصحافة أعظم وأنبل رسالة ومهنة على وجه الأرض. أما القس رئيس المحاورين له في كنيسة برث، فيرى فيها أعظم أعماله في أوربا وبريطانيا على الإطلاق، كونها أول صحيفة تصدر في أوروبا بالعربية.

الشيخ الوفي .. في 11 مايو 1950م يهزه الشوق والوفاء وحنين العودة إلى الجزائر .. يغادر كاردف مروراً إلى بلجيكا .. باريس مرسيليا .. ويلتقي بعدد من الجالية اليمنية هناك .. يحثهم على التبرع للأحرار .. ويذكرهم بوطنهم الجريح .. يظل بين أفراد الجالية اليمنية عدة أيام بضيافتها ثم يتجه جواً إلى وهران .. ثم مستغانم .... فقراءة الفاتحة على قبر المعلم والمربي أحمد مصطفى العلوي .. ثم يتوجه إلى غيلزان .. وأسطيف .. وعنابة. زار بلاد القبائل الجزائرية .. وطاف بعدد من الزوايا العلوية .. لكن حنين الشوق للجزائر لم ينسه وطنه .. فكان لقاؤه بعدد من المهاجرين هناك طالباً منهم التبرع للأحرار والارتباط بالوطن والتواصل مع الداخل.

الشيخ بعد أن بادل الوفاء بالوفاء.. عاد إلى كاردف بعد شهر من الغياب ليمارس مهامه. الشيخ المجاهد يزيد من الضغط على الإمام أحمد فيصبح الهاجس الذي لا يغيب عن البال .. رسائله المفتوحة عبر السلام للإمام أحمد ولجامعة الدول العربية والأمم المتحدة، ولجنة حقوق الإنسان، والرئيس الأمريكي ترومان، ونشره لفساد الحكم، وممارسات الظلم.. كلها أقضَّتْ مضاجع الطغاة.. لتوجه ضده أشرس حملة من قبل الإمام أحمد.. جند صحيفة سبأ في عدن لمهاجمته بقسوة وصحيفة النصر .. بل استمال الإمام مساعده حسن إسماعيل مفضل الشميري.. لإذكاء نار الفتنة .. يشتد الخلاف انطلاقاً من معارضة الشميري لموقف الحكيمي في مهاجمة الإمام والتي وصلت إلى حد تصادم أتباع الطرفين.. وتدخل الأمن الإنجليزي لفض المنازعات ... لقد كان معارضاً قوياً للحكيمي وأفكاره الثورية بالتنسيق مع ممثل الإمام في لندن حسن إبراهيم ولم تكن المعارضة لتقف عند هذا الحد بل امتدت إلى ما هو أسوا ... القتل .. ويبدو من بعض الوثائق أن حسن إسماعيل كان ضمن المكلفين بمهمة التخلص من الحكيمي. .. والذي استماله الإمام أحمد بعد فشل ثورة 1948م، وبعد أن زار مكة للحج .. وفي برقية إلى الإمام أحمد من ممثله في لندن حسن إبراهيم تشير إلى أن حسن إسماعيل عازم بعد الحج إن شاء الله، ويلزمه تعيين أعضاء حوله ضد الرجل حسبما أفدتم». (9/ ص 379).

الحكيمي يترفع عن كل هذا .. ويستمر في أداء رسالته حاملاً مشعل النور بيده .. متجهاً نحو الهدف الأكبر، الدفاع عن حق شعبه في الحياة ... والعزة

والكرامة .. وفي سبيل ذلك يتحمل من قبل نائبه السابق وتلميذه اشد وأسوا الألفاظ ... لم يشتمني احد من قبل إلا عندما .... دافعت عن حقوق الشعب.

في ذروة الخلاف وسخاء الدعم من الإمام احمد لمن يعارض الشيخ، تجري محاولة لاغتياله في بريطانيا لينتقل إلى رحمة الله مساعده في المركز الإسلامي حسن شير من الصومال بثلاث رصاصات أسكتت قلبه إلى الأبد في 15 مايو 1951م لكنها مثلت للشيخ الحكيمي ناقوس الخطر الذي كان بمثابة الإشارة نحو مسلك الشر المتربص به، مع ازدياد المضايقات الإنجليزية له ... يقرر العودة إلى عدن وإصدار صحيفة السلام من عدن .. تعود المطبعة وأجهزتها إلى عدن. لكن الغالبية العظمى من اليمنيين إن لم يكونوا جميعاً يعملون في الميناء والبحر .. ومنهم انصار حسن إسماعيل مفضل الشميري ومن يدينون بالولاء للإمام كثيرون منهم أيضا تحت إمرة حسن إسماعيل. أحدهم يدس مسدسين وسيف بين ادوات الطباعة .. لتصل إلى ميناء عدن.

الشيخ يحمل قضية وطنه ويعود عبر بلاد الشام فلسطين ولبنان وسوريا ومصر ثم السودان .. يشرح قضية وطن .. وهمُّ أمة يحث اليمنيين على مقاومة الظلم، والثورة على الإمام ومساعدة الأحرار والتبرع لصالحهم .. ويشد من أزر الجميع ويدعوهم إلى الوحدة.

وفي مصر يقابل الرئيس محمد نجيب الذي يهمس في اذنه لقد علمتنا كيف نثور على الظلم يا شيخ عبد الله.... يسلمه مذكرة تحمل عنوان "محنة الشعب اليمني يشرح فيها أوضاع اليمن وما يعانيه الشعب اليمني من ظلم حكم الإمامة. ويطلب المساعدة بالوقوف إلى جانب الشعب اليمني فيما ابتلاه الله.... يغادر مصر إلى السودان ليلتقي بالشيخ يحيى الشريف والأحرار في السودان .. ثم يتوجه إلى عدن.

الشيخ سجيناً في عدن لدى السلطان البريطانية ففي يناير 1953م يقتاد الحكيمي إلى السجن الاستعماري بتهمة تهريب السلاح، يلتف الأحرار حول زعيمهم يدفعون الكفالة المالية ريثما يصدر الحكم، يحاكم في عدن.. ويصدر حكم محكمة الشيخ عثمان درجة أولى بالحبس لمدة عام مع الأشغال ليكون في ضيافة الحكومة لمدة عام." ولا تنس أن حياة الأحرار في خطر دائم اثبت وثبت الأهل" هكذا خاطب ابنه عبد الرحمن واحبهم إلى قلبه، في أول أيامه في السجن ... لكن أحرار اليمن يستأنفون الحكم بمحكمة كريتر ليخفف إلى عام ووقف الأشغال، يرفع أحرار اليمن الأمر إلى المحكمة العلياء في نيروبي بكينيا وتسقط التهمة عن الزعيم ... ليطلق سراحه في 17 يوليو 1953م بريئاً مما وجه إليه من تهمة، لكن داء ... سم ... الخيانة كان قد دس له في طعام السجن، بعد أن أرسل شخص مخصوص لذلك الغرض من الحاكم الإسلامي إمام اليمن أحمد بن حميد الدين.

وفي السجن يشرع في تأليف كتاب دعوة الأحرار وينتهي منه، ثم يشرع في تأليف سيرته الذاتية... لكنه لم ينته من كتابتها فقد كان القدر أسرع.

إلا أن حب الناس إليه ونموذجه المشرف في مقاومة الظلم وطغيان الإمامة جعل الكل يلتفون حوله أثناء عمليات المحاكمة... مظاهرات صاخبة وتنديدات بالاستعمار والمحاكمة كانت تستمر في كل جلسة من بدايتها حتى نهايتها... ثم يتوج هذا الحب بانتخابه رئيساً للاتحاد اليمني في اكتوبر 1953 لكنه لم يسقط كلمة الحق في وجه الحاكم الظالم، فيوجه في 15 نوفمبر العام 1953م، رسالته الأخيرة للإمام احمد - بمطالب الأحرار - ومع غروب شمس يوم 4 اغسطس 1954م يغيب عنا النور فلا نرى نورا بعده .... حتى فجر الـ 26 من شهرسبتمبر 1962م

اخدم وطنك بصمت، آخر عبارة يهمس بها الحكيمي في أذن ابنه عبد الرحمن

قبل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

من صفاته

الحكيمي ذاك الرجل المنسي القادم من أعماق الريف في زمن الجهل والأمية... يرسي أول تجربة حديثة في حوار الأديان، بل يعلمنا كيف تحترم الأديان، وكيف نتحاور مع معتنقيها.

كان خلوقا... دمثا في أخلاقة ... قصير القامة قوي الهامة ... وضي الطلعة .. سمح الملامح .. أبي العزة ... بارا بدينه ووطنه ... حكيما ... خلوقا ... مقداما .. وقورا ... ممن يؤثرون على أنفسهم ... كان ديمقراطي التعامل مناديا بحكم دستوري ... وملك يملك ولا يحكم .. مقاوما للظلم ... ذا افق واسع ونظرة مستقبلية ثاقبة، لا ترى اليوم فقط.. بل اليوم وغدا ، وبعد غد.... له من الألقاب بين زملائه الأحرار ما ينبئ عن مكانة رفيعة، ومركز عالي... منها :

❖ شيخ الأحرار.
❖ الزعيم.
❖ أمين الأمة اليمانية والإسلامية.
❖ المجاهد.
❖ شيخ المجاهدين.
❖ أبو الأحرار .

كان الحكيمي واسع الاطلاع في علوم الدين الإسلامي واسع الاطلاع في علوم الأديان (الإسلام، والمسيحية)، تزود بالعلوم الحديثة يمزج بينها وبين علوم الأديان زيادة في الحجة والبرهان.

الحكيمي ذاك الرجل المنسي.. في زمن الانحطاط العربي .. وتقاسم تركة الرجل المريض.. في زمن الضعف .. يظهر قوياً في زمن العداء وضياع فلسطين .. وفشل ثورة 48م. يظهر حاملاً على كتفيه السلام وعلى صدره صحيفة السلام .. وفي جبينه قضية أمة وشعب.. وهم وطن .. وفوق راسه... وطنه الموحد . .. هو ذاك الرجل المنسي .. في وقت كانت المناطقية والمذهبية والسلالية في أوج قمتها قولاً وممارسة ومن أعلى قمة الهرم السياسي «الإمامة»... كان ورفاقه أحرار الأمة يذوبون في هم الأمة اليمانية الواحدة لا يعرفون منطقة ولا مذهبا ولا قضية جنوبية.. غير همّ الأمة اليمانية الذائبة في وجدان الوجدان لكل واحد منهم.

الحكيمي ذاك الرجل المنسي.. هو ذاك المدرسة في حوار الأديان .. ذاك المدرسة في الوطنية في حب الوطن .. ذلك المدرسة في الإيمان .. ذاك الأستاذ .. ذاك النور المشع من وسط الظلام .. ذاك العاشق في حب الأوطان . ....كان واحة خضراء في صحراء الأقزام «الحكيمي» تجاوز الزمان فسبق عصره بأزمان، وتجاوز المكان فكان امتداداً للأجداد. لقد كان الحكيمي عملاقاً في زمن الأقزام .. أقزام السياسة والفكر .. نوراً في زمن الظلام .. حراً في زمن الظلم والكبت والاستعباد.

الحكيمي ذاك الرجل المنسي في الشيخ عثمان حيث سكنه، في كاردف حيث حاور المسيحيين وأسلم على يده العديد منهم ، حيث مسجده نور الإسلام أول نور في اوروبا ، حيث السلام أول صحيفة ناطقة بالعربية في بريطانيا و أوروباء. هو ذاك الرجل المنسي إلا من شارع يتيم يكسوه الحزن في مدينة الحديدة لا يتجاوز 2 ك. م طولا ومدرسة أخرى يتيمة الأبوين في تعز.... هو ذاك الرجل المنسي في عصر القرية الإعلامية، كان زعيما للوطنيين.. و مدرسة يقتدى بها، وعلى الجميع الحذو حذوه والتعلم منه وبقية رفاقه الأحرار كيف أن يكون الفرد وطنيا ومنتمياً لوطنه يدافع عنه وعن حقوق من فيه. بعيداً عن منطقة أو مدينة أو جزء من وطن.... كما دافع هو عن أمة وكتب من أجل أمة، هي الأمة اليمانية، كتب عن الفقر، والجهل، والمرض، كتب عن أبناء الأمة المعذبين والمسجونين. لم يكتب عن استعمار داخلي، أو اضطهاد مناطقي أو احتلال جزئي أو كلي لجزء من وطن، وإنما كتب باسم أمة، ودافع عن الأمة ومصالحها. في الوقت الذي كانت الأمور تسير في أسوأ حالاتها.

يصفه ناشر عبد الرحمن من سجنه في حجة، برسالة بعث بها الى ابن عمه أحمد عبده ناشر بالقول:

بلغني الآن خبر مجمل مبهم، وهو أن الشيخ عبد الله علي الحكيمي، يتولى قيادة الحركة الوطنية ويتزعم الأحرار، فاذا كان صحيحا فما أروعها من مفاجأة للأحرار المعتقلين فإنهم كلهم مجمعون على أن الشيخ هو الشخصية الوحيدة التي تستطيع أن تقوم بالحركة وتتزعمها، وأنه البطل المنقذ، ويضيف، وأنا أحييه بلسان الاحرار يتعذبون في السجون، نحييه من أعماق قلوبنا، وتحييه أرواح الشهداء الأبطال ونسأل الله أن يمده بروح من عنده، وأن يوفقه ويسدد خطاه، وأن يعيد على يديه للأمة اليمنية عزها التليد ومجدها الخالد، وينقذها من أشداق العبودية والضلال، ثم يضيف، إنني لا أبالي بالموت مادامت القضية لم تمت، وإنني واثق من نجاحها وانتصارها مادامت في يد شخص من أعظم رجال الأمة هو الشيخ عبد الله علي الحكيمي، أبلغه تحياتي وإكباري وإجلالي وحبي (**).

كان ساعياً للفضيلة وعاملاً نشطاً من أجلها، ولذلك يصف معاناته وجهوده بأنها «في سبيل الفضيلة والإنسانية والعاطفة على هذه الأمة» (5).

والفضيلة لا تنال مجاناً ولذلك فإنه يبتلى أهل الفضائل من عباده بينما الرذيلة مرتع خصب تنال مجاناً وبدون ثمن ومن غير تعب ولا معارضة أو صراع لأنها بغية الحقراء الأنذال وقيمة من لا قيمة لهم من الناس» كما عبر عنها الدكتور عبد العزيز المقالح أطال الله لنا في عمره.

و الكرام هم الذين يحفظون الأوطان ويرعون مسار البشر، وحقاً ما تحدث به من أن الفضيلة لا تنال مجاناً وأن الرذيلة هي المرتع الخصب وهي التي يدركها أصحابها من غير تعب ولا جهد(5).

منهجيته في الحوار

يلخص «الحكيمي» منهجيته في تحاوره مع رجال الدين المسيحي بجدية التبادل «لما دار بيني وبينهم من بحوث دينية قيمة ، كانت كثيرة ومتتابعة وعلى غاية من الأهمية وكم مرة دعيت إلى حملاتهم الدينية لإلقاء محاضرات في الدين الإسلامي ، والإجابة على ما يوجه إلي من أسئلة ذات بال وكم مرة حضروا إلى مركزنا الإسلامي في مسجد نور الإسلام للغرض نفسه»(2/ ص ي).

يبدأ حوارية الأديان لدى الحكيمي من سماحته في النظر لجميع الأفراد على اختلافاتهم ففي كتابه «دين الله واحد» يهدي عمله إلى «إخواني الأعزاء من بني الأسرة الإنسانية على اختلاف طبقاتهم ونحلهم ومذاهبهم الرجال والنساء» ويضيف «إن حبي العميق لأسرتنا الإنسانية هو الذي ألهمني ودلني على القيام بتأليف هذا الكتاب» ويضيف: «والذي أملكه هو الرغبة في أن يؤلف الله بين قلوب أبناء هذه الأسرة الإنسانية التي خلقها الله من نفس واحدة .. حتى يعيش الجميع إخواناً سعداء يسودهم الحب والوئام»(2/ص ص) .

ويعد «دين الله واحد» نتاجا لحوار «الحكيمي» مع الكنيسة البروتستانتية «من الوفاء على أن اعترف لأولئك الأصدقاء الأفاضل من القساوسة والرهبان وغيرهم من رجال ونساء الدين المسيحي، فقد كانوا هم السبب الأول في حفزي على تأليف هذا الكتاب « (دين الله واحد». (1 / ع 15 في 17/مارس/1949م).

كان من دعاة الانفتاح والتعامل مع الديانة المسيحية والمجتمع الديني البريطاني. سيما بعد أن تكونت لديه قناعات إيجابية تجاه الإنجليز وقبولهم لمبادئ الحوار وإخضاعهم بالمنطق. ويرجع أسلوبه ومنهجيته في الحوار إلى فهمه لطبيعة المجتمع البريطاني والذي من عاداتهم بل من طبائعهم المرونة والبحث والاطلاع مع رحابة الصدور وحسن الأدب والاقتناع بالأدلة والحجج، وأكثر ما يقتنعون به الدليل المنطقي (2/ ص ط).

ان من أهم أسباب نجاح الحكيمي كانت قدرته على الحوار والإنتاج ، واعتماده على الحجة والمنطق العقلي وتعامله بروح الحب مع جميع من يلقاهم من المسلمين وغير المسلمين (8 /ص 566 وكذا 6).

وفي منهجيته يعلمنا طبيعة الحوار البناء بين الأديان وليس الإنكار للآخر. فقد كان

الحكيمي قارئاً جيداً لأنجيل متى ، ويوحنا ، إنجيل العهد القديم ، وإنجيل العهد الجديد ، أسفار التكوين «دين الله (2/ ص106/107) ، إنجيل لوقا ، إنجيل برنابا، بل حافظاً لنصوص منه يستدل بها في حواراته مع القساوسة ورجال الدين المسيحي. لقد كان مسيحياً أكثر من المسيح أو قسيساً أكثر من القساوسة .. لكنه عقليا لا نقلياً تحليلياً للنص المسيحي لا محلاً لها .

تم توجيه 45 سؤالاً أجاب عليها في جلسة واحدة، وقام بدور الترجمة فيها نعمان العبسي، بعد أن كان قد ألقى خطابا دينيا إسلاميا مدعما بالأدلة القرآنية، حسبما طلب منه من قبل الكنيسة، والذي أعد بالفعل وألقي من قبل نعمان العبسي نيابة عنه.

وتدل الأسئلة على وجود إعداد مسبق لها من قبل الكنيسة أو القساوسة والرهبان وذلك لما يستشف من عدم التكرار لها ، أو الضعف في مضمونها. وثانيا لطريقة إدارة الحوار من قبل رئيسهم ومناداته لأسماء السائلين أولاً بأول وكاملاً (راجع 1/ ع 15). مما يؤكد ما نراه . وثالثا لم نصل إلى ما يدل على أن بعض الأسئلة لم يتم تدوينها أو تم حذفها حتى نقول إن الأسئلة التي تتسم بالضعف أو التكرار قد حذفت أو لم تكن لها أهمية . كما يجري عادة في كل المحاضرات أو الندوات العامة بل على العكس ذكر في صحيفة السلام العدد 15 أن جميع الأسئلة وردت كما هي .. دون أي تدخل.

وذلك تأكيد على أنه حوار وليس سؤال وجواب أو محاضرة ، سيما وأن لدقة الأسئلة معنى وهدفا، المقصود بها إظهار عجز وضعف المتحاور ومن ثم دينه. وهذا ما يستشف من طبيعة الأسئلة التي وجهت إليه. وقد لخص الحكيمي الموضوعات الأساسية لحواره مع القساوسة والرهبان بالقول «اعتقاد المسلمين بالله وبمحمد وبالبعث بعد الموت.. وسؤالهم بصورة خاصة: عن إلوهية المسيح وتعدد الزوجات والطلاق والحجاب. (2/ ص ي).

وهذا كله يؤكد شيئين الأول سعة اطلاعه وثانيا سعة افقه في الحوار بمعنى محاورته من تراثهم وإيجاد أدلة وشواهد لتأييد وجهة نظره من معتقداتهم وبصورة هادئة تعتمد على النفس الدبلوماسي في طرح الرأي وقبول الرأي الآخر واحترامه عملا بقول فولتير «قد اختلف معك في الرأي ولكني على استعداد للموت دفاعاً عن رأيك».

ويصف (البعداني) حوار الحكيمي مع أتباع الديانات الأخرى بأنه «حوارا هادئ بعيداً عن الجدل العقيم، وبعيداً عن الإساءة والتجريح والاتهام والتحدي، لقد كان حوار أصدقاء لا حوار أعداء، حوار الداعية والمصلح الذي يحمل روح المودة لمخالفيه ويريد لهم الخير والهداية.. ويهمه اقتناعهم بالحق قبل أن يهمه الانتصار عليهم. (8/ ص575).

ففي حوار له مع امرأة إنجليزية .. تقول في لحظات من الغضب على إسلام زوجها على يده ..

إنها لا تؤمن بالله إلا إذا رأت الله ، بطوله وعرضه .. فيقول لها .. وهل تحبين زوجك؟ فقالت نعم .

- قال .. لا أصدق ..

- ولماذا ؟

- لا أصدقك إلا إذا رأيت كيف هذا الحب .. وكم يزن ؟ وما لونه ؟ وما طوله ؟ وما عرضه ؟

- قالت الحب موجود لكن لا نستطيع أن نعرف كيفيته .

- والله المثل الأعلى .. نحن نؤمن به وهو أعلى من أن نحيط به علماً(8).

ومثل هذه الطريقة في الحوار إن لم تقنع الآخر بوجهة نظرك .. على الأقل توجد لديه الشك فيما يعتقد .. ومحاولة البحث في تساؤلاتك.

أسس ومنطلقات الحوار

إن الحكيمي كان له سبق متميز في الحوار بين الأديان والحضارات في أوروبا. (8/ ص572).

و كان الحكيمي من كل لقاءاته وحواراته مع المسيحيين يهدف إلى توصيل قناعة أن الأديان تنطلق من مبدأ واحد، وهو واحدية الإله، والمعبود الذي هو «الله» وإن الاختلاف في هذا الجانب إنما يرجع إلى الإنسان نفسه وليس لغيره. وبذا فدعوته للحوار بين الأديان تهدف إلى التوصل إلى المفهوم السليم للدين الذي ينبغي أن يجمع الجميع عليه «الدين الواحد» وهو الدين الذي يدعو إليه جميع الأنبياء والرسل. و في كتابه «دين الله واحد» تعرض الحكيمي لثلاث قضايا تعامل معها «المسيحيون بنوع من اللغط وهي:

1 - إلوهية المسيح.
2 - نبوة يسوع، ونبوة محمد.
3 - المرأة وتعدد الزوجات والطلاق.

يقوم حوار الأديان لدي الحكيمي على اتجاهين، يتمثل الأول بالدعوة إلى الإسلام .. وهنا تعتبر بداية تسجيل تحسب لصالحه وعملية مهمة في اختراق المجتمع المسيحي بسحب عدد منهم إلى الدين الإسلامي .. وهذا ما قام به في هجرته الأولى لبريطانيا الممتدة ما بين 1936م و 1940م وفيها عمل على إدخال عدد لا بأس به من المسيحيين إلى الدين الإسلامي فأعلنوا إسلامهم على يديه وتعلموا الإسلام في مركزه الإسلامي وكان تأثيره على النساء كبيراً حيث أسلمت على يده الكثير من النساء الإنجليزيات اللواتي كن متزوجات من مهاجرين عرب ، وأصبحن يحضرن لديه لتلقي الدروس والتعاليم الإسلامية ويتعلمن شؤون الإسلام . (راجع8/ ص656) أما الاتجاه الثاني فكان الحوار المباشر مع القساوسة والرهبان، اذ مَثَّلَ هذا ولوجا مباشرا مع رجال الدين . المسيحي .. وهنا أخذ طابع الحوار صفة أكبر عمقا وأهمية في التعامل المباشر مع الآخر .

وهنا نؤكد على أن الحكيمي اعتمد في حواره في الاتجاه الأول أيضا العمل على إيجاد وتحديد مكانة الجالية الإسلامية في بريطانيا من خلال إيجاد إطار تنظيمي ومرجعية للجالية تمثلت في إنشاء الجمعية الإسلامية العلوية ، وبناء مسجد نور الإسلام ، والمدرسة الإسلامية التابعة لها، وإصدار صحيفة السلام ، وتعد هذه المؤسسات إطاراً مرجعياً لحواراته مع الكنيسة ، ومصدرا من مصادر نشر الإسلام في الوسط البريطاني والذي شجع على إسلام أكثر من 500 فرد في بريطانيا على يديه، ويشير الفريد هاليداي إلى أن «تنظيم الشيخ الحكيمي للجالية اليمنية كان خارقاً . وذلك بسبب ما أظهره من دأب في تحمل أعباء الجالية، فقد كان شخصاً يتمتع بطاقة وقدرة تنظيمية ملحوظة»(7)

كما يصفه الشيخ عثمان عبد الله الأزهري بأنه زعيم ديني واجتماعي ، وأن هذه الصفة هي التي كانت سبباً في قصده من قبل رجال الدين المسيحي في كاردف، بقصد المناقشات والتعرف على الدين الإسلامي من قبلهم ((فتبودلت الزيارات وعقدت المجالس للمناظرات والسؤال))، (3/ ص 1). كما يعد أول من قام بتجميع المسلمين في بريطانيا بتجمعات مدنية وإيجاد إطار للتآلف مع المجتمع المسيحي ورجال الدين المسيحي في بريطانيا آن ذاك (3/ ص 3).

وعمل الحكيمي كرجل دين على تجميع المسلمين في بريطانيا في إطارات مدنية وتجمعات عصرية حديثة فكان ذلك سبباً في حرص رجال الدين المسيحي للتعرف على الإسلام وقوله في المسيح والمسيحيين. إذ تقدم عدد من القساوسة والرهبان بأسئلة تهدف إلى كشف أعماق وجوهر الإسلام، تتمحور حول النقاط التالية:

1 - المسيح وصفاته وخلقه (هل هو ابن الله، أم هو روح، وكذا البعث والعودة إلى الأرض.
2 - أوجه التشابه بين الديانتين .
3 - المسيح في القرآن .
4 -جوهر الديانة الإسلامية ومعتقداتها حول (البعث، والحساب والعقاب ، والصيام ، والزهد، والزواج وأحكامه، ونسب الأنبياء، والمسجد ومكانته لدى المسلم، وكذا

القضاء والقضاة في الدين الإسلامي، وعلاقة القرآن بالكتب السماوية الأخرى).

5 - نظرة الإسلام للديانات الأخرى ، سيما السابقة منها. ورأيه في الأنبياء السابقين على المسيح ونبوءاتهم وعددهم والفرق بين الأنبياء والرسل، ومهبطهم في الشرق، ففي رده عن الأسباب التي أوجدت الأنبياء من الشرق أشار إلى ما جاء في سفر التكوين الإصحاح التاسع "وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك، ساما، وحاما، ويافثا، فحام أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة بنو نوح ومن هؤلاء تشعب كل شعوب الأرض .. " (3/ ص 31).

6 - القرآن وماهيته ... وهل هو كلام الله أم كلام محمد عليه الصلاة والسلام.

7 - الخلافات الحربية بين المسلمين والمسيحيين (الحرب الصليبية).

لكن البعض من الأسئلة كان يقصد منها التعرف على سعة الاطلاع والإدراك لديه مثل" عدد الكتب السماوية ، وعلى من نزلت، وكم يوجد منها الآن؟ وكذا السؤال عن ماذا ترون في عقول الغرب وما الفرق بينهم وبين رجال الشرق؟ و لماذا للمسلمين الجمعة واليهود السبت والمسيحيين الأحد؟.

وقد نشرت جميع الأسئلة في العدد 15، 16 من صحيفة السلام في 15مارس 1949م . كما نشرت بعد ذلك في كتاب الأسئلة والأجوبة بين المسيحية والإسلام.

كان هدف الحكيمي الأساسي دفع الشبهات عن الدين الإسلامي والتعريف به فمثل له ذلك طريقاً للدخول في حوارات متعددة ومن زوايا مختلفة مع رجال الدين المسيحي وفي ذات الوقت حث أتباعه على إبراز القدوة الحسنة في سلوكهم وتعاملهم مع الوسط البيئي والاجتماعي المسيحي "بالحث على مكارم الأخلاق ، وجلائل الأعمال الصالحة والخلوص بالنية لله وصلاح الأعمال" (3/ ص4).

واستطاع أن يغير تلك المفاهيم حول الإسلام بتحاوراته تلك إذ يقول ... "لقد استطعت أن أفهم ما عندهم ويفهمون ما عندنا، وذلك ما جعلهم ينصفون ويعترفون بسمو الإسلام وقوة جاذبيته و روعته، ويقدرون لهذه الجالية الإسلامية قدرها (1/ ع 105).

المسيح بين النبوة والإلوهية:

و يرى الحكيمي «أن العقل والمنطق لا يقران القول بتعدد الأديان إذ لو تعددت الأديان لتعددت الآلهة ويؤكد بأن ليس لأحد دين يخالف به دين الآخر ولو أن الله أعطى لكل نبي ديناً يخالف دين الآخر لكان بذلك قد فتح لهم باب الفتنة ورضي بالتنازع والفرقة بين العباد وأنه لا سبيل لأن ينسب المعاصي للعباد إذا كان باذر الشقاق والنزاع (راجع 2/ ص 9). إذ يقول في كلمته التي ألقاها أمام جمعية الرجال المسيحيين «إن الأديان مهما اختلفت في نظر المتدينين فإن «الدين عند الله واحد، والله وحده هو الذي يستحق عبادة الخلق دون غيره».

وهذا يؤكد على خط التوحيد الإلهي لديه وعدم وجود أكثر من دين لديه «إذا أنعم الناس ودققوا نظرتهم الفاحصة فإنهم لا يجدون ما يختلفون فيه أو عليه أبداً، وإذا رجع الناس إلى تعاليم الأنبياء الصحيحة ينظرون إلى ما فيها فإنهم لا يجدون في تعاليمهم أي اختلاف، وإنما تتمثل تعاليمهم ودعواتهم كلها في عقيدة واحدة، هي توحيد الله والإيمان به (1/ ع 16 ، مارس 1949م).

لقد أورد «الحكيمي» في كتابه دين الله واحد كلما يشير إلى أن عيسى المسيح إنما هو نبي وليس إله. وليس ابن الله أيضاً كما يزعمون، وأتت نصوص الإنجيل كاملة سيما إنجيل برنابا ويوحنا ومتى، الذي أورد منه جميع النصوص التي تدل على أن عيسى رسول وأنه بشر بمحمد من بعده رسولاً ونبياً. ما يعطينا دليلاً واضحاً على أن

أسلوبه في الحوار لم يكن يعتمد على الاستدلال بما لديه من حجج وأدلة وبراهين، وإنما اعتمد على ما لدى الآخر من دلالات واضحة بينت له خطأ معتقده ، دون المساس بمشاعره أو إظهاره بمظهر الجاهل وناقص الوعي .

لقد أجاد الحكيمي قراءته للأناجيل الأربعة المعترف بها من قبل الكنيسة واعتمد عليها في محاجة محاوريه من القساوسة والرهبان بالإسناد والدليل . بعيداً عن التحديات .. وباسلوب آخر تأدباً منه مقروناً بالرجاء، وطلب التفكير والنظر إلى القضية أو الموضوع بعقلانية ومنطقية مما جعل لحواره معنى حضاريا أكثر منه مقارعة الحجة بالحجة.

لم يكن الحكيمي رجل دين فقط بل كان في حواره مع رجال الدين المسيحي سياسيا ذا حنكة. ولم يكن محاوراً جاهلاً، ولا عالماً بالدين الإسلامي فقط، بل بالدين الإسلامي والمسيحي معاً.

فلم ترد عنه عبارات تجرح معتقداتهم وإيمانهم بالمسيح، أو عبارة تكفير قط في إجاباته على أسئلتهم المختلفة بل يشير في أكثر من موضع إلى أن دين المسيح هو ديننا وديننا هو دين المسيح(3/ ص 16).

لقد تتبع الحكيمي منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة وحمايتها والثورة على الباطل فيرى أن الداعية عليه الالتزام بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل بالتي هي أحسن ولا يكون فظاً غليظ القلب شأنه اللين والرفق وتحمل الأذى والصبر وإقامة الحجة بالوسائل (6/ ص108) والترفع عن كراهية الآخر مهما اختلف معه في الدين

يرى (الذيفاني) أن حواره مع الكنيسة قد أفشى السلام حيث كانت الجالية الإسلامية تتعرض للأذى والهجوم المادي والمعنوي من قبل أعداد من المتعصبين ، بقناعة مغلوطة عن حقيقة المسلمين ، فعندما بينها .. وطرح عليهم الحجة تراجعوا وخف بعض الأذى ورفع جزء منه (13/ ص 122).

ويرى سلطان أن الحكيمي حاور القساوسة في ظل ظروف صعبة ، ووعي ديني مشوه لديهم عن الإسلام ومبادئه. فالعداء الشديد للدين الإسلامي وانتشار مفاهيم خاطئة عنه تمس الإنسانية ، ووجود نظرة تعالٍ وانتشاء لدى القسس والرهبان ضد المسلمين سببه قوة الحضارة الغربية وضعف المسلمين باعتباره دليلاً على خطأ العقيدة الإسلامية وبلادة العقل لدى شعوب الشرق. عبد العزيز سلطان ص 127

يحاول الحكيمي تثبيت معتقد المسيحيين بنبوة المسيح بقوله «أنتم تعتقدون أن المسيح إله وابن إله على اعتقاد البعض بالقول .... والمسيح كما تعلمون بشرا والبشر لا يكون إلها مهما سما قدره وعلا شأنه» ثم يضيف : وقد عرفتم أنتم إن إلهكم هو المسيح والإله لا يكون رسولاً ، بل لا بد أن يرسل للناس رسولاً ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وعلى هذا فمن هو رسول إلهكم المسيح، وما اسمه واسم الكتاب الذي جاء به من عند هذا الإله. (3/ ص 17).

ولكي يؤكد «الحكيمي» أن يسوع المسيح نبياً وليس إلها كما يرون أورد عدة أمثلة ونصوص ليس من القرآن فقط بل ومن الإنجيل ومن اتجاهات مختلفة فمن إنجيل متى يورد النصوص التالية: «طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون، » وفي تعليق الحكيمي على هذا بالقول لقد أثبت المسيح شهادته في تعاليمه لصانعي السلام أنهم أبناء الله وهذا ينافي قول من يقولون أن المسيح وحده ابن الله ومرادهم بذلك إلوهيته وإنما الناس كلهم أبناء الله أي عبيده وخلقه ، وقد جاء ذكر الأبناء في العهد القديم وقبل وجود المسيح» . (2/ ص 108) ومن الضروري أن ننظر إلى مثل هذه المعالجات من قبل الحكيمي لتحاوره مع الطرف الآخر في دحض فكره، وطريقته المنهجية في إدارة الحوار الديني بعيداً عن التعصب أو التطرف أو التمسك بالموقف الآحادي .

وجاء في الإصحاح نفسه قوله (وحينما تصلون لا تكثروا الكلام باطلا كالأمم. فإنهم يظنون انه بكثرة كلامهم يستجاب لهم، فلا تتشبهون بهم لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه. ومن إنجيل يوحنا الإصحاح العشرون يورد .... قال المسيح لمريم (لا تسلميني لأني لم أصعد بعد الى ابي ... ولكن اذهبي الى إخوتي وقولي لهم إني أصعد الى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) (3/ ص 6)

ومن إنجيل برنابا يورد النصوص التالية: «قال المسيح يا رب إني عالم أن الكتبة يبغضونني والكهنة مصممون على قتلي، وأنا عبدك لذلك ايها الرب الإله القدير الرحيم اسمع برحمة صلوات عبيدك وانقذني من حبائلهم لأنك أنت خلاصي .. انت تعلم يا رب أني أنا عبدك .. إياك أطلب يا رب وكلمتك حق وهي تدوم الى الأبد. (2/ص 59). فالمسيح ابن الله ليس بالمعنى الأبوي لديه وإنما بالمعنى الروحي، والاصطفاء البشري من الله سبحانه وتعالى للبعض من بني البشر «كاصطفاء آدم بالخلق ، وعيسى ومحمد بالنبوة». (راجع 3/ ص 7). فالله روح، منح من صفاته البشر «الروح» ومنهم عيسى وآدم ... بل وجميع البشر.

ثم يشير في نص آخر ورد في سفر التكوين الإصحاح الخامس عشر «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى نهر الكبير نهر الفرات».

لقد اتبع «الحكيمي» المنهج العقلي المنطقي التحليلي الاستفهامي منطلقاً من مبدأ الشك «الديكارتي» إذ يقول في صلب المسيح كمبدأ استدلالي عن نبوة عيسى وليس ألوهيته : «إن والداً لا يدافع عن ولده فليس بوالد ، وأن والداً يسمح بقتل ابنه لأجل خلاص أناس آخرين ليسوا أولاده، لمن المحال أن يقبله العقل أو يسلم به المنطق ، وأن الإله الذي لا يقدر على خلاص العالم وتكفير ذنوب الخلائق بقدرته وإرادته وعفوه، فليس هو إله وأنا أول الكافرين به. ثم كيف يكون للإله العزيز الكبير ولد واحد بينما لكل واحد منا ونحن على عجزنا وصغرنا وضعفنا ثلاثة وأربعة وخمسة وعشرة من البنين والبنات ؟؟ الا نفكر في ذلك ونرجع إلى الرشد والصواب ؟ وإذا كان المسيح إلهاً أو ابن إله فإن الإله من صفاته الحياة، وهو حي لا يموت ، وكذلك الابن يكون مثل أبيه». (2/ ص60).

وفي حواراته كان لديه القدرة على الاستشفاف المستقبلي سيما في بعض القضايا التي يختلط فيها الجانب السياسي بالديني .. ومنها قضية الحروب الصليبية وتأثيرها على الشرق الإسلامي. «الحروب الصليبية المصبوغة بصبغة العقيدة والدين المشبوه المشكوك فيه ، حتى ولدت فيها حروب صليبية سياسية ، هي أشد خطراً وأعظم بلاءً على سكان هذا العالم المضطرب ، وأن حرب العقيدة كان أهون وأيسر ، أما الحروب السياسية فهي حروب مادة وأطماع» (3/ ص 35).

وهنا يتأكد لنا أنه لم يكن رجل دين، بل دين وسياسة فكلما تسنح الفرصة له في الحديث عن تلك الجوانب لا يغفلها ، ففي حديثه عن الحرب الصليبية يسرد قضية الصراع الحربي بين كل من الشرق والغرب على مدى التاريخ الديني لهذه المجتمعات . إلا أنه يشدد في الحديث عن الاستعمار الحديث والحركات الاستعمارية المعاصرة وفي ذات الوقت ينتقد تعامل المجتمعات الغربية مع الشرق في الوقت الذي يصفون انفسهم بأنهم أصحاب نزعات تحررية وليبرالية وديمقراطية.. وفي هذه الحروب يرى الحكيمي أنها دينية من طرف واحد فقط، أي أنها وجهت من الديانة المسيحية ضد الديانة الإسلامية كونها لا تؤمن بمحمد ولا بنبوءته أي نتاجاً لموقفها الرافض من الدين الإسلامي، ونزعة تنطلق من الفكر المسبق بأن «محمداً كان رسول حرب لا سلام وما نشر دينه إلا بحد السيف» (3/ ص 37) إذ هي من طرف واحد كون المسلمين يؤمنون بالمسيح كمثل إيمانهم بمحمد ، ويضيف «لأن ديننا يحتم علينا

الإيمان بالأنبياء كلهم وتصديقهم واحترامهم. (3/ ص37)

وفي ذات الوقت يورد نصاً من الإصحاح العاشر من إنجيل «متى» النص 36/35/34 يدحض به الشبهات عن صفة انتشاره بحد السيف كما يزعمون ... لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً ، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنه ضد حماتها ، وأعداء الإنسان أهل بيئته». ويؤكد الحكيمي أن المسيح كان رسولاً يعمل ما يأمره به رب العالمين ، وكذا محمد كان يعمل ما يأمره الله به . وليس العكس ولذلك قال تعالى ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)). صدق الله العظيم. ثم يورد بإسهاب صفات ومحاسن الرسول عليه الصلاة والسلام وحواراته مع الغير، وكذا مراسلاته للملوك والحكام ودعوته لهم بالدخول في الإسلام، كتأكيد على أن محمداً عليه الصلاة والسلام. صاحب دعوة ورسالة يدعو إليها بالموعظة الحسنة .. وليس بالسيف والعنف كما يدّعون. و يلاحظ من كتابات الحكيمي أنه مدافع عنيد عن الإسلام ورسوله لكن ليس من المسيحية بل من أصحاب الفهم المغلوط والقاصر ممن ينتمون إلى المسيحية.

لقد كانت أغلب الاستفسارات معرفية أو رغبة في المزيد من التعرف على جوهر الدين الإسلامي، ولكن في القضايا الاجتماعية وليس التعبدية. وبالعودة إلى العدد 15 من صحيفة السلام للتعرف على طبيعة الحوار في عشية الخميس 3/جمادى الأولى/1367هـ الموافق 3 مارس 1949م، نجد أن الدعوة وجهت إلى الشيخ عبد الله علي الحكيمي رئيس الطائفة العلوية الصوفية ببريطانيا وصاحب جريدة «السلام». من قبل أعضاء «جمعية الرجال المسيحيين» التابعة للبروتستانت لحضور الاجتماع المنعقد في «كنيسة بناث ويلز الجنوبية» والذي كان اجتماعا دينياً بحتاً وقد طلبوا منه الحضور وإلقاء خطبة دينية إسلامية ممزوجة بالأدلة القرآنية . ورافقه في هذا الحوار بعض أعضاء الجالية الإسلامية بكاردف، «نعمان محمد البعداني ، وعبد الستار نصر الشميري وحسن شير الصومالي ، وعلي سالم علي عبده ومحمد سالم علي عبده ، ونعمان عبده علي العبسي الذي تولى عملية الترجمة لتمكنه من اللغة الإنجليزية والعربية كونه من أم انجليزية وضمن الطلاب الذين أرسلهم للدراسة في الأزهر. ثم جمعت هذه الأسئلة ونشرت بعد ذلك في العدد «15» من صحيفة السلام ، والذي بلغ عددها «45» سؤالا .. تضمنت مختلف المجالات .. وفي العدد 16 من السلام الموافق 24 مارس 1949م نشر نص الخطاب الذي ألقاه «الحكيمي» أمام القساوسة والرهبان في ذلك اليوم. وقال فيه «لقد تشرفت بدعوة الرئيس المحترم التي دعاني بها لحضور هذا الاجتماع المبارك ، وإنني وزملائي الذين حضروا معي لمتشرفون جداً بحضورنا في هذا الاجتماع الديني الذي يضم أنبل الشخصيات من السيدات والسادة التابعين للكنيسة البروتستانت الكبرى في بريطانيا، ثم يضيف : «إن اجتماعاً دينياً كهذا لجدير بالاحترام والتقدير ، وإن الدين محترم ومقدس مهما اختلفت طرقه وأسبابه، ومهما تقادمت أزمانه واختلفت نزعات الناس فيه»، وأضاف : ولن أتعرض إلى ذكر أي طائفة أو مذهب أو مشرب من المشارب ، فإن ذلك مما لا أعنيه سيما وأنا أعرف أن الأديان مهما اختلفت في نظر المتدينين فا لدين عند الله واحد، والله وحده هو الذي يستحق عبادة الخلق دون غيره » وفي خطابه يضيف أيضاً: «إن الخلق جميعاً من الملائكة والبشر أنبياء وغير أنبياء عبيد لله لا يشاركونه في إلوهيته وربوبيته وتوحيد عبادته» (1/ ع 16، في 24 /1949/3م).

إن تعامل الحكيمي في نقده للآخر ينطلق من ذات ومنهجية الآخر وليس من ذات منهجيته مما

يعطينا مؤشراً على منهجية أكثر تطوراً ومرحلة فكرية سباقة في وضع تصور أكثر لبرالية من عصر الحوار وزمنه . غير أنه أورد نصاً آخر يستدل به على عدم إلوهية عيسى المسيح من الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى على لسان المسيح يقول فيه : إيلي .. إيلي لما شبقتني أي إلهي ... إلهي لماذا تركتني». يقول «الحكيمي» إن هذا القول، وهذا النداء الذي دعا به المسيح ربه قائلاً لما تركتني لأعظم حجر تلقم أفواه القائلين بأنه ابن الله وتجعلهم في حيرة لا يدرون ماذا يكون الجواب؟ ويضيف : «إن عيسى كما قالوا وأثبتوا في أنجليهم الذي يدينون به أنه قد قال فيه أن ربه قد تركه. نقول لهم: لو كان عيسى إلهاً لما قال ذلك ولو كان ابن الله لما تفوه بكلمة ولا نبس ببنت شفه ولا أظهر خوفه وفزعه ولا تذمره وألمه. إن الإله لا يتألم ولا يحس بألم لأنه ليس ببشر، وهم يقولون كذلك إن المسيح إله وليس ببشر ، وإنما تجسم صورة إنسان، وليس هو إنسان ... فلماذا يقول إيلي .. لما شبقتني والإله لا يتألم وإن تجسم بجسم إنسان «كما يقولون» . انتهى (2/ ص110).

لم يكن حواره مع الكنيسة البروتستانتية في انجلترا بل كان أيضاً مع الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية . ... «لقد اجتمعت براهب فرنسي الأب جورجيس كاميوت كاثوليك وتباحثنا معاً في مسائل الدين وكان معنا لفيف من الإخوان الحاضرين المستمعين فدام بحثنا ونقاشنا أكثر من ثلاث ساعات، ويورد النص كاملا للحوار في كتابه دين الله واحد. ومما سأل فيه الحكيمي.

– أليس عيسى نبيا؟ فأجاب القس نعم .

– قلت : له كان يصلي ويصوم يأكل ويشرب وينام؟

– قال: نعم

– فقلت ماذا؟؟ كان يقول لأتباعه في تعاليمه ... قال لي الملاك أم قال لي أبي.

– فقال: قال لي الملاك، فقلت له وهذا مكتوب في إنجيلكم؟ – وكنت قد أحضرت الإنجيل بيدي

– فقال: كل ما قلته مكتوب.

– قلت إن اعترافك هذا يدل على أنكم لا تعتقدون بأن المسيح إله: فقال: نعم إنه إله ابن الله.

– فيرد عليه الحكيمي .... أنت تعترف أنه نبي وأنه يخبر أتباعه بما أخبره الملاك الذي هو الواسطة، ولو كان ابن الله لما احتاج الى واسطة بل لتكلم مع حضرة والده شفاها لأنهما ابن وأبوه. لكن رد القسيس كان .. إن عيسى في مرتبته فوق مرتبة النبي.

فما كان من الحكيمي إلا أن تساءل .... أليس هو بشرا مخلوقا من أم اسمها مريم ؟ قال: نعم.

– يرد وهل الملائكة مخلوقون من آباءٍ وأمهات ويأكلون ويشربون وينامون؟ فقال: لا.

لكنه يوضح للقس بالقول إن لهم أجساما نورانية. فقال نعم.

– يرد عليه الحكيمي إذا عيسى كان له جسم كثيف كأجسام البشر. ولو قلنا إنه من الملائكة فإن صفات الملائكة مخالفة لصفات البشر. ولكن لنقل على ما تعتقد أنت لا ما اعتقد أنا : أن المسيح كان أحد الملائكة وليس هو الله! ..... فسكت.(راجع 2/ص111).

ويستمر الحوار بينهما في مسألة التثليث لدى المسيحيين والذي رأى فيه القس أن الله واحد لكنه ثلاثة، الأب والابن والروح القدس، وفي ذات الوقت يرفع أذان العصر في مسجد نور الإسلام ليجدها فرصة للسؤال لمن يصلي من هؤلاء الثلاثة طالبا منِ القس أن يرشده. ليأتيه الرد

– صَلِ للأب الأكبر – الله – .... ويسأل مرة ثانية.

– ألا تحدث فتنة بينه وبين أولاده وتكون أنت السبب؟.

وبذا ينتهي اللقاء بينهما بالمصافحة بعد الابتسامة التي تدل على سريان عملية التشكيك لديه ... سيما وأنها كانت أول يوم في «حياتي

أجتمع فيه بشخصية إسلامية تباحثت معها مباحثة لم تكن تخطر على بال، ولم أسمعها قط» كما قال (انظر 2/ص112).

وفي هذا الحوار نجد منهجية جديدة أو مختلفة يمكن أن نستدل بها في حواراتنا الدينية مع الآخر بعيداً عن التقليل من معتقدات الآخر ولكن إبراز حالة التناقض لديه من خلال الاعتماد على معتقداته في الاستدلال والبرهان. في وقت لم يكن فيه حال الجالية الإسلامية بأفضل مما هو مأخوذ عنها من معرفة مشوهة ، فعدم التنظيم لهذه الجالية وعدم وجود رابط مؤسسي يجمعها أو معرفة كاملة بالدين الإسلامي لديها ، وحالة الضعف التي تعانيه من العوامل المشجعة لأخذ صور مغلوطة عن الإسلام والمسلمين ، إلى أن جاء الحكيمي بقدرته التنظيمية.

جاء في تفسيره لرسوخ معتقد أن المسيح إله أو ابن إله إلى أن «جميع المحيطين بالمسيح والمتضامنين به كانوا يقولون فيه إنه إنسان نبي، وأما تسميته بتسمية الإله وابن الإله ، فإنما هي خديعة من أعداء المسيح ومكيدة دسوها عليه لإغراء ضعفاء العقول من أتباعه . وقد روج أعداؤه هذه الدعاية وأشاعوها في المجتمعات فكذبها العقلاء ، والعقلاء قليلون في كل جيل وعصر وزمان ، والجهال السذج هم السواد الأعظم في جميع الأمم ، ولما كان الجمهور الأقوى هم عشاق الخرافات وعباد الأهواء فقد تخلد تأليه المسيح في قلوبهم وأذهانهم إلى أن حولوا وبدلوا في كتبهم » (2/ ص 117) . وهذا الاستنتاج الذي جاء في نهاية مناقشة «الحكيمي» لألوهية المسيح استنتاج لا يخلو مطلقاً من النظرة الانثروبولوجية للانتشار الثقافي. بفعل هجرة السمات والعناصر الثقافية والأنماط التي تنتقل من فرد أو جماعة أو مجتمع الى فرد أو جماعة عن طريق مجموعة متعددة من العوامل ــ التجارة، أو الحروب، أو الغزو الاستعماري، أو الاتصال والتواصل.

وتتعدد وتتنوع بحسب قدرتها على الانتشار ومدى انسجامها مع ثقافة الأفراد والمجتمع المنتقلة إليه الثقافة عن طريق الاحتكاك الثقافي باستعارتها من مجتمعات أخرى (15/ص 30) شريطة التوافق والتواؤم والانسجام بين مختلف العناصر الثقافية، أو التصادم البناء.

وثانياً .. إن المجتمعات دوما تعاني من ندرة من يمتلك الحكمة «العقلاء» كما سماهم الحكيمي» وسداد الرأي وصوابه سيما عند تكون الفكرة لمشروع ثقافي أو حضاري طويل الأجل لا يلتقطها إلا القليل القليل من الأفراد ، وهذا استنتاج صائب من قبله ... وثالثاً.. يرجع الى إن العقل البشري دوماً بما وهب من قدرات يميل إلى التحليق الخيالي والخروج عن دائرة الواقع الذهني والمعرفي لقدراته المحدودة إلى الخيال والاستنباطات المعرفية لكل ما لم يستطع الذهن إدراكه وفهمه والتعامل معه .

فالله كمجسد مادي روحي غير قادرين كبشر للتعامل معه ، وهذا العجز أو عدم القدرة من التعامل المباشر مع الله من قبل الإنسان ـ في تلك الفترة ـ لما يعانيه من نقص معرفي وذهني أوجد لديهم فرصة للتعامل مع المسيح على إنه إله ، ومما عزز ذلك لديهم ما يتمتع به المسيح أيضاً من قدرات ربانية وكرامات منحها الله له كنبي لم توهب لغيره من البشر كانت تفوق قدراتهم الاستدلالية والمعرفية ، للتفريق ما بين كونه نبي وليس إله. وهو استدلال صائب أيضاً من قبل الحكيمي، في تفسير النظر إلى المسيح على انه إله أو ابن إله. فالعقل البشري عندما يعجز عن فهم الظاهرة فهماً واقعياً ومنطقياً يميل إلى ردها إلى عالم الغيب أو بعيداً عن الواقع الحقيقي لها وربطها بما وراء الواقع أو دمجها مع الواقع الميتافيزيقي بكل معطياته كجزء من الإشباع المعرفي لسد جوانب العجز والفراغ لديه ومن ثم تصور على أنها مجسدات واقعية وحقيقية يتعامل معها وفق معايير حقيقية، وهم من وصفهم «الحكيمي» بالجهلة السذج .. وعشاق الخرافات وعباد الأهواء». وهي سمة معرفية لهذا النوع من الأفراد لا تزال تنتج معرفة من هذا النوع حتى وقتنا الحاضر.

وإذا كانت الخرافة نوعا من المعرفة في نظر الحكيمي فهي فعلا كذلك فإنها أيضا وسيلة من وسائل إنتاج المعرفة أيضا ولا تزال، كما أنها وسيلة فعالة للحفاظ عليها وتتمتع بالقوة والنفوذ داخل المجتمعات بل وتتفوق في بعض مخرجاتها على الدين ذاته، وما بعض من شواهدنا الحالية إلا جزء من المكانة التي تتمتع بها الأسطورة والخرافة في مركبات الوعي الجماعي والفردي داخل مجتمعاتنا المعاصرة لاسيما تلك المعارف التي تتصادم مع الدين أحيانا (ظاهرة الثأر) على سبيل المثال.

وكما استعرض في مناقشته نبوة المسيح وعدم إلوهيته بالعرض والتحليل من خلال الكتاب المقدس أو الأناجيل برواياته المختلفة فإنه عرض أيضاً لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام من خلال ما جاء في الكتاب المقدس والاستدلالات المختلفة لنصوصه. كلها تشير إلى وجود نبي قادم تدل جميع الصفات والمؤشرات على أنه «محمد عليه الصلاة والسلام».

ففي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يشير الى أن عيسى أخبر تلاميذه بأنه سيأتي بعده بهاء كل الأنبياء والأطهار، فيشرق نورا على ظلمات سائر ما قال الأنبياء، وقد ذكر في عدة مواضع أثبتها التلاميذ في الإنجيل ... برنابا ويوحنا وغيرهم .... إذ قال المسيح في الرسول عليه الصلاة والسلام.. الذي سيأتي من بعده، أنه – أي المسيح – ليس أهلا لأن يحمل حذاءه (راجع 2ص 63-64).

كما يشير الى ما جاء في الفصل الثاني والأربعين من أنجيل برنابا التلميذ قال: الحق أقول لكم أن كل نبي متى جاء فانه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة «رحمة الله ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه» لكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليله، وسيأتي بقوة على الظالمين، سيبيد الأصنام وعبدة الأصنام، بحيث يخزي الشيطان، لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلا: انظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما سيفعل نسلك».

كما أورد ما قال اليسوع في الفصل الرابع والأربعين...... «لذلك أقول لكم إن رسول الله بها يسر كل ما صنع الله تقريبا، لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة، روح المحبة والرحمة، روح العدل والتقوى، روح اللطف والصبر التي أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه، ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه الى العالم، صدقوني إني رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبي، لأن الله يعطيهم روحه نبوة، ولما رأيته امتلأت عزا قائلا «يا محمد ليكن الله معك وليجعلني أهلا أن أحل سير حذائك لأني إذا نلت هذا صرت نبيا عظيما وقدس الله» (انظر 2ص 73-74).

وهذه الإشارات وغيرها أوردها الحكيمي للتدليل على تبشير عيسى عليه السلام، برسول الله عليه الصلاة والسلام، من بعده دليلا واضحا على وجوب تصديق المسيحيين لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

قضية المرأة:

أما القضية الجوهرية الثالثة فكانت قضية المرأة وذلك لما للعرب من نظرة خلافية فيها مع الشرق ومن ذلك في اعتقادنا - القصور المعرفي لديهم بكل المعطيات المعرفية والأخلاقية لما أنتجته المجتمعات الشرقية في هذا الجانب.

ويعتبر الحكيمي من دعاة تحرير المرأة في اليمن ومن المشجعين لها في الوثب نحو المستقبل إذ عمل على إنشاء مدرسة لتعليم البنات تابعة للجمعية الإسلامية العلوية بجوار مدرسة البنين، وكان مشجعاً لتعليمها.

لذلك قوبل موقفه باعتراض من قبل بعض أعضاء الجالية والذين «لم يقبلوا بأن يكون للنساء حجرة في الزاوية لاجتماعاتهن الدينية»، وفي هذا تسجيل واضح لمواقفه المتحررة وفكره المتقدم الذي يعد سابقا لعصره.

- ويصف هاليداي موقف «الحكيمي» من المرأة في تلك الفترة بأنه موقف متقدم بل «يعد بالنسبة للدين الإسلامي انحرافاً عن النموذج المتبع الذي اعتاد عليه المهاجرون. (11/ ص335) .

- وقد حاول الحكيمي التصدي لإهمال المرأة في التعليم الإسلامي التقليدي، وبذل جهداً خاصاً في تدريس الإسلام للنساء البريطانيات المتزوجات من البحارة اليمنيين والصوماليين في ساوث شيلدز. (11/ ص334). واللائي استجبن لقيادة الشيخ، وانتظمت فصول التعليم الديني الأسبوعي في الزاوية بمساعدة اثنتين من البريطانيات كانتا قد اعتنقتا الإسلام دزيهما لهذا الغرض. (11/ ص334).

والحكيمي كرجل دين ينطلق من النظر إلى علاقة الرجل بالمرأة من الأسس الدينية الأولى لتلك العلاقة والتي بدت أولاً مع «آدم وحواء»، والتي تلخص مجمل أفكاره الأساسية بل ونظرته إلى المرأة بصورة عامة. إذ يشير إلى أن الإمعان بالنظر في تلك العلاقة نجدها «تعود لصالح المرآة أكثر منه لصالح الرجل، وقد جعل الله الزواج ضامناً وكافلاً لسعادة المرأة التي ربطها برجل يقوم بها وعليها وأداها إلى ركن شديد هو الزوج، فجمع لها بين عاطفة الأبوة والأخوة والزواج وهذا عظيم لمن عرفه وفهمه. فهو من أنه أصل وهي فرع له لكونها منفصلة منه، يعد بمثابة الأب لها، ومن حيث النوع الإنساني والطينة الواحدة طينة آدم التي خمرها الله بيده، أختاً له، وأخيراً هي زوجة وهو زوجها من حيث خلق المودة والرأفة الزوجية والرحمة الباعثة على نمو الرأفة والمودة المبنية بينهما الكائنة بطبيعتها، الموجودة قبل وجود شهوة المتعة، والدليل على ذلك أن آدم استيقظ من نومه ورأى فصيلته حواء بجانبه أحبها لأول مرة وأنس بها قبل أن يراها أو يعلم بها أو يتصور أن هذه الشريكة له ستوجد منه أو من أي جهة أخرى، ولأول وهلة أعجبته وأحبها وأنس بها وأنست به، وقد كان هذا الحب والأنس والإعجاب موجود من أول مرة وباعثه النفسي يرجع للنفس الواحدة. (2/ ص 160) في الخلق لكليهما. ونظرة «الحكيمي» للمرأة صحيح أنها تنطلق من رؤيته الفكرية التي تنبثق من تفكيره الديني، ولكن بتوجه منهجي خاص ينطلق منه، فالمرأة لديه التابع للرجل وهي مسألة منطقية لرجل دين «كالحكيمي» بنيت آراؤه على الأسس الدينية .. ومع ذلك لم ينظر إليها على أنها كيان جسدي للمتعة والاستمتاع، وإنما كيان جسدي وشريك أساسي في الحياة، كون الرابطة الجسدية بينهما أصلا موجودة في طبيعة الخلق «فالرابطة بين الرجل والمرأة رابطة أصلية بدنية وروحية معاً، وليست عادية ولا هي كما قيل شهوة نفسية لأجل المتعة فقط. (2/ ص 159).

وهنا تأكيد على أن المرأة لديه ليست جنساً، أو علاقة جنسية قائمة على المتعة فقط، وإنما قائمة على الألفة المسبقة في الخلق على اللذة والمتعة اللاحقة في الخلق، والتي يقوم دورها على تقوية الألفة والرابطة بين كل من الرجل والمرأة فقط «ولو لم يخلق الله فيها شهوة المتعة لما نقص شيء من تلك الرابطة بينهما، رابطة الحب، ورابطة العاطفة الذاتية». (2/ ص 159) وفي هذا استبعاد واضح من قبله لفكرة الجسد الأنثوي والجسد الذكوري أو لفكرة تبادل المصالح بينهما في العملية الجنسية أو استمتاع الرجل بالمرأة، وإنما العلاقة على أساس وجود رابطة مسبقة تقوم على وجود ألفة روحية مسبقة بينهما تنطلق من أصل الخلق لكل من الذكر والأنثى. وهنا إشارة الى ان الذات الفردية للجنس البشري - رجل وامرأة - تعد لديه ذاتا واحدة، أو اشتراكا انفصالي. فالأصل في الخلق الذكر ومنه أيضا الأصل الأنثوي المنفصل عن الأصل الذكوري، والكل بينهما رابطة أصلية بدنية ذاتية وروحية معا، وليس عادية أو متعة جنسية وإشباع نفسي، «فالرابطة بين الرجل والمرأة يرى فيها الرجل صلته الأصلية النفسية - ذاته - بالمرأة قبل أن يراها

موصلة به بالطريقة الحسية الزوجية، وأن الزواج الرابط بينهما ربطا حسيا يتقدمه الرابط النفسي الأصلي والمعنوي» (2ص167).

وفي قضية المرأة تعرض أيضا لـ «تعدد الزوجات، والطلاق، والمهر والميراث» وكلها قضايا تنم عن عدم دراية وفهم مغلوط لدى الآخر عن منبعها الديني والاجتماعي ولا يزال التعامل معها بهذه الصورة إلى اليوم. لقد ناقش قضية تعدد الزوجات نقاشاً سوسيولوجياً بكل أبعاده الاجتماعية والاقتصادية وبطريقة علمية.

وفي رأيه عن تعدد الزواج يرى فيه أن عاطفة الحب بين الرجل والمرأة أصلية وذات قدم، وأنها مزيجة بالنفس الواحدة، فإن المسألة تعود الى سنن الطبيعة أن يحدب الرجل على المرأة، وأن يعتني بشأنها، وأن يكون قواما عليها، ينظر لمصالحها المرتبطة بنفسه ـ ذاته ـ أكثر مما ينظر لمصالح نفسه الفردية، ولهذا السر الذي أودع فيه اقتضت الحكمة أن يتزوج بأكثر من واحدة إذا كان قادرا على ذلك» (2/ص168).

فالأمر في التعدد أرجعه الى الواجب الروحي والجسدي المرتبط بالخلق أو لأصل الخلق والوجود لكل من الذكر والأنثى فمن واجب الأصل ألا يتخلى عن ذاته، وعن أصله الثاني حتى وإن كان في ذلك عبٌ عليه. «على أن تكاثر الزوجات يزيد في تكاليف الرجل ومضاعفة همومه، وليس أحد يرضى لنفسه الأضرار وتحمل مالا يطاق، لكن في مثل هذا الأمر يعد على الرجل أقل ما يجب أداؤه في سبيل المرأة التي هي جزء منه لا يتجزأ، والمرأة نصف الرجل ولا يكتمل الجسم الواحد إلا باجتماع نصفه الثاني إليه... ويرى نفسه مع ارتباط المرأة به، أنه جسم كامل وبغيرها لا يعد كاملا وإن كمل حسيا لا يكمل حقيقة ومعنى. ثم أنه يعترف للمرأة بحقها اعترافا لا من قبل العدالة الإنسانية فحسب، ولكن بطريق العدالة الإلهية - اعترافا مرتبطا بعقيدته ارتباطا صحيحا.. ويضيف متسائلا ... كيف لا.. وهو يرى أن الله يخاطبه والمرأة خطابا مشتركا .. ويصفهما وصفا مشتركا ويكافئهما مكافأة مشتركة» (راجع 2/ص168ـ 169).

والتعدد لديه صفة روحية، وتواصل للذكر مع أصله، وواجب نحوه في تحمل أتعابها، وليست مجرد متعة جسدية أو إذلال للطرف الأنثوي من الذكر ... وإنما توافق رباني لاكتمال الخلق الجسدي الذي لا يكتمل إلا به.

إن تحليلات الحكيمي لا تخلو من عمق الرؤية الإنسانية والعاطفية الممزوجة بالبعد الذاتي لإنسانية الإنسان في النظر بعيدا عن النظرة الجنسية أو أنثوية الجسد الجنسي للعديد من رجال الدين الإسلامي، ففي تحليلاته قد يكون سباقا في طرح الرؤية التنويرية في تحديد العلاقة بين كل من الرجل والمرأة بعيدا عن الجسد الجنسي، ويمكن لهذه الفكرة تحديداً أن تكون أكثر وضوحا في نظرته لقضية زواج المرأة باعتبارها عملية ربط برجل يقوم بها وعليها.. مجمعا لها بين عاطفة الأبوة والأخوة والزواج... فمن حيث إنه أصل وهي فرع له لكونها منفصلة منه، يعد بمثابة الأب لها، ومن حيث النوع الإنساني والطينة الواحدة، التي خمرها آدم بيده، تعد أختا له، وهي زوجة من حيث خلق المودة والرأفة الزوجية والرحمة الباعثة على نمو الرأفة والمودة الجنسية بينهما الكائنة بطبيعتها، والموجودة أصلا قبل وجود شهوة المتعة، ويستدل على هذا .. «أن آدم لما استيقظ من نومه ورأى فصيلته حواء أحبها لأول مرة وأنس بها قبل أن يراها أو يعلم بها» (2/ص160)

وفي المسيحية تشير نصوص الإنجيل الى أن الأصل في التعدد ... ويستدل الحكيمي على ذلك بما ورد في الإصحاح الرابع ما نصه «واتخذ لامك لنفسه امرأتين. اسم الواحدة عادة واسم الأخرى صلة»، وكذا في الإصحاح السادس ورد أيضا: « وجدت لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا» (2ص248).

من هذا يرى الحكيمي أن تعدد الزوجات لم يكن ممنوعا في المجتمعات المسيحية، بل كان شائعا في أيام الدولة الرومانية، وأن الملك فالنيتان الثاني أصدر أمرا ملكيا، أباح فيه لجميع رعايا الدولة التزوج بأكثر من واحدة اذا رغبوا في ذلك، و يشير الى أن التاريخ لم يرو قط أن الأساقفة اعترضوا على ذلك. بل حذا كل من جاء بعده من الملوك حذوه، ... إلى أن جاء الملك جوستيان وضع قوانين تحظر تعدد الزوجات (راجع 2/ص 193-194).

فالزيادة السكانية في عدد النساء جراء الحروب والمخاطر الاجتماعية التي تؤدي إلى التقليل من عدد الرجال .. مقابل الزيادة في عدد النساء «إن ارتفاع عدد النساء وانخفاض عدد الرجال فكيف يكون حال هذا العدد المرتفع من النساء وإلى أين يذهبن. (2 /ص170) فأمام حاجة المرأة إلى الإشباع الجنسي والعاطفي تكون طريق أمامها مختلفة اذا لم يتم الزواج. «فالمرأة ترى بعض النساء يأوين إلى بيوت تقيهن الحر والبرد، وعلى الفراش الوثير إلى جانب أزواج يقومون بمصالحهن ويعالجون أمراضهن الخاصة والعامة .. وأصبحت المرأة الوحيدة و الفقيرة أمام الأمر الواقع فلا ريب أنها تنادي بتعدد الزوجات وترتضي كل واحدة منهن أن تعيش مع زوج ولو على أكثر من أربع زوجات». (2/ ص170)، أمام الضرورات الخاصة، وفي هذا معالجة واضحة من قبله من الناحية الإجتماعية والنفسية للمرأة.

أو على حد تعبير فارس السقاف «إن الإسلام قد اعتنى بمصالح المرأة وكفلها من جميع الوجوه وقدرها تقديراً كبيراً فربط أربعاً منهن برجل واحد إذا ما دعت الضرورة واقتضت المصلحة حتى لا تتدهور حياة المرأة إذا ما قل عدد الرجال وكثر عدد النساء. (12/ ص 67).

أما في إسناد الإسلام حق القوامة والإنفاق وكفالة المرأة من الرجل أو يجعلها بحاجة إلى من يتحمل هذه المسئولية، فالزواج الثاني لها يعد من مهام إسناد مسئوليتها للزوج. وبذا تجنب المرأة من تحمل مسئوليات اجتماعية قد تثقل كاهلها وتسبب لها العديد من المتاعب. فهو إلقاء بالمسئوليات على الغير من الذي يكفل حياة هذا الجنس، الجنس اللطيف الذي لا يقوى قوة الرجل على الأسفار والاغتراب في طلب الرزق ومزاولة الأعمال الشاقة التي لا تطيقها المرأة غالباً. (2/ ص170).

وكأن آراء الحكيمي تقرأ مستقبل التسعينات والتي بدأت معه تنشأ جمعيات ومنظمات من المجتمع المدني من قبل النساء تطالب الرجل بالزواج من أكثر من امرأة، في العديد من المجتمعات التي تعاني من فائض نسائي كمصر ودول الخليج العربي كحل لمشكلة العنوسة المرتفعة لديها. وإيجاد مسميات متنوعة للزواج بأكثر من امرأة (المسيار) الفرند «الأصدقاء» ... الخ من تلك المسميات التي تهدف للتخفيف من العنوسة والتشجيع على الزواج من أكثر من امرأة.

وختاما :

لقد كان له سبق التميز في الحوار بين الأديان في ذلك العصر منطلقاً من فكرة أن دعوة الأنبياء والمرسلين هي دعوة واحدة وهي دعوة التوحيد إلى الله عند مختلف الديانات.

و تعد قمة السمو الإنساني لدى «الحكيمي» والتسامح الديني ما دعا إليه أيضا في إهداء كتابه (دين الله واحد) بالقول: أقدم كتابي هذا هدية .. هدية مني إلى إخواني الأعزاء من بني الإنسانية على اختلاف طبقاتهم ونحلهم ومذاهبهم الرجال والنساء». ثم يضيف إن خير ما يهديه المحب لحبيبه هو ما يحبه لنفسه ويملكه عنده، والذي أحبه هو دين الله الواحد والذي أملكه هو الرغبة في أن يؤلف الله بين قلوب أبناء هذه الأمة الإنسانية التي خلقها الله من نفس واحدة، أبوها آدم، وأمها حواء، حتى يعيش الجميع إخواناً سعداء يسودهم الحب والوئام.

الهوامش والمراجع

1 ـ صحيفة السلام، كارف بريطانيا، أعداد مختلفة، 1949ـ 1952م.

2 -عبد الله على الحكيمي، دين الله واحد، كاردف، مطابع السلام، 1952.

3 ـ ــــــــــــ ، الأسئلة والأجوبة، بين المسيحية والإسلام، عدن ، مطابع السلام، 1954.

4ـ ــــــــــــ ، دعوة الأحرار ، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، مشروع ألمائة كتاب، 1980م.

5ـ عبد العزيز المقالح ، مواقف المهاجرين الأوائل من الحركة الوطنية، نماذج من بكائيات الحكيمي، من وثائق ندوة اليوبيل الذهبي لصحيفة السلام، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 6ـ 8 ديسمبر 1998م.

6ـ عبد الكريم قاسم، الحكيمي مفكرا وداعية، من وثائق ندوة اليوبيل الذهبي لصحيفة السلام، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 6ـ 8 ديسمبر 1998م.

7 ـ عبد الرحمن عثمان، الحكيمي مناضلا ومهاجرا، من وثائق ندوة اليوبيل الذهبي لصحيفة السلام، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 6ـ 8 ديسمبر 1998م.

8ـ د/ فؤاد البعداني ، الحكيمي فكره الإسلامي وجهوده الإصلاحية، صنعاء، وزارة الثقافة، صنعاء عاصمة الثقافة العربية، 2004م.

9ـ علي محمد عبده، لمحات من تاريخ اليمن، في فؤاد البعداني، الحكيمي فكره الإسلامي وجهوده الإصلاحية، صنعاء، وزارة الثقافة، صنعاء عاصمة الثقافة العربية، 2004م.

10ـ نص المذكرة منشور في مجلة الحكمة، اتحاد الأدبا والكتاب عدن، ع 18، في فبراير 1973.

11ـ الفرد هاليداي، العرب المهاجرين العرب الأوئل، من وثائق ندوة اليوبيل الذهبي لصحيفة السلام، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 6ـ 8 ديسمبر 1998م.

12ـ د/ فارس السقاف، دور التكوين الديني في الجهاد الوطني للشيخ الحكيمي، من وثائق ندوة اليوبيل الذهبي لصحيفة السلام، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 6ـ 8 ديسمبر 1998م.

13. د/عبد الله الذيفاني، الحكيمي الشيخ الداعية المجاهد التربوي، من وثائق ندوة اليوبيل الذهبي لصحيفة السلام، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 6ـ 8 ديسمبر 1998م.

14. أ / عبد العزيز سلطان، التصوف الجهادي عند الحكيمي، من وثائق ندوة اليوبيل الذهبي لصحيفة السلام، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 6ـ 8 ديسمبر 1998م.

15. د/ عبد الله معمر، الثقافة الشعبية وعلاقتها بالمرض والعلاج في المجتمع اليمني المعاصر، دراسة سوسيو انثروبولوجية لمجتمع محلي، رسالة دكتوراة ، قسم الاجتماع كلية الآداب جامعة صنعاء، 2001م.

16. مراسلات بين المؤلف والدكتور يحيى الغوثاني.

❖ لكن الطلب تزايد على السلع الحديثة والمتطلبات الضرورية لأبناء الحجرية من المستعمرة البريطانية عدن .. ولم يعد لدور الحمير والجمال جدوى في توصيل البضائع من المفاليس والوهط لكافة المناطق، فكان لزاما على البعض التفكير في ايجاد سبل أفضل لتوصيل المتطلبات للمناطق الأكثر بعدا لاسيما وأن البعض ممن هاجر لمدن القرن الإفريقي بدأت عائداتهم تصل لمناطقهم. فجاءت الحاجة لاستخدام السيارات في جزء من الطريق لنقل المسافرين حاجاتهم .

(❖❖) رسالة خطية بعث بها من سجن نافع بحجة ناشر عبد الرحمن، لابن عمه أحمد عبده ناشر في 26 صفر 1369هـ. وهما من رموز الحركة الوطنية اليمنية.

الرحّال الألماني هرمن بورخاردت (Hermann Burchardt)

أ. دكتور/ أحمد قايد الصايدي

هرمن بورخاردت هو أحد الرحالة الألمان، الذين قدموا إلى اليمن. وقد زارها ثلاث مرات، ولقي حتفه في رحلته الثالثة والأخيرة، قرب وادي الدور، وهو متجه من مدينة إب إلى العدين. وكان قد قدم صورة عن تجواله السابق، في بعض مناطق اليمن، في محاضرة ألقاها في برلين، في الخامس من يوليو عام 1902م، قمنا بترجمتها إلى العربية قبل عقدين من الزمن، وحان الآن نشرها، بعد أن اطلعنا على وصف لرحلته الأخيرة، كتبه باللغة العربية مرافقه، الفقيه أحمد بن محمد الجرادي، وحققه ونشره أويجن متفوخ (Eugen Mitwoch). وقد قام بورخاردت برحلته الأخيرة، التي إنتهت بمقتله، في عام 1909م. ورأينا من المناسب نشر ترجمتنا لمحاضرته، ثم نلحق بها النص العربي، الذي كتبه مرافقه الفقيه الجرادي، لتكتمل بذلك صورة رحلاته في اليمن ونهايته فيه.

وصف متفوخ اويجن ، في مقدمة تحقيقه لنص الفقيه الجرادي، وصف الرحال بورخاردت بالعبارات التالية : "كان هرمن بورخاردت رجلاً هادئاً، يظن من لم يعرفه عن كثب بأنه شخص قليل الكلام، منغلق على نفسه وغريب الأطوار. ومع كثرة ماشاهد في حياته، لم يكن من السهل دفعه إلى الكلام عن ذلك، وسط جمع من الناس. كما كان عزوفاً عن تدوين مشاهداته ووضعها في متناول القراء. ولذا لم يجد سوى القليل من الناس فرصة للتعرف على مابلغه من علم غزير وما تمتع به من خلق قويم وقلب رحيم واستعداد دائم لمد يد العون للآخرين".

ويلقي متفوخ بعض الضوء على حياة بورخاردت وعلى نهايته المأساوية في اليمن. فقد ولد بورخاردت ونشأ في ألمانيا، وقضى نصف عمره في البلدان البعيدة. تلقى تعليمه في مدرسة تجارية. ثم زاول التجارة لبعض الوقت، ولكنه لم يجد فيها مايشبع ميوله. لذا تخلى عنها، مفضلاً الترحال في بلاد الله الواسعة. فزار إيطاليا وأسبانيا والمغرب العربي وتونس ومصر وفلسطين والهند وآيسلندا وأميركا وأستراليا. وعلى مدى عقد من الزمن، طاف فيه أنحاء القارات الخمس، نضجت فيه طموحاته العلمية الجادة . لقد أدرك دوره في الحياة، فجعل من البلدان الإسلامية موضوعاً يكرس فيه أبحاثه.

ولكي يعد نفسه لهذه المهمة، إلتحق بمعهد اللغات الشرقية في برلين، وانكب على تعلم اللغة العربية. بعد ذلك عاش بصورة مستمرة في بلدان الشرق الإسلامي، حتى وفاته، ولم يزر ألمانيا إلا زيارات قصيرة، مرة كل عامين أو ثلاثة أعوام. وقد جعل من مدينة دمشق وطناً ثانياً له. ومن دمشق إنطلق في رحلاته الطويلة، التي قادته إلى كل مناطق سوريا، ثم إلى العراق وإيران وشرق أفريقيا وشرق الجزيرة العربية، فاليمن.

وفي جميع رحلاته كان يدون، بقلم رصاص، ملاحظات سريعة، بعبارات قصيرة، أشبه بالرسائل البرقية. إنه لأمر مؤسف، أن هذا الرحال لم يدون مشاهداته وملاحظاته، بشكل تفصيلي ومتكامل، وهو الذي عرف الشرق الحديث، كما لم يعرفه سوى القليل من الناس، وزار مناطق فيه لم تطأها قدم أوربية، وعرف، بفضل هدوئه ولطفه، كيف يكسب ثقة الشرقيين، الذين ينظرون إلى الأوربيين للوهلة الأولى نظرة شك وارتياب. ومع ذلك فقد شكلت الكمية الكبيرة من الصور الفوتوغرافية والرسوم، والأسطوانات، التي سجل عليها بعض اللهجات المحلية، في سوريا واليمن، إضافة إلى كمية كبيرة من النقوش اليمنية القديمة، شكلت جميعها مادة علمية قيمة، عن حياة الشرق الإسلامي. وقد إستقر معظم ماخلفه من صور ورسوم ونقوش واسطوانات في مكتبة معهد الدراسات الشرقية، وفي متحف الشعوب ببرلين. وتم نشر كمية من النقوش اليمنية، التي حملت إسم (بورخاردت) في مجلة (Orientalistischen Literaturzeitung)، في الفترة من 1907 وحتى 1909م.

قام بورخاردت برحلتين إلى اليمن، ولكنه لم يقدم في محاضرته، التي أشرنا إليها، سوى عرض لرحلة واحدة، هي الرحلة، التي قام بها عام 1891م. وفي عام 1909م قام برحلته الثالثة. ومكث لبعض الوقت في العاصمة صنعاء، حيث كرس عدة ساعات يومياً، مع مرافقه اليمني، الفقيه أحمد محمد الجرادي[1]، لاكتساب بعض المعارف العربية. فتلقى من الجرادي حكايات باللهجة اليمنية، دونها بالحروف اللاتينية، كما دونها بالخط العربي. وقد حصل أثناء وجوده في صنعاء، وهو يعد نفسه للإنطلاق في رحلة إلى بعض مناطق اليمن، حصل على دعم كبير من تاجر إيطالي، مقيم في صنعاء، هو جويسبي كابروتي (Giuseppe Caprotti)، الذي كان يتمتع بحب الأهالي ويعطف على بورخاردت. وقد حظيت خطة الرحلة باستحسان ودعم الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، الذي كان في ظل السلطة العثمانية هو الحاكم الفعلي لبعض مناطق شمال اليمن، ثم أصبح بعد الحرب العالمية الأولى حاكم اليمن المستقل. وضمن مخلفات بورخاردت عُثر على رسالتين من الإمام يحيى. الأولى مؤرخة في 14 جماد الأول 1327هـ (3يونيو1909م). وهي عبارة عن رسالة حماية. ونصها:

"الخواجه هرمان بوخرت الماني ذاهب الى حجة في حماية الله سبحانه وأمانه فلا يُعترض من أحد فليُعلم هذا بتاريخه 14 جمادي الأولى سنة 1327هـ".

أما الرسالة الثانية، فمؤرخة في 11 جماد الثاني من العام نفسه (1يوليو1909م). وهي عبارة عن رسالة شكر موجهة إلى بورخاردت على المنظار، الذي أهداه للإمام، ووصفه الإمام بالعجيب الغريب. ونصها:

"مطيع الإسلام المكرّم هرمان بوخرط عافاه الله واصلح شانه هذه صحبة الحاج الاجل على بن يحيى عافاه الله نشكر لكم جميل ماصنعتم من الإرسال بالناظور العجيب الغريب الذي لم نر مثله وذلك من حسن صنعكم وحرزنا هذا معاهدة لكم ونسال الله التوفيق وحسن الختام وحرر في 11 جمادي الاخرة سنة 1327هـ" (أنظر نص الرسالتين في الملحق).

(1) أطلق الفقيه أحمد محمد الجرادي على نفسه، في مادونه عن وقائع الرحلة، التي رافق فيها الرحال بورخاردت، أطلق على نفسه وصف (كاتبه) أي كاتب بورخاردت.

ومن الملاحظ أن إسم بورخاردت قد كتب في الرسالة الأولى (بوخرت) وفي الرسالة الثانية (بوخرط). وهذا أمر مألوف في الأسماء الأجنبية، إذ تعتمد كتابتها على الكيفية، التي يصل فيها الإسم إلى أذن المستمع.

أما كيف تمكن من التواصل مع الإمام يحيى، وهل قابله، وأين قابله، إن كان قد تمكن من مقابلته؟ فهي تساؤلات لم نعثر على إجابات عليها. وإن كانت الرسالة الثانية، التي بعث بها الإمام يحيى إلى بورخاردت، تدل على أن التواصل قد تم عن طريق شخص وسيط. وقد صادف مجيء بورخاردت إلى اليمن، عام 1909م، وجود والي تركي، هو حسن تحسين باشا، الذي عرف بتسامحه وحسن تعامله مع اليمنيين، وبسماحه للإمام يحيى بتعيين القضاة الشرعيين في بعض المناطق الشمالية، التي كان الإمام يتمتع بنفوذ فيها. وقد أثمرت هذه السياسة حالة من الإستقرار والأمن، كانت مفقودة قبل مجيئه، ولاسيما في عهد سلفه، الوالي أحمد فيضي، ثم فقدت بعده، وعلى وجه الخصوص في عهد الوالي محمد علي باشا، الذي عين عام 1910م. إذ أدت سياسة البطش والتنكيل، التي إنتهجها الوالي محمد علي إلى عودة الإضطراب وتجدد القتال، بين أتباع الإمام وبين القوات التركية، وحوصر الوالي داخل أسوار صنعاء، من يناير حتى أبريل عام 1911م. ولم يتم فك الحصار إلا بوصول حملة عسكرية تركية كبيرة، على رأسها عزت باشا، الذي نجح في فك الحصار، في أبريل 1911م، ثم تمكن من عقد (صلح دعان) الشهير، بين الإمام يحيى والدولة العثمانية.

في التاسع من نوفمبر 1909م إنطلق بورخاردت من صنعاء، في رحلته الأخيرة. فاتجه إلى قعطبة، ومنها إلى تعز ثم المخا، حيث إنضم إليه نائب القنصل الإيطالي. وعاد إلى تعز ومنها، إلى جبلة ثم إلى إب، عن طريق الحوبان وذي سفال والسياني. ومن إب توجه إلى العدين، عن طريق مشورة، وهبط النقيل المؤدي إلى العدين. وبعد أن تجاوز هو ومرافقيه وادي الدور، هجم عليهم بعض قطاع الطرق ببنادقهم، فقتل بورخاردت ونائب القنصل الإيطالي وجرح بعض مرافقوه. ولم يصل إليهم أهالي العدين، كما ذكر كاتب الرحلة، الفقيه أحمد الجرادي، إلا بعد ساعة، فقبروا بورخاردت ونائب القنصل بملابسهما، وأخذوا أغراضهما إلى المركز الحكومي بالعدين، ثم سلمت بعد ذلك إلى قائم مقام قضاء إب. وقد نُبش قبرا القتيلين فيما بعد ووُضِع جثماناهما في صندوقين حُملا مع أغراضهما إلى صنعاء.

وهكذا قتل الرحال هرمن بورخاردت، كما قتل قبله إثنان من الرحالة الأجانب، وهما سيتزن ولنجر، اللذان سبق لنا أن ترجمنا رحلتيهما إلى اليمن، واللذان إنتهى بهما شغفهما في دراسة واستكشاف مجاهل اليمن والتعرف على جغرافيته وتاريخه ومجتمعه وبيئته الطبيعية، إلى النهاية المأساوية، التي إنتهى إليها بورخاردت. وكان بورخاردت قد بلغ من العمر إثنين وخمسين عاماً، عندما لقي مصرعه قرب وادي الدور. ويرجع الفضل في حفظ تفاصيل الرحلة الأخيرة هذه، لهرمن بورخاردت، يرجع إلى مادونه الفقيه أحمد محمد الجرادي عن وقائعها، يوماً بيوم.

ولما عاد الجرادي إلى صنعاء، طلب منه صديق بورخاردت، الإيطالي (جويسبي كابروتي)، أن ينسخ له نسختين مما دونه عن الرحلة، فلبى الجرادي طلبه. وقام الإيطالي كابروتي بإرسال نسخة، إلى برلين، لضمها إلى المواد، التي جمعها بورخاردت أثناء رحلاته، والنسخة الأخرى بعث بها إلى مكتبة الأمبروزيانا، في مايلاند بإيطاليا. ولكن النسختين لم تأتيا متطابقتين. فقد كان الجرادي أثناء النسخ يسجل معلومات فاتت عليه في يومياته، فيضيف ويصحح وينقح. لهذا جاءت النسختات مختلفتين، بشكل ملحوظ. كما بدا في النسخة، التي إستقرت في الأمبروزيانا، نافذ الصبر، مما جعل تلك النسخة أقل تفصيلاً من

النسخة، التي إستقرت في برلين. مما يدل على ان نسخة برلين هي النسخة الأولى، حيث نسخها بعناية أكثر، ثم أصبح أكثر إستعجالاً أثناء نسخه للنسخة الثانية. وهذا هو التفسير، الذي توصل إليه المحقق متفوخ، وهو يراجع النسختين، ويقف على مافيهما من تباين.

وقبل ان انهي هذه المقدمة، لابد أن أنبه القارئ إلى أمرين: أولهما أن جميع الهوامش، هي هوامش مضافة من المترجم، سواءً منها هوامش النص المترجم، او هوامش النص، الذي دونه الفقيه احمد محمد الجرادي، عن مسار الرحلة الأخيرة لبورخاردت وتفاصيلها. وثانيهما أن النص، الذي كتبه الفقيه أحمد محمد الجرادي، يحتوي على أخطاء إملائية وكلمات وتعبيرات باللهجة الصنعانية المتداولة، كما لم يتضمن علامات فاصلة، بين العبارات، ولاعلامات وقف، ولم يرتب في فقرات. وقد أوردته في الملحق كما كتبه الفقيه الجرادي تماماً، مراعاة للأمانة العلمية، ولوضع القارئ أمام أسلوب الكتابة وطريقة التعبير، السائدة في الزمن، الذي كتب فيه النص.

عرض موجز لرحلتي إلى اليمن[1] هرمن بورخاردت

ليس جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية أرضاً قاحلة جدباء، تغطيها الرمال والحصى. فاذا صح هذا على وسطها، فإن بعض مناطقها الساحلية قد عُرف منذ القدم كأراض زراعية منتجة. والجزء الجنوبي الغربي (العربية السعيدة) منطقة صدّرت توابلها وبخورها إلى جميع أنحاء العالم المعروف في ذلك الحين. هذا الوضع، إضافة إلى الطقس المعتدل، الذي يسود هضابها العالية، منحاها الإسم الذي ذكرناه، وهو العربية السعيدة. وقد كان جنوب غرب شبه الجزيرة، أي اليمن، منذ القدم وحتى العصور الوسطى ممراً تجارياً رئيسياً للسلع القادمة من الهند، التي كانت تسلك طريقاً برياً طويلاً، من عدن عبر صنعاء فمكة فالمدينة إلى سوريا، كان يُفضّل على الطريق البحري، الشديد الخطورة، عبر البحر الأحمر. وفي زمن متأخر، بعد أن عُرف الطريق البحري حول رأس الرجاء الصالح، وكذلك بعد أن أصبحت عدن ميناءً حراً مزدهراً، تحت الحكم البريطاني، في التاريخ المعاصر، تحولت الطرق العالمية عن اليمن.

ولم يعد يأتي إلى الحديدة، ميناء اليمن الوحيد، إلا بعض السفن التجارية، التابعة لخط المواصلات المصري في البحر الأحمر، وبعض سفن النقل التجارية التركية، إضافة إلى سفن بخارية محلية صغيرة، تأتي من عدن. وأما اللحية الواقعة في شمال الحديدة، فليست سوى قرية صيادين صغيرة. والميناء الذي كان حتى القرن الماضي ميناء اليمن الرئيسي، وهو المخا، لم يعد يسكن فيه سوى بضع مئات من السكان، بعد أن كان عدد سكانه يتراوح بين ثلاثين واربعين ألف نسمة، ولم تعد ترسو فيه أية سفينة. والأهمية القديمة لهذه البلاد هي التي شدت إليها أطماع المحتلين. فقد احتلها الأحباش مراراً، ثم الفرس. وفي زمن محمد[2] أصبحت تابعة لمكة. وفي عهد السلطان صلاح الدين تم احتلالها بواسطة أخيه[3]. ثم احتلها السلطان سليم الأول. وبتوجيه من الباب العالي إحتل محمد علي في عشرينات القرن الماضي، بواسطة إبراهيم باشا، المناطق الساحلية. وفي عام 1871م، تمكن الأتراك، بقيادة مختار باشا، بعد معارك طويلة في المناطق الجبلية، من الوصول إلى صنعاء، ثم توسيع منطقة سيطرتهم حتى صعدة، ولأن الحفاظ على المناطق المتوحشة في شمال اليمن لا يمكن أن يتم إلا بتضحيات

(1) محاضرة ألقيت في الجمعية الجغرافية ببرلين، في 5 يوليو1902م، ونشرت في مجلة الجمعية.

(2) يقصد الرسول محمد، عليه الصلاة والسلام.

(3) يقصد توران شاه، الذي إحتل اليمن عام 1172م.

كبيرة، بالمال والرجال، وبناء عدد هائل من المباني. فقد تخلى الأتراك عن صعدة وانسحبوا إلى حجة والقفل kufl. وقد شن أحد أنجال الإمام الذي حكم سابقا اليمن كله، شن في الشمال حربا مقدسة (جهاد) متصلة ضد الأتراك. ومعظم سكان اليمن هم من الزيود (شيعة) ويعتبرون الأتراك غير مؤمنين[1] ولا يعترفون بالسلطان التركي كخليفة. فمثلاً يسمي الإمام في صعدة نفسه (أمير المؤمنين) ويسك عملته الخاصة، من الفضة والنحاس. ويمتد حالياً نطاق سلطة الباب العالي تقريباً إلى حجة والقفل في الشمال، والى مسافة بضع ساعات خارج صنعاء وعمران في الشمال الشرقي، وإلى مسافة نصف يوم سفر من رداع في الجنوب الشرقي، والى خط الجليلة - المخا، في الجنوب . ولكن حتى في هذه المناطق ليس من السهل على الأتراك تحصيل الضرائب.

وبين منطقة الحكم التركي ومنطقة الحكم البريطاني توجد مناطق صغيرة مستقلة كلياً، أهمها سلطنة لحج.

وما من شك في أن سلطة الباب العالي كان يمكن أن تصبح أكثر قوة ورسوخاً، لو أنه قد تم شق طرق مواصلات جيدة ، ولكن مع الأسف لم يتم شيئ في هذا المجال.

وتمتد خطوط التلغراف على النحو التالي : الحديدة - اللحية، والحديدة- باجل- مناخة- صنعاء، والحديدة- بيت الفقيه- زبيد - حيس- المخا- تعز. ويجري الآن مد خط اللحية - القنفذة - جدة.

وبعد أن ينجز هذا الخط، سوف يصبح لدى الباب العالي خطه التلغرافي الخاص، الذي يصل من اسطنبول إلى اليمن. وعندها سوف تكلف الكلمة 2 بياستر (40فنجا)، بدلاً من الكلفة الحالية، وهي ثلاثة فرنكات.

(1) هذا تصور غير صحيح. فالزيدية من أكثر الفرق الإسلامية عقلانية، ولاتكفر أحداً من المسلمين المخالفين لمذهبها.

وتجبر الشعاب المرجانية السفن على الرسو بعيداً عن الشاطئ بحوالي 4- 5 كيلو مترات. وتستغرق عملية الشحن والتفريغ من ساعة إلى ست ساعات، بحسب حالة الرياح، إذا كانت مواتية أو غير مواتية. وتجهيزات الميناء[2] سيئة للغاية، مما يؤدي غالباً إلى تلف البضائع أو إلى ضياعها كلياً .

والحديدة هي أهم المدن على البحر الأحمر. ويسكن فيها، وفي المساكن الواقعة خارج أسوارها حوالي أربعين ألف نسمة. والطقس فيها حار جداً، وتعتبر درجة الحرارة 26 سنتجريد في الظل، خلال وجودي في شهر ديسمبر، درجة منخفضة بصورة غير عادية. ومما يلفت نظر من يعرف الشرق، نظافة الشوارع، نظافة غير عادية. وحول وضع المياه السيئ في الحديدة سمعت الكثير من المبالغات، فإذا أراد الشخص أن لا تصيبه الحمى فلابد أن لايشرب الإماءَ مغلياً. ولكن المقيمين هنا من الأوربيين يرون بأن الحالة الصحية هنا أفضل بكثير مما هي عليه في عدن أو مصوع. ويعزون هذا إلى عدم توفر الثلج في الحديدة، كما أن الثلج في مصوع يستخدم بطريقة سيئة جداً.

وأهم سلعة يتم تصديرها من اليمن هي بالطبع البن. وأفضل أنواع البن لا يصدر أبداً إلى أوربا. ففي عدن يتم خلط البن اليمني بأصناف البن السيئة، القادمة من الحبشة. وحتى البن الأمريكي يؤتى به إلى عدن لهذا الغرض. وفي الغالب لا يشرب سكان اليمن البن، بل يفضلون شرب القشر (نقيع قشرة البن)[3]. ويتم تحضيره على النحو الآتي: يضع المرء قشرة البن في إبريق مصنوع من الطين، يسمى جَمَنَة، مملوء بالماء. ثم يضعه على النار ويتركه حتى يغلي الماء. وتغطى فوهة الجمنة بربطة صغيرة من أغصان الشجر الجافة، التي عند صب الماء المغلي تمنع خروج القشرة. وتكون الجمنة دائماً جاهزة كالسموفار[4] في روسيا.

(2) يقصد ميناء الحديدة.

(3) قشر البن يُغلى ولا ينقّع.

(4) وعاء يشبه الدلة، يغلى فيه الشاي.

وقد استأجرت لرحلتي إلى صنعاء سبع بغال، لمدة ستة أيام سفر متواصلة، مقابل تسعة ريالات ونصف لكل بغل،. والريال(ريال ماريا تيريزا) هو العملة الغالبة في اليمن، ويساوي حالياً، وفقاً لمحتواه من الفضة، فرنكين ونصف الفرنك فقط. ولأن القطع الصغيرة من العملة التركية نادرة، فإنها توجد قطع العانة والعانتين الهندية بكثرة.

وأول مكان للمبيت هو في العادة قهوة حق اليابر[1] Kave Hokk El Yabir ، التي تبعد مسافة أربع ساعات من الحديدة، وتقع في تهامة. وتهامة هو الإسم الذي يطلق على المنطقة الساحلية غير الصحية، الواقعة بين الجبال والبحر. وتتكون المقهاية من كوخ واحد، مبني من فروع وأغصان الشجر ومغطى بالحشائش، التي تصد الشمس والأمطار، ولكنها تسمح للهواء بالمرور. والأثاث الوحيد في المقهاية هو ما يسمى بالقعادة، وهي عبارة عن مقعد طويل القوائم، مصنوع من الخشب ولحاء النخيل.

وتهامة إلى هذا المكان، الذي نحن فيه، عبارة عن سهل رملي، مغطى بالأحراش القصيرة. ولا تظهر بعض الأشجار المتفرقة وحقول الذرة. الاقرب قرية دير بن حميد. أما المحطات التالية فهي:

باجل: وهي منطقة سوق كبير، ترتفع عن سطح البحر بمائتي متر، وتقع وسط سهل خصيب، وهي مركز حكومي. يستقر فيها قائم مقام[2] ووحدة عسكرية ومركز بريد وتلغراف.

حجيلة (تبعد تسع ساعات من باجل). وهي مديرية بريد وتلغراف، ومناخها غير صحي. ويصل إليها البريد، بين الحديدة وصنعاء، مرة كل أسبوع بانتظام ، ويستغرق في الطريق يومين ونصف إلى ثلاثة أيام. ويُحمل إليها على ظهور الجمال. وتمتد تهامة من البحر إلى حجيلة.

وتبدُأ المنطقة أمامنا تأخذ شكل تلال، وفي أعاليها تنتصب البيوت في كل مكان. إذ أن اليمنيين يفضلون السكن في القمم العالية[3].

مقهاية الواصل: (إرتفاعها حوالي 1200متر عن سطح البحر) والجو هنا يميل إلى البرودة. وتختفي أكواخ تهامة، التي ينفذ من خلالها الهواء، لتحل محلها المنازل الحجرية المتماسكة. وعلى ارتفاع 1400 متر عن سطح البحر تبدأ أشجار البن في الظهور. والمنطقة هنا مزروعة زراعة جيدة وحقولها آخذة شكل المدرجات. كما هو الحال في لبنان. وعلى ارتفاع 1800متر توجد قرية عتّارة. التي كانت سابقاً مقراً للملك الداعي (الإسماعيلي)[4]. وتقع على بقعة صخرية، يصعب الوصول إليها، ولم يتمكن الأتراك من قهرها إلا با ستخدام الحيلة. وقد عمد الملك الداعي إلى استغلال السكان في المنطقة مستخدماً الدين. فأخذ يبيعهم أماكن في الجنة، مقابل مبالغ كبيرة من المال، وقايضهم بقطع من الأراضي في الجنة، مقابل أراضي في هذا العالم.

بعد ذلك تأتي مناخة، على ارتفاع 2100متر. وهي أهم منطقة، من المناطق الواقعة بين الحديدة وصنعاء. ولأهمية موقعها يوجد فيها موقع عسكري، مكون من ثكنة عسكرية ضخمة ومباني حكومية ومكتب بريد وتلغراف. ويبلغ عدد سكان مدينة مناخة الصغيرة خمسة آلاف

(1) من الواضح أن بورخاردت قد دون إسم المقهاية بحسب السمع. ولعل إسمها هو قهوة جابر أو مقهاية جابر.

(2) يكتب هذا المنصب الإداري بطريقتين (قائممقام) وهي الطريقة الشائعة، وقد تُقلب الهمزة ياءً، و(قائم مقام). وأفضل إستخدام الطريقة الثانية، إلا في حالة النقل النصي، فإني ألتزم بالطريقة التي إعتمدها كاتب النص.

(3) كان اليمنيون يبنون مساكنهم على التلال الصخرية وعلى قمم الجبال العالية لسببين: أولهما وأهمهما الحرص على الأراضي الزراعية والمحافظة عليها، وهو مالم يعد يراعيه يمنيو هذا الزمان. وثانيهما لدواعي أمنية.

(4) قرية عتّارة. إنطلق منها ومن حصنها، حصن عتّارة، الدعاة الإسماعيليون من آل شبام، ومنهم الحسن بن إسماعيل شبام. أما الملك الداعي الإسماعيلي، فهو لقب، أطلق غالباً على مؤسس الدولة الصليحية، الملك على بن محمد الصليحي، الذي إنطلق في دعوته من حصن مسار في حراز. أنظر: نوفل، حمود زايد، إسماعيلية اليمن السليمانية. رسالة ماجستير.

نسمة، بينهم كثير من اليهود. ومن الغريب، أن اليهود لا يوجدون في قرى ومدن تهامة، في حين انهم يوجدون حتى في القرى الصغيرة في مناطق الجبال.

وبعد مناخة هبوطاً يُلاحظ إختلاف كبير في مقدار الإرتفاع عن سطح البحر، فا لطريق تتجه نحو الأسفل إلى حوالي 1300متر عن سطح البحر. وتمر الطريق بقهوة أحمد باشا، ثم تمتد إلى سوق الخميس (2200متر عن سطح البحر)، الذي يبدو في وضع بائس. وليس فيه سوى بيوت قليلة. وتتسع الطريق عبر منعطفات، وترتفع شيئاً فشيئاً، لتصل في أعلاها إلى إرتفاع 3000متر. ثم تبدأ با لإنخفاض، نحو متنه أو سوق سنان باشا(2400متر)، ويتخللها جسران حجريان جميلان. ومتنة أو سوق سنان هي عبارة عن منطقة صغيرة . ورغم ذلك فيها موقع عسكري ضخم، مكون من ثكنتين ومخيم. وتعتبر هذه المنطقة سيبيريا اليمن. فدرجة الحرارة في الصباح تبلغ 5 درجات سيلزيوس فقط. وقد وجد خادمي الدمشقي صعوبة في إخراج المكاري[1] والخادم الذي أخذناه من الحديدة. إخراجهما من كيسي نومهما. وعادة ما يصطحب اليمنيون معهم كيساً من القماش المتين، يدخلون فيه ويربطون فتحته من الداخل. ليحموا انفسهم من البرد والحشرات.

ومما يلفت النظر في قرية Min[2] وجود قبر. هوعبارة عن حُجْرة، نحتت داخل صخرة منعزلة، ويشبه ما يصادفه المرء في بعض المناطق في سوريا.

بعد ذلك إنفتح أمامنا منظر وادي صنعاء الواسع. وعند الظهيرة وصلنا الباب الغربي، حيث سجل حرس الباب دخولي. وقد استغرق الطريق، عبر حي اليهود الواسع وحي الأتراك، بير العزب، حوالي نصف ساعة إلى المدينة العربية الحقيقية. وتطوع الأوربي الوحيد في صنعاء، السنيور كابروتي Caprotti Signor، فأخذني الى سمسرته. لقد بلغه قدومي، فقام باستئجار منزل لي. وكان منزلاً مبنياً على الطريقة التركية ومكوناً من طابقين، كل طابق فيه غرفة كبيرة، لها أربع نوافذ، وغرفتان صغيرتان، في كل منهما نافذة واحدة، وفي الأسفل مطبخ وإسطبل وحديقة. وكان الإيجار الشهري 16M[3].. أما الأثاث فكان بسيطاً للغاية. فقد مدت بعض الحصر وفوقها بعض المفارش. وكانت توجد في الديوان منصة من الطين ووسائد. وقد طلبت من رجل يهودي أن يجهز لي ستائر للنوافذ.

والإجراءات القضائية هنا سريعة. فعندما سرق مني شاب قطعة قماش، صدر عليه حكم القاضي في اليوم التالي، بإيداعه السجن لمدة عام. ولاستكمال الأثاث قمت بشراء بعض الكراسي وطاولة، وما هو أكثر ضرورة من ذلك، وهي اللمبات وأواني المطبخ. وكان السعر مرتفعاً، بسبب صعوبة النقل وتكاليفه العالية وتحطم الكثير من المواد، في حالة إهمال المكاري.

وكان الوالي حلمي باشا، الذي سلمته كتاب التوصية من ميتيليني Mytilini، يتحدث الفرنسية بطلاقة. كما يتحدث اليونانية والعربية. وقد بدأ عمله الرسمي منذ مطلع شبابه، لذا فهو يعرف كل نقاط الضعف لدى الموظفين، ويلاحق بلا هوادة كل الممارسات الجائرة والفاسدة، مما يعرضه للمخاطر، فقد أطلق عليه قائم مقام النار، قبل بضعة أشهر. لأنه عزله من منصبه.

ويرى الوالي حلمي أن خطاً حديدياً من الحديدة إلى صنعاء، عبر وادي صنفور Sanfur، سيدر عائداً مالياً طيباً. أما الآن فان النقل شاق. كما ذكرت، وفي المواسم سيئة المحصول يصبح كل شيء مكلفاً جداً. ولكن الأسعار تتدنى في السنوات جيدة المحصول. وسبب هذا التباين أن إيجاد حالة من التوازن، عن طريق الإستيراد والتصدير، أمر غير ممكن.

(1) الشخص الذي يؤجر حيوانات الركوب (الحمير والجمال)، وعادة ما يرافق الركّاب، ليعود بها في نهاية السفر.

(2) لعلها قرية مند.

(3) لعله يقصد ماركاً ألمانياً.

وقد زرت المشير أيضاً في الثكنة العسكرية الكبيرة بباب اليمن. وتتكون الفرقة السابعة، الموجودة في اليمن، من 40 إلى 45 كتيبة، منها 4 إلى 5 كتائب في صنعاء. والخدمة العسكرية في اليمن تخيف الجنود الأتراك، لما فيها من مشقة ومخاطر. ولذا تخفض خدمة العلم العسكرية في الجيش التركي، ومدتها خمس سنوات. تخفض إلى ثلاث سنوات، في حالة أداء الخدمة في اليمن.

وتعتبرصنعاء، وهي عاصمة اليمن، تعتبر أقدم مدينة في العالم. وقد أنشأها نوح. وتقع على بعد حوالي مائتي كيلومتر من الساحل. ويبلغ إرتفاعها عن سطح البحر 2250 مترا . وتقع على خط العرض خمسة عشر ونصف درجة شمالا. وبسبب إرتفاعها، فإن مناخها، رغم قربها من خط الاستواء. أشبه بمناخ وسط إيطاليا. وفي حدائقها لاتزال توجد بعض أشجار النخيل، ولكن ثمارها لا تنضج. كما توجد فيها كل فواكه وخضروات المنطقة المعتدلة. كالتفاح والمشمش والسفرجل والجوز والرمان والعنب والبطاطس والملفوف والفاصوليا وغيرها.

وبناءً على إرادة سلطانية. فإن استيراد وصناعة المشروبات المسكرة في اليمن محظور. ومع ذلك فإن اليهود يصنعون نبيذاً رائعاً للغاية وعرقاً ممتازاً. يشاركهم في احتسائه أيضاً أناس مؤمنون من غير دينهم. ويبلغ عدد سكان صنعاء خمسين ألف نسمة. وتنقسم إلى ثلاثة أجزاء:

1. المدينة العربية: ويوجد فيها السرايا[1] ومعظم المدارس والمساجد الكبيرة والمقاهي والأسواق والسماسر[2]. وهذه السماسر هي عبارة عن مباني ضخمة، تتم فيها الأعمال التجارية الكبيرة. وكل منازل هذه المدينة تقريباً بنيت على الطراز العربي. ويبنى المنزل إما كله من الحجارة، أو تبنى الطوابق السفلى من الحجارة. والطابق العلوي من الياجور. ولها مشربيات كثيرة، ذات أنماط مختلفة. وفي جدران الغرف فتحات صغيرة، فيها مصاريع خشبية للإغلاق. والمشربيات المذكورة. مزينة فتحاتها من الداخل بقطع من الزجاج الأصفر والأزرق. وفي الجزء الأعلى من الجدار توجد نوافذ مستديرة. ولكنها مزودة، بدلاً من الزجاج، بصفائح من الرخام الرقيق. وعبر الرخام والزجاج الملون، تعطي المشربيات والنوافذ للغرف ضوءاً خافتاً مريحا.
2. الضاحية الممتدة المسماة بير العزب: (بير الماء العذب)[3] يسكنها كبار الموظفين والعسكريين الأتراك، وبيوتهم في الغالب محاطة بالحدائق.
3. حي اليهود: وله سوقه الخاص. ويسكنه حوالي 6 إلى 7 آلاف يهودي. يتكسبون من العمل كحرفيين وحمّالين، ومنهم تجار صغار وخدامون. أما الأغنياء منهم فقد هاجروا إلى فلسطين.

ومدينة صنعاء محاطة بسور مبني من الطين (اللبن). له ثلاثة أبواب كبيرة: باب اليمن في الجنوب وباب شعوب في الشمال وباب Ga El[4] في الغرب. ولم يحتفظ بطابعه العربي الواضح سوى هذا الباب الأخير. وفي الشرق على مقربة من المدينة يرتفع جبل نقم 2950متراً فوق سطح البحر، وعلى قمته توجد قلعة يرابط فيها خمسون جنديا تقريبا.

(1) مسكن الوالي.

(2) جمع سمسرة.

(3) هكذا فسر بورخاردت معنى إسم (بير ا لعزب) . ولم أجد هذا المعنى في أي مصدر.

(4) هكذا ورد إسم هذا الباب. وقديكون الإسم المقصود (باب القاع، أو باب الجاع، باللهجة الصنعانية) . ولم يرد هذا الإسم في مكان آخر. وقد أورد كارستن نيبور، في سياق وصفه لمدينة صنعاء أسماء أربعة أبواب كبيرة، وهي: باب اليمن وباب السبحة وباب شعوب وباب إستران . كما أورد أسماء ثلاثة أبواب صغيرة، وهي باب شرارة وباب حديد وباب فجير. وأورد الأستاذان حسين العمري ويوسف عبد الله، في الموسوعة اليمنية، (مادة صنعاء) أسماء أربعة أبواب رئيسية، وهي باب اليمن وباب شعوب وباب السبحة وباب ستران. ثم أضافا ، أن بقية الأبواب، مثل باب خزيمة وباب الشقاديف، أبواب محدثة، حينما أحدث حي بئر العزب.

وتوجد في صنعاء مؤسسات عامة هي: مدرسة عسكرية ومدرسة مدنية ومدرسة صناعية. يتعلم فيها الفقراء العرب بعض الصناعات اليدوية. ومستشفى عسكري ومستشفى مدني كبير. تعمل في قسم النساء، التابع له، ممرضات يهوديات. كما توجد صيدلية مدنية أيضاً. ومن الغريب أن الصيدلية تبقى نظيفة دائماً، ويمكن الحصول فيها، إلى جانب الأدوية، على مياه معدنية، من نوع فيشي وبلين. ويعطى الفقراء الدواء مجاناً، بموجب وثيقة تمنح لهم من البلدية. وفي صنعاء مطبعة. تُطبع فيها صحيفة (صنعاء) باللغتين، العربية والتركية. والحياة في صنعاء ماتزال أكثر هدوءاً بكثير، من مدن الشرق الأخرى. فبعد غروب الشمس، نادراً ما يغادر المرء منزله. أما الضباط والجنود فإنهم يمنعون من ذلك رسمياً.

وللتخلص من الملل في شهر رمضان قررت القيام برحلة عبر المناطق المختلفة. وزودني الوالي بمرافقين، أحدهما باشت شاويش Baschtschauwisch (جاويش) الجندرمة والآخر ظبطية من أبناء اليمن، جعله الوالي مسؤولاً عن سلامتي الشخصية، ووجهه بشدة بأن لايأخذني إلى المناطق غير المأمونة. ولأنني لم آخذ معي سوى الأغراض الضرورية. فقد اكتفيت باستئجار ثلاث بغال من الشوتري Schauteri، وهو الإسم الذي يطلقه اليمنيون على مالكي حيوانات النقل. وهم عادة من الأغنياء. الذين، بطبيعة الحال، لايرافقون حيواناتهم، بل يكلفون بذلك سيّاق Seijak الحيوانات. ويتقاضى السيّاق مبلغاً محدداً، مقابل مدة الرحلة، أو مقابل كل يوم، بما في ذلك قيمة العلف ونعال البغال. كان اتجاه رحلتي نحو الشمال الغربي. ومررت بالقرب من مدينة الحدائق، الروضة. التي تبعد مسافة ساعة ونصف عن صنعاء. وعبر أراضي بركانية وصلت بعد عشر ساعات إلى مدينة صغيرة وقديمة، لها سور وأبراج. إسمها عمران. وهي مقر قائمقام، وفيها حامية عسكرية. وقد تسبب هطول الأمطار فيها، قبل بضعة أشهر، في تدمير كثير من منازلها، بما في ذلك معظم المقاهي. ولذا قضيت ليلتي في منزل بحي اليهود. خارج أبواب المدينة. ومن عمران إلى مسور Musvar كانت الطريق وعرة جداً وتمتد عبر مرتفعات شاهقة، لم أتمكن من تحديد إرتفاعها، بسبب تحطم آلة قياس الإرتفاع. ومسور نفسها قرية غير ذات بال. والحي العربي فيها يتكون من عدد قليل من المنازل، أما الحي اليهودي المنعزل، وفيه السوق، فهو أكبر. وعلى المرتفعات المحيطة ينتصب عدد من المنازل.

ولما كانت الأنباء القادمة من حجة غير مطمئنة، فقد امتنع الباشت شاويش عن تحمل مسؤولية الذهاب إلى هناك. لهذا قررت، بدلاً عن ذلك، التوجه إلى شبام وكوكبان. فرجعنا على نفس طريق عمران، لمدة ثلاث ساعات تقريباً، ثم انعطفنا نحو اليمين، عبر وادي مرارة الحمام Mararet El Hamam، على طريق تبدو قديمة، منحوتة على الصخور، حتى وصلنا شبام. وهي مدينة صغيرة محاطة بسور، متصل من جهة الشرق بكتلة صخرية عالية. شديدة الإنحدار. على رأسها مدينة كوكبان. وفي الصخر نحتت كهوف. كان بنو حمير يستخدمونها سكناً لهم[1].

وبعد خمس وأربعين دقيقة من الصعود بلغنا كوكبان. وعلى هضبة واسعة. مفتوحة على كل الجهات، تنتصب بيوتها الكثيرة، التي تتسع لثلاثين ألف ساكن، ومعظمها بيوت فخمة. ولكن كان كل شيئ فيها يبدو خاوياً، وكما لوأنها قد امتدت يد الموت إليها. ولم يكن يوجد في المدينة أكثر من مئة شخص، مع أن المساجد الكبيرة المتهدمة تشهد على ماض عظيم.

---

(1) لم يُعرف عن الحميريين أنهم سكنوا في كهوف. وقد يصح القول أنهم نحتوا كهوفاً في الصخور، مقابر لموتاهم.

ولكي أعود إلى تهامة، كان لابد أن أسلك طريق العروس وسوق سنان باشا إلى باجل، ومن باجل تحولت باتجاه الجنوب إلى المراوعة ثم بيت الفقيه. التي هي مدينة غير مسورة، وفيها سوق كبير، وتتداخل منازلها، المبنية بالياجور. تتداخل مع أكواخها، ولا توجد فيها بيوت مكونة من أكثر من طابق واحد، وذلك بسبب الإعتقاد السائد بين الناس بأن الولي الشيخ أحمد بن موسى عجيل، الذي يقع قبره على مقربة من المدينة ويمثل مزاراً للأهالي، لايسمح ببناء منازل مكونة من أكثر من طابق، وأن كل منزل يبنى من طابقين أو أكثر، لن يلبث أن ينهار. ومن الملفت للنظر أن منارة المسجد وحدها هي التي ترتفع عالياً. وتبد والأرض في هذه المنطقة مزروعة بعناية فائقة، وتنتشر فيها حقول الذرة والقطن والنيلة. كما أن بعض القرى تبدو جميلة، وكأنها تقع وسط حدائق غناء.

أما مدينة زبيد فليس فيها سوى قائم مقامية، مع أنها ثالث أكبر المدن اليمنية. وعدد سكانها يبلغ بالتأكيد عشرين ألف نسمة، ويوجد فيها حتى بعض الصناعات. فالقطن الذي يحاك فيها يُسوّق إلى جميع أنحا اليمن. وأبرز مساجدها المسجد الجامع[1].

ولأن مرافقيّ أرادوا قضاء عيد الفطر في تعز. فقد إتجهت مباشرة إلى هناك، عبر حيس وجباء وسوق الرماده، الذي يقع في منطقة خصبة جداً، مليئة بغابات النخيل. ورغم أن مدينة تعز أقل سكاناً وصناعة من زبيد، إلا أنها مركز متصرفية، والمناطق التابعة لها هي أكثر أهمية من المناطق التابعة لزبيد. ويوجد في تعز حامية عسكرية كبيرة ومكتب بريد وتلغراف. وسمعتها، كأكثر مدينة يمنية غير صحية، ترجع إلى موقعها وإلى إنعدام النظافة فيها، إنعداماً لامثيل له. ويشهد سورها الكبير الملتف، الذي يمتد إلى جبل صبر، كما تشهد كثرة أطلال المنازل، ومساجدها الفخمة، التي ماتزال قائمة، مثل جامعي المظفر و الأشرفية ومنارة إسحاق. تشهد جميعها على حجمها الكبير في الماضي.

وفي الثاني والعشرين من يناير دوت المدافع، معلنة إنتهاء شهر رمضان. وقد أقيم عرض كبير بهذه المناسبة، شارك فيه المدنيون والعسكريون. وبدوري قمت أنا أيضاً بزيارة تهنئة للمتصرف.

وتمر الطريق، عبر القاعدة إلى إب، بوديان خصبة، مزروعة بالقمح والنخيل والموز. وتنتشر أشجار العمق بأحجام كبيرة. ومدينة اب مقر قائم مقام. وهي مدينة صغيرة، يبلغ عدد سكانها حوالي أربعة آلاف نسمة. ومنازلها عالية ومتينة البناء، كمنازل صنعاء. وطرقها مرصوفة بالحجارة. ويزود مسجدها بالمياه، بواسطة مجرى مائي ممتد فوق قناطر، من خارج المدينة.

وفي مدينة يريم، التي وصلتها في اليوم التالي، يوجد أيضاً قائم مقام. وهي مدينة أكبر من مدينة إب. ولكن بيوتها ليست بمتانة بيوت إب. وقد تكونت، خارج سور المدينة، مستنقعات من مياه الأمطار، الراكدة في الحفر الصخرية الكثيرة. مما جعل المدينة غير صحية، إلى حد كبير. وتمتد الطريق إلى ذمار عبر منطقة جرداء، مملؤة بالحجارة. وقد قابلنا في الطريق أعداداً من بدو منطقة مأرب، يسوقون أمامهم جمالاً محملة بالملح، ويبدون أناساً أقوياء، لاينم مظهرهم عن أي أثر للتحضر، ولا ينامون تحت سقف قط، كما لايتناولون طوال نهارهم أكثر من خبز، صنع من عجين الذرة، الذي يغطى به حجر مدور، يقذف وسط النار ويترك حتى ينضج العجين و يصبح خبزاً. وعلى صخرة في الطريق توجد أثر قدم، تسمى دعسة علي، يمسحها البدو بالدهن، كتعبير عن الإحترام والإجلال.

ومدينة ذمار مدينة غير مسورة. وعدد سكانها حوالي إثني عشرألف نسمة. وهي مقر قائم مقام وجنرال، على رأس فرقة عسكرية. ويقع المعسكر الكبير والمستشفى العسكري خارج المدينة،

(1) جامع الجمعة Gamae El Gumaa، كما سماه بورخاردت.

على بعد عشر دقائق منها. وقد أكد لي الطبيب العسكري أنها توجد في الجوار مياه معدنية، كما توجد على قمم الجبال حمامات ساخنة.

وبعد مسير يومين ونصف، عبر منطقة معبر ووعلان، عدت إلى صنعاء، فوصلتها في 31 يناير1891. وفي الشمال الغربي على بعد أربع ساعات من صنعاء يقع وادي ضهر. وهو عبارة عن قاع منخفض، محمي من جميع الجهات، وتتوفر فيه المياه بكميات كبيرة، وحدائقه الغناء مليئة بمختلف نباتات المناطق شبه المدارية. وفي الأعلى تنتصب فوق الوادي آثار حصن قديم جداً.

وعلى بعد ساعة ونصف إلى الجنوب الغربي من صنعاء يقع وادي حدة، وهو وادي صغير، فيه نبع ماء غزير، إستفادت منه إدارة الجيش لتشغيل مطحنة.

وكما هو الحال في دمشق، يحتفل هنا ببعثة الحج، إحتفالاً كبيراً. ويشارك في الإحتفال المسؤولون المدنيون والعسكريون. ولايسافر على الطريق الشاق والطويل، ، إلى صعدة وعسير حتى مكة، إلا الفقراء من الناس، لأنه طريق غير مكلف مالياً. أما الأغنياء فيسافرون عبر الحديدة إلى جدة.

وفي بداية شهر مارس بدأت رحلتي إلى عدن. وقد استأجرت بغالاً إلى قعطبة، وهي آخر موقع جمركي تابع للأتراك. ولأن الرحلة إلى هناك سهلة، ولا يتوقع أخذ أحمال ثقيلة. فقد دفعت أجرة كل حيوان 15 ريالاً (30مارك)، وذلك للمدة التي ستسغرقها الرحلة، وهي سبعة إلى ثمانية أيام. وما كان يمكن أن يُطلب مني أكثر من هذه الأجرة، التي تعتبر أجرة عادية. وكان لابد من العودة إلى ذمار. ولكن قبل ذلك قمت بزيارة منطقة Menschije، التي تقع على بعد ثلاث ساعات إلى الغرب من معبر.

وفي ذمار تركت حيوانات الحمول وركبت باتجاه الشرق، نحو جبل حيدر لسي Haiderlesi[1]، الذي يوجد في قمته حمام مياه ساخنة . ويقع خلف قرية ورقة، بمسافة ساعة وربع الساعة تقريباً، وعلى بعد حوالي أربع ساعات، إلى أربع ساعات ونصف الساعة من مدينة ذمار. ويصعد المرء على طريق جبلي حاد الإرتفاع، مفروش بالحصى البركاني الأسود، الأشبه بالزجاج، ليجد نفسه في النهاية أمام فوهة بركانية هائلة، يبلغ قطرها 400متر، محاطة بسور عالي وعريض. وفي داخل حافتها العليا صهريج ماء دائري، مبطن بالإسمنت. ويتكون الحمام من بضعة شقوق، في جدار فوهة البركان، يتصاعد البخار منها باستمرار. وفي هذه الشقوق يندس المستحمون، لتسخن أجسامهم ويتصبب عرقهم.

وفي اليوم التالي توجهت شرقاً نحو رداع، ماراً بمحاذاة منطقة ملاح. لأصلها في ظهراليوم التالي. و رداع مدينة كبيرة ومهمة، وهي مقر لقائم مقام. ويطل على المدينة حصن، مبني على مرتفع صخري. وفي رداع عدد من المساجد، التي كانت في الماضي مساجد فخمة. ولكنها الآن أصبحت نصف مدمرة. ومنها جامع العامرية وجامع أبو علي. ويقع حي اليهود في مكان منعزل تماماً. ولاتختلف ملابس اليهود في رداع عن ملابس بدو المشرق، إلا اختلافاً بسيطاً. وعلى بعد نصف ساعة من رداع نحو الشمال تستلقي، تحت الصخور الشاهقة، قرية. سكانها جميعهم من اليهود، وإسمها الجراف.

ولأن الطريق المباشر إلى قعطبة شاق وغير مأمون، فقد كان علي أن أسلك طريقاً عبر جميمة Yemime وهكر Hakir، إلى يريم. وهكر قرية قديمة، تقع على مرتفع وبالقرب منها توجد نقوش حميرية. ولعدم وجود مياه جارية في المرتفعات اليمنية، توجد آبار في كل مكان، بما في ذلك في هكر.

ومن يريم تتجه الطريق جنوباً نحو النادرة، وفيها موقع عسكري. ومن النادرة إلى وادي بيت الصباري. وللوصول إلى بيت الصباري هبطت لمدة ساعة ونصف الساعة، طريقاً متعباً للغاية،

(1) لعله يقصد جبل الأسي أو اللسي، الذي يوجد فيه معدن الكبريت وحمام طبيعي.

عبر منطقة جبلية بركانية وعرة، تنتصب في اعلاها قرية أزال. وفي اليوم الثالث وصلت إلى محطة جمارك قعطبة. الواقعة على بعد ساعة إلى الغرب من مدينة قعطبة. وكان مدير المحطة دمشقي، وهو أخ قائم مقام باجل. وقد أمر مقدم الجمّالة على الفور بأن يستأجر لي ثلاثة جمال. وكان إيجار الجمل الواحد إلى عدن 35 ريالاً (70مارك)، ويستغرق السفر إليها أربعة أيام. ولكن أخيراً أمكن الإتفاق على دفع 20 ريالاً للجمل. وإلى جانب ذلك دفعت 15 ريالاً أجرة غرفة للمبيت. والسبب في إرتفاع أجرة الحيوانات، أن هناك أربعة مشايخ صغار، كل منهم مستقل تماماً ويفرض إتاوة على كل حيوان محمل يمر بمنطقته. ويدخل ضمن الأجرة المدفوعة ضمان سلامتي الشخصية وسلامة أمتعتي.

وعلى بعد ساعتين جنوباً من قعطبة تقع الجليلة. وفيها موقع عسكري تركي. وبعدها تبدأ المنطقة المستقلة. من حسن الحظ أن الطقس كان في هذه المنطقة طقساً غير حار ومريح، حتى أن السماء قد أمطرت خلال اليومين السابقين. وتوجد في هذه المنطقة كثير من الأشجار. وقبل الحوطة (لحج) ببضع ساعات، أصبحت المنطقة أكثرخصوبة واخضراراً.

وفي مساء اليوم الثالث حططنا الرحال بين أشجار النخيل، على أبواب الحوطة. عاصمة لحج. السلطنة الصغيرة المستقلة، ودخلناها في اليوم التالي. وقد أدخلت أمتعتي إلى مبنى الجمرك. ولأنه كان يوم جمعة، فقد رفض موظفو الجمرك إعادتها لي إلا في اليوم التالي. لذا توجهت إلى قصر السلطان. المبني على الطراز الهندي، وحصلت فوراً على الإذن بالدخول لمقابلة جلالته. وكان يجلس في قاعة بسيطة وواسعة ومعه حوالي 40 شخصاً. ورحب بي بلطف وأمر حالاً بتسليمي أمتعتي. ولم يكن الحاضرون يحتسون البن، بل كان أمامهم ربط من أغصان القات. يتناولونها بشغف. وجلست بجانب سكرتير السلطان. الذي كان يتحدث الإنجليزية. وكان في تلك اللحظه يترجم للسلطان نشرة رويتر ديبيشن الإخبارية. التي وصلت للتو من عدن.

ومن الحوطة إلى عدن، التي تبعد حوالي 9 ساعات. تمتد طريق سيارات ضيقة وسيئة. وعلى إمتداد مسافة ساعتين بعد الحوطة كانت الأرض ماتزال مزروعة بعناية، وتبدو خصبة جداً. ثم تمتد بعد ذلك أرض رملية قاحلة. وفجأة يبدأ طريق عريض معتنى به، وعليه مبنى حراسة، مكتوب عليه (الشرطة البريطانية). هنا دخلنا المستعمرة البريطانية. وعبر ضاحية الشيخ عثمان الجميلة وصلنا، بعد ثلاث ساعات ونصف، مدينة عدن[1].

الملحق

1 - الرحلة الأخيرة للرحّال بورخاردت، كما دونها مرافقه الفقيه أحمد محمد الجرادي.
2 - رسالتا الإمام يحيى محمد حميد الدين.
3 - خريطة تبين خط الرحلة الأخيرة لبورخاردت.
4 - نماذج من الصور، التي إلتقطها بورخاردت، أثناء رحلته الأخيرة.

(1) لاتستغرق الطريق من نقطة الحراسة البريطانية، التي كانت في حدود سلطنة لحج، إلى عدن أكثر من نصف ساعة. ولعل بورخاردت قد مكث لبعض الوقت في الشيخ عثمان، أو في المعلى، قبل أن يصل إلى عدن.

سيرت[1] الخواجة الاكرم المرحوم هرمان بورخرت الألماني

فانه قوا نيته على السياحه والعزم الى اليمن[2] لمعرفته ولاخذ الرسم فوقع الخروج من صنعاء وعزم في يوم الثلوث الموافق سادس وعشرين في شهر شوال سنه سبعه وعشرين وثلاث ميه والف ووقع خروجه في ساعت سبع[3] في اليوم المذكور وبمعيته كاتبه الفقيه احمد ابن محمد الجرادي من اهالي صنعا وحسين ابن محمد النبهاني وواحد سواري من اهالي ارحب اسمه صالح حمود العذري وواحد زبطي من اهالي الجراف اسمه احمد سعيد الجمالي الاثنين المذكورين تملي لحتى يعود الخواجه وكذلك ثلاثه انفار محافظين وهم من الزاندرمه[4] اسماهم محمد عايض الجدري وناصر العمراني وعلي احمد من اهالي بير العزب الجميع محافظين فسافر الخواجه الافخم على الصحه والسلامه في اليوم المعلوم وخطينا من يسرت داع الخير ومشينا قليل واشرفنا على الجردا ودار القاع وسرحنا قليل لحتى اشرفنا على لكام يقلو لهن سواد حزيز وزد خطينا قدر نصف ساعه لحتى اشرفنا على قريت حزيز وهي مديره[5] وقرية متوصطه فوصلنا تبت بيت المقهوي وقد كان معانا بريال لحم اشتريناه من صنعا فدخلنا بيت المقهوي وقنبرو العسكر والخدم في المكان الاسفل والخواجه قنبر في منظر في علاو البيت وصار الخواجه في راحه وشتاق يسير عند الخواجات الذي بيفعلو ميزان الشومندفار فسار وبقي عندهم قدر ساعتين وسار ومعه اثنين من العسكر محافظين وبعد ذلك رجع وذك الليله تنفس الخواجه نفس كبير وبقي في راحه كبيره ويوم ثاني عزمنا الجميع من حزيز وتوكلنا على الله ساعت ثنتين يوم الربوع وخطينا من قريت رهم العليا ومشينا قليل وخطينا من قريت رهم السفلى وقريت الالجام وعمد وظبر خيره وقريت سامك وقريت قحازه والقصير لحتى وصلنا وعلان في الساعه السادسه فوصلنا تبت بيت المقهوي محمد الورش وبه معه ديوان كبير فقنبرنا فيه والخواجه الاكرم قنبر في مكان شق الديوان واهل المحل كلهم مقهويين ووجدنا في المحل المذكور عساكر نظام مثل التراب في كل بيت وفي كل سمسره وابسرنا قريه مقابله له اسمها القصير وجميع اهالي القصير قبايل فقنبرنا ظاك اليوم واسترحنا ويوم ثاني توكلنا على الله من وعلان في الساعه الثانيه واول قريه خطينا وابسرناها قريت خدار وقريت المصلي واشرفنا على نقيل يسلح ونزلنا فيه وظاك اليوم الريح قويه فتملينا نزلنا من النقيل وبه في سفاله مكهايه للمسافرين فخطينا من قاع جهران وهو قاع كبير لوما وصلنا رقبت المنشيه وطلعنا نقيل زغير ونزلنا نقيل المنشيه وطيرنا سمسره كبيره عند المقهويه الحره حمده فمسينا عندها في السمسره المذكوره ووقعت لنا ليله عسره من كثر القمل وكثر نبيح الكلاب بقيين ينبحين طول الليل حتى انهن اوحشنا ويوم ثاني قمنا ونيتنا العزم الى

(1) نكرر هنا ماذكرناه في المقدمه، بأن النص، الذي كتبه الفقيه أحمد محمد الجرادي ، يحتوي على أخطاء إملائية وكلمات وتعبيرات باللهجة الصنعانية الدارجة، ولم يتضمن النص علامات فاصلة، بين العبارات، ولاعلامات وقف، ولم يرتب في فقرات . وسوف نورده هنا كما كتبه الفقيه الجرادي تماماً.

(2) يقصد إلى جنوب صنعاء، أو ماكان يسمى باليمن الأسفل(المعروفة الآن بالمناطق الوسطى). ومازال أكبر أبواب سور صنعاء يسمى حتى اليوم (باب اليمن)، لأنه مفتوح باتجاه المناطق الجنوبية.

(3) الساعة السابعة (عربي) تقابل الساعة الواحدة ظهراً، بحسب التوقيت العالمي الحالي. إذ يبدأ النهار في الساعة الواحدة صباحاً، وتقابل الساعة السابعة صباحاً. وينتصف النهار في الساعة السادسة ظهراً، وتقابل الساعة الثانية عشرة ظهراً. وينتهي النهار في الساعة الثانية عشرة مساءً، وتقابل السادسة مساءً. ثم تبدأ ساعات الليل، بالساعة الواحدة ليلاً، وتقابل السابعة ليلاً، وتنتهي في الساعة الثانية عشرة صباحاً، وتقابل السادسة صباحاً..

(4) الجندرمة.

(5) مدُيَّرة، بمعنى مسوّرة. والداير هو السور، المحيط بالمنزل أو القرية أو المدينة. ويسمى المفتاح أيضاً داير.

ظوران فعزمنا ساعت ثنتين من المنشيه فما جا ساعت اربع الا وقد وصلنا مدينت ظوران والطريق منتظم فطيرنا تبت بيت الخادم وهو بيت من احسن البيوت فقنبرنا في ظوران اليوم الاول واليوم الثاني طلع الخواجه والعسكر وكاتبه الى راس جبل ظوران واخذ الخواجه رسم القرا الذي تحت الجبل جميعهن ونزلنا من الجبل وسرح الخواجه وكاتبه تبت القومندان لاجل التشريف ووجدوه مريض مضطجع وخرجو من عنده والخواجه اعجبته المدينه اعجاب كبير واخذ الخواجه رسم الجوامع والبيوت المنتظمه والمدينه في راس جبل والشق القبلي مفتوح جميعه والحصن حق ظوران منطي المدينه على الشق العدني فقنبرنا فيها ثلاثه ايام ويوم رابع توكلنا على الله ونزلنا وخطينا من قاع بكيل وابسرنا قرا متكاثرات كلهن مرجعهن ظوران فاكملنا قاع بكيل وطلعنا نقيل المنشيه وخرجنا الى قاع جهران وخطينا من شق هجرت معبر وبيت الميبدي وقريت الواصطه وطيرنا معبر وهو مطرح احسن المطارح فقنبرنا في بيت الزبيدي بيت نضيف مقصص وافتهنا ذك الليله ويوم ثاني قمنا توكلنا على الله وعزمنا من معبر وخطينا قريت طلحامه وحيد احمد واشرفنا على الضيق ودرب ذمار فابسر الخواجه الاكرم قبايل بيدقو زرع في وصط الجرن بالبقر فامر النبهاني يخرج المكينه وذلك لاجل اخذ رسم الرجال والبقر الذي بيدقين الزرع فاخذ الخواجه رسمهم وعزمنا الطريق مسرعين في سيرتنا حتى اشرفنا على مدينت ذمار المدينه المحميه وطيرناها في ساعت ست وهي مدينه متسعه ولكنها غير مديره واسم علاو المدينه الجراجيش واسم وصطها المحل واسم اسفلها المحمول فاعجبت الخواجه واخذ رسم الجوامع والصوامع كلهن وقنبرنا عند احمد حجيره في بيته ونسمنا ثلاثه ايام فيها واشترى الخواجه بغله من صاحب ذمار ووقعت بغله طيبه وبعد مانسمنا فيها ثلاثه ايام عزمنا منها ومعانا خمسه انفار من اهالي ذمار محافظين فتوكلنا على الله ونيتنا نعرف رداع فسافرنا على السلامه والعافيه وخطينا من قيعان كنا نبسر الرياح فيها والذباب مثل التراب طول اليوم ووجهنا تبت قريت سنبان ودخلنا امسينا عند يهودي اسمه شمعون لان المقهويين معدومين في سنبان فادخلنا اليهودي المذكور مكان فيه قدر ميتين سفره بيدبغهن والقمل ملانهن فهجمين علينا القمل حتى اسهرنا سهر عظيم ويوم ثاني الخميس خامس شهر القعده عزمنا من سنبان وخطينا من بيت المصري ودخلنا قاع فيه الرياح ملانه وخطينا من قريت ملح وقريت المصلا ولقينا باب القريه صانع بيشتغل فريد رداعيات هو وثلاث بناته فاخذ الخواجه رسم الصانع وبناته واعطاهم اربعه غروش وعزمنا من عندهم ولقينا في الطريق خمسين جمل محملات ملح فاخذ الخواجه رسم الجمال برضا الجمالين وسلم لهم فلوس وعزمنا فاشرفنا على مدينت رداع ودخلناها بالسلامه والعافيه ووجهنا تبت السمسره الكبيره الموجوده في وصط السوق حق مدينت رداع ولم وافقت الخواجه وبعد ذلك شلينا جميع القراش للحكومه وبقيين فيها والشيخ صالح ابن صالح الطيري موجود في المدينه فسرح الخواجه وكاتبه سلمو عليه لانه قايممقام واضافهم براس غنم هم والعسكر المحافظين والخواجه وكاتبه طلعو الى القلعه وهي اعلا من جميع الدور حق رداع ويوم ثاني سرح الخواجه وكاتبه والنبهاني واخذ الخواجه رسم العامريه من الاربع الجهات وهي اعظم العجايب بحسن عمارتها لانه عمرها السلطان عبد الوهاب وصور الخواجه جميع الجوامع وخرج الخواجه والعسكر الى قريه قريبه من رداع اسمها قريت الجراف فاخذ رسمها والساكنين فيها يهود يستعملو المدر من كل جنس وفوق القريه المذكوره جبل فاخذ الخواجه رسمه وبعد ذلك ان الخواجه ابسر خمسه محاريق الذي يحرقو فيهن القص وبه فيهن عشر يهوديات بيضربين القص بمضارب من الخشب فاخذ

الخواجه رسمهن واعطاهن فلوس وابسر الخواجه الاكرم عجوز يهوديه بتبرم فتله فوق الحلال فاخذ رسمها واعطاها غرش صاغ ورجع الخواجه ومن معه الى المدينه المذكوره ووقع السكون فيها ثلاثه ايام ويوم رابع يوم الاحد ثامن شهر القعده عزمنا من مدينت رداع بعد ان اعتنا فينا الباشه الشيخ صالح ابن صالح الطيري وادا معانا خمسه عسكر محافظين وكذلك ادا لنا مقدم الجمالين اسمه عبد ربه سيلان وحرضه تحريض شديد في انتباهه علينا وامره يرفقنا الى قعطبه فتوكلنا على الله وعزمنا من رداع وخطينا من قريت ملح وقريت المصلا ودخلنا سايلت العرش واشرفنا على الحصن حق عزان وهو حصن منيع وفي علاوه دار تهيل العقول والابصار عمرها الشيخ صالح ابن صالح الطيري لنفسه بسبب ان اكثر الاراضي الموجوده تحت الحصن ملكه وابسرنا تحت الحصن قريه كبيره اسمها قريت عزان ولم نزال نسافر حتى اشرفنا على قريه راس الجبل وقدو وقت الظهر ساعت ست ونصف واسم القريه الماوره فصادف ان بيت عبد ربه سيلان فيها لانه هو المرفق لنا الذي بيورينا الطريق فحلف يمين بالغه ان لابد مانطلع القريه وندخل بيته نتغدا عنده فطلعنا تغدينا عنده والخواجه ابسر نسوان عجيبات في لبسهن فشتاق ياخذ رسمهن فقال لعبد ربه سيلان هو ممكن ناخذ رسم هذولا النسوان ونعطيهن فلوس فرضي عبد ربه وامر النسوان حقه وحق اخوته واولاده ان يطلعين الجبا وطلعين والخواجه امر النبهاني يطلع المكينه للجبا فاطلّعها واخذ الخواجه رسم النسا وبعد ذلك ان الخواجه اعطا عبد ربه ثلاثه ريالات في مقابل الغدا الذي غدانا واخذ الرسم وتوكلنا على الله وسافرنا من الماوره وطلعنا جبال شديده وبقينا نسافر حتى اشرفنا على قريت بيت الصريمي وهي من احسن القرا فامسنا فيها وبات الخواجه في راحه كبيره بسبب افراح هوا المحل المذكور ويوم ثاني توكلنا على الله من بيت الصريمي ونزلنا من عقبت المسرب وقريت طلب وقراظه وخطينا من بيت الجهمي وبقينا نسافر الى ساعت عشر حتى اشرفنا على نقيل لم يرا الراؤون اكبر منه فبقينا ننزل فيه قدر ساعتين واشرفنا على قريت دمت فدخلناها ووجهنا تبت بيت المقهوي فاسترحنا فيها يوم ويوم ثاني فعلنا دوره الى راس حصن دمت لانه حصن كبير واخذ رسم قريت دمت منه ودرنا على خارج القريه فسمع الخواجه ان به حمام قريب من دمت فشتاق يسير اليه فعزمنا الجميع الى الحمام ووصلنا وابسرناه واذا هو موضعين موضع للرجال وموضع للنسا وصفتهن انهن معمورات باحجار وبتخرج منهن انهار حاميه من الارض وابسرنا قبايل بيتحممو فيه وبعد ذلك تحمم الخواجه فيه ورجعنا قريت دمت ومن العجايب ان الما معدوم في دمت وجميع المساجد لم فيها ما ويوم ثاني عزمنا من دمت ولقينا في الطريق ثلاثه يهود وخمس يهوديات محملات تناوير واليهود محملين حطب فقلهم الخواجه هم راضيين يرسمهم ويعطيهم اربعه غروش فرضيو فاخذ رسمهم وسلم لهم اربعه غروش وخطينا من قريت الحقب وهي اول قريت من قرا قعطبه وبقينا نسرع حتى وصلنا قريت الحشف فامسينا فيها عند قبيلي لان المقهويين معدومين مابه فيها الا قبايل فوقعت ليله ما ابرك منها ابدا ويوم الربوع (11) شهر القعده عزمنا وخطينا من قريت محقن والعرفاف وحجلان وصولان وغول الديمه وبيت جعول والبديوه والحنكه وقطعت الشرف ونزلنا نقيل الشيم وبه قريه في سفال النقيل اسمها قردح وبقينا نسافر لو ما اشرفنا على مدينت قعطبه ساعت عشر ودخلناها بالسلامه ووجه الخواجه الاكرم وكاتبه الى بيت الحكومه سلمو على القايممقام عبد الله بيك العسيري واعطاه الخواجه امر المشير فجره وقريه وعلم بما فيه وانتبه انتباه كبير وشترى لنا راس غنم من احسن ما يكون وامر وكيله يسلم قدح شعير حسيك للقراش حقنا

واضافنا يومين ويوم الخميس اخذ الخواجه رسم المدينه المذكوره من جميع الجهات واخذ رسم الجامع الكبير المسما جامع الفرح ودخلنا الى قاع اليهود وصور الخواجه خمسه يهود صانعين بيشتغلو مقاطب واخذ رسم ثلاث يهوديات لان ملبوسهن عجيب ورجع الخواجه الى الحكومه فامره القايممقام ان ياخذ رسم جميع المامورين فاجاب عليه الخواجه ان يامر الخدامين يفرشو الحوي حق الحكومه بمفارش ويقنبروا الماموريين فوق المفارش وهو ايرسمهم فامر القايممقام الخدامين ان ينزلو المفارش من الحكومه ويفرشو الحوي فنزلو المفارش ووضعوهن في الحوي وقنبرو جميع الماموريين فوق المفارش في دكه عاليه متصله بالحكومه واخذ الخواجه رسم جميع الماموريين ويوم ثاني الجمعه (13) القعده عزمنا من قعطبه واول قريه خطينا منها قريت شحب ومشينا قدر ساعتين وابسرنا بير والما فيها كثير وبحرها قريب والسره فوقها والدلو واسمها بير الصلب فنزعنا منها ما للقراش واسقيناهن ومشينا من قبال قريت صبيره ولم نزال في مسافره طول اليوم الى ساعت عشر ووصلنا الى محل اسمه حبيل يحيى ولم يوجد فيه بيت معمور باحجار انما هو عشش مثل تهامه فقنبرنا فيه وادخلنا صاحب حبيل يحيى في مكان ارضي معمور بقصب فامسينا ذك الليله عنده ويوم ثاني السبت عزمنا من حبيل يحيى ومشينا من وادي كيشار وهو وادي كثير الانهار والاشجار التي ليس لها ثمره ماتصير الا حطب وخطينا من قريت كيشار ونزلنا من سايله كبيره اسمها سايلت السروه وفي وصطها جبل عالي اسمه جبل يراخ لم احد يقتدر يطلعه معا عسارته ووصلنا قبال قريت اكمت بركات ودخلنا قاع الاحذوف وقريت المصواله والصبوه ووصلنا سوق الربوع تغدينا فيه وهو في راس جبل عالي واسقينا القراش فوق بير المصواله وافتهنا في سوق الربوع واسم المقهوي مثنا وبعد ذلك توكلنا على الله ونزلنا نقيل يفجع العقول لم قد راينا مثله اسمه نقيل جريت الفوّه وبعد مانزلناه خطينا من نجد نعمان ودخلنا وادي المساعده وورونا جبل سورق وبقينا نسرع في سيرتنا حتى وصلنا مكهايت ادمات وحال وصولنا ابسرنا المكهايه واذا هي حناويت معمورات من احجار ومابش فيهن ابواب فدخلنا احنا حانوت والخواجه حانوت وبه فيها قدر عشرين كلب شغلنا طول الليل لم رقدنا من شدت نبيحهن ويوم ثاني الأحد (15) القعده عزمنا من مكهايت ادمات وقت طلوع الشمس واول وادي خطيناه وادي ادمات وقريت الزرايب ووادي الشيخ عبيد وابسرنا قريت الشيخ عبيد فاعجبت الخواجه واخذ رسمها ورسم المسجد والصومعه معا حسن عمارتها وقدمها وخطينا من قاع السودان ودخلنا الجند وفيه جامع وصومعه مابه مثلها ابدا فاخذ الخواجه رسمهن وتقهوينا في مكهايت جند وخطينا من قريت الساكن وقاع حوبان وقاع ابليس وبقينا نسافر لوما اشرفنا على عرضي تعز فوصلنا معا السلامه مدينت تعز ساعت عشر وطيرنا سمسرت الجمروق وامسينا اول ليله فيها وقام الخواجه يوم ثاني دور بيت واخذ دايره وامرنا ننقل الاداه اليه فنقلناهن اليه واذا هو بيت من احسن البيوت ومن حسنه ان البستان تحته والغيل حق المدينه بيمر من الحوي حق البيت في ا'' بل والنهار وجميع اماكن البيت مزججات ومنتظمات وبعد ذلك ان الخواجه اخذ رسم الجامع الكبير المسما جامع المظفر واخذ رسم جميع القبب والمدينه اخذ رسمها من الاربع الجهات وطلع الخواجه حصن القاهره وهو حصن عمره طغتكين ابن ايوب وتنفس الخواجه فيه لان جميع البلاد تحته ونزل الى المدينه واضافه الخواجه الموجود في تعز ويوم الخميس (19) شهر القعده توكلنا على الله وعزمنا من تعز بعد الغدا ساعت تسع في اليوم المذكور وبقينا نسافر حتى اظلم علينا الليل فوصلنا الرماده ساعت ثنتين في الليل وامسينا فيها ويوم ثاني توكلنا على الله من

الرماده وقت طلوع الشمس وصحبتنا خمسه خياله محافظين وثلاثه زاندارمه من لوا تعز فعزمنا وسافرنا من الرماده وخطينا من قريت هجده وقاع الاحبوب وبلاد ابن يس وتغدينا في خزيجه وجو معانا محافظين نظام واثنين ملازمين من عند صالح زكي وبقينا نسافر حتى وصلنا البرح ولقينا القايم مقام في البرح واسمه احمد نعمان فعزم على الخواجه فسار الخواجه امسا عنده ويوم ثاني امر القايممقام ان يجو معانا اثنين ملازمين وقدر خمسين همشلي فجو معانا وعزمنا من البرح وبقينا نسافر الى اخر النهار حتى وصلنا الثوباني وامسينا فيه والملازمين قامو ذك الليله نصف الليل ونبهو الخواجه يقوم يسافر معاهم نصف الليل فلم اسعدهم الخواجه فعزمو العساكر والملازمين نصف الليل والخواجه بقي الى الصبح ويوم ثاني عزمنا من الثوباني ووصلنا الى القبه المسمايه الدابوليه وهي ناصفت طريق المخا وبقينا نسرع فوصلنا بالسلامه والعافيه المخا فوجهنا بجميع الفراش تبت بيت الخواجه البتروانى قنصل ايتاليا وابسرنا معه بيت فوق البحر من احسن البيوت فطلعنا جميع الاداه عنده في بيته والقراش شليناهن مكهايت على جابر وقنبرنا احنا في المكهايه والخواجه عند القنصل في البيت المذكور واخذ الخواجه رسوم جميع المساجد ورسم دار السلطان حسن وبقينا ندور في المخا وطلعنا قلعت المدافع ولقينا فيها عشره مدافع قديمات ووجدنا اكثر المخا قدو مخرب لم عاد فيه موجود الا قدر عشرين بيت وبعد مارسمنا الدار حق السلطان حسن ضيع حسين النبهاني الحقه حق المكينه فحزن الخواجه حزن كبير فدورناها دوار شديد وسرحنا الى عند المره الموجوده في دار السلطان حسن وقلنا لها هل تعلم من اخذ الحقه اجابت علينا انهي ابسرت ثلاثه عسكر اخذوها فسرحنا ندور فوجدناها عند عسكري فاعطاه الخواجه ريالين بخشيشه واعطا الشاوش ريال وصار الخواجه مسرور بوجود الحقه ويوم الثلوث اخذ الخواجه رسم المحلات الذي بيخرجو منهن الملح وسار الخواجه وكاتبه الى الفنار الموجود في البحر وركبو فوق سنبوك وعزمو حتى وصلو الفنار وصورته مثل الصومعه الكبيره وفيه درجان ميتين وثمانين درج وفي اعلاه دوار مشتغل من حديد واخذ الخواجه رسم البحر ورسم المخا من الدوار وبعد ذلك ان الخواجه نزل من الفنار ودخل هو وكاتبه اماكن ارضيات وفيهن خواجات قدر عشرين خواجه فامرهم الخواجه ان يخرجو يصطفو لاجل اخذ رسومهم فخرجو اصطفوا واخذ الخواجه رسمهم الجميع ورجع الخواجه وكاتبه المخا ويوم ثاني الخميس (26) القعده عزمنا من المخا بالسلامه والعافيه ومعانا القنصل البنزواني وخدامينه وتوكلنا على الله ساعت سبع في اليوم المذكور وبقينا نسافر حتى وصلنا بالسلامه والعافيه الثوباني ووقعت ليله ما احسن منها وكل واحد من من معانا اخذ له قعاده يمسي فوقها والخواجه الاكرم معه كرسي من حديد يرقد فوقه ويوم الجمعه (27) شهر القعده عزمنا بالسلامه من الثوباني وخطينا قاع الثوباني ووادي حسي ابن علوان وورونا جبل النار والبطحه والمقر والحجيره والعريش وهو محل ما احلا منه لاكنه خالي من الاوادم لم لقينا فيه احد من اهله هاربين وخايفين من الدوله ودخلنا وادي الخرزه وجبل الحزن وجملت اوديه حتى وصلنا البرح فطيرنا عند المقهوي على ابن علي بلبله وغدونا دخن لونه اسود لم يصلح الا للبقر ولكن معا شدت الجوع اكلناه بالضروره ويوم ثاني (28) القعده يوم السبت سافرنا منه بالسلامه والعافيه ونزلنا وادي الحايط وفيه اشجار الموز والعنب وفيه انهار كثير ودخلنا وادي رحابه وصحبتنا عساكر نظام وملازمين جو معانا من البرح ودخلنا وادي خزيجه وهجده ووصلنا بالسلامه الرماده ودخلنا مكهايت العزابي وامسينا فيها ويوم ثاني الأحد (29) القعده عزمنا من الرماده بالسلامه ولم نزال

نسافر حتى اشرفنا على مدينت تعز بالعافيه فدخلناها ونسمنا يوم ويوم ثاني اشتاق الخواجه الاكرم لمعرفة جبل صبر وهو اعلا الجبال واشتاق لزيارة اهل الكهف لانهم مقبورين في مسجد في اعلا جبل صبر فعزمنا ساعت عشر من تعز وصحبتنا ثلاثه انفار زاندارمه من اهالي تعز وطلعنا الجبل وبقينا نطلع خمس ساعات ونصف حتى اشرفنا على مسجد اهل الكهف ودخلنا نزورهم وفوق قبورهم شباك كبير مصطنع من اخشاب وقبورهم متصله كانه قبر واحد كبير القامه فسالنا اين قبورهم السبعه فاخبرونا بان قبورهم تحت القبر الموجود ووجدنا خزقي عند اسفل القبر انما كبير فسالنا ماهو فاخبرونا بانه جرف كبير ولكن سدوه ولم بقي الا الخزقي الموجود فنزل الكاتب رجله إلى الخزقي فوجد ريح قويه فتيقن صحت كلامهم واخذ الخواجه رسم المسجد واعطا قيم المسجد ريال يشتري به فراش للمسجد المذكور وبعد ذلك طلعنا حصن العروس واخذ الخواجه رسم جميع المحلات الظاهره ونزل الخواجه وجميع من معه فوصلو تعز وقت اذان المغرب ويوم ثاني نسم الخواجه ومن معه ويوم ثالث الربوع (2) شهر الحجه عزمنا الجميع من تعز بالسلامه ساعت ثنتين وخطينا من قاع حوبان ومن الجنديه ومن وادي الضبا ووادي الحوري ووجهنا مدينت ذي سفال ووصلنا ساعت هطعش ووجهنا تبت بيت الحكومه وسالنا عن المدير ولم قعدنا في الحكومه الا قدر دقيقه واقبل الينا السيد عبد الله الديلمي وهو المدير فعزم علينا فامتنع الخواجه فحلف المدير ان جميع المحتاجات لابد مايديهن هو واشترا لنا راس غنم وادا لنا جميع مانحتاج ويوم ثاني الخميس (3) شهر الحجه نسمنا في ذي سفال واخذ الخواجه رسم المحل من جميع الجهات ورسم جميع المساجد والصوامع واعجبه المحل اعجاب كبير ويوم ثالث الجمعه (4) شهر الحجه عزمنا من ذي سفال وخطينا من وادي الحوري ومن سايلت ذي شراق ودخلنا قريت ذي شراق واخذ الخواجه رسم الجامع حق ذي شراق وبعد ذلك طلعنا نقيل السياني ونقيل المحرس وورونا قريه منتظمه اسمها قريت النجاد وبه قلعه كبيره ونزلنا نقيل المحمول ونزلنا نقيل جبله حتى وصلنا جبله ووجهنا تبت بيت شرف الدين الحشاش وقنبرنا في بيته لان معه بيت منتظم من احسن البيوت ووقعت ليله من احسن الليالي ويوم ثاني السبت خامس شهر الحجه الحرام نسمنا وقام الخواجه اخذ رسم المدينه المذكوره من جميع الجهات واخذ رسم الجوامع والصوامع وتغدينا وقد كان نيت الخواجه الاكرم يعزم من مدينت جبله الى العدين فجا امر من طرف القايممقام حق اب حسين اغا وفي الامر ان الخواجه يسرع الى اب فعزمنا الجميع في اليوم المذكور الى اب وقد كان في كاتب الخواجه حما وبعد وصولنا اب اضافنا القايممقام وسرحنا بيته وجميع الاشيا اطلعوها الخدامين الى مكان مخصوص وباتو الجميع عند القايممقام ويوم ثاني قام الخواجه الاكرم وامر الخدامين يشدو على القراش وطلب كاتبه يجي معه فاخبروه بانه محموم فلم صدق كلامهم وطلع بنفسه الى عند كاتبه فوجده راقد فجس يده وعلم بانه محموم فاعطاه خمس حبوب صولفاطه وعزم الخواجه وبمعيته القنصل البنزواني والمحافظين اربعه نفرات اثنين من اهالي اب واثنين من اهالي ارحب واسماهم احمد سعيد الجمالي وصالح حمود العذري ومعاهم المشي حسين ابن محمد النبهاني من اهالي صنعا وعلى ابن علي القعمي من اهالي صنعا فعزمو الجميع في يوم الاحد الموافق سادس يوم في شهر الحجه الحرام سنه 1327 فوصلو الى مشوره والناس فيه متسوقين من كل محل فاخذ الخواجه رسم العدين من اعلا النقيل وبعد ذلك نزلو النقيل وخطيو من وادي الدور فهجمو عليهم الاشقيا بالبنادق وقتلو الخواجات والعسكر الذي من اب واحد وقع فيه كون في احقاوه والاخر وقعت في

وجهه رصاصه حتى اخذت عيونه وبعد ذلك اخبرني العشي ان ماغارو عليهم الا بعد ساعه غارو من العدين وقبرو الخواجات باداتهم واخذو جميع مامعاهم الى حكومت العدين وبعد ثلاثه ايام ارجعو جميع ما اخذو الى حكومت قضا اب فوقت علم نايب القضا بقتل الخواجات جا الى بيت القايممقام كتب جميع الاشيا وامر الخدامين يحملو جميع الاشيا الى الحكومه فحملوها وعلم القاضي جميع الاشيا بقلمه فوقع الحزن الذي لا اشد منه في كاتبه وازداد مرضه ومرض شهر زمان في اب وبقيو جميع رفقا الخواجات في الاهانه بعد العز والشرف وقد كان نيتنا الطلوع الى محلاتنا لزيارت اهلنا واولادنا فعزمنا بالسلامه من اب وجميع الاشيا حق الخواجات معانا فوصلنا سوق السويق وكل واحد مننا قد نال التعب والنصب فامرنا المقهويه ان تفعل لنا قهوه ففعلت لكل واحد مننا جمنه وتقهوينا وافتهنا واذا قد اشرف علينا خيال وصل من اب قال لنا بان الاشقيا مناظرين لنا في طرف السحول وان قد ظنهم ان الذهب معا الخواجه كثير وقد نيتهم يقتلونا وادا لنا امر من طرف القايممقام في رجوعنا اب فحمدنا الله ورجعنا وقعدنا في اب حتى وصل القوميسر محرم افندي ومعه كاتبه فاستنطق كل واحد مننا وزد بقينا مده فوصلو الخواجات ومعاهم طابور محافظين فاستقرو في اب اربعه ايام ويوم خامس عزمو الى العدين وبقيو في العدين اربعه ايام واخرجو الخواجات من قبورهم وكفنوهم وحملوهم فوق الجمال في صناديق وادوهم الى مدينت اب ويوم ثاني نسمو في اب ويوم ثالث عزمو من اب

وهذا تمام سيرت الخواجه الافخم هرمان بورخرت الألماني

واسال الله سبحان وتعالى ان يهلك وينتقم من قتل الخواجات

ويسرع بهلاكهم ونقمتهم

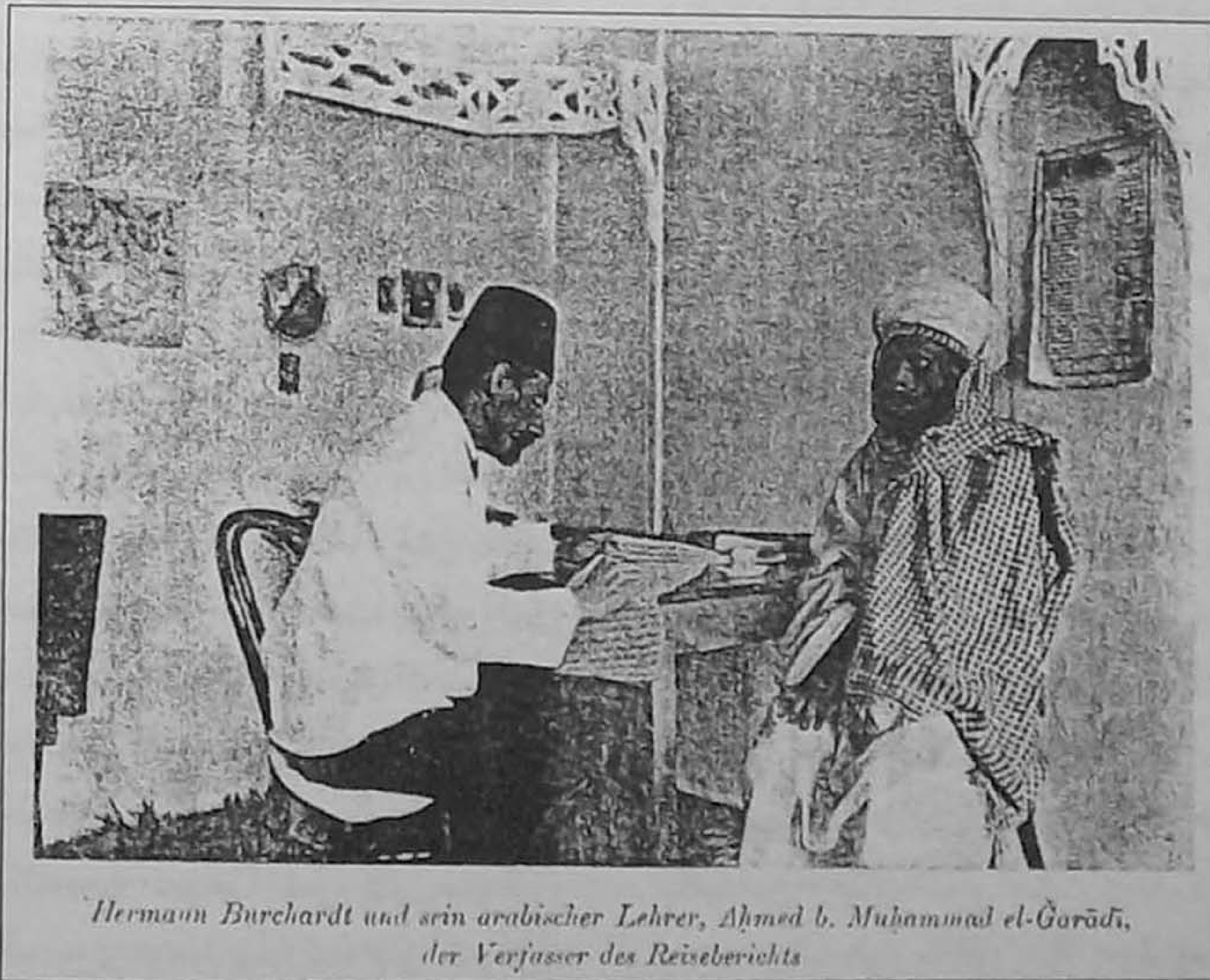
امين امين امين

بتاريخ (14) شهر صفر سنه 1328

بخط كاتب الخواجه

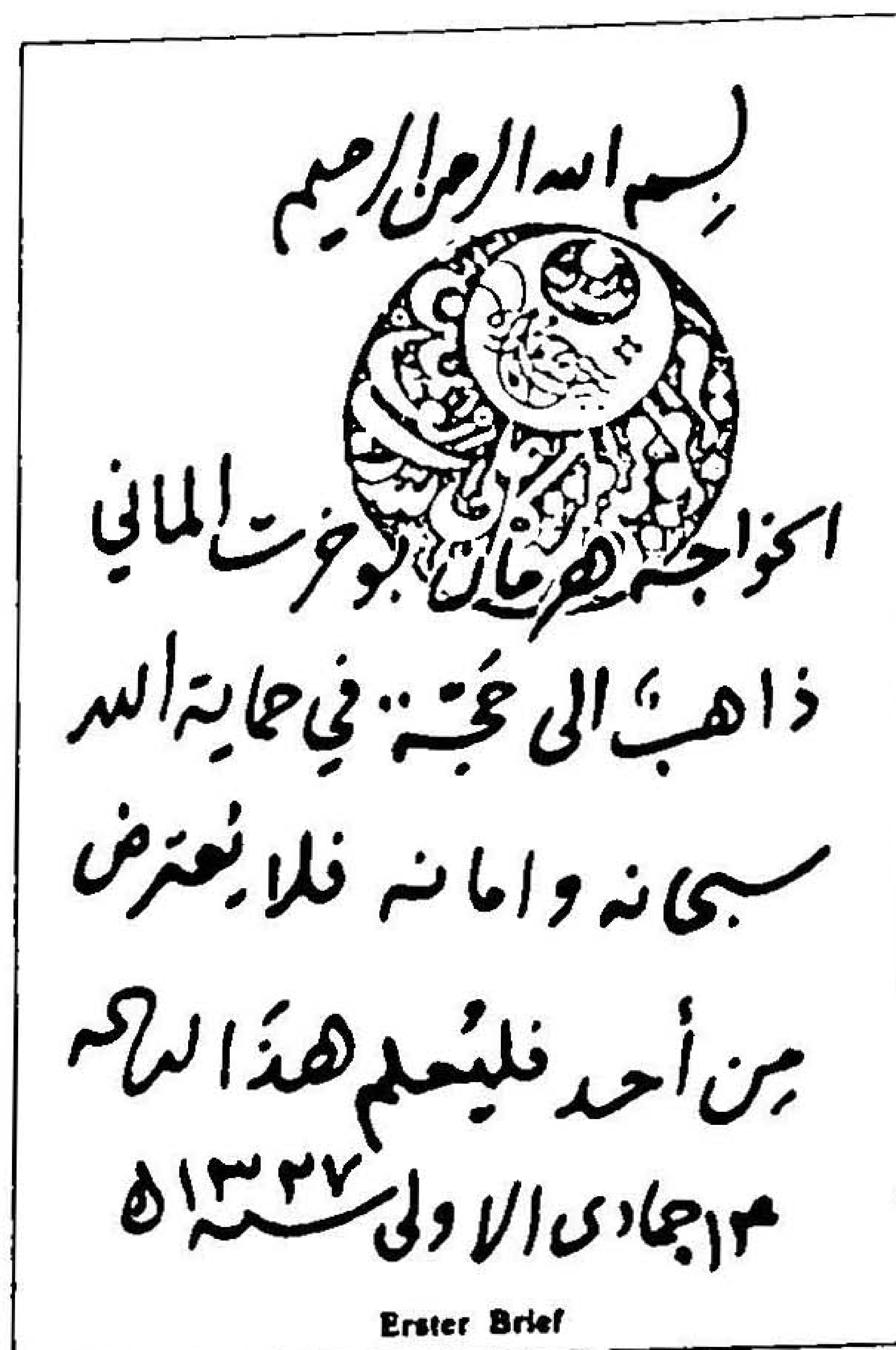
احمد ابن محمد الجرادي

من اهالي صنعاء



Hermann Burchardt und sein arabischer Lehrer, Aḥmed b. Muḥammad el-Ǧarādī, der Verfasser des Reiseberichts

الرحال هرمن بورخاردت مع الفقيه أحمد محمد الجرادي



بسم الله الرحمن الرحيم

الخواجه هرمان بورخرت الماني

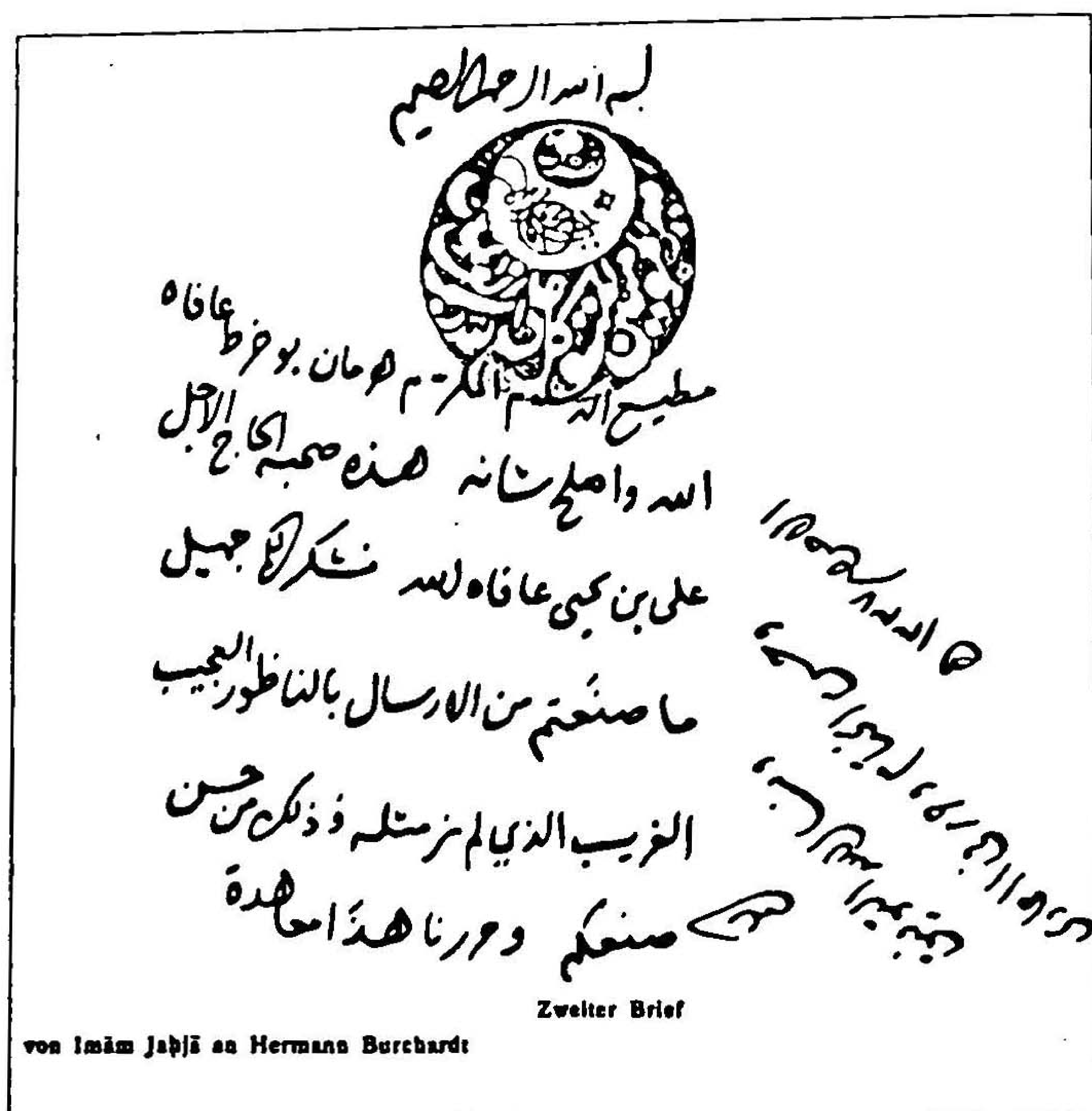
ذاهب الى حجة في حماية الله

سبحانه وامانه فلا يعترض

من أحد فليعلم هذا الله

١٤ جمادى الاولى سنة ١٣٢٧ ه

Erster Brief



بسم الله الرحمن الرحيم

مطيع الله المعظم المكرم هرمان بوخرط عافاه

الله واصلح شانه هذه صحبة الحاج الاجل

علي بن يحيى عافاه الله نشكركم جميل

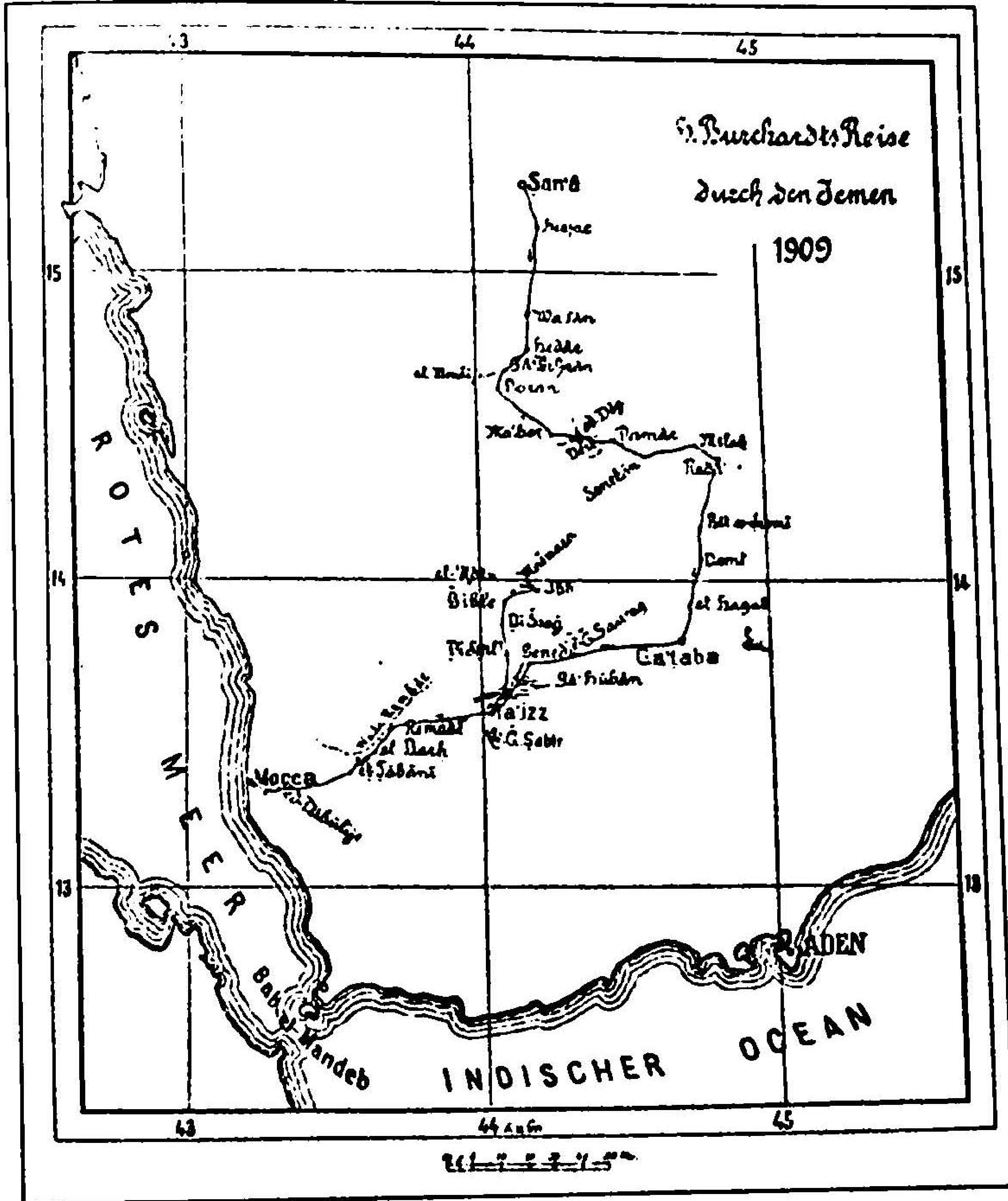
ما صنعتم من الارسال بالناظور العجيب

الغريب الذي لم نرسله وذلك من حسن

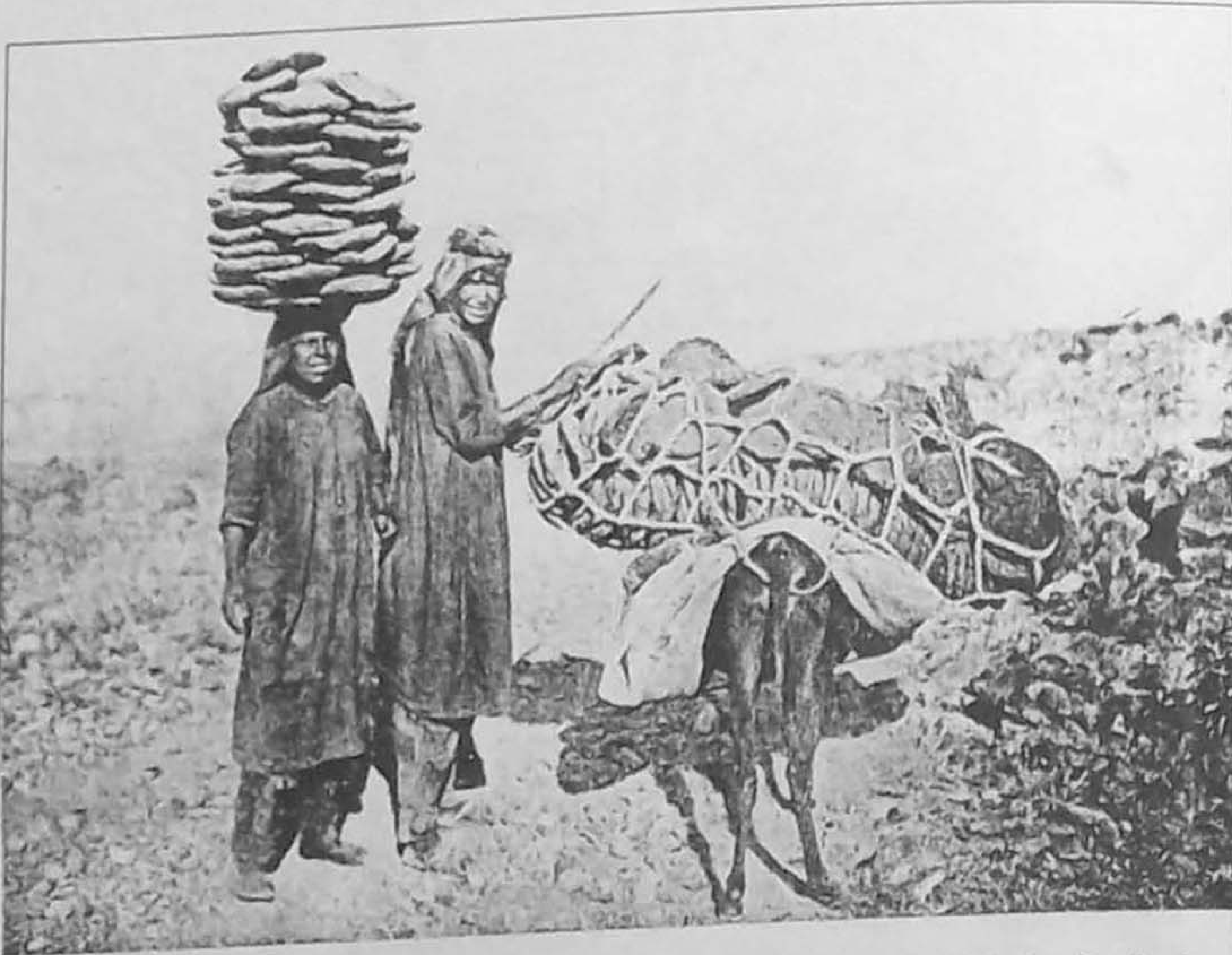
صنعكم وحررنا هذا معاهدة

Zweiter Brief

von Imām Jaḥjā an Hermann Burchardt



خارطة توضح خط الرحلة الأخيرة لهرمن بورخارد



Bei Ṣan'ā — Bäuerinnen bringen Brennmaterial (getrockneten Mist) in die Stadt

إمرأتان تنقلان الوقود الحيواني (ضمج) قرب صنعاء



Bei Ṣan'ā — Einbringen des Getreides auf Kamelen

Tafel XIII

رجلان ينقلان قصب الذره قرب صنعاء


Wasserträger in San'ā

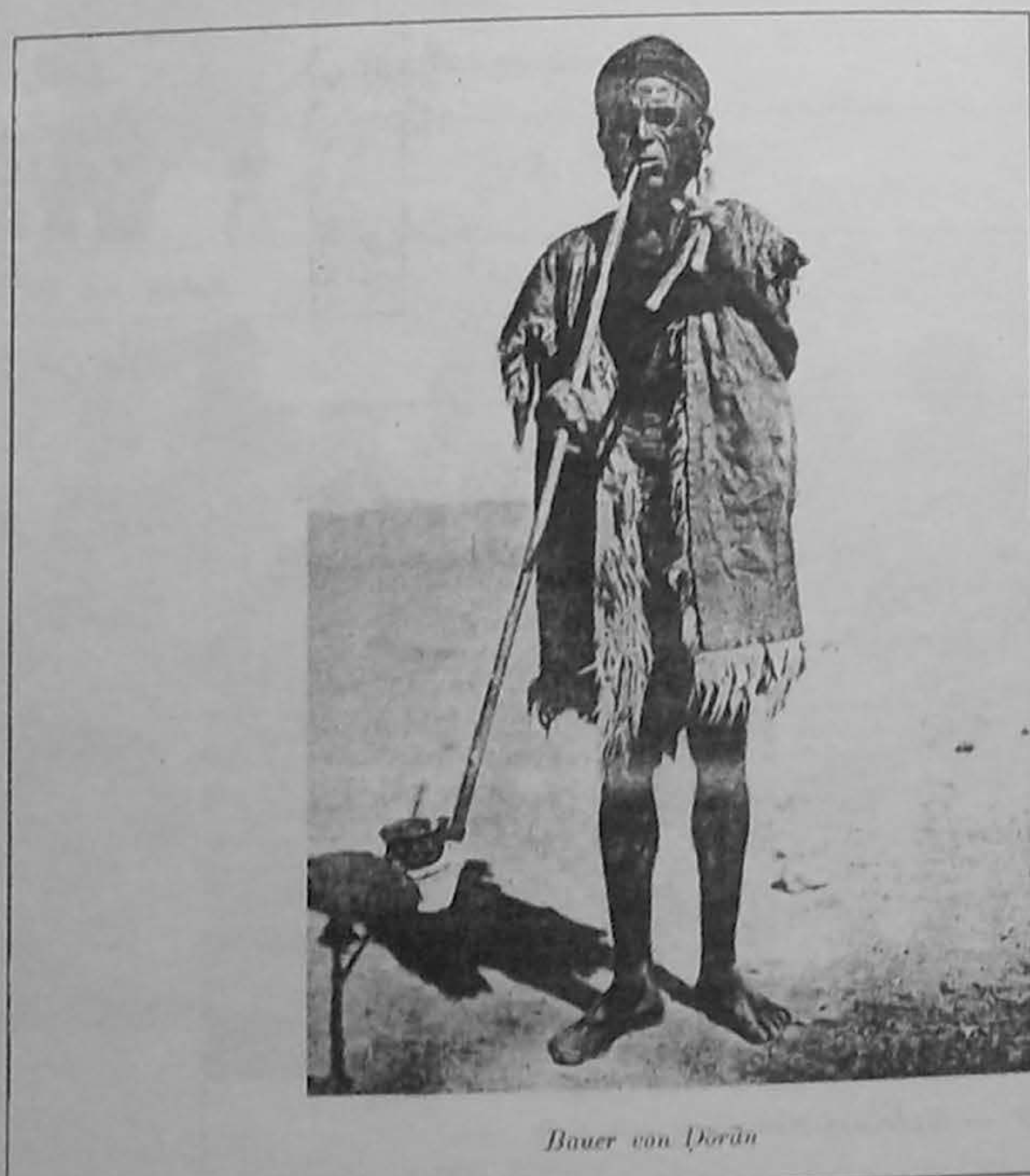
موزع الماء في صنعاء (سقاي)


Beduine von den Benī Šeddād
in Ṣan'ā aufgenommen

بدوي من بني شدّاد



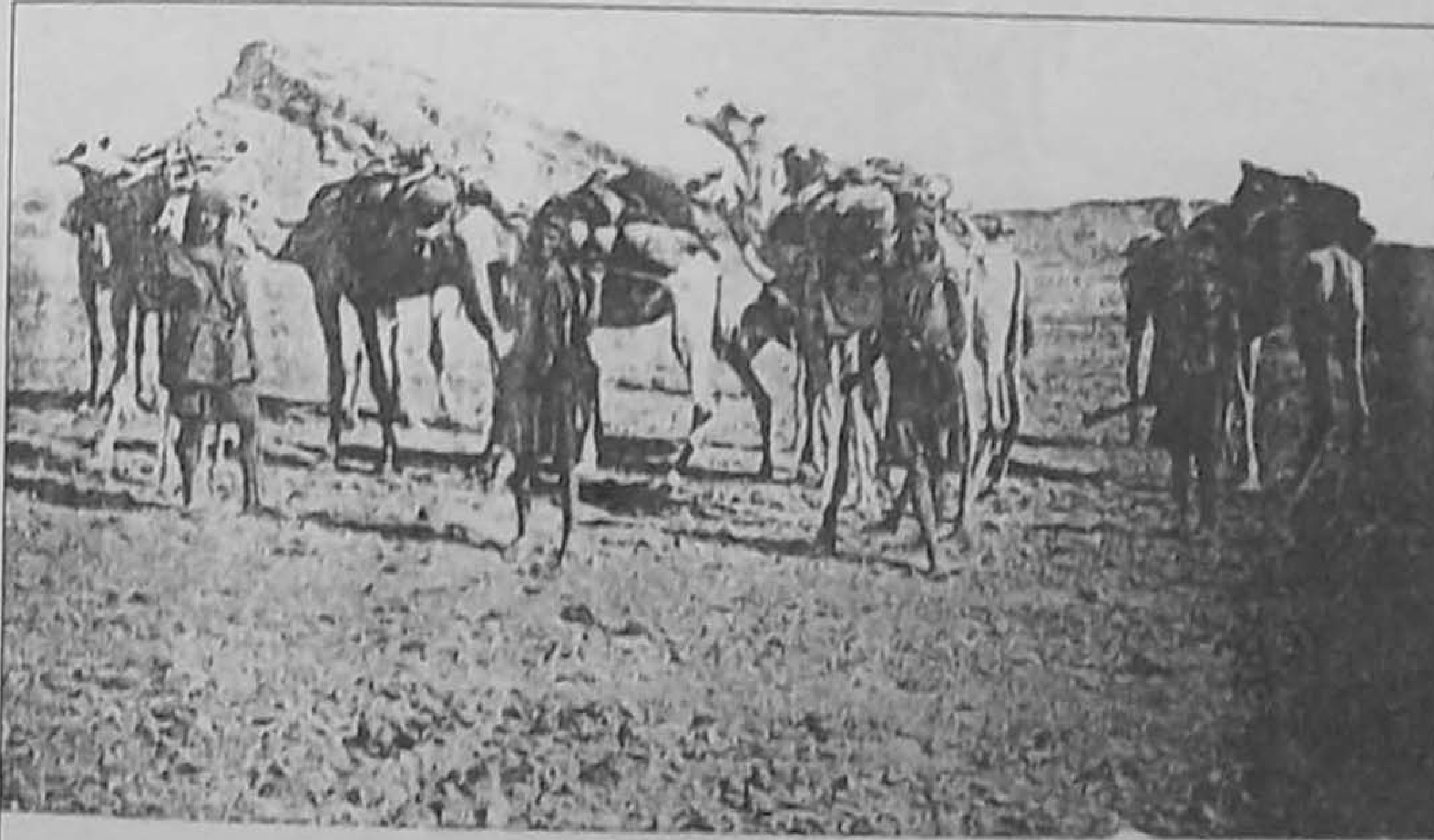
مواطنون من منطقة آنس



مواطن من منطقة آنس


Beduine von Ma'rib

بدوي من مأرب


Redā' — Beduinen-Karawane mit Salz

عدد من البدو من منطقة مأرب
ينقلون الملح (المأربي) الصخري، إلى المناطق المختلفة في اليمن



Di Sfāl — Markt

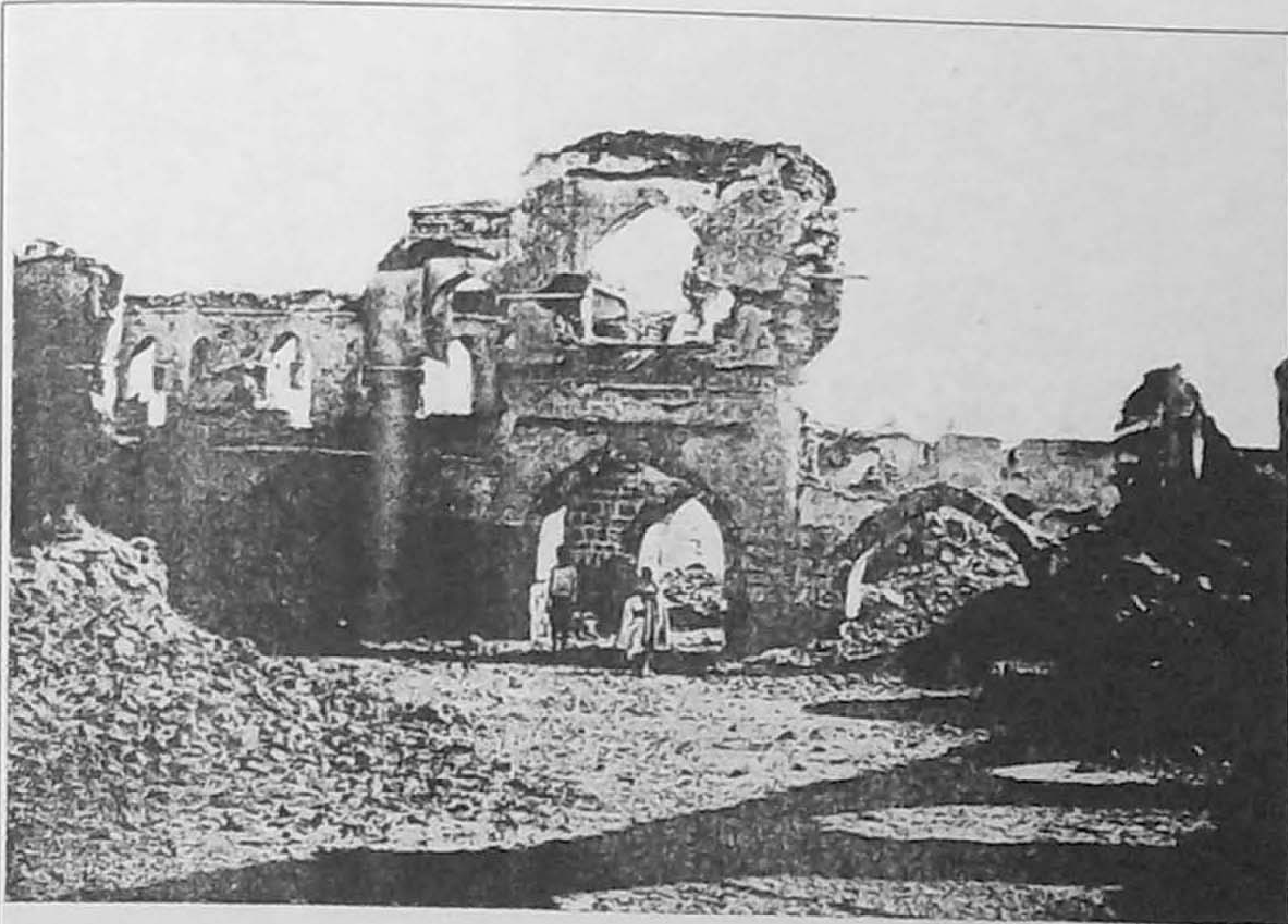
السوق في ذي سفال



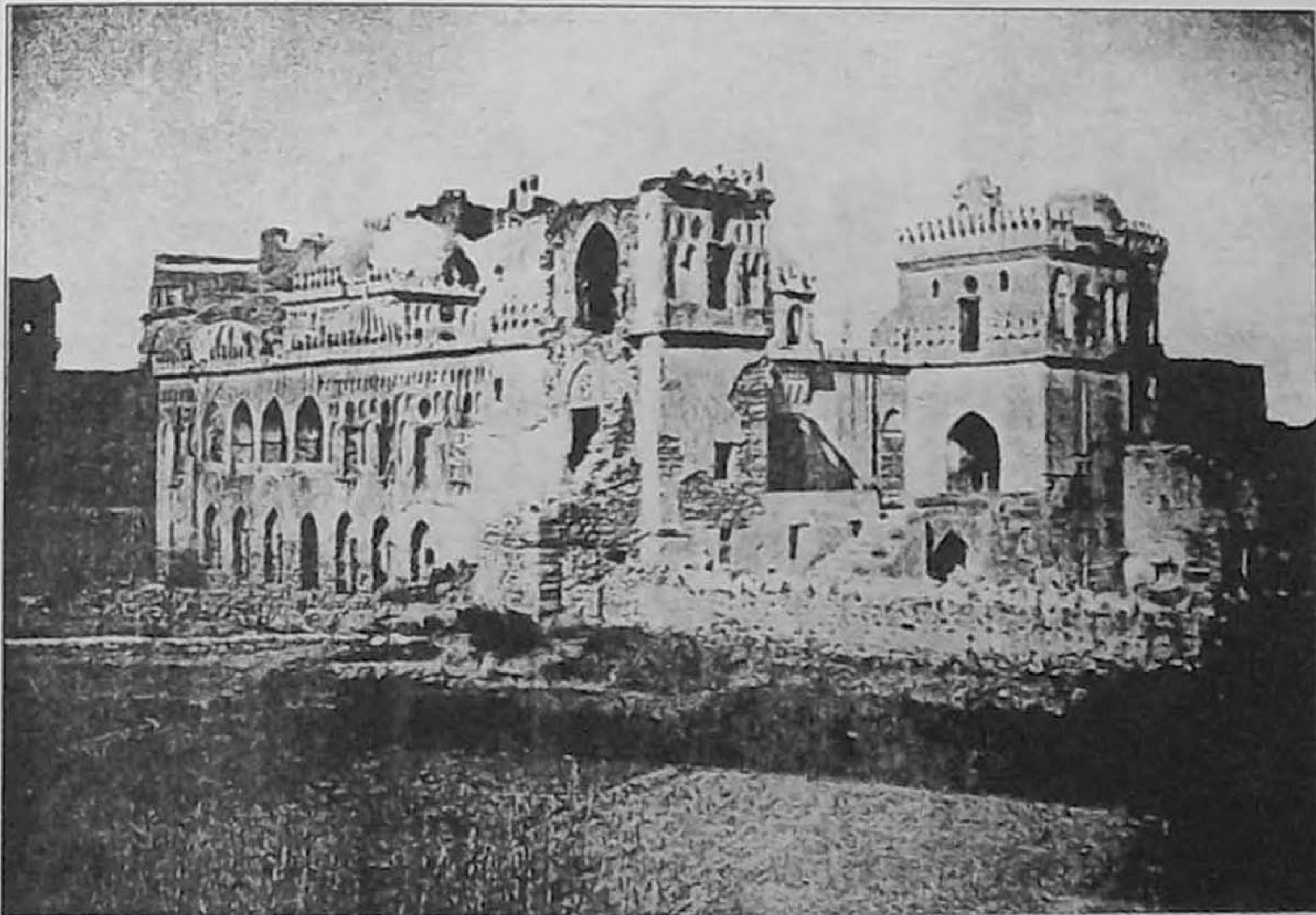
Araber in Di Sfāl

Tafel XXVI

عدد من سكان ذي سفال



Mokka — Ruinen eines großen Palastes



Mokka — Verfallene Häuser

Tafel XXIII

مباني مهدمة في مدينة المخاء تحكي مجدها الغابر

سقطرى كبرى الجزر اليمنية

جمع وإعداد وتعليق/
د. عبدالكريم حسين رعدان*

في أجواء سقطرى

مسافات هائلة فوق بحر مترامي الأطراف، متلاطم الأمواج يقطعها المرء محلقاً في الأجواء حتى تتراءى له شواطئ جزيرة "دار السعادة" كما هو معنى "سقطرى" لدى الهنود القدماء، وبعد نزول هادئ من بين السحاب الكثيف المتراكم بدأت الطائرة تحلق فوق جبال سقطرى الشاهقة وتترنح يميناً ويساراً كنسر عملاق قاصدة مدرج حديبو الدولي.. وما هي إلا دقائق حتى استقرت على أرض المطار وتوقفت محركاتها، وخرج الرَّكْبُ الهجين من كل الأجناس، ليأخذ الجميعُ عند سلم الطائرة نشوة الأجواء الغائمة الرائعة وقد تسربلت فيها الجزيرة طيلة الأشهر من نوفمبر وحتى فبراير ..

نشوة مشوبة بالرهبة حيث يجد المرء نفسه في هذه الجزيرة الأسطورية القابعة في أعالي البحار!

إنها رهبة ممزوجة بروعة تلك الشواطئ المتلألئة تتعانق مع الأمواج الهادرة وتمتد في قيعان واسعة حتى ترتمي في أحضان الجبال الخضراء.

وحقيقة فإنه ليس من قبيل المبالغة القول بأن سقطرى جوهرة في وسط البحر بما حباها الله من طبيعة ساحرة جمعت بين الشواطئ الزرقاء والسهول الخضراء والغابات الكثيفة، والجبال الشاهقة المكسوة بأشجار باهرة الصنع، متناسقة الروعة والغيول التي تجري في الوديان تترقرق فيها المياه كالسلسبيل.. ففي هذه الجزيرة ملهى للطيف، وفيها منظر لعين الناظر المتوسم حسب تعبير حكيم العرب وشاعرها زهير بن أبي سلمى. ورائع قول أحد الشعراء:

قفوا في سُقُطَرَى جميعا وجوسوا
هُنا في المحيطِ جبالٌ جُلُوسُ
جزيــرةُ كالتاج لـونُ السُّــدوسِ
رَوَابيَ فيها تُسَرُّ النُّفـوسُ
هــوَاءٌ نقــيٌّ وغيــمٌ عَـدوسُ
يَسوقهُ ريحٌ إليـها نَعـوسُ

كما أن العين لا تخطئ ما قدمته الدولة في السنوات الأخيرة من مشاريع منجزة كالمطار الدولي والطرقات وبناء عدد من المصالح

* استاذ مساعد بكلية التربية سقطرى- جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا.

الحكومية وعدد من المدارس والكهرباء وغير ذلك، وأهم من ذلك كله فتح كلية التربية التابعة لجامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا التي وفرت لأبناء الجزيرة الحصول على التعليم العالي في عدد من التخصصات، وإن كانت الكلية تفتقر إلى كثير من المقومات المادية اللائقة بها كصرح تعليمي يمثل وجه الجزيرة الثقافي. كما أن الجزيرة بشكل عام لا زالت بحاجة إلى أن تتواصل الجهود في توفير الخدمات واستكمال المشاريع وخاصة في الكهرباء والطرقات والاهتمام بالتعليم وهو الأهم لأبناء الجزيرة.

حول مصطلح سقطرى:

هناك خلاف لدى المؤرخين حول لفظ سقطرى وتسميتها بهذا الاسم وأصله، فمنهم من يرى أن سقطرى بضم أوله وثانيه وسكون طائه وراء وألف مقصورة، ورواه ابن القطاع سقطراء بالمد في كتاب الأبنية، وقال ابن منظور: سُقُطْرَى موضع يمدّ ويقصر فإذا نسبت إليه بالقصر قلت سُقُطرِي وإذا نسبت بالمد قلت سُقُطراويّ.

وهناك من يشبع حركة السين فيجعلها واوا "سوقطرى".

ولربما جاءت الكلمة من مقطعين "سوق" و"قطرة" حيث كانت تباع قطرة دم الأخوين في أحد الأسواق القديمة بالجزيرة فدمجت الكلمتان في كلمة واحدة.

وهناك من يرى أنها جاءت من لفظة أجنبية هي "سقريدس" كما ذكر ذلك لويس شيخو، ويذكر الباحثون، أن تسميتها جاءتها من السنسكريتية "دفيبا سوخترا" وهي تسمية إن صح أنها من هذا الأصل، فإنها تدل على صلة أهل الهند بها منذ عهد قديم.

سقطرى في التاريخ:

- على مر العصور أطلقت على سقطرى أسماء عديدة منها جزيرة البخور وجزيرة اللبان وجزيرة دم الأخوين، وجزيرة قابيل وهابيل، ومن الأسماء المستمدة من طبيعة الجزيرة الساحرة: جزيرة النعيم، وجزيرة البركة، وجزيرة اللؤلؤة، وتلقب أيضا بـ «الجزيرة العذراء»، وهكذا هي أسماء جزيرة سقطرى العديدة التي تدل على من وفد إليها وأعجب بها وأطلق عليها اسماً من هذه الأسماء.
- وسقطرى أكبر جزر اليمن، بل كبرى جزر العالم العربي، وقد كانت قديما المخزن الخلفي لدعم اقتصاد مملكة حضرموت اليمنية القديمة على امتداد الألف الأول قبل الميلاد حين سمي ملك حضرموت بملك أرض اللبان التي اشتهرت به جزيرة سقطرى إلى جانب الند والصبر.
- كما عرفت سقطرى منذ بداية الألفية الأولى للميلاد بكونها أحد أهم مراكز تصدير السلع التي تستخدم في إحياء الطقوس والشعائر في ديانات الشرق القديم، وساد اعتقاد أن الأرض التي تنتج البخور هي أرض مباركة من الآلهة، لذا عرفت سقطرى بالجزيرة المباركة، كما سماها قدماء الرومان واليونان جزيرة السعادة..
- واستقرت على أرض سقطرى هجرات العشائر اليمنية الأولى خاصة في فترات الازدهار التاريخي للدولة اليمنية في القرن الميلادي الأول وامتزجت هذه العشائر في فترات لاحقة بعناصر ومجموعات مهاجرة من الهند وإفريقيا، حيث تعددت أنشطة الإنسان لتصبح جزءا من التنوع الحيوي العجيب الذي تتفرد به الجزيرة والذي جعل منها منطقة ذات أولوية خاصة في برامج عمل المنظمات الدولية المعنية بالبيئة والتنوع الحيوي.

يقول جواد علي: (وقد كانت جزيرة "سقطرى" "سقطرة" ذات أهمية في ذلك العهد، وإن فقدت أهميتها في الزمن الحاضر فلا يعرفها ولا يذهب إليها اليوم إلا القليل؛ وذلك لأنها كانت تنتج

حاصلات لها أهمية كبيرة في أسواق العالم إذ ذاك مثل البخور والصبر والصمغ وغير ذلك، وهي سلع لها قيمة، تشبه قيمة البترول في القرن العشرين؛ ثم لأنها محطة مهمة لاستراحة رجال السفن ومفتاح يؤدي إلى مغالق المحيط الهندي من جميع النواحي، ولما كانت السفن في ذلك العهد صغيرة، تسيرها الرياح، وليس في مقدورها أن تحمل مقادير كبيرة من الماء العذب والأكل، كان لا بد لها من الوقوف في منازل عديدة، ومنها هذه الجزيرة، التي يعني اسمها "جزيرة السعادة".

موقع الجزيرة ومساحتها:

جزيرة سقطرى هي أكبر وأهم جزيرة ضمن خمس جزر تكون أرخبيل يعرف باسمها "أرخبيل سقطرى" وهي: سُقطرى وعبد الكوري ودَرْسَة، وسَمْحَة، وكعول فرعون.

ويقع أرخبيل سقطرى عند نقطة التقاء المحيط الهندي بالبحر العربي وشرقي القرن الإفريقي، حيث تتناثر جزره على مستوى أفقي تقابل في امتدادها الساحل الجنوبي الشرقي لليمن عند محافظة المهرة وقبالة مدينة المكلا. وتبعد عن الساحل اليمني حوالي 300 كم. وتبلغ مساحة الجزيرة 3650 كيلو متر مربعاً، وتمتد من الشرق إلى الغرب بطول 135 كلم، بعرض أقصاه 33 كلم، وشكل الجزيرة ينتمي للشكل المستطيل والمجزأ معا.

هذه الجزيرة جميلة جداً، فهي تجمع بين الجبال والسهول والمياه العذبة والشواطئ والوديان، وفيها مدن شبه حضرية، ومعظم السكان الأصليين لا زالوا يعيشون في البوادي، وهم يتكلمون اللهجة السقطرية والعربية وفيها المحميات الطبيعية والغابات الكثيفة، وكذلك الشلالات.

وفيها شجرة دم الأخوين التي لا توجد إلا هناك ولها فوائد متعددة وتكثر فيها الثروة الحيوانية من الماشية، واللحوم فيها رخيصة جداً، كما أنها غنية جداً بالأسماك التي توجد منها أنواع نادرة ولذيذة، كما يستخرج من أشجارها البخور واللبان.

والجزيرة تحيط بها البحار الضخمة من كل الجهات، ولها سواحل رائعة جداً. أما عاصمتها وأكبر مدنها فهي "حديبو"، الواقعة في شمال شرق الجزيرة، تليها مدينة قلنسية في الغرب، وتشكل المديرية الثانية في الجزيرة. وقد بدات مدينة حديبو تنمو بالعمران العصري، وتتطور فيها الخدمات. ورغم أن جزيرة سقطرى بعيدة إلى حد ما، فإن السفر إليها أصبح ميسوراً، فعن طريق البحر تشحن البضائع والمؤن، وعبر الطيران جواً للمسافرين والبضائع أيضاً، حيث المطار الدولي في مدينة حديبو. ويستطيع المسافر أن يطير إليها من أي من المطارات اليمنية التالية: "مطار صنعاء، ومطار عدن، ومطار الريان في المكلا".

المناخ والتضاريس:

مناخ جزيرة سقطرى مداري ذو صيف طويل حار بينما الشتاء دافئ وقصير وممطر، ودرجة الحرارة تتروح ما بين 37 درجة مئوية صيفاً إلى 29 درجة مئوية شتاءا. بينما كمية الأمطار المتساقطة تقدر ما بين 33 إلى 290 ملم.

كما تتمتع الجزيرة بتضاريس مختلفة، حيث توجد السهول و الهضاب والمناطق الجبلية والمناطق الساحلية، ففي الوسط هضبة شديدة التضرس مكونة من الصخور الجيرية، ويحيط بها سلاسل جبلية مكونة من الجرانيت، مخروطية الشكل، شديدة الارتفاع والانحدار.

وتعد جبال حجهر من أكثر السلاسل الجبلية ارتفاعاً وامتداداً في الجزيرة، فيما نجد الشمال والجنوب عبارة عن سهول ساحلية تقطعها الحصى والأحجار الرملية، مع وجود مناطق متفرقة للكثبان الرملية المنتمية للنوع الهلالي.

وتعيش الجزيرة في عزلة عن العالم تقريباً خلال الفترة من بداية يونيو إلى نهاية أكتوبر من كل عام بسبب الرياح الموسمية والأعاصير التي تهب عليها من المحيط الهندي، مما يجعل الدخول إليها أو الخروج منها صعبا للغاية عن طريق البحر.

سكان سقطرى وسبل عيشهم:

لا توجد تقديرات دقيقة لعدد سكان سقطرى، فالإحصاءات الرسمية تقدر عددهم بحوالي (32285 نسمه) حسب تعداد 2004م. وهناك من يقدر عددهم بنسب تتراوح ما بين 40 - 80 ألف نسمة.

ومهما يكن عددهم فإن سكان سقطرى يقدمون صوراً متنوعة لأساليب العيش والاستقرار في المدن والقرى والكهوف المتناثرة في بطون الجبال، وينقسم السكان إلى مجاميع متفاوتة طبقا لنشاطهم الاقتصادي.

فهناك أهل البادية ويشكلون الغالبية العظمى من السكان، ويشتغلون بالرعى، وأهل السواحل ويشتغلون بصيد الأسماك، إلى جانب تجمعات حضرية تمثل نموذجاً لتعايش أهل البادية وأهل السواحل في إطار صيغة جديدة للتعايش أساسها الأنشطة الاقتصادية الخدمية كما يتميز سكان الكهوف كمجموعة ثالثة وجزء من أهل البادية بخصائص عيش تشبه في كثير من جوانبها حياة الإنسان الأول حيث العيش في كهوف محفورة في جوف الجبال وهو وضع يعكس بوضوح حياة الإنسان وبعدها عن التعقيد من ناحية، ويعكس من ناحية أخرى قلة حيلة هذا الإنسان إزاء الطبيعة.

ووفقا لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي تغدو الحاجة ملحة الآن للتوصل إلى صيغة متوازنة تقوم على إقناع السكان المحليين بالدخول في شراكة حقيقية ضمن مشروع التنوع الحيوي لسقطرى تفضي هذه الشراكة إلى تحقيق مصالح جديدة وبدائل اقتصادية للأنشطة التي يمكن أن تؤثر سلبا على التنوع الحيوي كالرعي الذي يستنزف الغطاء النباتي وقبل ذلك إيجاد قناعات لدى السكان بأهمية الاشتراك في جهود الحفاظ على التنوع الحيوي لجزيرتهم.

كما أن هناك عدداً من السكان الوافدين من المحافظات اليمنية يعملون في التجارة، وشكلوا محركاً أساسياً في النشاط التجاري للجزيرة في السنوات العشر الأخيرة. ويشار إلى أن الجزيرة لم تحصل على ما تستحقه من اهتمام منذ استقلال جنوب اليمن عن الاستعمار البريطاني عام 1967م، حتى إعادة وحدة شطري اليمن 1990م.

وبالرغم من التحسن الملموس في أوضاعها العامة وبناها التحتية بعد الوحدة، ولا سيما في مجال النقل والخدمات الصحية والتعليمية والتنموية، فإن القيمة البيئية النادرة للجزيرة وأرخبيلها تحتم إيلاءها مزيداً من الجهد والاهتمام.

واللافت أن الهيئات الدولية والدول الغربية التي تدرك القيمة الحقيقية لما تكتنزه سقطرى من ثروات طبيعية مذهلة باشرت منذ بعض الوقت إعداد عدد من المشاريع الإنمائية فيها.

الناحية الدينية في سقطرى:

كانت جزيرة سقطرى قبل أن يدخلها الإسلام في حوالي القرن العاشر الهجري تنتشر في بعض مناطقها النصرانية، وممن أثبتوا دخول النصرانية جزيرة سقطرى المؤرخ فيلوستورج، وبقيت النصرانية فيها أجيالاً طويلة بعد الإسلام.

وقال المسعودي: "وظهر المسيح فتنصر من فيها (أي جزيرة سقطرى) إلى هذا الوقت".

ويلحظ المتأمل لأهل هذه الجزيرة أنهم أشكال مختلفة مما يدل على أنهم خليط من جنسيات متعددة، يقول جواد علي: (وأهلها خليط من عرب وروم وإفريقيين وهنود، يتكلمون بلهجات متداخلة، وهذا الاختلاط نفسه أمارة على الأهمية التي كانت للجزيرة في ذلك الزمن. وقد ذكر "ياقوت الحموي" أن أكثر أهلها نصارى عرب، وأن اليونانيين الذين فيها يحافظون على أنسابهم محافظة شديدة وقد وصلوا إليها في أيام الإسكندر، ويزعم بعض الإخباريين أن "كسرى" هو الذي نقل اليونانيين إليها، ثم نزل معهم جمع من "مهرة" فساكنوهم وتنصر معهم بعضهم.

والذين يزورون هذه الجزيرة في هذه الأيام، يرون آثار ذلك الاختلاط وتشابك الشعوب والثقافات فما

زالت الآثار النصرانية باقية فيها، تتحدث عن انتشار النصرانية فيها، أنساها الزمن أصلها فدخلت في أهل "سقطرى"، وأخذت لسانًا جديدًا مزيجًا من ألسنة آرية وسامية وحامية، ولا يزال كثير من أهلها يسكنون الكهوف ويعيشون عيشة بدائية، لانعزال الجزيرة عن بقية العالم.

التنوع الحيوي في سقطرى:

تعد جزيرة سقطرى واحدة من أغنى عشر جزر هي الأكثر تنوعا بيئياً وحيوياً في العالم، لكن سقطرى تتميز أيضا عن بقية الجزر المشار إليها، انها ظلت لفترة طويلة بمنأى عن الأنشطة البشرية التي أثرت سلبا على الحياة البيئية في المناطق الأخرى وذلك نتيجة الظروف المناخية والرياح الموسمية القوية، التي تجعل الجزيرة معزولة عن العالم لمدة أربعة أشهر في العام. وهذا يساعد في صيانة ذلك التنوع الحيوي الذي تتمتع به الجزيرة.

التنوع النباتي:

تتميز جزيرة سقطرى بنباتاتها المتنوعة، فقد سجلت الدراسات الإحصائية احتواءها على 850 نوعاً من النبات؛ منها 293 نوعاً مستوطنا ونادرا، تنفرد بها سقطرى عن باقي مناطق العالم إذ يعتبرها العلماء والباحثون في مجالات الطبيعة والبيئة بأنها تحتضن أكبر تجمع للتنوع النباتي في العالم.

ومن أبرز أنواع النباتات النادرة والطبية التي تزخر بها جزيرة سقطرى شجرة (دم الأخوين) المعروفة علميا باسم Dragon Tree Blood وشجرة (امتة) المعروفة علمياً باسم Euphorbia Arbuscula وشجرة (سيرو) المعروفة علمياً باسم Jatropha Uni cortata وتنتشر شجرة الاسفد بشكل واسع في الجزيرة التي تشكل أحد ابرز معالم الأرخبيل وتتميز بجذعها الضخم والأوراق ذات الشكل النجمي إضافة إلى ذلك تتواجد في الجزيرة أشجار البخور ونبتة الصبر.

الأحياء البرية:

أما بالنسبة للأحياء البرية فإن سقطرى تعتبر موئلاً طبيعياً للعديد من أنواع الطيور والحشرات والزواحف والأحياء المائية فقد ذكر أعضاء البعثة الفرنسية التي قامت بدراسة علمية للأحياء في الجزيرة أن هناك ستة أنواع من أنواع الطيور السقطرية المستوطنة والتي لا توجد في غيرها وهي: طائر (اللوتوغنو)، وطائر (الشمس) وطائر (الوار بلر) وطائر(السيستي كون) (وطائر الاسبارو) وطائر (البانتيج) النادر والمهدد بالانقراض. كما توجد في الأرخبيل عشرة أنواع أخرى من الطيور التي تعيش بصفة دائمة في الجزيرة وتوجد في مناطق أخرى من العالم.

أما بالنسبة للحشرات فقد ذكر أعضاء البعثة الفرنسية أن أرخبيل سقطرى يتميز بحشرات لا توجد إلا به منها الفراشات مثل فراشات النهار والتي يوجد منها نحو 15 نوعاً مستوطناً إضافة الى60 نوعاً من فراشات الليل، كما يوجد 100 نوع من الحشرات الطائرة، 80 نوعاً منها لا يوجد إلا في سقطرى.

أما بالنسبة للحيوانات البرية فإنه توجد الآلاف من الماعز السقطري المميز الذي ينتشر في الجبال والأودية كما يوجد حيوان قط الزباد الذي يستخرج منه الأهالي مادة الزباد وهي مادة عطرية تستخدمها معامل إنتاج العطور في أوروبا، ولعل ما يميز سقطرى هو خلوها من الحيوانات المتوحشة والكلاب، والتي أعطت الفرصة لوجود أنواع عديدة من الحيوانات الأليفة.

وبالنسبة للزواحف، يوجد في سقطرى العديد من السحالي النادرة ذات الأحجام الصغيرة والكبيرة وكذا الثعابين والعقارب منها أنواع سامة تشكل خطورة على الإنسان.

الأحياء البحرية:

الحديث عن التنوع الحيوي للأحياء البحرية يحتاج إلى وقفات طويلة، إلا أن ما يثير الدهشة

في سقطرى هو أن سرطان البحر وغيره من أنواع النباتات والهوائم التي تعيش في المياه المالحة يتواجد في وديان سقطرى وهي بيئة المياه العذبة، ويوجد في سواحل الجزيرة وأعماق مياهها أنواع متعددة من الأسماك والأحياء البحرية الأخرى منها؛ أسماك الهامور والقرش وكثير من الأسماك التي لها أسماء محلية، وأيضا يوجد فيها الدلافين التي تقوم باستعراضات بديعة على سواحل الجزيرة كما توجد أنواع متعددة من أسماك الزينة ومن القشريات كالشروخ والجمبري.

ومن الأحياء المائية البحرية الأخرى يوجد نحو 60 نوعا من الإسفنجات إضافة إلى أنواع أخرى من الصدفيات والأحياء البحرية المائية الأخرى، والتي تلعب دوراً مهماً في عملية التوازن البيئي. كما أن أنواعا من الإسفنجات المائية لها خصائص حيوية تتسم بالتأثير القاتل لأنواع من البكتيريا الضارة وهذا يعني أنه بالإمكان استغلالها في الصناعات الدوائية.

أما ما يتعلق بالطحالب والهوائم النباتية فيوجد نحو خمسة عشر نوعاً، منها ستة أنواع سامة، كما تعتبر أعماق البحر في جزيرة سقطرى غنية بالشعاب المرجانية التي اكتشف الباحثون أنها لا تزال تحتفظ بالخصائص الطبيعية الخالصة.

سقطرى في عيون الباحثين:

تحظى جزيرة سقطرى اليمنية باهتمام دولي كبير نظرا لتنوعها الحيوي الفريد و كان آخر تجليات ذلك الاهتمام هو إدراج أرخبيل جزيرة سقطرى ضمن الشبكة العالمية لمحميات المحيط الحيوي الذي تم إقراره من قبل برنامج الإنسان والمحيط الحيوي MAB التابع لمنظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم اليونسكو.

كما أن العلماء والباحثين البيئيين من مختلف بلدان العالم كانوا ولازالوا مهتمين بهذه الجزيرة فلا تزال البعثات العلمية الأجنبية تتوافد لإجراء الدراسات على أنواع النباتات والكائنات الفريدة التي تتميز بها جزيرة سقطرى من أجل دراستها واكتشاف المزيد منها.

من هؤلاء العلماء و الباحثين البروفسور ولفانج فرانك الباحث والأكاديمي الألماني بجامعة روستاك و الذي سبق له في ثمانينيات القرن الماضي تأليف كتاب عن التنوع الحيوي في جزيرة سقطرى أحد المراجع العلمية الهامة والنادرة كما استعرض في أواخر العام 2004م نتائج دراسة أجراها على أربع سحالي سقطرية يعتقد أنها من الأنواع النادرة على مستوى العالم والتي لها دور في التوازن البيئي في الجزيرة.

وقد وصف البروفسور ولفانج الدراسة بأنها وضعت أهدافاً مستقبلية أهمها الحفاظ على المنظومة البيئية وتكاملها في الجزيرة، وأوضح أن جزيرة سقطرى ذات بيئة هشة لا تحتمل التدخل الإنساني غير المنظم والمبرمج الذي لا يراعي التنوع الحيوي النباتي والحيواني الذي تحتويه الجزيرة مؤكدا أن الجزيرة لا تزال من الجزر الطبيعية الخالصة القليلة على وجه الأرض وتحتاج لعملية تعداد علمي للكائنات الحية والنباتية الموجودة عليها.

وأضاف: "لا توجد مؤشرات على وجود خطر يهدد أيا من الأنواع الحية المعروفة في الجزيرة بالانقراض، إلا أن اكتشاف أحد الأنواع النادرة من السحالي المعروفة باسم "بسبورس" والتي يعيش النوع السقطري منها في الغابات الشجرية المعروفة باسم أشجار "الشورى" التي كانت توجد في منطقتين في الجزيرة لم تعد توجد إلا في منطقة واحدة مما ينذر باحتمال اختفاء البسبورس مع اختفاء أشجار الشورى".

وأكد ولفانج إن السحالي السقطرية وغير السقطرية في اليمن ليست من الحيوانات الضارة بالإنسان وأن ارتباطها لدى العامة بالأمراض الجلدية أو السموم ليس صحيحاً مشيراً إلى أنها تساعد على التوازن الطبيعي في المحيط الذي تعيش فيه وخاصة عندما تتغذى على الحشرات الضارة.

ودعا البروفسور ولفانج إلى الحفاظ على التنوع الحيوي المحيط بهذه الكائنات والذي يمثل منظومة بيئية متكاملة قد يؤدي الإضرار بها والتسبب في اختفاء أحد عناصرها إلى حدوث اختلال في توازنها وفطرتها السليمة وشدد على الاهتمام بدراسة تاريخ الجزيرة جيولوجياً وتحديد عمرها الجيولوجي مستعرضاً المرحلة التي مرت فيها الجزيرة دون اتصال مع بيئات محيطة بها وهو ما يؤكد وجود الأنواع المستوطنة.

وقد أشار موقع خاص بسقطرى على الإنترنت إلى أن دراسة علمية استطلاعية لفريق من العلماء الدوليين واليمنيين لثلاثة مواقع في سقطرى وأرخبيلها اشتملت على ملاحظات استقصائية للنطاقات النباتية والغابية والحشرات والزواحف، الموجودة في تلك المواقع، وبالأخص تلك التي لم تسجل بعد في قائمة الأحياء والنباتات التي أعدها العلماء عن الجزيرة. وتمكن الفريق خلال هذه المرحلة من رصد عناصر جديدة ونادرة من الأحياء النباتية والحيوانية فيه. كذلك اشتمل جزء من الدراسة على دراسات اجتماعية لعادات السكان المحليين وتقاليدهم. ورصد تباينا في عادات التجمعات السكانية وتقاليدها وأعرافها ونشاطاتها المعيشية والاقتصادية في مناطق الأرخبيل المختلفة.

ولاحظت باحثة أوروبية متخصصة في اللغات العربية القديمة غير المكتوبة، أنه من خلال زياراتها المتعاقبة لأرخبيل سقطرى لاحظت تنوعا كبيرا في مظاهر الحياة الاجتماعية وفي تفاصيل الحياة العادية للسكان من منطقة لأخرى. وقالت الباحثة، التي تعمل في إطار «مشروع داروين» التابع لحديقة النباتات الملكية في أدنبره "عاصمة اسكوتلندا"، والتي تجيد معظم اللغات العربية غير المكتوبة، ومنها اللغة السقطرية واللغة المهرية، ولغة حوبيوت وشحرات، المتداولة في منطقة الحدود المشتركة اليمنية العمانية، وفي إقليم ظفار، ولغة حرسوسي في صحراء عمان: «إن الفضل في استمرار مظاهر التنوع الحيوي المختلفة بخصائصها الأصيلة، يعود إلى تلك المنظومة العرفية التي التزمها سكان سقطرى في تعاملهم مع بيئتهم ومواردها الطبيعية وتنوعها الفريد، مما وفر فرصة ثمينة للعلماء والمتخصصين لكي يتعرفوا على الملامح والخصائص الأصلية لكثير من الفصائل النباتية والحيوانية، التي طرأ عليها تغير جوهري في مناطق وبيئات العالم المختلفة، والأهم من ذلك بقاء عدد لا بأس به من النباتات النادرة حتى الآن».

وأشارت الباحثة إلى العمق الحضاري والتاريخي للحياة الاجتماعية في سقطرى وارتباطها بنسيج الحضارة السامية القديمة التي سادت في القرون القديمة السابقة واللاحقة لميلاد المسيح (عليه السلام) في الوطن الأم اليمن، ودللت على ذلك بوجود شواهد أثرية ونقوش للغة اليمنية القديمة في اثنين أو أكثر من الكهوف المنتشرة في الجزيرة، وبالأخص في منطقة "قاضب" ومرتفعات "حجهر" التي ترتفع 1500 متر فوق سطح البحر.

سقطرى محمية طبيعية:

يتميز أرخبيل سقطرى بطبيعة ساحرة وتنوع حيوي فريد يضعها على قائمة آخر مستودعات الطبيعة البكر على وجه المعمورة حسب مرفق البيئة العالمي "جي.إف.أي" الأمر الذي جعل هذه الجزر متحفا للتاريخ الطبيعي.

وقد أعلنت جزيرة سقطرى محمية طبيعية قبل أكثر من خمسة أعوام، وأصبحت قبلة السياحة البيئية الأولى في البلاد حيث تجتذب 70 بالمائة من حركة السياحة الدولية القادمة إلى اليمن، ساعد على ذلك توفر ويسر سبل الوصول إلى هناك جوا بالإضافة إلى وجود قدر كبير من الخدمات التي لم تكن متاحة في الماضي بعد أن ظلت سقطرى تعيش في عزلة عن العالم لعقود عديدة، وتشير إحصاءات الهيئة العامة للسياحة إلى أن أكثر من 50 ألف زاروا سقطرى خلال النصف الأول من عام 2005م من مختلف الجنسيات.

وتضم جزيرة سقطرى 39 محمية طبيعية يشرف عليها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والهيئة العامة لحماية البيئة وتجري إدارتها وفقا لبرنامج يكفل استدامة التنوع الحيوي ويسمح بالشروع في مزاولة أنشطة السياحة البيئية التي يروج لها كمنتج سياحي جديد قادر على اجتذاب المزيد من حركة السياحة الدولية، وتم حتى الآن إنفاق خمسة ملايين دولار لتمويل برامج الحفاظ على التنوع الحيوي والبيئي في سقطرى.

اللغة السقطرية ... التواصل والإبداع:

"أمَبَرِيَهْ ذاْ جِدَخْ آآجيهِنْ" بهذه الكلمات السقطرية سمعته يصرخ في مجموعة من الطلاب فعلمت بعدها أنه كان يقول لهم: "الأولاد الذين لم يحضروا سأعاقبهم".. فقلت: إنه لشيء عظيم أن تحتفي قبائل صغيرة في هذا العالم بلغتها منذ مئات السنين وتحافظ عليها حتى تعبر بها الأزمان وتوصلها إلى أحضان هذا العصر عصر العلم والتقانة والتدوين الإلكتروني بالغ الدقة والتعقيد، شيء عظيم فعلاً أن تصل اللغة السقطرية إلى عالم اليوم متخطية عراقيل الزمن وعواتي القرون.. بل إنها معجزة خاصة إذا رأينا الكثير من اللغات قد ذابت ولم يتبق منها إلا الأخبار..

هؤلاء هم أبناء سقطرى الذين عشقوا لغتهم كما عشقوا جزيرتهم الساحرة.. قد يكون بُعْدُ هذه الجزيرة وموقعها وسط البحار العريضة سبباً في حفظ لغتهم، ولكن ليس هذا هو العامل الأساس أو العامل الوحيد فذكاء الإنسان السقطري وحبّه للغته، وممارسته لها في كل شؤونه وأحواله كان - أيضاً - سبباً قوياً في ذلك..

عندما يتكلم معك السقطري - أي سقطري - يخاطبك بلهجة عربية يمنية واضحة فإذا ما اجتمع سقطريان تركاك وشأنك ليدندنا بالسقطرية بصوت عالٍ دون مؤاربة أو مجاملة.. حتى لدى مدرسي اللّغة العربية وطلاب قسم الدراسات العربية في كلية التربية.. هكذا تجدهم رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً لا يتخاطبون فيما بينهم ولا يهاتفون بعضهم في الجوال إلا بلغتهم الخاصة.

إن اعتزاز الإنسان السقطري بلغته التي هي تراثه جعلته مميزاً حاضرا في العالم اليوم وأصبحت اللغة السقطرية إحدى اللغات التراثية القديمة المسجلة في الموسوعات والأوساط الأكاديمية..

أقول: إن اللغة السقطرية لم تكن قادرة على تلبية مطالب الحياة اليومية والتواصل الاجتماعي فحسب بل اتضح لي أن هذه اللغة تمتلك إمكانات أدبية ووظائف جمالية، وتحمل صنوفاً من الإبداع وفنوناً من التعبير، وليست لغة عشوائية كونها تُنطق ولا تكتب، بل تنتظم في معايير ثابتة من النحو والتصريف ومشتقات الأسماء والمسميات والأحداث الزمنية والأدوات المساعدة ..

فالشعر هو واحد من إبداعاتها العجيبة.. يقول الشاعر أحمد بن سالم دمن سراهن في قصيدة رومنسية:

علك نسأَلكْ صديقي شضْرهَن دمن تراتر
بر هيمعك أأفو يعومر لابد مال تقاطع فاشل
مَن معلا ترا من عجي دشلاحدن كالاهي
من مهي دزيد لداجن مان عاقل ومان منقينع
عن طاد هك اضوحك بادي طرفهنك دفانا
وطد كنك ديأه ازاعه استلف ولط اليوفي
وطاد كنك دإيهه يزاعا العد يعاجب زياده
خمس كنك فروض ازعه كل سنه طاد شاهر

....

أح الله إفو يأمدن حالي لريهو مالح
أح الله إفو يأمدن مسلف لريهو غازر

وترجمة القصيدة بالعربية كما أوردها الأستاذ الأديب فهد سليم كفاين في كتابه "مختارات من الأدب السقطري":

لي أن أسألك يا صديقي "شضرهن دمن تراتر"
سمعت عنك من الآخرين
بأنك صاحب رأي وقضا حاجة

اثنان هما يتزاحمان دوماً أيهما الأهم؟
أحمق أحدهما وكيس أحدهما فمن منهما
يضحك أحدهما بوجهك متملقاً
يستدينك ولا يرد شيئاً
والآخر يأخذ حقه فقط
ولا يريد أكثر منه
طالباً فروضاً خمسة
وشهراً في كل سنه دين عليه
إلهي: كيف يتساوى ماء عذب بماء أجاج
إلهي: أو يقيسون قطرات
الندى بالغيث العميم.

والشعر السقطري حافل بالإبداع في موضوعات عديدة وقد صدر كتاب بعنوان مختارات من الأدب السقطري لفهد سليم كفاين أورد فيه عدداً من القصائد باللغة السقطرية وبجانبها الترجمة العربية.

واللغة السقطرية لم تقف عند الشعر فقد حملت في فقهها الأمثال السائرة والأقوال المأثورة والحكايات والقصص الأسطورية القصيرة الغريبة؛ يتناقلها الناس بشيء من المتعة واللذة ..

تقول إحدى تلك الحكايات السقطرية:

"كان هناك رجل شجاع يسمى "رحبهان" وكان يعيش مع ابنه وخادمه في كهف كشن غربي جزيرة سقطرى وفي تلك الفترة هجم البرتغاليون والإفرنجة على سقطرى وأراد بعضهم الاستقرار فيها ، ولكن رحبهان أراد طردهم منها. فقام بعمل خطة محكمة بأن اختطف رجلاً وامرأةً من الفرنجة اعتادا التجوال بمفردهما. أخذ المرأة بعيداً دون أن يلاحظ الرجل، وقام بأخذ عنزة وغطاها بقماش وأدخلها على الرجل وأوهمه أنها المرأة فطعنها فسال الدم وظن الرجل الأجنبي أنه قتل المرأة. ثم أخذ رحبهان لحم عنزة أخرى كان قد ذبحها وألقاه في ماء مغلي حتى نضج وأكله فأيقن الأجنبي أنه لحم المرأة. ثم أمر خادمه سرّاً أن يطلق سراح الأسير بزعم أنه قام بذلك دون علم سيده. هرع الأجنبي إلى أهله خائفاً يخبرهم أن أهل الجزيرة قد ذبحوا المرأة وطبخوا لحمها وأنه سيرحل عن هذه البلاد دون تأخير فقرروا هم أيضاً الرحيل معه، فأبحروا بسفنهم وغادروا الجزيرة. أما رحبهان فقد تزوج المرأة الأجنبية وأنجب منها العديد من الأبناء وبذلك تكونت قبيلة "كيشن".

وهناك عدد من القصص والحكايات الأسطورية التي تروى باللغة السقطرية التي تدور حول العادات الاجتماعية والطقوس الدينية والحيوانات والطيور، ومنها قصة طائر ضخم يسمى "الرُّخ" وله جناحان يسد بهما الأفق، يعيش في سقطرى ويسكن في ذرى جبالها الشاهقة والبيضة الواحدة منه مثل معبد بأكمله ويستطيع أن يحمل فيلاً ويطير به إلى مسكنه فوق قمم الجبال".

وقصة الطيور السبعة التي تظهر لكل قادم إلى سقطري من البحر من أي جهة كانت وجهته ليلاً أو نهاراً ومن أي صوب أقبلت المراكب تستقبلها تلك الطيور أما عندما يغادر الجزيرة فلا يرى أياً من تلك الطيور السبعة".

ورغم أن الدراسات شحيحة حول اللغة السقطرية وأدبها وإبداعها فقد وُجدت محاولات جيدة سعتْ إلى الوقوف على جذور اللغة السقطرية منها كتيب بعنوان "إعلام البريه باللهجة السقطرية وما ورد منها في اللغة العربية" لعبد العزيز بن قطين، حاول فيه الكاتب أن يتتبع منابع اللغة السقطرية من خلال ربطه بينها وبين اللهجات المهرية والجبالية في عمان وذكر :"بأن هذه اللهجات الثلاث فروع من أصل قبيلة حمير العريقة". كما أورد الكاتب عدداً من المصطلحات السقطرية التي تتشابه أو تعود في أصولها إلى اللغة العربية، مثل قولهم بالسقطرية: "ألببْ" وتعني القلب، وقولهم"شياط" بمعنى النار، وقولهم "حماتس" وتعني أخوات الزوج وغيرها. وهذا الجهد للكاتب بداية مشكورة تحتاج إلى وقفة من الباحثين.

قواعد اللغة السقطرية

وهذه القواعد كما وردت في "منتدى البيلسان للسياحة" على شبكة الإنترنيت أن الجملة في اللغة السقطرية تتكون كما هي في اللغة العربية من ثلاثة أجزاء هي: الاسم، الفعل، الحرف.

أولاً: الاسم من حيث العلامات الدالة عليه هي:

1 - أن تأتي الهاء أو التاء المربوطة أو المفتوحة في آخره في بعض المناطق مثل منطقة معلة مثال: (غاجه ـ غاجت، طيربه ـ طيربت، غوجنه ـ غوجنت).

2 - (ال) التعريف في الأسماء السقطرية قليلة الورود فالأسماء دائما تأتي نكرة مثال: (غاج) الرجل (غاجه) المرأة أو يستعاض عنها بالأداة (دي) التي تستخدم كأداة التعريف في اللغة السقطرية فتسبق أسماء القبائل و الأماكن و الأشخاص في بعض الأحيان.

3 - أن يكون مسبوقا بحرف الجر (ب) مثال: بطيربه وتعني بكهف.

4 - أن يكون مسبوقا ب (دي) مثال: ديقوت، ديحمض ديموري، ديحرسوا، دحمضهوا، ديضرحوا.

ثانيا: حالات الفعل في اللغة السقطرية:

الفعل له ثلاث صور كما هو في اللغة العربية و قد حاولنا أن نضع أو بالأحرى نكتشف القاعدة أو الآلية التي تعمل أو تسير وفقها هذه الأفعال، ولكن مازال يكتنف هذا الموضوع الكثير من الغموض ويحتاج إلى المزيد من الأبحاث والدراسات من أجل فك شفرة اللغة السقطرية والوصول إلى مصادرها وأصولها وطريقة الاشتقاق فيها وتتقسم مفرداتها إلى قسمين القسم الأول وهو الأصل الأساسي لهذه اللغة والقسم الثاني أو المصدر الثاني الذي استقت منه اللغة السقطرية مفرداتها وهو اللغة العربية حيث الكثير من مفرداتها تحورت عن اللغة العربية و اصطبغت بصبغة اللغة السقطرية و تكيفت معها مثال ذلك الفعل العربي (حَلَبَ) الذي تحور إلى (حلوب) في اللغة السقطرية علما أن كلاً من الفعلين هو فعل ماضٍ و هكذا.

1. الفعل الماضي:

الفعل الماضي في اللغة السقطرية ينتهي بالسكون و ليس بالفتح كما هو في اللغة العربية الحديثة (شَقَحْ) وإذا اعتبرناها لهجة فإنها تكون عند ذلك حالها كحال اللهجات الأخرى في الوطن العربي، التي تنتهي بالسكون بعد أن هجرت الحركات الأخرى كالفتح في الفعل الماضي والضم في حالة الفعل المضارع أما لو اعتبرناها لغة مستقلة لها قواعدها ونظامها الخاص عند ذلك تكون أما لغة تهيمن عليها حركة واحدة وهي حركة السكون.

2. الفعل المضارع:

الفعل المضارع أيضا ينتهي بالسكون وليس بالرفع أو بالضم كما هو في اللغة العربية الحديثة (يشاقحْ) أو (تشاقح).

3. فعل الأمر:

أما في حالة فعل الأمر في اللغة السقطرية فهو يتفق مع نظيره في اللغة العربية الحديثة فينتهي بالسكون مثله (أشقحْ). علما بأن حركة السكون هي الغالبة ولها السيادة على اللغة السقطرية فلا تنازعها أية حركة أخرى، فبها تنتهي الكلمة السقطرية بشكل عام سواء كانت اسما أو حرفاً أو فعلا، إذن فالسكون هو الغالب وهذا ما سيتضح لنا من خلال تتبع نهاية الأفعال والحروف والأسماء في هذا المبحث.

ملاحظات و تعليقات عامة على هذه الأفعال:

يوجد تشابه بين فعل الأمر السقطري بصورته الأولى (تعامزْ) بالفعل المضارع في اللغة العربية الحديثة باستخدام حرف "ت" في كليهما مثال:

(تطاعوم فعل أمر سقطري يعني أطعم و (تطعمُ) فعل مضارع باللغة العربية يعني تعطي الطعام للضيف.

أما فعل الأمر في اللغة السقطرية فهو يأتي على شكل (أنبشْ) وهو كثير الشبه لنظيره في اللغة العربية.

و(تنابشْ) شبيه بالفعل المضارع في اللغة العربية كما سبق الذكر ووجه الشبه بينهما هو حرف التاء الذي يأتي في بداية كليهما أما وجه الاختلاف بينهما فهو الحركة الأخيرة حيث ينتهي الفعل المضارع في اللغة العربية بالضم (يطعمُ) وينتهي فعل الأمر باللغة السقطرية بالسكون (تعامزْ).

ثالثا: حروف الجر في اللغة السقطرية:

توجد حروف مختلفة في اللغة السقطرية نتناول هذه الحروف تباعا: (ب - عن - من - عف).

إن حروف الجر في اللغة السقطرية لا تؤثر في تغيير نطق الكلمة كما هو في اللغة العربية و هي شبيهة بذلك باللغة الإنجليزية التي لا تتأثر الكلمة فيها بحرف الجر ضما أو نصبا أو جرا أو غير ذلك.

شرح طريقة عمل هذه الحروف والأمثلة عليها:

(ب) حرف الباء هو حرف جر في اللغة السقطرية و يعمل عمل (في) في اللغة العربية مثال: (بِخْتَهْ) و تعني في الليل و حرف الباء في كلمة بخته يعمل عمل حرف الجر لأنه ليس من أصل الكلمة (خته) التي تعني الليل.(بعارن بعمق دخته) ومعنى الجملة (سرينا في منتصف الليل) وحرف الباء في كلمة بعارن ليس من حروف الجر لأنه من أصل الكلمة أما حرف الباء في كلمة بعمق فهو حرف جر زايد لأنه ليس من أصل كلمة (عَمْقْ) التي تعني وسط.

(عن) حرف آخر من حروف الجر في اللغة السقطرية مثال :(رايش ته علي عن سالم) ومعنى الجملة سألني علي عن سالم.

(من) حرف من حروف الجر في اللغة السقطرية مثال: (جادحك من قلنسية هه وأغي فنون من حمد) ومعنى الجملة جئت من مدينة قلنسية مع أخي فنون بن حمد. ونلاحظ تكرار حرف من في هذه الجملة مرتين حيث جاء في جملة (جادحك من قلنسية) على صورة حرف الجر.

وجاء في جملة (فنون من حمد) بمعنى (بن) أي فنون بن حمد لأن السقاطرة يستخدمون أحيانا حرف (من) وأحيانا حرف (بر) وهما بمعنى بن ولكن (من) تستخدم في بعض المناطق أما (بر) فهي تستخدم في عموم الجزيرة.

(عف) وتعني حتى الظرفية التي تأتي ظرف زمان مثال: (يهاقوم مكشم عف تصابح) و معنى الجملة سهر الولد حتى الصباح.

رابعا: الاسم الموصول في اللغة السقطرية:

(دي) وأصلها ذي وتعني اسم موصول (الذي) مثال: (غاج ديجدح) والمعنى الرجل الذي جاء وهو اسم زميلنا في هذه المنتديات وهو الكاتب الروسي (فلادمير أجفانوف) الذي أتخذ له هذه الجملة السقطرية أسما دلالة على معرفته وتبحره بهذه اللغة حيث قضى ردحا من الزمن في أرجاء الجزيرة وبين أهلها دارسا وباحثا في لهجاتها المختلفة واختلاف مخارج ألفاظها ومفرداتها من منقطة إلى أخرى كما عرف الكثير من عادات أهلها حتى أصبح واحدا منهم وهذا ما دعاه إلى مشاركتنا في الكتابة عن بلادنا سقطرى.

كما أن دي تأتي قبل الأسماء سواء أسماء الأشخاص أو أسماء الأماكن

مثال: (ديقوت -ديحمض - ديكسم - ديحمري - ديطوح).

وتعمل (دي) بدلا عن أداة التعريف (ال) وتقوم مقامها بعد أسماء القبائل مثال: (ديحرسي - ديقيسي - ديعاصص - ديفرجيهي -ديسيكي) بمعنى الحرسي القيسي العاصص الفرجيهي السيكي وهكذا.

وتأتي قبل أسماء المناطق التي تسمى بأسماء القبائل مثال: (ديحرسه- ديضرحه- دي حمضه - ديفدهن) أو بصورة أخرى ، دحرسوا-ديضرحوا وهكذا..

(آل) لها وظيفتان في اللغة السقطرية هما :

1 - (آل) أداة نفي في اللغة السقطرية مثال: (آل جدح هاج) والمعنى لم يحضر الرجل.

2 - (آل) أداة استفهام مثال: (آل عموك هاك) و المعنى ألم أقل لك.

الضمائر في اللغة السقطرية:

وتنقسم إلى ضمائر خاصة وضمائر ملكية :

أولا: الضمائر الخاصة أو المنفصلة:

ونوردها على شكلين لاختلاف القبائل في النطق وكلاهما صحيح.

بالسقطرية	بالعربية
هوهن، هه	أنا
حنهن، حن	نحن
اهان، اه	أنتَ
اهين، ايه	أنتِ
تيهن، تيه	أنتما
تنهن، تنه	أنتمِ
تنهن، تنه	أنتن
يهاهن، يهه	هو
ساهن، سه	هي
يهنهن، يهن	هم
سنهن، سان	هن

ثانياً: الضمائر الملكية المتصلة:

بالسقطرية	بالعربية
ديئهو	حقيِ
ديئه	حقك
ديئيهه	حقه
ديئسه	حقها
ديئهن	حقنا
ديئهن	حقهم
ديئتن	حقكم
ديئسن	حقهن
ديئتي	حقكما
ديئه	حقكِ

من المعجم السقطري:

السقطرية	العربية
أُكَه:	تعال
جدح	حضر
جُودَحن	أحضر
درف	باب
نحرار	أنف
شاف	رجل
مار	بطن
آحاه	لسان
عوجاجهن	طفل
عوجنه	طفله
عاشه	امرأة
شيبب	عجوز
قاعر	البيت
عبهور	بئر
جامي	وادي
رزهم	بحر
ريهو	ماء
زوعم	جلس

الزهراء السقطرية وخبر قصيدتها:

وهذه القصة جديرة بأن نوردها هنا وصاحبتها هي فاطمة بنت حمد بن خلفان بن حميد الجهضمية، لقبت بالزهراء، ونشأت في منطقة من مناطق سقطرى، ذهبت مرة مع والدها لزيارة نسيبهم الوالي القاسم بن محمد الجهضمي السمدي في جزيرة سقطرى، وذلك في زمن الإمام الصلت بن مالك الخروصي، الذي كان حاكما في عمان، وهو من اليحمد بويع له بالخلافة سنة 237هـ، بعد وفاة الإمام المهنا ابن جيفر. وقد تمكن الإمام الصلت بن مالك من استرجاع جزيرة سقطرى إلى

حظيرة عمان من قبضة النصارى الذين احتلوها.

وذلك بعد أن نكث النصارى وخانوا العهود في هذه الجزيرة، فقتلوا واليها القاسم بن محمد وسلبوا ونهبوا وأخذوا الجزيرة قهرا. فكتبت الزهراء قصيدة عصماء تستغيث بالإمام وتستنجده، وتطلب منه أن يسارع بنصرة المسلمين، وتستثير في أبيات قصيدتها همة الإمام الصلت ومن معه من الرجال لنجدة الإسلام وشرعه وأهله في جزيرة سقطرى، تقول فيها:

قل للإمام الذي ترجى فضائله
ابن الكرام وابن السادة النجب
وابن الجحاجحة الشم الذين هم
كانوا سناها وكانوا سادة العرب
أمست سقطرى من الإسلام مقفرة
بعد الشرائع والفرقان والكتب
وبعد حي حلال صار مغتبطا
في ظل دولتهم بالمال والحسب
لم تُبقِ فيها سنون المحل ناضرةً
من الغصون ولا عوداً من الرُطَبِ
واستبدلت بالهدى كفراً ومعصيةً
وبالأذان نواقيساً من الخشب
وبالذراري رجالاً لا خَلاقَ لهم
من اللئام علوا بالقهر والغلب
جارَ النصارى على واليك وانتهبوا
من الحريم ولم يألوا من السلب
إذ غادروا قاسماً في فتيةٍ نُجُبِ
عقوى مسامعهم في سبسبٍ خرب
مُجدّلين سِراعاً لا وساد لهم
للعاديات لسبع ضارئ كلب
وأخرجوا حُرم الإسلام قاطبة
يهتفن بالويل والأعوال والكُربِ
قل للإمام الذي تُرجى فضائله
بأن يغيث بنات الدين والحسب
كم من مُنعمةٍ بكرٍ وثيبةٍ
من آل بيتٍ كريم الجد والنسب
تدعو أباها إذا ما العِلجُ همّ بها
وقد تلقّف منها موضع اللبب
وباشر العِلجُ ما كانت تَضُنُ به
عليِ الحلال بوافي المهر والقهب
وحلّ كل عراءٍ من مُلمتها
عن سوءةٍ لم تزل في حوزةِ الحُجُبِ
وعن فخوذٍ وسيقان مدملجةٍ
وأجعدٍ كعناقيدٍ من العنب
قهراً بغير صداقٍ لا ولا خُطِبت
إلا بضربِ العوالي السُمرِ والقُضُبِ
أقولُ للعين والأجفان تسعدني
يا عين جودي على الأحباب وانسكب
ما بال صلتٍ ينام الليلَ مُغتبطاً
وفي سقطرى حريم عُرضة النهب
يا للرجال أغيثوا كل مسلمةٍ
ولو حبوتم على الأذقانِ والرُكبِ
حتى يعودَ نصاب الدين منتصباً
ويهلك الله أهل الجور والريب
وثم يصبح دعا الزهراء صادقة
بعد الفسوق وتحيى سنة الكتب
ثم الصلاة على المختار سيدنا
خير البرية مأمون ومنتخب

وما إن وصلت الإمام هذهِ القصيدةَ حتى فعلت فعلها في نفسه؛ فثار وغضب، وقام بكل ما يفرضه عليه منصبه وواجبه من عمل، فجهز مائة سفينة محملة بالجنود ومجهزة بالعدة والعتاد، وعين قادة شجعانا، وزودهم بكتاب عبارة عن دستور تنظيمي ينتهجون نهجه إداريا ودينيا، وتم النصر للجيش المسلم، فأصبح العدو بين قتيل وجريح وأسير، فأخذوا البلاد وهزموا الأعداء، وخلد التاريخ الزهراء وقصيدتها.

ختاماً نقول:

لقد عانى أبناء هذه الجزيرة في الأزمان الماضية الحرمان والعزلة عن العالم.. ويحكي لي بعض الناس فيها أنهم في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي ما كانوا يتصورون أن هناك عوالم

أخرى غير عالمهم في هذه الجزيرة، وأن منتهى الدنيا في شواطئهم إذ كانوا يعيشون أيامهم على الرعي والصيد البحري .. ويأكلون ويشربون من خيرات الجزيرة ويعيشون في حياة هادئة بسيطة لا يعرفون ما وراء البحار.. فالجزيرة عالمهم الوحيد وطبيعتها الساحرة أغنيتهم التي يطربون لها. يتهامسون بلغتهم السقطرية التي لا يعرفها أحد غيرهم ولا يقدر على نطقها أحد سواهم لما فيها من أصوات وكلمات ذات نبرات عجيبة وغريبة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنها بقية من اللغات اليمنية المعروفة بالصفوية واللحيانية والثمودية والسبئية والحميرية القديمة جداً التي تعود في مجملها إلى اللغة العربية الأم التي لم يتوصل إليها الباحثون بعد..!

وهذا لا يعني أن أهلها لا يعرفون العربية اليوم فمعظمهم وخاصة الجيل الجديد يتكلمون العربية بطلاقة مع غيرهم وتبقى لغتهم الأصل التي تنطق ولا تكتب يتواصلون بها في خصوصياتهم.

أن أهم ما يميز أبناء سقطرى كرم طباعهم، وطيبة نفوسهم ونقاء فطرتهم التي تبدو في صورهم السمراء وأجسامهم النحيلة، وعيونهم الغائرة الصغيرة التي ترنو إلى المستقبل وتقرأ فيها الآمال عسى أن يلتحقوا بعالم اليوم ويستعيدوا ما مضى من عزلة القرون الغابرة التي عاشها آباؤهم وأجدادهم.

ونحن إذ نرى أبناء سقطرى اليوم بدأوا فعلاً يعيشون في حياة تكاد تقترب من حياة أبناء اليمن عموماً، فيبقى الغلاء الفاحش، وارتفاع الأسعار وصعوبة التنقلات وتكاليف المواصلات الباهظة جواً من وإلى الجزيرة، وانعدامها بحراً يبقى كل ذلك يعاني منه المواطن السقطري اليمني في هذه الجزيرة.

وإذا كانت الأمراض والأوبئة قد تلاشت بشكل مقبول في الجزيرة فتبقى السنن الإلهية تحدُّ من هدوء عيش الإنسان حيث تأتي على الجزيرة ريح موسمية عاتية تعبث بكل شيء، فتتوقف معها الحياة والحركة السياحية والملاحية .. ويضطر سكان السواحل النزوح إلى البوادي والاحتماء بالكهوف العجيبة التي تستوعب عشرات الأسر مع مواشيهم وأمتعتهم.. ثم تأتي الأمطار الغزيرة بعد تلك الرياح، وتنزل السيول وتجري الغيول والأنهار، وتخضرُّ السهول والجبال والشواطئ وتدبُّ الحياة من جديد. ولولا بُعد الجزيرة عن اليابسة بمسافات شاسعة لكانت أعظم منتجع سياحي، ويصدق عليها وصف الشاعر في قوله:

تلك الجزيرة لست أنسى حسنها
بتعاقب الأحيان والأزمان
نسج الربيع نباتها من سندس
موشية ببدائع الألوان
وغدا النسيم بها عليلا
هائما بربوعها وتلاطم البحران

أهم المصادر والمراجع:

1 - لسان العرب لابن منظور
2 - مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي.
3 - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د.جواد علي.
4 - سقطرى الجزيرة السحرية د. محمد علي البار مطبعة العصر الحديث.
5 - مختارات من الأدب السقطري، فهد سليم كفاين.
6 - إعلام البرية باللهجة السقطرية، عبد العزيز بن قطين.
7 - النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، لويس شيخو، نسخة منشورة على شبكة المعلومات، موقع المكتبة الشاملة.
8 - سقطرى، مجلة أصدرها طلاب جزيرة سقطرى في جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا.
9 - جزيرة سقطرى: موضوع منشور على موقع المركز الوطني للمعلومات – اليمن.
10 - سقطرى جزيرة الأحلام. موضوع منشور على عدد من مواقع الإنترنت.
11 - سقطرى جنة الطيور والنباتات النادرة: عادل محمود، منشور على موقع الشرق الأوسط السعودية.
12 - الزهراء السقطرية موضوع منشور على منتديات شبكة حنين.
13 - منتدى البيلسان للسياحة ومنتديات أرخبيل سقطرى.

حـول اللهجة الأهنومية ومفرداتها

على عبد الله مطهر العنسي

مُقدّمة

لاشك أنه عندما يقوم المرء بدراسة لهجة من اللهجات التي تختلف من قرية إلى أخرى في يمن الإيمان والحكمة لايعني أنه يقوم بتكريس المناطقية كما يتخيل البعض بل الغرض والقصد من هذه الدراسة هو حماية التراث وصونه من الاندثار ويعتبر رديف للحفاظ على لغتنا العربية الفصحى التي شرف الله سبحانه وتعالى العرب بها وأنزل القرآن بلغةٍ عربيةٍ صرفة من الواجب صونها والحفاظ عليها.

كما انه لايعني أننا نحاول طمس اللغة العربية وندعو إلى التمسك باللهجة العامية والتشبث بها حاشا وكلا ولكن الغرض هو التعرف على ماتحتفظ به المجتمعات اليمنية من ثقافات مختلفة وعادات وتقاليد متميزة، المنتشرة في كثير من المناطق ومنها الأهنوم التي انفردت بمفردات عجيبة وظريفة والذي نحن بصدد الحديث عن اللهجة الأهنومية ومفرداتها .

أهمية الموضوع :

ومن الأهمية بمكان أن تراثنا اليمني مازال بحاجة إلى مزيد من الدراسات خصوصا مايتعلق باللهجات المحلية التي حلّت محل اللغة العربية الفصحى وقد يجد المرء أن بعض المفردات العربية تشملها مفردات اللهجات المحلية معناها ومضمونها وقد تجد فيها نوعا من التحريف والتصحيف كقلب الألف ياءً والواو ألفا وغيرها؛ كما سنبين ذلك نتيجة لعوامل عديدة، وعلى كل فقدأصبحت الدراسات الأكاديمية أحد أهم سمات البحث العلمي في هذا الجانب الذي انبرى له عدد من المهتمين بدراسة اللهجات المحلية المختلفة وإن كان مازال يشوبها القصور.

ولاشك أن اللهجات المحلية تختلف حركاتها وأصواتها من منطقة إلى أخرى كذلك مفرداتها ، وإذا مانظرنا إلى (منطقة الأهنوم) سنلاحظ مفردات غير متداولة في مناطق أخرى كما تميزت بسمات وخصائص عديدة وإن صاحبتها الرخاوة والإمالة والتضعيف وغير ذلك ، ومازال اللهجة الأهنومية في طي النسيان إذ لم يتطرق إليها أحد وقد

أدركنا أهمية دراستها لما تمثله من مادة ثقافية وتاريخية وانسانية.

الهدف من الدراسة :-

تهدف الدراسة إلى تأصيل المفردات المتداولة وجمعها حفاظا عليها من الاندثار ومعرفة الأسباب التي أدت إلى اختلاف اللهجات والتعرف على الأصوات والحركات وكذلك من أجل إثراء المكتبة اليمنية التي تفتقر إلى مثل هذه الدراسات وغير ذلك .

مصادر جمع المعلومات :

اعتمدت على جانبين أحدهما الجانب النظري من خلال الاطلاع على المصادر والكتب والدراسات التي اهتمت بموضوع اللهجات لمعرفة التشابه والاختلاف بقدر ماتيسر لي وقد استغرقت وقتا طويلاً في البحث عنها للاستفادة منها وقد تيسر لي الحصول على بعض من تلك الدراسات اليمنية والتي استعنت بها، مثل الدراسة التي قام بها العلامة احمد حسين شرف الدين تحت عنوان ((لهجات اليمن قديما وحديثا)) وهذه الدراسة كان عليها جُل اعتمادي وقد سلكت ونهجت قريباً من الأسلوب الذي اتبعه في الدراسة لسلاسته ووضوحه ولسهولة معرفة طرق اقتباس المضمون لأي دراسة يقوم بها أي باحث ؛ وقد يجد القارىء تشابها في التبويب والتسلسل للمواضيع التي تطرقت إليها وأشرت إليها في هذه الدراسة التي نحن بصددها وبين ماهو موجود في تلك الدراسة التي سبق ذكرها كما تيسر لي النظر في دراسة زيد علي عنان(في اللهجة اليمانية) وكذلك (المعجم اليمني في اللغة والتراث) للمؤرخ مطهر علي الارياني وغير ذلك .

والجانب الآخر من مصادر جمع المعلومات: الجانب الميداني وذلك من خلال النزول الميداني إلى المنطقة والتجوال في قراها مع الملاحظة بشكل دقيق والوقوف أمام الوثائق القديمة التي تيسر لي الإطلاع عليها ولمعرفتي بها وقربي منها وكوني واحدا من أبناء المنطقة (وأهل مكة أدرى بشعابها) .

نسب الأهنوم

اختلف النساب في نسب الأهنوم فكهلان تلحقه في انساب همدان ثم في حاشد وحمير تلحقه في ولد الهميسع وهي اليوم تتبكل عن جهل وعدم معرفة بالانساب [1].

ومهما يكن فقد سميت باسم الأهنوم بن الحارث بن حديق بن عبد الله بن قادم بن جشم بن حاشد؛ فالاهنوم في الأصل حاشدية وساكنوها خليط من حاشد وبكيل . وقد ذكر الهمداني أبناء الاهنوم وعقبه من بعده [2]

قبائل الأهنوم :

الأهنوم في الأصل همدانية حاشدية وأهلها همدانيون حاشديون واليوم أغلب قبائلها من بكيل (نوفي -عوفي -نسري) وهؤلاء هم قبائل هِنوَم (مديرية المد ان حاليا) ثم قبائل ذري وهم حسني- زريبي- وفاحشي-وبتامي- وخلقي-وحكمي- وكريشي ؛ وكذا قبائل سيران الشرقي والغربي، وهؤلاء هم في _مديرية شهارة). كما يوجد منهم بطن من خولان بن عمرو بن الحاف . من قضاعة[3] كما ذكر ذلك المؤرخون الذين اهتموا بأخبارها وأخبار أعيانها ورجالها لما كان لهم من صولة وجولة في أحداث التأريخ. وهناك اسر عديدة ضمن المكون الإجتماعي استوطنت الأهنوم من فئات اجتماعية مختلفة منها أسر هاشمية وأسر علمية وفئات أخرى وهذه الفئات والأسر تتوزع بين القبائل ويطلق عليهم (هجرة) وقد أصبحوا جزءًا أصيلا من المكون الإجتماعي.

(قبائل هنوم (مديرية المدان)

وقد قسم الأخباريون قبائلها إلى:-

1 - **بني نسر:-**

من قبائلهم : آل جعمان وآل البكري ومروان والمعافا والرصاعي وكعيبة .

2 - بني نوف :

آل بن حجاب-وآل قبان- والثلايا والجملولي- وابن شائع والعلابي-وبن نوفان والبحيري-وبن طنين والشاوش[4]-وأبو سالم وذو علبوهان وزاهر والأحمر وآل حاجب وآل صبرة وآل دواجي وبني قطران وبني هطيف .

3 - بني عوف :-

المندليق والبقطي-والشَّمط-الحطيطي- ورباصي-المعمري وغيرهم .

هذه التقسيمات أوردها الحجري ولكنه لم يشر إلى أبرز شخصياتها ورجالاتها .. والقبائل والبطون التي هاجرت إلى مناطق مختلفة كبني جعمان في ريمة [5] أنتقلوا قبل عقود من الزمن ... وبني الطيب من آل حاجب : في عاهم من بلاد حجة وبني البكري في حرض ... وبني المعمري في أهنم ويسمونهم بني الأهنومي في المحويت وغير هؤلاء مما يطول ذكرهم والجملولي في النادرة اب- نوفان في ريمة وإب . وليس بخافٍ أن هناك من هاجر من قبائل الأهنوم هجرات خارجية فقد نزلوا بمصر ومنازلهم في الحوف الشرقي [6] وقد أشار صاحب معجم البلدان إلى واحد من أعلام الأهنوم في مصر تتلمذ على يد الشيخ الصبري وقد ترجم للأهنومي القفطي [7].

ولكنه انتقص من قدره ومكانته ووصفه بأوصاف لاتليق كونه معاصراً له.. وكنت يأست من الحصول على ترجمة الأهنومي وبعد وقت طويل وجهد جهيد وجدت ترجمة مصغرة أوردها القفطي . وعلى كل حال فإن الباحث عن أصول وأنساب الأهنوم يجد أن الأهنوم خليط من كثير من القبائل المتفرعة التي هاجرت قبل قرون لأسباب عديدة أدت إلى أنتقالها واستقرارها كما سنبين لاحقاً .

موقع الأهنوم

الأهنوم هي إحدى المناطق التابعة لمحافظة عمران وتتكون من وحدتين إداريتين هما (مديرية المدان- ومديرية شهارة) وتقع في الشمال الغربي من عمران عاصمة المحافظة وتبعد عنها بحوالي 140كم وهي منطقه مترامية الأطراف وتضم قرى كثيرة ومساجد عامرة وجبالا شامخة وحصونا وقلاعا منيعة ومدارس علمية.

وقد أفاض في وصفها الهمداني في صفة جزيرة العرب [8]، ولأن الوضع يختلف عن ذي قبل آثرت عدم الخوض في هذا الموضوع لصعوبة المقارنة .

التضاريس:

تتكون من سلسلة جبلية ترتبط بها من الغرب والجنوب جبال بني جديلة والجميمة وتقع في سمت جبال السَّرَاة يبلغ ارتفاعها حوالي (2600)متر وتشمل بلاد الاهنوم شهارة الفيش وشهارة الأمير ويفصل بينهما جسر يربطهما ببعض بناه الإمام يحيى سنة 1323هـ وشهارة حصن منيع صعب المنال يقدر ارتفاعه عن سطح البحر بأكثر من 2600 متر وهي من حصون ومعاقل اليمن المشهورة [9] وجبلا سيران الشرقي والغربي وجبل ذري .. وجبل هِنوَم (المدان) الذي يوجد به قمة قَرْن جمع يرتفع 2600م عن سطح البحر وبه مسجد قديم يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثالث الهجري . وجبال الأهنوم بركانية ، وعلى سفوح تلك السلسلة مدرجات زراعية تختلف خصوبتها وتفتقر إلى وجود وديان خصبة إلا من بعض الاغوار المتفاوتة في نسبة الخصوبة .

ويوجد بمنطقة الأهنوم ككل عدد من الحصون والدروب والقلاع التي أصبح معظمها أطلالا وخرايب بسبب الإهمال ويكاد يلحق الخراب فيما تبقى من حصونها وقصورها المشهورة ، ومن أشهر معالمها جسر شهارة التاريخي الذي يمثل غاية في البناء والاتقان والهندسة المعمارية ، وكذا حصن سعدان المدان ودار الناصرة في شهارة ودار الضرب التي أسسها المتوكل على الله إسماعيل سنة 1060هـ ومسجد الهَجَر ومسجد الإمام القاسم بن محمد ومسجد القابعي وغير ذلك مما لايتسع له المقام[10].

الأهنوم الفكر والتراث:

قد تأخذ المرء الدهشة حينما يطالع هذا الموضوع أو يلقي نظرة عابرة عليه، وربما سأل عن الأسباب التي لفتت انتباهي وأصبحت موضع اهتمامي واختياره في هذا الوقت الذي نحن في حاجة ماسة إلى من يعيد مجد لغتنا العربية العتيقة التي هي أولى باهتمام كل باحث أو مهتم بعلوم اللغة.

وربما ظن أن اختياري وكتابتي في هذا الموضوع انه (بغسَاس) ومحاولة ليست في الاتجاه الصحيح.. وغيرها من الهواجس.

ولاغرابة أنني التفت إلى الكتابة حول هذا الموضوع ومن يقول أنها جهالة فقد أخطأ الخطأ الجسيم فالتعرف على اللهجات المحلية المختلفة ليس عدوانا على اللغة العربية ولم يكن دافعاً عصبياً أو مناطقياً بقدر ماهو علمي وثقافي لعل وعسى يؤدي هذا الموضوع ثمرته، وهو تأصيل المفردات والحفاظ عليها وتعريف الآخرين بما تختزله هذه المنطقة العتيقة التي كان لها صولة وجولة في سنوات التاريخ؛ والغرض هو خلق نوع من الأهتمام الثقافي في محافظة عمران، والموضوع بحد ذاته لم يتطرق إليه أحد من قبل رغم أهميته فالمعروف ان (مفردات اللهجة الأهنومية) كثيراً ماتحمل لفظ الفصحى أومعناها على وجه التقريب.

اختلاف اللهجات المحلية (11)

ومهما يكن من أمر فإنَّ من تناول اللهجات المحلية لم يتطرق إلى الأسباب والعوامل التي أدت إلى إنتشارها واختلاف أصواتها من منطقة إلى أخرى ولعل من حاول دراستها لم يوضح ذلك ولم نجد سوى أحمد حسين شرف الدين في كتابه (اللهجات اليمنية) «الذي أرجع السبب إلى مؤثرات العزلة الطويلة التي مُنيت بها اليمن مُنذ القدم وتلك العزلة قد صانتها نوعاً ما من التأثير ببعض العادات الخاصة بمناطق أخرى خارج اليمن» ص 39 ..

وعلى كل فإن ما تتميز به اللهجة الأهنومية ومفرداتها كونها أقرب ماتكون إلى الفصحى وقلما تجدها في منطقة أخرى وماتزال محتفظة بها وإن اشتركت في بعض المفردات المستخدمة في اللهجة الصنعانيه أو غيرها، ولعل الهجرات التي شهدتها المنطقة وتوافد كبار العلماء إليها جعلها تشكل منارةً علمية أستمرت لسنوات طويلة خصوصاً القرن الرابع عشر الهجري فتوافد إليها الطلاب من كل ناحية ومن مختلف مناطق اليمن وحظيت بحضور علمي كبير واشتهرت بعلماء أجلاء، لايتسع المقام لسردهم. فتخرج على أيديهم المئات من الطلاب فاصبحت ذات مكانة سامية(12) علمية -وفكرية- وسياسية) فأستقر بعضهم فيها، ومن وجهة نظرنا نتيجة للتداخل وهذا الاندماج انتشرت بعض هذه المفردات المستخدمة في بعض المناطق اليمنية.

ولست مبالغاً إن قلت بأنها تختزل عجائب وأسراراً لايدركها إلا المتضلعون في علوم اللغة العربية. ولو أمعن أحدٌ النظر بمعاجم اللغة وقواميسها لوجد أن كثيراً منها فصيح وهذا مردّه إلى ماحظيت به من حضور جُلة من العلماء وأئمة اللغة وأربابها في تلك الفترة ولكن نرى البعض يستغفلها عن جهالة وعدم فهم وإدراك لأهميتها ومكانتها.

ولاننكر أن أبنائها تصاحب لهجتهم وحركة أصواتهم بعض الأشكاليات التي يعيب بها البعض عليهم مثل (الإمالة والرخاوة) في النطق وتختلف من قرية إلى أخرى من حيث الرخاوة والإمالة والبطء.

وقد يقول القائل إن في بعض مفرداتها من الخشونة والركاكة ماليس في غيرها وقد يرجع السبب إلى طبيعة تضاريسها الجبلية فإذا مافتشنا وبحثنا فإننا لن نجد أي قصيدة (مغناة) ولم نسمع بأحد من أبنائها نظم قصيدة مغناة .. فشعراؤها على مايبدو لم يلتزموا بأي إيقاع ولهذا ماشتهرت بشعراء غنائيين .. وإن وجد شعراء شعبيون فمفرداتهم من وجهة نظري لاتصلح لأن تنظم

قصيدة مغنّاة كبقية المناطق (ولم تستخدم إلا بضع كلمات من مفردات هذه المنطقة استخدمها الآنسي- وشرف الدين) ومن المتأخرين الأستاذ عبد السلام الوجيه وعباس يحيى المؤيد ويحيى شرف المؤيد .. وهناك قصائد شعرية لبعض الشعراء الشعبيين غالبية شعرهم يختص بالمواويل و الزوامل والهيدات والرزفات ، وأناشيد يتداولونها في المناسبات والأعراس كتلك التي نظمها الشعراء عباس يحيى المؤيد وعلي صغير خيران وعلي محمد قبان و(دواجي) وغيرهم من أبناء الأهنوم الذين دونوا قصائد ملحونة ، وتلك الألحان تتقارب مع الحان مختلفة مع ما هو موجود في مناطق: (صعدة وبرط وسفيان وحجور وبقية مناطق حاشد وماجاورها . والمتأمل يجد أن هناك تشابهاً في العادات والتقاليد بين هذه المنطقة وبين المناطق المذكورة فنتيجة لما شهدته هذه المناطق ومناطق كثيرة من اليمن آنذاك من اضطرابات ومشاكل قبلية وأحداث سياسية دفعت بعضهم للهروب والهجرة والبعض تلبية لدعوة بعض الأئمة الذين دعوا لأنفسهم بالإمامة خصوصا الإمام الحسن بن علي بن داود[13] والقاسم بن محمد [14]الذي كان مناصروه وأعوانه من مناطق شتى كبرط وسفيان وصعدة وغيرها، لذا نجد التشابه في التقسيم القبلي ، كذلك حين دب الضعف في الدولة القاسمية ونشب الصراع بين أفراد الأسرة ساعد على انتشار الفوضى وعدم وجود الدولة المركزية مما ادى إلى تقوية النفوذ القبلي والذي كان كل أمير يستقطب قبيلة ما ومع تفوق القبيلة أدى إلى تفاقم الصراعات القبلية وانتشار الثأر[15]. كما أن دخول الأتراك لليمن للمرة الثانية 1289هـ لغرض إنهاء الدولة الزيدية وكذا حسم وإنهاء النزاع بين الأئمة آنذاك وكان من بين المطالب به الإمام المحسن بن أحمد الذي لجأ إلى الأهنوم[16]ولحق به بعض أعوانه، ومن بعد الإمام الهادي شرف الدين ، والمنصور يحيى محمد حميد الدين ، ولعل الحركة الفكرية والعلمية التي شهدتها المنطقة في القرن الرابع عشر حينما قام الإمام المنصور بإحياء العلم والمدارس العلمية في الأهنوم[17] وإرسال كبار العلماء كانت محل جذب لطلاب العلم الذين توافدوا من مناطق عديدة واستقر معظمهم بها مما أدى إلى امتزاج اللهجة بمفردات عديدة كما أسلفنا .

التراث الشعري :

ولاشك أن التنقيب والبحث في هذا الموضوع صعب ومتشعب خصوصاً ومثل هذه المواضيع التي تستوجب إيراد شواهد شعرية ولكن يبدو أن الشعر قليل في هذه المنطقة إلا ماوجد من بعض المقلين والمنزوين الذين لم يخرجوا من نطاق العزلة إلى آفاق واسعة ورحبة ولم يجدوا أي اهتمام فهم في نطاق النسيان والإهمال كذلك حال الأمثال والفكاهات التي تزخر بها المنطقة والمتداولة في أفواه الناس ولكن ليست مدونة لعدم أدراك أبنائها لأهمية التراث، كذلك اشتهرت بنساء حكيمات وعالمات وفكاهيات فما تزال الأهازيج والمواويل النسائية تردد في صفوف النساء ولكن ليست كما كان في الماضي، وللأسف فإن أبناء هذه المنطقة ليسوا على مستوى من الوعي بقيمة التراث ويحاولون طمسه وحجبه وربما تولدت عندهم نزعة مغايرة وقد غيروا وجهة نظرهم نحو التراث والموروث الشعبي الذي تزخر به المنطقة .

والجدير ذكره أن المنطقة اشتهر فيها في السنوات والعقود الأخيرة شعراء شعبيون ومتميزون وهناك عدد كبير من قصائدهم يرددها الناس في المناسبات خصوصاً الأعراس كما سبقت الإشارة وكلها على شكل مواويل ملحونة بعضها أقرب إلى اللحن البدوي الذي يسير إيقاعه بمصاحبة إيقاع الربابة . وقد استطاع مثل هؤلاء أن يدمج مفردات اللهجة الأهنومية مع اللحن النبطي القريب إلى البداوة من أمثال: (الشاعر عباس بن يحيى المؤيد) والذي خصص شعره في رسم معاناة المواطن اليمني خصوصاً (في الريف). حيث يصور

معاناة المواطنين ومايعانونه من حرمان إلى جانب القضايا العربية والإسلامية كذلك مسايرته للأحداث ومتابعته لها خصوصاً متابعة الأحداث السياسية الداخلية والخارجية للدولة، والشاعر: محفوظ شايع وغيرهما .

كما أن تراث الأهنوم الذي أصبح يغزو المدن الرئيسية والثانوية فما تقام أعراس في أي مدينة من المدن اليمنية إلا وأحيى أبناء الأهنوم ذلك العرس بالمواويل والهيدات والزوامل ويرددونها بشكل جماعي يدهش الناظرين ويثلج صدورهم .

الخصائص والسمات الصوتية والحركية في اللهجة الأهنومية

أولاً: الخصائص الصوتية والحركية

كما سبقت الإشارة أن الاهنوم قد اثرت فيه الهجرات المتتابعة وخلقت نوعا من التنوع في المفردات أو شبهها هي أقرب إلى الفصحى وقد تستعمل الفصحى كادوات الاستثناء ولكن بشيء من الإمالة أو التضعيف أو التخفيف أو التفخيم والترقيق وغير ذلك من صفات الحروف وكذا إضافة حروف أو حرف ما إلى مفردة كالأمر لجمع النسوة(أخرجنه) تضاف الهاء آخر الفعل ولايؤتى بالياء كما في لهجة صنعاء (اخرجين) . والمتتبع لحركات واصوات اللهجة حينما تقف أمام نفر من أبناء هذه المنطقة من بعض القرى على سبيل المثال فسوف تجد اختلافاً فيها (أي في الحركة) والنطق فتجد الرخاوة عند هذا والركاكة عند ذاك وكأنك أمام موسيقى تصويرية تستمع إليها وللأسف لم يلتفت إلى هذا الأمر أحد ولم يستشعر يوماً مابأهمية المحافظة على هذه اللهجة التي تميزت بمميزات كثيرة وإن كانت لاتخلو من العيوب .

كما أن هناك مفردات لاتفهم وإن كانت أكثر المفردات قريبة من العربية الفصحى لكن بعضها لايفهم معناه ولايُدرى لها بمقام خصوصاً إذا كان المستمع قصير الباع في اللغة ولم يؤت حظاً وافراً في هذا العلم الواسع .

وقد حاولت أن أبحث عن حركات وصوت كل حرف وخشيت التطويل وسأحاول جاهداً التطرق لهذا الموضوع معتمداً على مابين يدي من مصادر على قلتها وندرتها .

وعلى كلٍ فإن المتأمل يجد تنوعاً في الحركة والصوت من حرف الى حرف آخر وإما إمالة أو عدم نطق وحذف لحرف ما كالهمزة:(لأجل ينطقونها (لجل)والتاء تمد(جيتا) وحروف تقلب وحروف تدغم وحروف تعطش وحروف تمال ويصاحبها اللين أو حروف تنحت وتركب مثل (في سباه – أي لأجله) افسَلِه أي من أجل؛ وكذا الإشباع ..حيث تختلف طرقه وأمثلته وكذا القواعد النحوية تختلف نوعاً ما كما تستخدم أسماء وحروف كثيرة كأسماء الإشارة – الموصولة – الضمائر وأدوات الاستفهام إلى غير ذلك من القواعد النحوية التي لا يعرف خباياها وأسرارها إلا المتضلعون فيها.

القاف واستخدامها في اللهجة الأهنومية :

يشيع استخدام القاف في اللهجة الأهنومية (خصوصاً في المدان)وهي سائدة في منطقة معينة وكثيراً ما تستخدم في بداية الكلمة (الفعل)سواء المتكلم أو المتكلمين أو المخاطب والمخاطبين . وكذا المتكلمة والمخاطبة المتكلمات والمخاطبات على حدٍ سواء وسنورد بعض الأمثلة .

حرف القاف :

بداية الفعل : المتكلم :قاصلي – ققرأ- قشتَغِل(أي أعمل)أو قين اصلي – قين اقرأ- قين اشتغل..قين اكتب-قين اذاكر

للمتكلمين :(لجمع المتكلمين : (قنِصلي -قنشتَغل- قِنقْرا- قنِكتّب)مع إمالة القاف التي هي عين الكلمة .

- وعند المخاطب أو المخاطبين (يبدأ الفعل باستفهام (ما)مثاله:(ماقِتْسَوُّا- ما قِتْفعَلوا- ما قِتقروا-ما قتكتُبوا)وقد تدغم التاء في الدال والعكس ,وكذلك المتكلمة :نفس أصوات المتكلم كما سبق . كذلك المتكلمات بنفس طرق وأصوات المتكلمين .

والمخاطبة : نفس وضع المخاطب مع إضافة ياء المخاطبة آخر الكلمة ماقِتسوَي مع تضعيف الواو.

- أما المخاطبات فتضاف آخر الكلمة هاء (ماقتسوينه) مع إمالة الحرف الأول والأحرف الثلاثة الأخيرة وكما ذكرت قبل قليل فهذا الحرف هو السائد في عين الكلمة في بعض المناطق.

صوت الحرف وحركته:-

في هذه السطور سنحاول توضيح وبشكل مختصر وسريع للتعرف على صوت الحرف وحركته في (اللهجة الأهنومية) ومعرفة القواعد النحوية.

كما هو معلوم أن اللهجة اليمنية الحديثة بشكل عام تتعدد من حيث الأصوات إلى ثمانية وعشرين حرفا بعدد حروف(الفصحى) وتتميز عن غيرها من اللهجات العربية الأخرى باحتفاظها ببعض الصفات الصوتية «كالإمالة-والإطباق-والرخاوة-والهمس ... إلخ»[18]

وما أود قوله هنا فإن الأصوات في اللهجة الأهنومية اختلفت بشكل عجيب وغريب حيث يصاحبها إمالة ورخاوة وتفكك وانفصال في المفردات ومدّ وتفخيم وتضعيف وما إلى ذلك.. كما سبق وأن أشرنا. ومن الواضح أن هناك اصواتا تنوب عن بعض وتختلف طرق نطقها وأدائها ولكل حرف ميزته وطريقة نطقه.

وإذا حاولنا دراسة حركة وصوت كل حرف فإننا نجد اختلافاً في نطقه وحركته من منطقة لأخرى كما سنرى على النحو التالي :

الهمزة: الكثيري من سكان اليمن ينطقونها سهلة إلا ابناء الأهنوم في بعض الكلمات أو المفردات لاينطقون الهمزة وقد تحذف تماماً عند كتابتها ونطقها على حد سواء كما يبدو مثل :

(لأجل:ينطقو لجل) بدون همزة كتابة ونطقاً وكذلك (ابن من أنت)ينطقونها (بن من نتا) بالتخفيف ولايميلونها وقد تحذف (أي الهمزة) بعد أداة النفي وتضاف بعدها الشين والياء مثل (ماناشي معك -أو (ماناشي خاطي) وبعد فعل الأمر مثل (توايل -اصلها إتوايل-أي اسرع) كما أنها تحذف بعد حرف النداء (ياحْمَد .. اي (يأحمد) وغير ذلك مما يطول ذكره.

التاء: يضيفون بعدها هاء إذا كان المتكلم (سويته) أو المخاطب (سويتاه) بإضافة الألف والهاء مع الكسر في المثال الأول، والفتح كما في المثال الثاني. يرافقها رخاوة في النطق والتحريك لأواخر الكلمة.

وفي بعض الحروف تجد القلب والإبدال هما السائدان كالثاء فإنها تقلب فاءً (مِثله -تقلب (مفله) ينطقها بعضهم كذلك الدال تقلب طاء مثل (صعطه-(صعده) (عصيطة)عصيدة (قصطه قصده) وربما ساد الأمر في بقية اللهجات كما تقلب الذال ظاء (ظاك-ذاك) والسين صاداً مثل (صليط) أي سليط وهو الزيت ، واسم سلطان تقلب (صلطان) وربما كانت مشابهة لمناطق أخرى.

القاف: تنطق طبقية وقد تسبق بقاف ممدودة (قاقلك) أي (أقول لك).

كما قد يسبقها حرف (قين) وهي بدل (قا) السابقة فاحياناً يأتي بقا كما سبق التمثيل ومثال (قين) (قين أقلك) تضاف بعدها همزة وصل أي (بين أقول لك) وقد تضعّف (يقتلوا) أي (يقتتلوا) مع أوقن إذا كانوا متكلمين كما سيأتي.

الكاف: تقلب شيناً شديدة التعطيش كما في لهجة (باقم) و(منبه) وذلك حين مخاطبة المؤنثة فقط وتكتب جيما (اخوج) أي (أخوك) -أبوج -أي (أبوكِ) (شرف الدين) .. ص 48. وهي كذلك في الأهنوم.

الإمالة وأصوات اللين:

إذا تأملت فإنك تجد التناوب بين اصوات اللين التي هي (الضمة-الفتحة-الكسرة) وقد يشدد المخفف مع تسكين المتحرك أو حذف حرف ماء

مثل : يجُمَع : تحذف الياء عندما يبدأ المتكلم بحرف القاف فجمّع أي يجمع، مع تضعيف الميم وإمالة القاف ويميلون بعض الكلمات مثل (بيتِه) (ريتِه) .

النحت : هناك كلمات عديدة منحوته في لهجة الأهنوم مثل (لجل-أي (من أجله) وكذلك في سباه ، أي من أجله) وافسله أي من أجل في سامام من أجل ماذا وهكذا .

الإشباع : لايميلون الكلمات كما في اللهجة الصنعانية بل يفتحون بعض الكلمات المبدوءة بحرف العين (مثل : عَلِيَّ)[19] صَلِيَّ: أي عندي إليّ: صَلِينا -صَلِينا: أي عندنا إلينا . مع إمالة اللام . وبعض الكلمات يكسرون أول الحرف خصوصاً الكلمة التي تأتي بمعنى استفهام مثل (بعْتا -سِرتْا) مع مد حرف التاء وإضافة ألف بعدها .

كما يشبعون الضمة : مثل (تُودّوا بعد الاستفهام متى تودّوا متى تَصِلْوا وربما طرأ على اللهجات الأخرى ومنها أيحين عَتودّوا .

الجهر والهمس : ينطقون التاء مفخّمة ويبدو أنها متقاربة مع لهجة صنعاء (مثل:اضْتَبَخ- اصطبح) كذلك بعض المناطق كما في تعز أيضا .

اللام: ينطقها البعض مخالفة أو هي جهر وهمس أو قلب فتنطق نوناً (قنالك) كما عند شرف الدين مع تضعيف النون اي (قلنا لك)

القواعد النحوية

ووضعيتها في اللهجة الأهنومية

اتسمت اللهجة الأهنومية بوضعية مختلفة للقواعد النحوية حيث تختلف صياغة الاسم المثنى وقد تتقابل مع لهجة صنعاء فيما يتعلق بهذا الأمر لايقال رجلان -بقرتان بل يقال: اثنين نادَمْ: (أي رجال- مفرده (نادمي) وكذلك (ثنتين بقر) كذلك جمع التكسير تختلف صيغ الجمع مثل (شِروَط) أشرطة على وزن أفعله[20]. وسنحاول التعرف على بعض القواعد ووضعيتها كما يلي :

1. اسم الإشارة :

من أسماء الإشارة الشائع استخدامها في هذه المنطقة محل الدراسة مايلي :

ذاك : يسبقها حرف الها التي قد تفيد التنبيه ويليها حرف النداء يا (هايا ذاك) وهنا قد تقلب الذال ظاء .. (أمانه ياذيّه) مع رخاوة . ظاك -ذِيّه بالتخفيف أو بالتشديد (ذِك) للقريب -والبعِيد الغائب ويكسر الأول ذولاك -ظولاك أو ظولِية . ذُوليه) بالتخفيف والتضعيف ظاء أو ذولا (حركة اللام مخففة) تيه للمؤنثة بالتخفيف والتضعيف والإمالة وتك للمؤنثة (تيّاك) تاك وتلك مع تفخيم التا. هنّاك -هنيّاك) هِنيه- هنيّه هيه- بالتخفيف والتشديد : هنّه- هنذولاك- أي هاهّن

2. اسم الموصول :

كثيراً مايستخدم ألي سار : إلَي جا أي (الذي سار -الذي جاء) وهو نفس الاسم المتداول في كثير من اللهجات المحلية في مناطق عديدة من اليمن الحبيب .

3. الضمائر:

أ- الضمائر المنفصلة :

أنا: بدون إمالة وهي للمتكلم المفرد . وهي مشهورة.

أني: للمتكلمة المفردة، بدون إشباع الهمزة أو إظهارها بل ألف مخففة بخلاف لهجة صنعاء فالمتكلمة المؤنثة ننطقها (أنا) مع إمالة .

أحنا : بفتح الهمزة وليس بكسرها بعكس لهجة صنعاء .

إنتو: يخاطب بها المثنى والجمع المذكر (إنتِه) للمثنى والجمع المؤنث .

إنتَا: للمفرد المذكر مع إمالة الهمزة وبدون إشباعها أيضاً.

هوّه : بالتخفيف وبالتضعيف للواو وقد تكون بمعنى هوَ ولإجابة النداء بمعنى ماذا تريد (ماهوّه) قد تكون بمعنى ماالمقصود ، إجابة أو استفهام

مع تضعيف الواو والمعنى ماهو : وتلحق هاء بآخره، أيْ شيئٌ هِنْ : لجمع الإناث : ويؤتي (هِنَه) مع إمالة الحرف الأول.

هِمْ : لجماعة الذكور بكسر الهاء (هِمْ) وهذا هو الضمير الوحيد الذي أورده شرف الدين [21].

ب- الضمائر المتصلة :

تاء الفاعل: في اللهجة الأهنومية تمد تاء الفاعل مثل (كَتبْتا قمْتا- خَطيتا-اتغديتا- صمّلتا أي (نويت أو قررت- اتوكلتا(ذهبتا)- قريتَا إلخ وبدون إمالة كما في لهجة صنعاء وقد وردت عند أحمد شرف الدين[22].

ضمير المتكلمين : لايميلون الفتحة (كما في لهجة صنعاء) (سِرنْا)

كاف الخطاب: للمؤنثة تقلب كاف الخطاب إلى شين شديدة التعطيش كما سبقت الإشارة إليه -(إعطاج اعطاك وتكتب جيماً.. كما في منبه وباقم وقد أوضحنا سابقاً[23]

الياء في ضمير المخاطبات: لاتؤتى الياء في ضمير المخاطبات بل تؤتى نوناً مشددة .. مثل (أكلتنّه- اتغديتنّه) وتضاف بعدها الهاء وكذا في ضمير الغائبات مع إمالة خفيفة للنون مثل (أكلنه-شربنه للغائبات) خطينه) بالتخفيف وقد تمد الهاء مثل (شربنها- أكلنها)

قلب ضمير الغائب في المفعولية : ويقال للمؤنث أما وللمذكر يقال خطيتَاه-غديتَاه مع تضعيف قليل وغير ذلك.

المعرّف بال : بعض المناطق والقرى الساكنة في (الأغوار- والقيعان المنخفضة والتي لهجتها أقرب ماتكون إلى البدوية أو بالأصح الحميرية حيث يقلبون (الْ) إلى أم- بدون نطق الهمزة ... ويفخمون لام (الجَبَل) وينطقها الساكنون في الأغوار .. وقد أورد شرف الدين بعضا من ذلك [24]وسنفرد له بحثا خاصا إن شاء الله.

4. الاستفهام:

كثيراً مايكون الاستفهام بدون أداة بل بتحويل الصوت إلى مايفهم منه-فيقال: سرتا- قمتا[25] وأحياناً يبدأ بالضمير كأداة استفهام مع إمالة الهمزة في (انتاقمتا- انتوقمتو - انتوخطيتو) . وهكذا مع إمالة الهمزة وبدون إشباعها أيضاً.

أما أدوات الاستفهام الشائعة في اللهجة الأهنومية فهي كثيرة مثل :

ما: تفيد التقرير وتضاف قبل ضمير المتكلم ماأنا سارحي .. ماظلا بمعنى أظن يمكن أو ربما.

عا: تقوم مقام الهمزة مثل عاتقوم- عاتجلس - عاتخطِي بعكس لهجة صنعاء فهم لايمدون العين وكثيراً ماتصحف وتنطق التاء دالا (عدْجِلسْ)

وأحياناً قد تسبق (ما) هاء التي تفيد التنبيه هاما سويتا ها كيف حالك ، ها كيف دنياك ..

وللتأكيد: هاما شورك إذا سُئل عن شيء يريد فعله.

ماشأن : هذا الحرف الاستفهامي تداوله كثير من الشعراء (الحمينيين) واعتقد أنها الأداة الوحيدةالتي لايستخدمها غير أبناء الأهنوم[26].

كيف : بإمالة الحرفين الأولين : هاه .. تستخدم كأداة استفهام أو تسبق الأداة مثل: (هاكيف حالك وقد يأتون بالواو بين الها والأداة كيف مثل (ها وكيف حالك .. ها وكيف أمورك) .

إين:مع إمالة الهمزة .. ويضاف بعدها ضمير هوه أو ضمير الغائبة والغائبات (أين هوه -إين هيه (بالتخفيف-والتضعيف في الحالتين (أين هنّه ؟؟ اين هِم ... مع إظهار الهمزة:وبعضهم ينْ -مع إمالة الياء .؟ ين هو ين؟ وتستخدم في منطقة معينة حيث يميلون الياء إمالة شديدة.

ماهوّه: بالتشديد و التضعيف لجواب المنادى مالك وأحياناً يكررون الاستفهامين (ماهو ما)- (مالك مام). مِنْ بكسر الميم وكثير من الاستفهاميات يلحقن بما سبق مثل: مام -لمام -على مام - من أجل مام -وفي سِبْ مام (لاجل مام)وقد تطلق على أي شيء أو موضوع (أين يزعم ياه بمعنى يظن -

عبّو استفهام عن وجود أشياء (يعني هل باقي شيئ) عبو شي)عبَهْ ؟؟استفهام؟

مابو : ماالأمر :ما حدث (أو ما به مام)(مابو مام) للاستخبار عن شيئ حاصل.

(به حَد : هل أحد موجود (ياه)بمعنى نعم ربما والنساء تقول (يهْ) ييه مع اطالة للإمالة، وتدخل في الجواب على الاستفهام.

به شي : هل هناك شيئ(ما ظل)بمعنى (يُمكن) وتدخل في الجواب على الاستفهام ايضا.

ايلين : أي الى أين فلا ينطقون الهمزة .

إين قلك : أين كنت ؟؟وكثيراً ما تقال للقادم من مكان ما؛ ويقال له الله يقوِّيك -قويتا.منين جابي بالتخفيف ، أي من أين المجيئ وهكذا دواليك.

كذيَاك : تأتي في جواب الاستفهام جواب كيف أو ماشأن أو لمام .أو على مام -في سبامام على سب مام وغير ذلك مما يطول ذكره .

هاماريتا : تأتي جواباً لجملة أستفهاميه للإيجاب كما في المثال: وأنت عاتخطى..

صلِيه : أي إليه

ما بَه : ماذا هناك ماذا يوجد ؟)

5. **النفي :**

هناك حروف كثيرة تستخدم للنفي إلى جاب أدوات من الصعب معرفتها وهي غريبة وأكثرها متداولة (بين صفوف النساء)فمن الحروف المستخدمة :بشكل عام ..

ما : وتضاف بعدها عين المضارعة (ع)ما عاسير - وقد تضاف إليها الشين والياء (ماعاسيرشي) ماعنخطا ويضاف حرف (ولا)(ماعنخطا ولا) أو متوسطة فيما بينهما (ماعنخطا ولا شي)

لوم: بمعنى (لا) وكذلك عند بعضهم (ما عا) وتسبق هذه الأدوات حرف قسم(والله لوم - والله ماعا)والإثبات أيضاً (والتوكيد (والله إلا)،

يوبي تم : من الأدوات التي تتداولها النساء (إذا طلب منها فعل شيء وتلحق بعدها أداة استفهام (يوبي تم :ما شان فلانة :والله دخلته ولاوصلته ولاشكعته والله ماني داخلة له .

ولاشي: وهي من الادوات المتداولة في مناطق كثيرة .

لو: مثل الأولى إلا أن الميم لاينطقونها .

يا النداء: كثيراً مايستخدمون في النداء للبعيد وتمد قدر حركتين إلى أربع وو ذيّاك :بمعنى (يا)ذاك

لاكان : بمعنى إذا وهي مستعملة في كثير من المناطق : ولو أنك عملت كذا وكذا لو كان.

الى: قد تأتي عند ابتداء اجابة النداء (إلى مالك إن كان قريبا أو إلى يانهوه) إن كان بعيداً وتضاف بعدها مثل (إلى ياه) إلى نعم (إلى يهِ) وهذه متداولة بين النساء إلى إنّه بمعنى نعم، أو تأتي بعدها كلمة وأداة لمعنى آخر (هايه ماأنت) مع حذف الهمزة وهذه خاصة بالنساء (هاياه للاستكار . ومنها (لما-لا) لمًا هناك- لاهناك تضعف وتخفف

هاحَقَه : من الحروف المتداولة بين النساء (وهي غريبة)للاستكار والاستغراب ، لا ضوى، لا عاد.. الأمر عادي.

لاقل: بمعنى لابد .. لاقلْ مانسوي كذا وكذا

يا: بمعنى إمّا: ياتسلْم ماعندك- ياتكفّل- من الكفالة وهي الضمانة - ياتخطا- ياتجلسْ)[27].

ماغير : بالإمالة وتفيد الاستغراب للشيء ولحقارته (بمعنى ماسوى ذلك الشيء تختاره وقد تصحف الرأء وتبدل شيناً (ماغيش) بالتخفيف والإمالة ، همًّا للامتناع اترك وقد تاتي كلمة تفيد التحذير لترك الشيء اطرح -أجلس قَرْوس.. سير هنِاك- وقد تُسبق بهاء (هاطرح) (قوّى) للاسترضاء والترجي .. قوّى هاطرح.

إلا: بمعنى (أو) عاتسافر والا عاتجلس : مع تخفيف الهمزة وعدم مدها.

(لانابه) : لو أنا مقامه :

لنتا : بمعنى إذا أنت (لانتا جيد خليتاه يشلُه من عندك بمعنى لو: وغير ذلك

(كما) بمعنى إذا) كما سارو لايهمك إذا سار.. (لاماسار) إذا ماسار) ولا ماجيتا: إذا ماجيتا مانسوي. من شِقِه : مثله

(لمّا) عندما : وهي تميز (لما) التي أوردناها آنفاً بمعنى (إلى) و(حتى) هما حرفا جر مثال ذلك : لمّا يسير : للتأكيد (حتى) وقد تحتمل الحرفين .

(عندما -حتى) فبمعنى عندما : تكون مضعفة (لمّا يجي ماقلّه- انتظر حتى يخطى) وايضاً مافيك ريع : ماعندك حجة .

استخدام الفعل : تجد تفاوتا في الاستخدام مابين مقلوب وصحيح ويختلف نطق الكلمة من منطقة لأخرى.

اتخاووا .. (من التآخي) بعكس لهجة صنعاء . فهم يقلبونها (اتواخوا) .

يتخايا نفسه : يعجب بنفسه ومنها كلمات تجد عين الكلمة مابين ظاهر النطق ومهموس وإشباع -ومجهور .. إلى غير ذلك مثل :

هزره (سحبه) قَرْوَس (جَلَسْ) .. اخبل .. اخدف: (معنى معتوه) أشْخَفْ مثلها وتقال لمن فقد عقله .

والملاحظ أن عين الماضي تكون في الغالب مكسورة (يَظلِم-يضرب-يفحَس أي (يَمْسح) وداحَسْ : أي زاحم وتقوم العين مقام السين .. عايرجع -عاتقوم

وقد تسبق الفعل سواء المتكلم أو المتكلمين أو المخاطب أو المخاطبين حرف (القاف) وقين (التي بمعنى بين) مثال حرف القاف في بداية الفعل (قاصلي- قفرا- قَشْتَغِلْ) وللحرف قين مثل : (قين اصلّي -قين اقرا- قين اكتب) كما سبقت الإشارة.

ولجمع المتكلمين : قِنصَلي- قِنشتغِلْ (أي نعمل) بإمالة القاف وعند المخاطب أو المخاطبن تدخل القاف بعد أداة الاستفهام ماقتسووا- ماقتقروا.. يدخل الإدغام للدال في التاء وأكثر ماتنطق تاء ماقتسووّا وقد سبقت الإشارة إليه.

ولاشك (أن القاف والقين) هما سائدان في منطقة المدان وهما عين الكلمة كما الباء في بعض اللهجات وقد تطلق (قِنْ) ، ولذلك نجد أن بعض الناس من المناطق المجاورة (يسمّون أبناء المدان (ببلاد بني (قاقا) لأنهم يكثرون استخدام القاف أثناء الكلام ويحاول البعض تناسي وتجاهل هذه المفردات وينتابه الخجل حينما يود استخدام المفردات الشائعة في الأهنوم .

التوكيد :

هناك كلمات تستخدم للتوكيد .. ولنأت بشيء منها:

كُلنا : يأتون بدلاً عنها في بعض الأحيان بكلمة (جَمْعه) خطينا جمعة- قَرْو سناجمعه - أو كلمة (وحدنا) خطينا وحدنا (بمعنى آحاد) .

كلّن: الله يدي لكلِن بدون ياء بخلاف لهجة صنعاء .

مـادون : يستخدمونها كـأداة استثناء وقد يسبقها قسم (والله مادون) وتنطق برخاوة .

ماغير ذيّـاك- ذيـه) ماسوى ذاك ، مع إمالة الغين .

لابد: يأتون ب (لاقل) وتفيد التوكيد (لابد) مثل: ياتون ب (تُقل) وهي للمماثلة، وقد تأتي في بداية الكلام للاستغراب أو بمعنى هل تظن (تقل عيجي علي) .أما إذا بدأبها (تقل) به هل تتوقع ؟؟ (متوقع)- (أو يجاب(عيكن: أي بمعنى ربما) أو (أكيد) وماظلا- وهي من : اخوات كان ويعني (ربما) أو يمكن وغير ذلك .

المصدر :-

هناك عدة مشتقات ومصادر تستخدم في لهجة الأهنوم فمن المصادر المشتقة في هذه اللهجة مايلي:

فَعَـالَـه: عـسَـارَه- عـدَامَـة- لـغَـافَـة- لطَاحَة- سمَاجَة- دنَاسَة- فسَالَة(زخَارَة-دَغَارَة) .

فَعْلَلَه : خَبْلَه- سِيْدَخَة- (غتغتة) قَشمشَة .

فعيل : نخِيط- زجِير (أنِين)- جفِير- عفيط .

تفعَلَه : شَنْخَرة- جنفَرة (كثير التحمل لايظهر ضجر) .

تِفعال: تِجْبار- تِحِتَّام- تِيِمّار -تعذار.

فعول : هرور - ملوط- هروط -فخوغ .

فعّال - جهّال .

مفعال : مخزان- مجران- مِطْهار (أي حمّام) .

مفعيل : مخرِيط- ملهيط (سارق محتال) ، منقير لا يجد شيئاً.

المخالفة : هناك من المفردات تنطق مخالفة- أو اختراعاً وقلباً واختصاراً وربما تقليد وشيء تعود عليه الناس لايخضع لاي قواعد نحوية .

من الكلمات التي تنطق مخالفة : وهي ضمائر او اسماء إشارة مثل :

ذاك- (ظاك): ذيـاك-ذِك (تِك- تيّاك)-تلك) ذولك -ذولياك ذولاك ظوالياك- ظولاك-ظولك: هيه- بالإمالة والتشديد هِيّه-(هنّه) هِنك- هنيّاك هنّاك- بالتضعيف للبعيد هنّاك- أو بالتخفيف وغيرها من المفردات التي يأتون بها مخالفة.

اهم المفردات المتداولة في اللهجة الأهنومية

سنحاول في هذه السطور التعرف على بعض المفردات وإيضاح معناها إن امكن ذلك والغرض هو للتذكير وليس للحصر او التوسع اكثر وسأترك المجال مفتوحاً .. فهذا الموضوع يحتاج إلى نوع من الدقة .. في توضيح المفردات والتي بعضها لانفهم معناها وقد حاولنا تفسير ذلك حسب فهمنا وليس مجازفة والمجال مفتوح للتوضيح والنقد البناء .. دون إخلال بالجهد الذي بذلناه ويحتاج إلى مزيد من البحث والتدقيق في كتب المعاجم والقواميس اللغوية التي عنيت بدراسة المفردات وكذلك إلى القواميس والمعاجم التي الفها باحثون يمنيون وعرب والذين جمعوا فيها أهم المفردات الخاصة بلهجات اليمن القديمة والمفردات المتداولة في مناطق عديدة والتي لاتتشابه مع ماهو موجود في اللهجة الأهنومية إلا في بعض المفردات.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المفردات التي سنتناولها بعضها افعال وأسماء وصفات وغير ذلك. وقد إقتصرنا على مالدينا من معلومات تم جمعها عن طريق البحث الميداني كما أشرنا في مقدمة الدراسة وكلف ذلك جهدا كبيراً بسبب ندرة المصادر وأن الكثير من هذه المفردات غير مستعملة ولايوجد لها مرادف في قواميس اللغة وقد فسرنا بعضها حسب معرفتنا لقربنا منها وهذه المفردات على النحو التالي :

1. دَغَمْ: يشرب (جرعة جرعة -(دغمة -جرعة).
2. اتوكَل : ذهب ومنها الوكالة- فلان وكلَ فلان وهي في مقام الأمر والإخبار .
3. نَزَعَ - إنْزَغْ- يَنْزَغْ: بمعنى حَمَل- وانزعني : احملني.
4. اشبَخْ: اتشبَّحه- بالتضعيف .. بمعنى انظر وبلهجة صنعاء بمعنى امسكه .
5. إنّـه : بمعنى نعم .. وكذلك ياه - وقد يؤتى بكلمة (الله أكبر) نعم .
6. شِخِطَ: لها معان عديدة- بمعنى شِخِط بالسيارة: أسرع بها .. وشَخَطْ الورقة أي الغى الكتابة - اعمل شخطتين (أكتب لنا رسالة أو مذكرة أو توصية وغير ذلك)
7. مِهي : ذاب .
8. لِعِصِه : لاكه في فمه .
9. هَلجه: تشنهج بالبكاء .
10. ضَمَّل : بمعنى نوى أو قرر .
11. مَدْفرة : لايبالي ولايدافع عن نفسه إذا أعتدي عليه وقد يقال لمن يلبِّي طلب كل من جاء إليه دون تحري[28]
12. بِلِط : أصابه الملل .
13. سِلْحِبه: بطيء في حركته كسول .
14. لِبْطه : كسول خامل .
15. نفنِفَه : تطلق على من يسارع في البكاء ومنه الطفل نِفْنِفه وبالفتح بمعنى العيش في هناء ورخاء .
16. دَفَعْ : تقيا .
17. اتنَفَرْ : ادخل أصبعه إلى أسفل لسانه .. ليتقيأ.
18. فار : فار الماء .. غلي وبمعنى غضب .
19. يزبِطْ : وقد تطلق على الذي يشتاط غضباً ومنه ايضاً : يِتنافط : بمعنى يغلي وشبّه الرجل في العامية كالماء حين يغلي لشدة غضبه .
20. مَفَرْ : يقال لمن يغيض شخصاً أو يعكر الماء بعد صفائه[29] .
21. مَحَرْ : غير لون الماء وصفائه ، كمفر في الكلمة السابقة ، وماء مَحْر : الماء المتغير ، بركة ممحورة متغيرة.
22. جَفِرْ- إجْفَرْ- يجفر: يخلط هذا الشيء مع ذاك بعد ماكان مرتبا ومنه جَفَصَّ

23. جَفَزْ به : يقال لمن أسقط شخصا بوسيلة مابيده او بسلاحه وغير ذلك .
24. فَحْط: بتشديد الحاء بمعنى أكل .
25. ذغِي: ضاق صدره لايحتمل المزاح.
26. بطخ به : صرعه على الأرض .
27. ملططلط: يقال للشخص الذي يساء إليه من قبل شخص مائم يعود إليه ثانية كثير التردد.
28. مِرتِي: كثير الإلحاح .
29. مفورن : مكشر وعابس الوجه .
30. ارتجمْ- التَبطْ- انتدق- اتجفَور- اتكلفَسْ: متقاربة المعنى : فالأولى اطرح على الأرض والثانية يسقط من أعلى- اتجمور ارتمى وسقط بنفسه وافتلت كذلك وقد تطلق على من يمشي بسرعة (افتلتْ بسَاعتِه وبمعنى اذهب إلى هناك ورجع) .
31. زَرِيـمْ: ضيق ويقال فلان زريم نَفس: ضيّق لايحتمل شيء .
32. مَدْروَع: قليل الحياء لايحسن أخلاقه وطباعه مع الآخرين .
33. واظزْ: صَبَّ الماء ليغسل يديه ..اوشيئاً ما..
34. ادْجَمْ:: يقال لمن لاأسنان له.
35. اثرَمْ: يقال لمن تساقطت قواطع اسنانه.
36. لغوَمه: اي لفه وطواه .
37. لعَطه: ضربه بالعصا .
38. لِعطِه: بكسر اللام احتال على شخص ماويقال (لِعط) .
39. مَعَط: نظف الشي .
40. مِعْطِه": بكسر الميم :بمعنى سرقوه اونهبوه.
41. جُخْري: يقال لمن لايعتني بنظافته ويقال للبخيل وسيء الخلق .
42. لِطِي :ثَبَتَ في مكانه ..والتصق وفلان لاطي لم يتحرك حتى تقضى حاجته .
43. عوّر به - عيّره :أثار شماتة الناس فيه .
44. طرْطَرَه: حرّقه بالنار .
45. مِقَشمِشْ: يقال لمن لا يبالي بجمع المال من أي مصدر كان أو من ينقل الكلام كذباً.. وقشامش بقايا الحطب والشوك والمراة سرحت تقشمش : ذهبت تجمع بقايا حطب .والقشامش أعواد من القش . ومدلجة :من الدلجة .وقت الفجر :ذهبت لجمع الحطب أو الحشائش : غارفة تجلب الماء
46. متفايغ :عليه اثر الإرهاق يشعر بفتور في الجسم.
47. اتْغيَّر :أصيب بغيبوبة .ويقال لمن تغير لونه أو طباعه .
48. رُقطِي :منزوي لحاله لا يقبل احد .
49. اكتَسَعْ: وفلان مكتسع مسكوع :عابس الوجه عليه أثر الحزن .
50. اتقمَّسْ: يقال لمن يمشي ببطء وكأنه متلصص.
51. هَبَطَ: المطر بدأ نزوله.
52. لَدْوَم: طين .
53. بحلة: حفره .
54. شَابِقْ (فجوة) يقال لمن ياكل كثيرا بسرعة وشراهة.
55. خَبَطِه: ضربه ويقال: لعَطِه- رَزَعِه- شَدَخِه- هَرَطِه-مَلطِه-خَفَعه-سَمَخِه- دنعه . وكلها كلمات تدل على الضرب .
56. ورْد: قشعريرة من برد ويقال لمن أصيب بالفزع او حين الشعور بالجوع .
57. جبج: أكل كثيراً حتى بدا عليه التعب وقد تموت الشاه إذا أكلت علفاً أخضر وبقايا الطعام الخبز .
58. نازجه: أصابه بقطرات الماء .. ومنها سافخه بالتراب .
59. جدَع : أخرج لسانه وفتح فمه إزدراء بالآخر.
60. قوبَع له : تحرَش له وتعرض له في طريقه.
61. مجمَز: يقال لمن هو مقتر في نفقاته وحريص وبمعنى مؤمِّل .
62. جحفه: أخذه برمته[30].
63. جضِه: يقال لمن يلقي الماء دفعة واحدة-تكون بكسر الجيم فعل أمر .. وجضه جضوض .
64. جَض: جَضْجضِه: يقال لمن يصب الماء باستمرار ويعبث به .
65. رَض: كسّر وهشم .

66. اجضَّ: جعض.. يجعض وهو العمل الشديد المتواصل[31] .
67. جَفَضْ: صبَّه دفعة واحدة .
68. أخدَب: المنحني ظهره .
69. هَرَع: مزّق. ومنه اهترع ، تمزق الثوب، وقد تكون بمعنى أسرع، فلان اهترع إلى مكان ما .
70. زَغف: بمعنى رمى ورجم به ويقال فلان زغف إلى مكان أي ذهب وقد يؤمر ازغف به إلى منطقة كذا، أو اذهب به إلى مكان ما.
71. مَرَع: أصابه بالعين .. ومنها شُقْبه: صباحه.. ومارع بطونه أي أفزعه.. (مَرَع) المريع الخصيب. مرع بتسكين الراء : يحرث الأرض بعد جفافها.
72. طاسي : بالسين أو بالصاد بمعنى أملس وطمس (جميل) حالي (أمرد) .
73. طِمّ: طمْ- يَطم: طمّ الماء تناوله بفمه ليشرب (فصيحة) .
74. سَجْره : خديعة(سَجَرَ: التنور أحماه.. وبالتسكين: تعبير عن الخديعة.
75. جرمْ: انحبس شيء ما في حلقه كاد يختنق بسببه زرط (مرط) بمعنى بلع .
76. ابْتسخ: اقتطع وقد يقال لمن تمكن من الهرب دون أن يلاحظه أحد .
77. ملغسِس: (السراج الضعيف).. أغمَس: يقال لمن بصره ضعيف لايرى إلا عن قرب.
78. امْترص : تسلل بخفية وبالمخادعة .
79. مِبَفتج: مربع الوجه غليظ ومنها مدغبج يبان عليه أثر الراحة .
80. جفبلة: سمين .
81. بفَطه : خنقه .
82. لدَخه: ضربه ورجل ألدخ يعمل بغباء ومنها رَزَغه.
83. افتشخ: ويقال لمن سقط أرضاً وتهشم رأسه.
84. افسله: من أجل ومنها في سباه أي من أجله.
85. بنط : طرد وبنَطه: أرسله إلى مكان ما . يطرد بالإمالة بمعنى يكافح أو يبحث عن الرزق وبمعنى يلاحق ويتابع.
86. مابه خلة-مابه قلق . لا ضير
87. منين : بفتح الميم وإمالة الحرفين قبل الأخير بمعنى قليل .
88. وزرّه : للتهديد والتحذير .
89. نادَم : بمعنى رجال. مفردها نادمي .
90. كسوس: نوم غزير متهيئ للنوم يشعر بخمول.
91. امتعل، وانتقل- تناقضت عراه وتفرقت وتبعثرت.
92. سجيح : من السجوحة يقال لمن يمشي بخمول وتراخي ويتسبب في ضياع الأوقات والفرصولا يحسن التصرف .
93. جعجج: سلحب: وجره على الأرض .
94. جعجاحي : مكان مائل وأكثر مايكون مليء بالاحجار والأشواك ومنها (عرمي) مكان للرعي والإحتطاب .
95. وقعَه : أي خطأ .
96. كون: جرح سواء كان بليغا أو طفيفا وفلان مكون مجروح .
97. مِهْطه: الملابس المبتلة بالماء .
98. حوّل : بمعنى البشارة في كلام النساء بمعنى غبطة وسرور .
99. نَذة، وقَذة: ق معة: نوم خفيف لمدة يسيرة .
100. مشعَ: قبَّل بشدة .
101. ملاه : بمعنى أصابه بالأوساخ .
102. هلامام: بمعنى فَمَهْ وقد تكون بمعنى نعم.
103. دسَ: أدخل ومنها دِسهمؤكدة بكسر الدال بمعنى مكان ضيق مظلم وهي متداولة في عدة مناطق[32].
104. مشحيط، لهيطة: بمعنى عصاً ملساء.
105. اتكسور: يقال لمن وقع على الأرض وأصيب بكسور، ومثلها انتذق .
106. لددِ: ضيق النفس متحجر لايفيد بشيء .
107. قمع: أي ضرب وقمَعه يقال لمن ألجم بكلام لاذع.
108. شجَّر: بتشديد الجيم، أغلق وشجَّر على الأغنامْ وضع حاجزا محكما .

109. ذلف: دخل وفلان ذلف بها : هرب، وفلان ذلفوه.. أي بمعنى خدعوه .
110. غذلف: بمعنى ذهب إلى مكان .
111. غتج : انغمس في الأرض ومنها غرّز: انغمس في طين مبلول .
112. وان: من الآوان بمعنى وقت .
113. سهيب : مرتفع.
114. نعظ : خرب ، ومنها (دَحَّ) .
115. ابطى: بمعنى تأخر ومنها لاتتواطى، لا تتأخر ومنها فلان متواطي .
116. قيّع: بمعنى مال وسقط.
117. لطغ: تذوق .
118. بكع: قطع .
119. صفع: بمعنى لطم ومنها فلان صفع بمعنى وبخ .
120. فغرر، قمعز: أصيب باندهاش من هول الفجيعة.
121. نَصَل: بمعنى فصل.
122. قشلل: تباهى وتبختر.
123. افتلج: من الفالج وهو الغيظ، قرح قلبه من الغيظ.
124. وديفه: حيد شاهق، أو مكان مرتفع.
125. طوّى: وضع غطاء على الفتحات وتسمى الطوايا فتحات صغيرة للتهوية وكثير ماتوجد في الديمة أي المطبخ كوسيلة للإضاة والتهوية.
126. خبق: أوساخ وتطلق على التراب المبلول أو المخلفات المتراكمة في برك الماء بعد تمامه.
127. جحل: المتبقي من الشيء السائل(الأوساخ).
128. جخ: للإستنكار - إخه بمعنى قذر.
129. قَرَم: الزاد المعمول من الذرة . وهو القفوع في بعض المناطق.
130. مدّخ: بمعنى لعق.
131. الذفر: الرباط المستخدم للحمير .
132. هرط: إحتال عليه وكذا ضربه .
133. دعر: بمعنى رجم بالحجارة أو بأي شيئ .
134. دغرة : عمل قليل دون التأخر .
135. خمه: بمعنى هزيل وضعيف .
136. فاتر: ضعيف .
137. حيق: شعاع أو خيط صَغير من الضوء يلوح في الأفق .
138. غب: بمعنى في الصميم .
139. فارغ: سبهلل .
140. جِسَيك : مايقدم للحمير والبغال وفلان يحتسك يأكل الكثير من الطعام الجيد .

جمل غريبة المعنى:

من المعلوم أن هناك جملا تفيد معنى خاصاًتثير مافي الثنايا ليعبر بها المتكلم عن مايدور فيه وبما يتفاعل معه ... وبعضها قد لايفهم معناها المتكلم أو المخاطب وربما تكون مكتسبة وجرت عليها العادة فالتزم بها المجتمع ومن الجمل التي تستخدم للتعبير عن الفرح والسرور والسعادة والشوق كما يُفهم من قصدها : مثل (ياحْسَنْوه- يافِسْرتَاه) وهذه كلها تعجب وهناك جمل يعبر بها لغرض الإنزعاج وللتأوه لما ينتابه ويصادفه ويتفاجأ به مثل (ياهمّتاه- (وهي من الهم المتواصل) .. ياجخّاه- ياجسّاه.. وغيرها وقد يتشاءم المتكلم من الكلمتين، وهذه المفردات تتكرر ياهمّتاه لك إذا كان مخاطبا وللغائب تضاف بعدها (له) والمخاطبون وياهمتاه لكم مع إمالة اللام (ويهنا ميت يهنا) من الهناء. (بعافيت نظرة) وهي من كلام النساء دلالة على الغبطة والإلحاح في الطلب لتحقيق حاجة وهناك مفردات يقصد بها الرجاء والإستجارة أو الجوار وطلب الكف عن شيء قد ينوي فعله ويتخذ أي إجراء مثل يارفقاه- ياصحاباه- يامخوّتاه- يامنعاه- وهلم جرّا : ولعل هذه المفردات متداولة بين عامة أبناء اليمن .

وفي حالة وقوع أمر مايصادف المرء فكثيراً مايصرخ (يعوه يعوه بالتكرار) أو (يبوهوو) وهي ملفتة للانتباه وربما هي مشتركة وللمدح (والله فلان) بمعنى رجل حمل كل الصفات النبيلة .

وكم من عجائب ومفردات تتداول خصوصاً بين النساء عندما يبلغها خبرما فيه نوع من التذمر سواء للمتكلم أو للغائب فللمخاطب (يابي عليك العزاء والنعاء) (وياهمتي لك همتا . وللغائب تأتي

الضمير في الأولى (عليه) والثانية له منها (لاعقلبك ولادامك)، (والله لاخذ به فيك) للمماثله لآخذ به منك . وجمل تعبر عن الرفض وللتمني بأن لايصل إلى ماينوي فعله إذا كان أمراً سيئاً لولد لها أو غيره مثل (لالحقك ولاوصّلك) (يابي عليك بابتا)، والدعاء تستخدم جمل مثل: (جُعلتَا معتلي أو من الفائزين والرابحين) . كما أن هناك جملا : تعبر عن شيء ويقصد به جنس (آخر آمنًا بالله)، أو مِنْ (آمنَ بالله) والمقصود بهم (الجن) حيث يتشاءم الناس من ذكرهم تصريحاً وهذه الجملة قد تكون استعاذة ومثلها (مَنْ مَصَلى عالنبي (على النبي) . وكذلك كلمة (محمد وعلي عليه) بمعنى ماشاء الله وهي من الاغتباط فإن المقصود بمحمد هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي: هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ..

وبعض الأحيان قد يتبادر إلى الأذهان مفردات فيها نوع من التضعيف (اعجبتك) أي أعجبتك هذه السلعة: مع التشديد ، ومنها (نوّحت) من النواح وقصد بها التأجيل(نوّحت السفر) أجّلت السفر أو لترك ما(روّاه) أي أراه .. (وغاسي) واضح-أي هاجر.

(صمّلتا أي عقدت النية، وكذلك مفردة مستَغير-قد تكون من الغيرة - أو الغبطة أو للمغايرة ويتمنى له شيئاً مثلما لصاحبه،

(يَستعيْر : من العار يستحي أو يخجل. (وماظلا : بمعنى- أظن أو (ربما) .

وعلى كل حال: فإن جمع مثلِ هذه المفردات وشرحها الذي يطول ليس سهلاً أن نجعله في وريقات قلائل فالموضوع يحتاج إلى دراسة متعمقة وشاملة لجمع المفردات والفكاهات والأمثال التي اشتهرت بها المنطقة وكذلك شعرائها الذين للأسف يجهلهم عامة الناس والسبب عائد الى أنفسهم فقد انعزلوا وتجنبوا الاختلاط بالناس والاجتماع معهم فتولدت في أنفسهم -كمايبدو- عقد نفسية. كما اشتهرت المنطقة بأعلام من النساء اللاتي أثرين الساحة بأدبهن وحكمهن وثقافتهن .. تجاهلهن المجتمع بسبب الجوانب الاجتماعية والعادات والتقاليد التي تتميز بظاهرة المنطقة ونجدها خاصة محددة بابنائها لايوجد في أي منطقة أخرى .

الخاتمة

كان فيما مضى من السطور لمحة عابرة حول اللهجة الأهنومية ومفرداتها والتي حاولنا قدر الإمكان تدوينها في هذه الوريقات بقصد التعرف والاستزادة والاستفادة من ثقافة مجتمعنا اليمني ومناطقه ليس لغرض تفضيل منطقة على أخرى وماغرضنا وهدفنا غير علمي لتأصيل هذه المفردات التي للأسف لم تجد من يهتم بها ويعطيها حقها من الاهتمام بها وبالمنطقة أيضاً ولم يتطرق إليها أحد، من المهتمين باللهجات، بهذه اللهجة المتميزة .

وقد حاولنا بعد جهد جهيد وبحث وجلوس بين أبنائها من ذوي الدراية وإن كنت واحداً منهم ومناقشة بعضهم حتى النساء والعجائز واللائي استطعت أن أجد كنوزاً ومعارف كثيرة قلما تجدها عند الرجال فأخذتني الدهشة والإعجاب بما هنّ عليه من المعرفة والدراية والحس المرهف والذهن الوقاد وكأنهن حائزات على أعلى الشهادات الأكاديمية مع أنهن أميات إلا أننا وجدنا أن المتعلمات هن أكثر أمية وخلوا من أية ثقافة والمثل قد قال (باقي جِيد ولامائة جديد) .

وكنت أود أن أورد شيئاً من النكات والأمثال المتداولة في هذه المنطقة ولكن لضيق المساحة. ومن المؤسف أننا نجد الناس يعرضون عن التعاون مع أي باحث يريد الوصول إلى مايصبو إليه من أجل البحث العلمي وتأصيل الفكر والتراث فهم لايقدرون للعلم مكانته وربما استغفلوك واستهجنوك واستهزأوا بك وخذلوك.. وهذه من عادات بعضهم فكم عوائق اعاقتني، فتفاعل الناس واهتمامهم العملي لحفظ التراث وتأصيله وجمعه حتى لايضيع ويندثر فالحس الثقافي غير موجود .

وبسبب تجاهل أبناء الأهنوم لمنطقتهم، فقد عرّضها للتناسي والنسيان ولم يلتفت إليها أحد من المهتمين. ولكني تشبثت بالأمل عسى أجد ولو بعد حين من يفهم ويعي ويقدر للعمل مكانته، ولكن

هذه الأيام قد يتجاهلك أقرب أقربائك وأهلك وربما استهزأ بك وانتقص من قدرك وتجاهل أمرك، فنتج عن هذه اللامبالاه قصور في الوعي واعتلال الأفكار والعقول . . أتمنى أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة على النحو الذي ينبغي.

الهوامش:-

1. الحسن بن أحمد الهمداني: الاكليل ج1 تحقيق محمد بن علي الاكوع بدون رقم الطبعة- مطبعة السنة المحمدية 1963م ص 207 .
2. الحسن بن أحمد الهمداني: الاكليل ج10 المطبعة السلفية 1368هـ ص 107-108 وصفة جزيرة العرب- طبعة أولى- مكتبة الارشاد ص 310 .
3. المصدر نفسه: ص 310 وإبراهيم المقحفي (معجم البلدان والقبائل اليمنية) الطبعة-4 دار الكلمة- صنعاء 1988م مادة الأهنوم .
4. المقحفي مرجع سابق .
5. المقحفي مرجع سابق ص 338 وقد ذكر منهم يحيى بن محسن الجمماني الأهنومي وهو من أعيان ريمة .
6. محمد عبد القادر بامطرف : الجامع ج1 -دار الحرية بغداد 1980م ص 207 .
7. انظر أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (إنباه الرواة على إنباه النحاة) تحقيق محمد أبو الفضل ج1 مطبعة دار الكتب -1990القاهرة ص 239-240 .
8. الحسن بن أحمد الهمداني (الصفة) مرجع سابق ص 311 وإبراهيم المقحفي مرجع سابق مادة الاهنوم وموضوعنا الأهنوم معقل العلم وعبق التأريخ- صحيفة الأمة العدد 284 والجهاز المركزي للإحصاء (تقرير العمليات الميدانية لمديريتي المدان وشهارة 2000م) .
9. المقحفي مرجع سابق، ومحمد محمد زبارة (أئمة اليمن) المطبعة السلفية ص 208-209، وحسين السياغي (معالم الآثار) مركز الدراسات والبحوث 1980ص 70-71 .
10. حسين السياغي مرجع سابق - نفس الصفحة وموضوعنا الأهنوم معقل العلم وعبق التاريخ وكذا صحيفة الثورة ج ي الرسمية صنعاء عدد 2814108 يونيو 2003م ،وعبدالله أحمد الثور (هذه هي اليمن) بدون رقم الطبعة مطبعة المدني 1969م ص 419 ، وحسين الويسي (اليمن الكبرى) الطبعة 2مكتبة الارشاد 1991م ص 123 .
11. أحمد حسين شرف الدين (لهجات اليمن قديماً وحديثاً) طبعة أولى مطبعة الجبلاوي-القاهرة 1970م ص39 وانظر صالح بن أحمد الحارثي(شدو البوادي) ط1 مؤسسة14أكتوبر للطباعة 1991م ص17 وقد ذهب أن العامية واختلافها هي تدرج طبيعي ص18-21 .
12. موضوعنا صحيفة الأمة عدد 284، صحيفة صوت الشورى عدد 17 وصحيفة الثورة مرجع سابق .
13. انظر محمد بن إسماعيل الكبسي(اللطائف السنية) مطبعة السعادة دون رقم الطبعة ومكان الطبع ص 192 .
14. المرجع السابق ص 216-223 و ص 261 وعبد الواسع الواسعي تأريخ اليمن ط2 مكتبة اليمن الكبرى 1991م ص 226-227 .
15. انظر دكتور حسين العمري (مائة عام من تأريخ اليمن) ط-1دار الفكر -بيروت 1997م ص 27-28.
16. زبارة مرجع سابق ص 10 .
17. زبارة مرجع سابق ص 309م واسماعيل الأكوع (هجر العلم) ط1 ج4 دار الفكر- بيروت 1997م مادة هجرة علمان وانظر عبد الواسع الواسعي مرجع سابق ص 264-271 .
18. شرف الدين ص 39 مرجع سابق .
19. نفسه ص 56 .
20. نفسه ص 59 .
21. نفسه ص 63 .
22. نفسه ص 63 .
23. نفسه ص 63.
24. نفسه ص 63.
25. نفسه ص 65.
26. نفسه ص 65.
27. نفسه ص 83.
28. مطهر الإرياني (المعجم اليمني في اللغة والتراث) دار الفكر 1996م مادة ذفر ويقصد به الخسيس من الناس ولم أجد من خلال النظر في المعجم إلا القليل من المفردات التي تشترك معها اللهجة الأهنومية مع مناطق أخرى .
29. نفسه مادة مفر وهي متداولة .
30. في مناطق أخرى يقولون جحب (الإرياني) .
31. وتعني في بعض المناطق ظهر الدجاجة (الارياني) مادة جعض .
32. الإرياني مادة دس.

القاضي حسين بن أحمد صالح العرشي

حياته وآثاره

محمد بن محمد عبدالله العرشي

تمهيد

القاضي حسين بن احمد صالح العرشي: هو القاضي العلامة اللغوي النحوي الشاعر الأديب الخطيب السياسي رب السيف والقلم احد قادة المقاومة اليمنية للوجود العثماني الثاني/ الحسين بن أحمد بن صالح بن مصلح بن أحمد بن حسين بن عامر بن أحمد بن محمد العرشي الدوامي الخولاني نسبةً إلى قبيلة الأعروش من خولان الطيال (خولان العالية) وقبيلة الأع روش تتكون من خمسة أقسام: بني دوام، الغادر، الدباء، البرام، العرفطي. وقد ذكر القاضي محمد أحمد الحجري في كتابه مجموع بلدان اليمن وقبائلها: (أن قبيلة الأعروش تعدادهم في خولان العالية ونسبهم في حاشد وهم وهبي ومسلمي. وينسب إلى الأعروش، القضاة بنو العرشي من بيوت العلم).

وقد ذكر الأستاذ إبراهيم المقحفي في كتابه (معجم البلدان والقبائل اليمنية) أنه ينتسب إلى الأعروش القضاة بنو العرشي وهم من بيوت العلم والرياسة ومنهم القاضي/حسين بن أحمد بن صالح بن مصلح بن أحمد بن حسين العرشي مؤلف كتاب (بلوغ المرام في شرح مسك الختام)، وكان خطيباً وفصيحاً وعالماً ومؤرخاً، توفي سنة 1329هـ،ومنهم ابن أخيه القاضي/ عبدالكريم بن عبدالله بن أحمد بن صالح العرشي - نائب رئيس الجمهورية، رئيس مجلس الشعب التأسيسي- رحمه الله). ومنهم أيضاً أخوه القاضي/ عبدالله بن أحمد بن صالح بن مصلح العرشي المولود عام 1296هـ والمتوفي 1359هـ، وهو عالم وقاض وسياسي، ومنهم ابن عمه القاضي/ احمد بن عبدالله بن أحمد بن مصلح العرشي حاكم الحداء المولود في سنة 1274هـ والمتوفى 1362هـ، وهو عالم وقاض ومجتهد.

وقد ذكر المرحوم المؤرخ النسابة/محمد بن إسماعيل الكبسي مؤلف كتاب (اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية) في رسالة منه للقاضي حسين العرشي عن نسب آل العرشي "أنهم من بني دوام من قبيلة الأعروش هم الرؤساء الفخام، وكانوا أهل الحل والعقد في هذه القبيلة، وهم مذكورون

في السير والتواريخ مع الأئمة والسلاطين، ولا سيما في عهد الدولة الطاهرية (عامر بن عبدالوهاب)، والدولة القاسمية. وقد تفرقت أسرة آل العرشي في كل من صنعاء، والكبس، والحداء في محل الكراع في بني بخيت وتفرقت أيضاً في ذمار" وقد ذكر العلامة/ محمد بن عبدالملك المروني في كتابه (الثناء الحسن على أهل اليمن/مطبوع) أن منهم من انتقلوا إلى الحيمة الخارجية، وآنس والمحويت في بني سعد، وفي نقيل سمارة. وأن أول من سكن في مدينة صنعاء من أسرة القاضي/ حسين بن أحمد العرشي هو العلامة/ مصلح بن أحمد بن حسين العرشي في فروة بجانب جامع فروة بن مسيك الصحابي، ثم انتقل بعض ورثته إلى الروضة، ثم انتقل بعضهم إلى شعوب في قرية الحافة.

مولده ونشأته ومشائخه:

ولد القاضي الحسين بن أحمد العرشي بهجرة الكبس كما ذكر ذلك بخطه في خاتمة كتابه (بلوغ المرام) وقد ذكر المؤرخ محمد بن محمد زبارة في كتابه (أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة) المطبوع في المطبعة السلفية عام 1396هـ في ترجمة للقاضي حسين العرشي أن مولده بهجرة الكبس من خولان العالية في 20 ذي الحجة 1276هـ، وأنه أخذ بها عن السيد الحافظ المؤرخ النسابة/ محمد بن إسماعيل الكبسي، وهو أحد العلماء الأعلام في عصره ومن تلاميذ القاضي/ محمد بن علي الشوكاني، وقد انتقل القاضي/حسين العرشي إلى مدينة ذمار مع والده، وأخذ عن الكثير من العلماء في ذلك التاريخ، حيث كانت ذمار إحدى المدن اليمنية المشهورة بعلمائها، ومن أبرز من أخذ عنهم من العلماء في مدينة ذمار العلامة/ علي بن حسين الديلمي، والقاضي/ علي الأكوع في النحو والفرائض والفروع وكتب الحديث. ثم انتقل مع والده من مدينة ذمار إلى الحداء قرية الكراع في بني بخيت نتيجة تعقب العثمانيين لرجال المقاومة اليمنية، وقد توفي والده هنالك عام 1307هـ وقبره هناك معروف، وقد رثاه بقصيدة موجودة في ديوانه، وقد ذكر القاضي/ أحمد عبدالله الجنداري أنه انتقل بعد ذلك من الحداء إلى القفلة، كما ترجم له المرحوم شيخ الإسلام القاضي/ أحمد بن عبدالله الجنداري في كتابه (الدرر المنتقاة/مخطوط) بقوله: الناظم الكاتب المنشئ شرف الدين حسين بن أحمد العرشي فاضل زاحم أرباب البلاغة والفصاحة، وجمع خصال الكمال والرجاحة، وتضلع في عالم الأدب والأخبار مالم يجاره في ذلك مجار، مع قريحة وقادة، وطبيعة منقادة. أما نظمه البليغ فهو يفوق نظم الأوائل، ويعيد سحبان كباقل، وله من المؤلفات (جمع رجال القاموس) وهو إن تم نزهة للنفوس، والقاضي حسين ممن لازم الإمام المنصور، وتولى معه كثيراً من الأمور، ولما قام المتوكل على الله خرج بأهله مهاجراً ولازم الإمام ودارت أكثر الكتب والأجوبة في المقام على يديه.

وقد أورد المؤرخ زبارة في كتابه (أئمة اليمن) عن محمد بن أحمد بن قاسم حميد الدين قوله عن القاضي حسين العرشي: كان أديباً، وشاعراً، مجيداً، شعره في الطبقة العليا مكثراً فيه وله قدرة على النظم والنثر وإنشاء الرسائل والخطب في أسرع وقت. لازم مقام مولانا الإمام المتوكل على الله يحيى، وكان خطيبه ومنشئ رسائله وكتبه وغير ذلك. وله مشاركة ومعرفة في العلوم. وكان واحد عصره في فنه، لم يبلغ زماننا القاصر إلى الإتيان بمثله، وفوق ذلك كان يحب الخير والصدق.

وقد ترجم له القاضي/إسماعيل بن علي الأكوع في كتابه (هجر العلم ومعاقله في اليمن) بقوله: عالم محقق في الفقه وفي علوم أخرى، مؤرخ أديب، شاعر مجيد، خطيب بليغ، كما ذكر أنه هاجر إلى القفلة في ربيع الأول عام 1309هـ حيث كان يقيم الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، فكان من أعوانه وكاتب رسائله وبلاغاته

وإجاباته الشعرية والنثرية. وقد ذكر بأن المترجَم له لم يكن راضياً عن الإمام يحيى بسبب قتله لآل أبي الدنيا ولتنازله عن بعض شروطه للدولة العثمانية في اتفاقية صلح دعان سنة 1329هـ كما ذكر القاضي/إسماعيل الأكوع في كتابه (هجر العلم ومعاقله في اليمن) في ترجمة الإمام المنصور/ محمد بن يحيى حميد الدين بأن الإمام المنصور أصيب بالفالج في آخر حياته وكان يقوم القاضي/حسين بن أحمد العرشي بكتابة الرسائل والقاضي/علي بن عبدالله الإرياني بالإجابة على الشكاوي.

وقد ترجم الزركلي في كتابه (الأعلام /ج2/ صـ233) للقاضي حسين بقوله: حسين بن أحمد العرشي مؤرخ من فضلاء الزيدية من سكان قفلة عذر من بلاد حاشد باليمن، نسبته إلى قبيلة الأعروش بفتح الهمزة إحدى قبائل خولان العالية، وكان خطيباً، فصيحاً، ناظماً، ناثراً اشترك في نهضة اليمن السياسية وأعان الإمام/يحيى حميد الدين في قيامه على الترك. وصنف كتباً منها (بلوغ المرام في شرح مسك الختام) وقد طبع مختصراً بلغ في حوادثه إلى 1318هـ و كتاب (الدر المنظم فيما كان بين أهل اليمن والعجم) فصل به ما فعله الأتراك وولاتهم أيام حكمهم في اليمن، وله (بهجة السرور في سيرة الإمام المنصور).

وقد جمع القاضي/حسين العرشي العديد من المواهب العلمية والأدبية والقيادية التي قل ما تتوفر لدى غيره من رجال عصره.

القاضي حسين شاعراً:

يعتبر القاضي حسين العرشي من أشهر الشعراء في عصره وقد أجمع الكثير ممن كتبوا عنه أو ترجموا له بأنه على رأس طبقة الشعراء في عصره، وقد حثت العديد من قصائده اليمنيين على الجهاد ومقاومة التواجد العثماني في اليمن كما سخر معظم شعره في وصف الوقائع التي كانت تدور بين اليمنيين والعثمانيين. ومن ذلك ما استشهد به المرحوم القاضي العلامة/أحمد بن عبدالله الجنداري في كتابه (الدرر المنتقاة) من القصائد للمترجم له كما أورد قصائد لعدد من الشعراء الذين عارضوا قصيدته المشهورة، والتي مطلعها:

بذا خبري فلينقل النظم راقمه ... وللمجد فليَزْو العلى من ينادمه

وعن معشر قد لاقوا العز عنوة ... وللعز من يعنى به ويلازمه

وقد عارضها العديد من الشعراء في كثير من المناطق اليمنية ومنهم شيخ الإسلام المرحوم القاضي/أحمد عبدالله الجنداري بقصيدة مطلعها:

سمعت الذي أهدى من الدر ناظمه ... لسان أمير المؤمنين وحاكمه

كما ضمن المؤرخ/ محمد بن محمد زباره في كتابه (أئمة اليمن في القرن الرابع عشر) مقتطفات من بعض قصائد القاضي حسين سواءً في مدة حكم الإمام المنصور أو حكم الإمام يحيى. كما أورد المرحوم القاضي/ علي بن عبدالله الإرياني في كتابه (الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور) العديد من القصائد للقاضي/ حسين بن أحمد العرشي والتي أنشأها أثناء مقاومة اليمنيين للكم العثماني الثاني في عهد الإمام المنصور.

كما أورد المرحوم القاضي/ سعد بن محمد الشرقي في كتابه (تقييد حوادث إنشاء تجديد الجهاد الثاني) العديد من القصائد الشعرية للمترجم له والتي أنشأها في وصف المعارك التي خاضها اليمنيون ضد العثمانيين أو القصائد التي يحث فيها اليمنيين على مقاومة العثمانيين.

وللقاضي حسين العرشي ديوان شعر مخطوط جمع فيه قصائده الشعرية التي نظمها في مناسبات عديدة في كافة أغراض الشعر، وقد بلغت عدد القصائد التي في الديوان (128) قصيدة وهي في المدح، الحث على الجهاد، الإخوانيات، العتاب، الدعاء، الشكوى، النصائح، المراثي، ومدح الرسول، التهنئات، الاستعطاف، الأدبيات، الاجتماعيات، الصوفيات.والديوان الآن تحت

التحقيق من قبل حفيده الأستاذ/ أحمد بن أحمد بن محمد بن حسين العرشي.

ويعتقد أن هناك الكثير من القصائد لم تدرج في ديوانه وهي متفرقة لدى الكثير من العلماء والأدباء في عصره بدليل أن بعض قصائده قد تناولها بعض الشعراء وعارضوها، وهناك بعض القصائد التي لم تنسب إليه وقد قالها باسم الإمام المنصور أو باسم الإمام يحيى، كما ذكر ذلك المؤرخ زبارة والمؤرخ الإرياني والمؤرخ الشرقي. وقد ضمن القاضي/ حسين العرشي العديد من قصائده سواء من التي وردت في ديوانه أو غيرها في كتابه (بهجة السرور في سيرة الإمام المنصور) ومن قصائده الشعرية التي تركت صدى في المجتمع اليمني في ذلك التاريخ قصيدته التي يصف فيها معركة صنعة التي وقعت بين اليمنيين والقوات العثمانية في قرية صنعة من قرى مديرية معبر بمحافظة ذمار الذي كان قائدا للمعركة فيها والتي وقعت في ربيع الأول سنة 1325هـ، وهي:

يقول لي الأصحاب كيف وجدتم ... لظى الحرب لما أسعرت بالصيالم
فقلت لهم إني وإن كنت ذاكراً ... لفعلي لذي رأي بها غير واجم
سلوا صنعة الغراء ما كان عندها ... وماذا بها قد كان يوم التلازم
غداة تجر الروم نحوي جيوشها ... تجش بها ألباب أهل العزايم
وفي كل يوم عسكراً بعد عسكر ... وفي كل حين قادماً بعد قادم
إلى أن تناها نحو ألفين جمعهم ... على أهبة فيها جميع اللوازم
ونادوا بيا للطوب فانهل ودقه ... برنزاً أرت حيطانها صوب هادم
تنحي الحجار الصم عن كل منبت ... وتأتي على الدور الكبار العظايم
وخمس من الطوبات ترمي كأنها ... ـوقد نبحت ـ أصوات رعد الغمائم
تصادمنا في اليوم من كل جانب ... سهام لها كم زحزحت من مصادم
ونحن وهم ما بيننا قط حائل ... سوا الرمي إن الرمي سور لحازم
نغازيهم ليلاً إلى عقر بقعة ... وقد ضربوا فيها خيام التزاحم
وكم هجموا من مرة بعد مرة ... فآبوا وذاك العزم أضغاث حالم
بقتل سلوا عنه صعيد محطة ... هناك وأفواه النسور القشاعم
وزدنا على الأسبوع يوماً وبيننا ... قتال إذا شبهته نار ضارم
توقد حتى ماترى الجو أبيضاً ... ولا الشمس إلا في القتام الملازم
وحتى وعت أذنا وصاب وريمة ... وقد سمعت أصوات ذاك التصادم
كأن سهام الليل منا ومنهم ... خرير نجوم بعد جن رواجم
فلم تر إلا حايطا طال سمكه ... يصافح أرضا حوله غير سالم
وداراً تنحت عن زباها كأنها ... هنالك ما كانت بذات العلايم
وسوراً كأن القاع ناداه فانثنى ... إليه وألقى نفسه غير قايم
وكنت أمرأ أهوى قتالي لمعشر ... بغوا وتعدوا وارتدوا بالمآثم

وقد أورد القاضي المرحوم/ عبدالله بن محسن العزب المتوفى عام 1365هـ في كتابه (تاريخ اليمن الحديث"فترة خروج العثمانيين الأخير") التي قامت بنشره "منشورات المدينة" وقام بتحقيقه الأستاذ/ عبدالله محمد الحبشي وصدرت الطبعة الأولى منه عام 1407هـ - 1986م قصيدةً وصفها بأنها قطعة من الشعر الرصين الجزل من إنشاء القاضي الأديب/حسين بن أحمد العرشي، قدمها لجلالة الإمام عند زيارته لشهارة وهي آية في الإبداع ودرة من درر البيان، وقد أوردها القاضي أحمد عبد الله الجنداري في كتابه الدرر المنتقاة، وقد وجدتها بخط المترجم له محشاة في كتاب القاموس للفيروزآبادي.قال رحمه الله:

عن البدو إذا ما أنت تروي وتنسب ... أعده فما أحلاه لفظاً وأعذب
وحييت أي الربع جاورته ضحى ... مشرقة ام ذو القباب المغرب
وهل أبصرت عيناك إذ أنت عندهم ... مهاها اللواتي دونها الوصل يحجب
بصرواح او بيحان او نهج مأرب ... مهابط ما شاد الكلاع ويحصب
منازل فيها للضيوف منازل ... تعد وفيها مرحب وتأهب
بها غادة الغيد التي الروح دونها ... يباع ويسبى كل حين وينهب
هداني إليها العشق قلبا ودلني ... عليها غرامي والخباء المطنب
فطفت حواليه وحولي وحولها ... رجال لها في موكب الحزم تركب
أغير شعري حين ادنو مسلما ... عليهم وادعوا بالبياض فأخضب
أغالطهم بالشيب كي لا يلومها ... على القرب مني ذو إخاء ولا أب
مهاة أطاع العشق نفسي ونفسها ... كلانا له فيه مقام ومنصب
أخاطبها باللحن وهو خطابتي ... إليها فتدري ما به اللحن يعرب
على انني لو بحت بالأمر لم أجد ... بعادا ولكن صاحب الحب يرغب
وشخص من البلور يسقي صبابة ... فؤاد الذي ما كان من قبل يشرب
وغصن إذا قايسته في اعتداله ... على قدر غصن البان فالبان أحدب
هي الصبح وجه الصبح معنى لوجهها ... ولكن شعر الفرع ليل وغيهب
تعلقتها إذ كنت جفرا ويافعا ... فمن اين لي من بعد ما شخت مهرب
وبرأتها من لوم من كان عاذلا ... ينم عليها بالجفاء ويكذب
اراك ترى أني تسورت حائطا ... عليها وأني في الذي قلت مذنب
وتحسبني شببت في ذات برقع ... أبى الله لي هذا وعقل مجرب
ونفسي التي لا يقبل اللوم عرضها ... أعف وأسمى بالعفاف وأنجب

كنيت بذا عن شيمة العرب بأنها ... هي الغيد والوجه الجميل المحبب
وعن منصب الحق الذي كنت ردته ... ومن دونه بيد هناك وسبسب
وبالعشق حبيتها على كل حالة ... وحبي لمن يدنو إليها ويقرب
وبين يدي نجواي قدمت هذه ... إليك إمام العصر تقرأو تكتب
إلى عامر الدين الذي بات نائبا ... له والذي لولاه قد كاد يخرب
إلى الناشر الإيمان في كل بلدة ... ومظهره والناس تلهو وتلعب
إلى ذي يد كفت بكف اعتصابها ... مظالم فيها أمة الروم ترسب
رماهم بها جردا عتاقا كأنها ... كواسر عقبان تجيء وتذهب
وأرسلها شعثا غضابا مشيحة ... تصيد الذي مرت عليه وتسلب
وأرخى لها بعض العنان فأصبحت ... تؤم الوغى ما عاقها عنه موكب
أحاطت على صنعا أزال ولم تزل ... تدك الصياصي والجبال وتركب
فألقت أزال الخير ما جن جوفها ... من العجم وانحط الضلال المركب
وغطى على الأورام ثوب أمانه ... فكان لهم فيه هناك تقلب
ولما عتا العاتي وكان الذي مضى ... مضى وهو كالليث الهزبري مغضب
له ناب ليث فهو يدريه قاطعا ... منى كل غي حين يلوي ومخلب
وأنت بغاة العجم حصن شهارة ... ومن دونه حفظ من الله يغلب
فما رجعوا إلا على متن شردة ... لهم فيه باب خلفه الفر مشعب
شهارة ذات الفخر والمجد والتي ... لها المثل الأسمى الذي كان يضرب
سماء بناها الله من صخرة رست ... على منبت بالعز والفخر مشرب
إذا أوقدت فيها المصابيح ليلة ... ففي كل برج حين أبصرت كوكب
وسقف يحاكي النجم يحوي معارجا ... على كل معراج حروس ونوب
كأن سناميها الأميري وفانش ... سنا ما بعيرين لذا ذاك يعقب
يطوقها حزم وعزم وشاهق ... وأسباد حرب والحديد المذرب
لأحجارها ما للسيوف مبيدة ... تقد وتفري وهي ترمى وتقلب
هنيئا لمولانا بما أنت فاعل ... وأما أنت ترجوه وما أنت تطلب
عمرت بها الأبراج وهي حصينة ... وزدت بها نقبا من الصخر يثقب
تروسا ترد (الطوب) عما يريده ... فما برقه إلا كما قيل خلب
واسقيتها ماء الحياة فلم تكن ... لذي ريبة منها سوى الموت مشرب
خلعت عليها حلة المجد فاغتدت ... تتيه بها فوق الجبال وتعجب
وسربلتها بالعز وهي جديرة ... به والمحل المثمر العز طيب

القاضي حسين العرشي خطيباً:

لقد أجمع كل من كتب عن القاضي حسين العرشي بأنه كان خطيباً بليغاً، فقد وصفه المؤرخ/ محمد زبارة في ترجمته بأنه الخطيب المصقع، ووصفه العلامة/أحمد بن عبدالله الجنداري بأنه من أرباب البلاغة والفصاحة، وقد أورد المؤرخ زبارة في كتابه (أئمة اليمن) عن محمد بن أحمد بن قاسم حميد الدين يصف القاضي حسين العرشي بقوله: وله قدرة على النظم والنثر وإنشاء الرسائل والخطب في أسرع وقت. لازم مقام مولانا الإمام المتوكل على الله يحيى، وكان خطيبه ومنشئ رسائله وكتبه وغير ذلك. وقد ذكر له المؤرخ زبارة في كتابه (أئمة اليمن) العديد من مقاطع خطبه التي كان ألقاها في العديد من المناسبات وحث اليمنيين على مقاومة العثمانيين.

ومن خطبه التي يدعو فيها إلى إصلاح ذات البين والمحبة والتقوى:

(الحمد لله جل ربنا، وتعالى إلهنا، الذي وجَّه إلينا نعمة وآلاءً وعَّمنا باكرامِه، ابتداً منه وافضالا، نحمدهُ على نعم سَدَّ عنا بها أبواب الفاقات، وهدانا بها إلى ما أحبه من الحسناتِ، حمداً يُنَفِّرُ كلما يوذينا ويَدُعُه، ويمسكِ علينا ما رضيه ربنا والعمل الصالح يرفعه، حمداً محامده لا تحصى وثناؤه لا يعد ولا يُستقصى. ونشهد أن لا إله إلا الله شهادةً منعت الأهوال بصحبتها ونهت الأخواف بمرافقتها، وحصنت النفوس من العذاب بحسنتها، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى من بريته المبعوث بأحكامه وشريعته، ماحي الكفر ومزلزله وقامع الضلال ومجدِّله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأخيار حماة الذمار وسادات الأبرار، صلاة وسلاماً إلى يوم الإنتشار. عباد الله كاثروا الحسنات فإنها موانع الغضَب واردعوا السيئات فان لها حداً قطع الرجاء وجَبّ، واستقبلوا أيامكم بالتقوى فإنها زاد المستقبل وغنية المقل ولا تسدوا أبواب الدعاء بالذنوب فبها تُسد، واحملوا انفسكم على نوق الاتصال بما أمر به الله وحَدَا، سُكُوا بقناة الحق الغي ليسقط واضربوا الهوى بسيوف الخوف لينحط وتذللوا لله تعزوا، وراقبوه تاتكم مواعيدكم منه وتتجزوا، هبوا إلى طاعة الله والتفتوا بكلية قلوبكم إلى الله واستغفروا الله من ذنوب اسلفتموها، وأعمال غير ملايمة عملتموها، وارفقوا بانفسكم أن

تدركها الذنوب فتلسع، وتكسوها العيوب التي لا تخلع، ما مضى من الأيام أراد اللب آتيها، وما هو آتٍ فقد أعلمه ماضيها، لا يغفل العاقل عما به يراد ولا يضل الجاهل عما ينفعه من الإرشاد. إن الأيام لتطوى وانها لا تبقي وأن الله أحب أموراً أعلمكموها مبينة وأخلاقاً أنبأكم بها معينة، وجعل من المحببات أشياءً وعد عليها أهلها الجنة، وجعلها لهم من النار جُنَّه، منها الحب في الله والبغض في الله وموالاة أولياء الله، ومعاداة أعداء الله، فانها تحت الذنوب، وتُكِل حدايد العيوب، وتحلق المساوي والأغلال، ويكل بها إيمان الرجال. يقول نبينا صلى الله عليه وسلم: إن أوثق عرا الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله وأفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله فقد استكمل الإيمان وقال يآيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عزوجل عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله. فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس والوى بيده إلى النبي فقال يا رسول الله ناسٌ من الناس ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء علي منازلهم وقربهم من الله إنعتهم لنا حلهم لنا شكلهم لنا فَسُرَّ وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: هم ناس من أفياء الناس ونوازع القبايل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسون عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون، وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وليبعثن الله أقواما يوم القيامة في وجوههم النور على منابر من اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء هم المتحابون في الله من قبايل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه. ويقول يقول الله تعالى حقت محبتي للمتحابين في، والمتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله يغبطهم بمكانهم الأنبياء والشهداء.

اللهم اجعلنا من المتحابين فيك، الموالين لأوليائك المعادين لاعدائك. اللهم طهر قلوبنا واغفر ذنوبنا وارحم الله امرءا سمع الموعظة فوعاها وأوامر الله فأداها ورعاها، ونواهيه فباعدها عن نفسه ونفاها، وأحسن الكلام كلام رب الأنام.

القاضي حسين العرشي مؤرخاً:

يعتبر القاضي حسين بن أحمد العرشي من مؤرخي اليمن في العصر الحديث وله قصيدة شعرية أسماها (مسك الختام) وهي تتكون من (63) بيتاً، مطلعها:

في صورة الدهر ما أغنى عن العبر ... لذي فؤاد وذي فهم وذي نظر

وقد شرحها في كتابه (بلوغ المرام)، الذي عُني بنشره الأب/ انستاس الكرملي، وقد ذكر الأب انستاس ماري الكرملي (1263 - 1366هـ / 1846 - 1947م) بأن من محاسن كتاب (بلوغ المرام) أنه مستخلص من طائفة كتب قديمة لا نستطيع الحصول على ما ورد فيها إلا بأعظم السعي والبحث والطلب، وأن العرشي لم يتبع مألوف عادة المصنفين في وضع الفصول والأبواب وأنواع التقسيم بل نظم بيتاً أو أبياتاً لتدل على مطلبه وأن مزايا كتاب بلوغ المرام أن مؤلفه وضعه بكلام سهل لا نفر في كلامه ولا تعقيد، إلا أن الأب انستاس الكرملي قد وصف النسخة الخطية التي اعتمد عليها في نشره لكتاب بلوغ المرام بأنها تضمنت العديد من الأخطاء والتي أهمها سوء الرسم، ومخالفة للأحكام العربية، وهدم أبيات الشعر، والركاكة في التعبير.

وللقاضي/ حسين العرشي كتاب (بهجة السرور في سيرة الإمام المنصور) دون فيه سيرة الإمام المنصور والحوادث من سنة 1307هـ إلى سنة 1316هـ وتعرض لكثير من الوقائع والمعارك التي جرت بين اليمنيين والعثمانيين في تلك التواريخ وضمنها بعض القصائد لبعض الشعراء والقصائد التي له والتي ذكرها في وصف الوقائع

والمعارك، وترثية بعض رجال المقاومة وهي لا تزال مخطوطة.

كما أن للقاضي/ حسين العرشي كتاب (الدر المنظم فيما كان بين أهل اليمن والعجم) أرخ فيه لكل قبيلة من قبائل اليمن، والمعارك والوقائع التي جرت بين المقاومة اليمنية والعثمانيين أثناء التواجد العثماني الثاني في اليمن، ومعظم هذه المخطوطة مفقود ما عدا سبعاً وعشرين ورقة وهي موجودة عند كاتب هذا الكتاب.

القاضي حسين العرشي أديباً:

يعتبر القاضي/ حسين العرشي من أشهر الأدباء في عصره وأن المتتبع لآثاره الأدبية المتمثلة في ديوانه وخطبه وكتبه سيجد أنه من الطبقة الأولى من الأدباء في عصره، وأن ترثيته لمكارم الأخلاق التي وردت في المقامة التي سماها (رسالة كحل الأحداق في مرثية مكارم الأخلاق) تمثل نموذجاً من المقامات التي قيلت في عصره.

والتي أولها: الحمد لله الذي شنق الراحات إلى أوتاد التعب، وربط أيدي المسرات برمَة المغثيات والكُرب، ودق عقول الموجودين في هاون الدراهم والحب، فما أبقى منها إلا على حثالةٍ وزبارق، إتخذوا منها الأقفال والمغالق، على كل رأي مطابق، وخلق موافق، نحمده إذ ادخلنا من باب وأخرجنا من باب، وطهَّرنا من مساوي الغِنا وَدنسِ الآداب، وعلمنا مالم نكن نعلمهُ من المضحكات، واشبع بطوننا بالأعجوبات، وأوقر ظهورنا ما بهظها، والرموز والكنايات، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الذي ما نهانا عن الطيبات، ولا قال لنا هي خيرات، وعلى آله أكرم أهل البقاع، إلا من وافق هواه هوى ابن زنباع. سألتني أيها المسترشد والمتطلع، عن أدبٍ كان طلع من هذا المطلع، ولا باس إلا أنه قد أضوى، وهزل حين طوى، ولكني أشرح لك شيئاً عاينته، وسمعتهُ فاسمعتهُ، إني لما رأيت الأدب قد تشططت مزادتهُ، وتمزقت عيبته، وسقطت قوته، وتباعدت إرادته، وماتت عمتهُ، ودُفنت جدته، كنت وطنت نفسي اتطّلب رجاله واتعاهد أطلاله ورجاله، فاتفقت في بعض أسفاري بأدب كان على بعض الأوطان قد أطرق إلى الأرض إطراق الحصان لصلصلة اللجام، وقد لبس حلة الإذعان والطنان لا من شهر ولا من عام، نذر بالصوم وآلا باللوم، ألا يكلم اليوم إلا من يدريه ويضيفه ويقريه، بيده عصا يذب بها عن نفسه الغوغا، ويطرد بها البعاث والببغا، فقلت له ما الذي أصارك إلى الذي أرى، وأوصلك إلى أكناف هذه القرى، فرفع رأسه إليَّ ورآني اهلا للمحادثةِ وتنفس الصعداء، وأخبرني أن قيامَة الآدب قد دنت، وقد قبض إسرافيل صُوَرَه وصوَّت، وأنه أقدمَه هذه الديار ينتظر النفخة الثانية ليقع الثواب حين تنصب موازين الحساب، قال ولكني أرى إسرافيل الأدب قد خالف أمر ربه، وعدل إلى رأي نفسه ولُبِّه، فأبطأ عَنّاً أو تباطا، وتخطا العجالة فاخطا، حتى تكدر ما صفى، وتعقب ما عَفى، فتجاهلت له وجعلت اباحته طمعاً في الخطاب، وتطلبا لما في قعر بحره من النفايس الغِراب، فانشطته من عقال الكلام، واطلقته من سجن الصيام، إلى أن قلتُ قد عَنَّ اسألك عن زمان ودنيا صحبتهما وأعني لك ما نحن من الأيام على أكوارها، وفي أوهاد أغوارها وأوعارها.

ومنها ترثيته لمكارم الأخلاق بقصيدة هي:

أطال همك أم أندى بك السهر ... أم أنت في هذه الأيام مُنقهَرُ
فقلت لا ذا ولا ما أنت زاعمه ... والعينُ تعلمُ ما لا يعلم الخبر
وقفت فوق ضريح في كتابته ... هذي المكارم قد أودي بها القدر
ماتت فغاب عن الأعيان مطلعها ... وكيف يطلع من قد ضمّت الحفَرُ
واستعوض الدهر عنها كل بايقةٍ ... عورا لأم الذي أنبا بها العَوَرُ
حتى استوى الفحل والأنثى وأين نبا ... عن ذا ولا هَرَبٌ عنه ولا سفرُ
سقى الضريح ضريح المجد ما نبتت ... به العيون بُكاً او سقى المطرُ
وجداً عليه ولا شوقا إلى أحد ... وكيف شوق حزين فاته العُمرُ
ما الحزن إلا على ما أنت تعرفه ... كلا ولا الوجد إلا حين تختبر
ميزان كل كريم الخيم ان نصب الـ ... قسطاس ينحط من علو وينحدر

والمكرمات جزاها الله مكرمة ما كان أبين فيها القول والوطر
صلوا عليها فإن الله راحمها وأهلها وله في أهلها نظر

...الخ. وختم رسالته (كحل الأحداق) في سنة 1320هـ، وقد كتبها أيام إقامته في الكراع بني بخيت بالحداء.

القاضي حسين العرشي مجاهداً:

لقد تفرد القاضي/ حسين أحمد العرشي عن العديد من العلماء والأدباء والشعراء الذين كانوا في مقام الإمام المنصور أو في مقام الإمام المتوكل يحيى بأنه لم يكن يجاهد بالكلمة سواءً بالشعر والخطابة فقط. بل إنه باشر الجهاد ضد التواجد العثماني الثاني بقيادته للمقاومة في بعض المناطق اليمنية. وقد ذكر كل من المؤرخ/ محمد محمد زبارة في كتابه (أئمة اليمن) المطبوع في عام 1396هـ، والقاضي/ سعد بن محمد الشرقي في كتابه (تقييد حوادث إنشاء تجديد الجهاد الثاني) الذي حققه الدكتور/ محمد عيسى صالحيه، والقاضي العلامة المرحوم القاضي/أحمد عبدالله الجنداري في كتابه (الدرر المنتقاة/مخطوط) العديد من الوقائع والمعارك التي قاد المقاومة فيها القاضي/حسين العرشي ضد التواجد العثماني الثاني. وسنجد أن الذين أرخوا للمقاومة اليمنية أثناء التواجد العثماني الثاني في اليمن قد ضمنوا العديد من النصوص التي تفيد أن القاضي حسين قاد وشارك في مقاومة التواجد العثماني.

وقد ذكر المرحوم القاضي/ عبدالله محسن العزب في كتابه (تاريخ اليمن الحديث "فترة خروج العثمانيين الأخير") أن القاضي الأديب/ حسين بن أحمد العرشي قاد حملة من خولان والحدا واشتبك مع العثمانيين في قرية (صنعة) ودارت معركة حامية عنيفة، دامت اسبوعاً ثم تحول إلى اطراف جهران وانحدر إلى أطراف مغرب عنس، وقد تخلف من أصحابه طائفة من الحدا وتركوه وتجاوزها إلى بلاد يريم، فاستقر في قرية (بلسان والرباط) وفي هاتين القريتين قصدته القوات العثمانية، ودارت بين الفريقين حروب شديدة، تحول في إثرها المجاهدون الى (مغرب عنس) إلى محل (وثن) ثم انحدروا إلى (بلاد عتمة) فعارضهم الرَّيمي أحد مشائخ عتمة وحدثت فتن ذات شان بين المجاهدين، والثائرين في وجوههم من أهل عتمة وبدرت بوادر التمرد تظهر من رجال خولان فأراد النهوض بهم إلى (القفر). وبعد مشقَّة تجمعت هذه العصابة تحت قيادة العرشي وانحدروا إلى القفر، وعارضهم كثير من أبناء البلاد، وتألبت عليهم المشائخ من كل صوب فاضطر قائد هذه الحملة إلى الإياب، فأسرع راجعاً إلى الإمام.

آثاره:

1 - كتاب (بلوغ المرام في من تولى اليمن من ملك وإمام) الذي عني بنشره الأب/انستاس الكرملي، والمطبوع في مصر عام 1939م الصادر عن مطبعة البريتري.
2 - كتاب (بهجة السرور في سيرة الإمام المنصور) وهو في طور التحقيق.
3 - كتاب (الدر المنظم فيما كان بين أهل اليمن والعجم) مخطوط وهو مفقود.
4 - (القاموس): وقد ترجم فيه للأعلام التي تضمنها كتاب القاموس وهو مفقود وقد ذكر العلامة/ أحمد بن عبدالله الجنداري أن له من المؤلفات جمع رجال القاموس وهو ان تم نزهة للنفوس.
5 - مجموعة خطبه: للقاضي حسين مجموعة من الخطب جمعها في كتاب لا يزال مخطوط وقد كتبها بخطه، وهي لدى كاتب هذا البحث، وعددها (48) خطبة قدم لها بقوله: (قد جمعت في هذه الأوراق خطباً انشأتها وخطبت بها في الجمع في مقام مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن محمد بن يحيى على ذمتي له أيده الله، وهي كما ترى توافق الوقت الذي أنشئت فيه من غير أن أنشئها مرتبةً على أيامها بل القصد حفظ الذي قيل). وبعضها كان

يلقيها كل جمعة من منبر الجامع الكبير بصنعاء.

6 - (ديوان شعره/ وهو مخطوط) جمع فيه قصائده الشعرية التي بلغت (128) قصيدة.

7 - رسالة سماها كحل الأحداق في ترثية مكارم الأخلاق.

أولاده:

رزق القاضي/ حسين العرشي أربع بنات وولدين: أحمد توفي وعمره 15 عاماً، وقد رثاه والده بقصيدة هي موجودة في ديوانه والقاضي العلامة/محمد بن حسين العرشي (1313هـ - 1390هـ).

وفاته:

ذكر المؤرخ محمد بن محمد زبارة في كتابه (أئمة اليمن) في وفيات سنة 1329هـ أن المترجم له أقبل في آخر أعوامه على كتب السنة فنسخ لنفسه بخطه الحسن نسخة جميلة جداً من (تيسير الوصول) للديبع وقصها وعكف على دراستها مراراً وللتأكد مما قاله المؤرخ/ زبارة رجعنا إلى حفيدي المترجم له الأستاذ/عبدالملك بن أحمد محمد بن حسين العرشي، وأخيه الأستاذ/أحمد بن أحمد العرشي فوجدنا لديهما النسخة التي أشار إليها وهي مخطوطة. وهي نسخة جميلة بخط القاضي/ حسين، وعدد صفحاتها (619) صفحة منسوخة في ورق شباك وقد ضمنها القاضي/ حسين العديد من الحواشي تكاد تكون كتابا مستقلا، وقد فرغ من رقم هذه النسخة كما ذكر صباح يوم الخميس الثامن والعشرين من جمادى الأولى 1327م في مقام الإمام المتوكل أي قبل وفاة المترجم له بعامين تقريباً. وقد ذكر مشائخه الذين تلقى عنهم كتاب (تيسير الوصول) بقوله: (وبحمد الله قد تلقيت هذا الكتاب إجازة عن شيخي الأستاذ الكبير والنسابة/محمد بن إسماعيل الكبسي الذي أخذه بالإجازة من والده/ إسماعيل بن محمد بالإجازة عن عمه وصنو أبيه/ الحسن بن يحيى بالإجازة عن أخيه العلامة الزاهد/ محمد بن يحيى بن أحمد عن السيد العلامة/ الحسين بن يوسف زبارة وهو يروي عن العلامة المجتهد/ أحمد بن عبدالعزيز الشامي اليحيوي عن السيد العلامة الحافظ/ الحسين أحمد زبارة وهو يروي سماعاً عن الفقيه العلامة الحافظ الفهامة/ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز بن تقي الدين المفتي الحبيشي يرويه عن شيخه العلامة/ إسحاق بن محمد جعمان رحمه الله قراءة عليه، قال أخبرني به والدي رحمه الله قال أخبرني به الفقيه العلامة برهان الدين إبراهيم بن محمد جعمان رحمه الله، قال أخبرني به مؤلفه العلامة الحافظ المحدث أبو الضياء عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر الديبع ..الخ الإجازة.

وقبل وفاته بشهر شارك مع العديد من رجال اليمن في الحضور مع الإمام يحيى لتقرير الائتلاف بين الدولة العثمانية وبين اليمن، في قرية دعان في محافظة عمران وقد ذكر المؤرخ/زبارة في كتابه (أئمة اليمن) أن القاضي/ حسين العرشي خطيب الإمام خطب يوم الجمعة 27 من شهر شوال 1329هـ في دعان خطبة افتتحها بقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا..) الآية.

وقد ذكر أنه بعد انتقال الإمام وأعيان دولته من دعان إلى مدينة السودة بشظب أذن الإمام لشيخ الإسلام القاضي/ علي بن علي اليدومي وخطيب مقامه القاضي العلامة/ الحسين بن أحمد العرشي لتأدية فريضة الحج. وقد ذكر أن وفاة القاضي/ حسين بن أحمد العرشي في يوم الأربعاء 21 ذي الحجة الحرام 1329هـ مات ببندر الليث من تهامه عقب رجوعه من مكة وقد ذكر القاضي سعد بن محمد الشرقي في كتابه المسمى (بتقييد حوادث

إنشاء تجديد الجهاد الثاني) أنه توفي في محل يقال له الكتف من الليث. كما ذكر القاضي/ عبدالله محسن العزب في كتابه (تاريخ اليمن الحديث "فترة خروج العثمانيين الأخير"): (وقد كان في ختام عام 1329هـ ذهاب شيخ الإسلام علي بن علي اليماني والقاضي الأديب/حسين بن أحمد العرشي مؤلف المنظومة التاريخية في أحوال اليمن وشارحها بالشرح المطبوع على نفقة الأستاذ الأب انستاس الكرملي العلامة اللغوي العراقي، وكان مرور هذين العالمين من صبيا فقابلهم السيد محمد، بكل حفاوة وأكرمهم، وبالغ في إيناسهم إلى أن تجاوزوا حدود بلاده إلى الحجاز لأداء فريضة الحج المقدس، وعند إيابهما من البيت الحرام، توفي القاضي/ حسين العرشي وأدركته رحمة الله في محل يقال له الكتف على مرحلة من الليث وكان ذلك في آخر شهر ذي الحجة الحرام سنة 1329هـ رحمه الله). وقد روي أن الإمام يحيى رأى حلماً في منامه أن قلمه انكسر وفي اليوم التالي بلغه وفاة المترجم له، وأنه يروى عن شيخ الإسلام القاضي/علي بن علي اليدومي أن القاضي/حسين بن أحمد العرشي أثناء مرضه كان يتلو سورة يس حتى وصل إلى قوله تعالى (سلامٌ قولاً من رب رحيم) ففاضت روحه.

وقد رثاه العديد من الشعراء والعلماء في وقته، وقد جمع أخوه القاضي المرحوم/ عبدالله بن أحمد بن صالح العرشي بعض تراثيه حيث قال: (ولما توفي الأخ العلامة/ شرف الدين حسين بن أحمد صالح العرشي بالساحل من تهامة بعد رجوعه من زيارة بيت الله الحرام بمحل يقال له الكتف خارج الليث وكان رحمه الله عالماً عاملاً زاهداً ورعاً لازم الإمام المنصور بالله/محمد بن يحيى حميد الدين أيامه جميعها ثم لازم بعده إبنه الإمام المتوكل على الله إلى أن توفاه الله بعد رجوعه من الحج فرثاه الأخ العلامة صفي الدين أحمد بن عبدالله العرشي ورثاه الأخ/العزي محمد بن يحيى مداعس، ورثاه سيدنا الفاضل العلامة صفي الدين/أحمد بن عبدالله الجنداري ورثي رحمه الله بمراثٍ كثيرة لم توجد حال رقم هذا فإن وجدت فسألحقها وإلا فهذه الثلاث المراثي كافية).

وقد رثاه القاضي العلامة المرحوم محمد بن يحيى مداعس بقوله:

أيا عين جودي بالدموع المُردد	ولا تجمدي فالحين لاحين تجمدي
فكم فاجع في الدهر قد جل خطبه	وكم فادح ما إن لنا عنه مُفتدي
وكل مصاب فهو دون مصابنا	بموت رسول الله أكرم مولد
وموت حسين شرف الدين والهدى	وناصر سيف الله نجل محمد
لزيم إمام العصر في كل موطن	ونخبته من كل أهل التودد
له صحبة طالت مجالس عهدها	مع ابن رسول الله في كل مورد
له خلق يكفيه مجداً ورفعة	مع العلم والتقوى وطول التهجد
له خُطبٌ تزري على (ابن نباته)	ويزري (بقس) في القصيد المعسجد
له قلم كالبحر يجري مداده	إلى كل قطر في البرية عن يد
له همة تسمو به ذروة العُلى	وتسكنه أعلى مكان ومقعد
فيا عين جودي واسألي الله ربه	يُسكنهُ جنات عدنٍ مُخلد
جوار رسول الله والآل كلهم	وصل وسلم دايم الدهر سرمد

كما رثاه العلامة أحمد بن عبدالله الجنداري في قصيدة منها:

أو ماترى شرف الهدى العرشي قد	شد الرحال فهل له من فادي
العالم العلم النبيل الألمعي	الفاضل المولى لسان النادي
من للمحابر والدفاتر بعده	من للمنابر والمقال الهادي
ياقاطفاً ثمر الكلام ولبه	وإمام أهل النظم والإرشاد
لما دعاه إلهه لبى وقد	محض الذنوب توطي ذاك الوادي
قصد الإله وأمه فأضافه	بالفوز و الإنعام والارفاد
بل الإله تراه بالرضوان ما	سار الحجيج به وناح الحادي
وأحله دار السلام بفضله	بجوار آل محمد الأمجاد

وقد رثاه العلامة محمد بن محمد زبارة في ألفية لامية النبلاء، بقوله:

ومات بالحجة الشهر الحرام برُ	بعد الليث فخر قضاة السهل والجبل
الحافظ الواعظ الحبر الحسين ومن	حلى الطروس بنظم رائق رسل
وسل رجالات للقاموس ترجمهم	وسل بلوغ المرام السفر في الدول
عن أربع بعد خمسين ثوى العرشي	البر يرجو رضا المنان بالأمل

وقد رثاه القاضي/أحمد بن عبدالله بن أحمد بن مصلح بن أحمد بن حسين العرشي بقوله:

ضاقت بنا الأرض لمّا غبت يا قمر … فدمع عيني منهل ومنهمر
صك المسامع وأبدى كل مرزئة … وأنهد ركن وثلم ليس ينجبر
ومارت الأرض من فقد الحياة له … ومن علاه عليها كان يفتخر
وأوبت ثم من أطرافها نقصت … كما تلونا فهل من ذاك مُدكر
لم لا أرثي حسيناً بعد مادفنت … في الترب أعظمه في اللحد مستتر
لم لا أرثي حسيناً وهي سُنة من … قد كان سابقه مثلاً له خير
لم لا أرثي الذي أضحى ظهيراً لنا … عند الخطوب إذا ما لمت الزمر
من كان معتمداً في كل حادثة … وكل خطب جليل ناله النظر
من كان يطعن بالأقلام أفئدة … بالحبر إن رعفت يوماً فتنزجر
من كان أسرع منه في بديهته … ترى جواباً يحير العقل والفكر
من كان بن نباتة لايطاوله … وكل معنى بديع فهو يبتكر
من كان كل مقام فهو زينته … إذا تكلم خلت الدر ينتثر
من كان أبلغ في يوم العروبة إذا … نودي فقام خطيباً ليس ينحصر
من كان أصلب ديناً لا يجاب به … لاخير في لذة من بعدها سقر
من كان أشجع في يوم الكريهة إذ … نودي نزال ونار الحرب تستعر
من كان كهفاً إذا وافى الضعيف أو المسـ … ـكين أرفده من غير ينتهر
مضى حميداً فريداً في محاسنه … كما مضى البدر في الأكوان منسفر

المراجع

في أخبار المماليك اليمانية:

1 - اللطائف السنية في أخبار المماليك اليمنية. محمد بن اسماعيل الكبسي.
2 - أئمة اليمن في القرن الرابع عشر الهجري محمد بن محمد زبارة.
3 - الدرر المنتقاة: مخطوط أحمد بن عبدالله الجنداري
4 - مجموع بلدان اليمن وقبائلها: القاضي محمد احمد الحجري.
5 - الثناء الحسن علي أهل اليمن : محمد عبد الملك المروني.
6 - معجم البلدان والقبائل اليمنية ابراهيم المقحفي.
7 - كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة . الإمام يحيى عبدالكريم بن أحمد مطهر /ت أ.د.محمد عيسى صالحيه.
8 - هجر العلم ومعاقله في اليمن/ القاضي إسماعيل الأكوع.
9 - موسوعة الأعلام اليمنية على الإنترنت.
10 - الأعلام للزركلي ج2)
11 - ديوان شعر للقاضي حسين العرشي - مخطوط،
12 - مجموعة خطب القاضي حسين العرشي - مخطوط،

رسالة العلامة نشوان بن سعيد الحميري من مدينة تريم

عبد الله محمد الحبشي

هذه رساله هزلية ساخرة كتبها علامه اليمن اللغوى المحقق نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة 573هـ وبعثها وهو بمدينة تريم إلى صديقه سلطان حضرموت عبد الله بن راشد بن شجنعة، وكان نشوان الحميري قد رحل إلى حضرموت لعَله للتّخفيف عن نفسه مما يكابده من خصومه الأشراف العلويين الذين ناصبوه العداء وقويت شوكتهم في بلده حوث ونواحيها من بلاد حاشد، فكانت بينهم المشاعرة باللسان وأحيانا بالسيف ولولا أنه لقي جماعة من أنصاره من بني جلدته لكان من الهالكين.

فكانت رحلته إلى حضرموت للتنفيس عن نفسه، وفيها جماعة من أهله الذين ينتسبون إلى حمير وقحطان وقد شاركوه النسب والمذهب. كما يقول، فدل هذا على أن أهل حضرموت كانوا يعتقدون المذهب السني وإن كانوا في العقائد ربما قد أخذوا بالمذهب الاعتزالي، الذي كان اعتقاد غالبية أباضية حضرموت في ذلك الوقت. وكما تبينه كتب نشوان بن سعيد الحميري نفسه، وقد ألف في ذلك كتبا لاتزال في طي الإهمال ومن أهمها كتاب ضخم في تفسير القرآن بعنوان((التبيان في تفسير القرآن)) يوجد بمكتبة برلين برقم 916،917،918 لاادري كيف لم ينتبه له الباحثون وهو مهم جدا في معرفة معتقد نشوان الحميري.

وكانت صنعاء حتى القرن الخامس مقردار أهل السنة كما يبين ذلك كتابا: تاريخ صنعاء للرازي المتوفى سنة 460هـ وتاريخ صنعاء ولابن جرير الصنعاني المتوفى سنة 450هـ، والذى قمنا بنشره سنة 1990م، وكانت مساجد صنعاء أكثرها لأهل السنة كما ذكر ذلك ابن جرير السابق ذكره وقد قال ابن سمرة الجعدي المتوفى سنة 586هـ: ((إن أهل اليمن إما حنفي وهو الغالب وإما مالكي)) وذلك قبل انتشار مذهب الشافعى في الفروع ومذهب أحمد بن حنبل فى العقائد.

وفى رحلة نشوان الحميري الى حضرموت ربما حمل معه الكتب والمراجع فحدث له أن ضاعت هذه الكتب، فكتب هذه الرسالة الهزلية إلى صديقه السلطان عبد الله بن راشد بن شجيعة ينعي فيها كتبه ويتحسر عليها وقد ظلت هذه الرسالة مفقودة حتى وقفت عليها ضمن مجموعة جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام لمعاصره أبي الغنائم مسلم بن محمود الشيزري الذي جاء الى اليمن مع ملوك الدولة الايوبية من الشام، والف

كتابه هذا لصلاح الدين الأيوبي وبقى مخطوطا في المانيا حتى قام بنشره تصويرا الاستاذ فؤاد سزكين ضمن مجموعته المصورة واعاد تحقيقه الأستاذ محمد ابراهيم حور وطبع في أبو ظبى سنه 2005هـ

نص الرسالة

لو استعرت السنة الفصحاء ، واستعنت علي ذلك بالاخلاء النصحاء، وكان لي اللوح لوحا وصحيفة، والبحر مداداً والشجر أقلاماً نحيفة ، وعززت بكل حمامة ذات طوق، بوصف ماأضمر من الشوق، لأتيت من ذلك بالمختصر، وكنت كباقل في العيّ والحصر، فحرس الله تعالى عزّ السلطان الأجل محمود الأفعال والسير، عن نوائب الدهروالغير، حتى تعرب((الحروف))[1] المسكنة، وتبنى ((الأسماء)) المتمكنة، وتدغم الهمزة في اللام، ويعمل((الجازم)) في الأسماء والأعلام ، وأدام علوه دوام حركة البناء في الفعل الواجب ومالم يتمكن من الأسماء ، فتلك حراسة لاتبيد، ودوام على ممّر الأيّام جديد، ورفع قدره مارتفع كل(فاعل)، و(مبتدا) معرًى عن (العوامل) وسَلّمه من نوائب الدهر والغوائل، سلامة((الضرب)) [2] الأول من (الطويل) والنوع الأول من (الكامل) وجزأكل عدوّ له ومحارب، تجزئة رابع (الخفيف) وخامس(المتقارب)، ودهاه بالخطب الشديد، وقيده بقيد ثاني«المديد»، بل حذفه حذف نون الجمع عن «الإضافة» في الكلام، والتوين بدخول الألف واللام، أو ألف الوصل في اللفظ دون الخط، وخفض درجته من الصعود الى الخط ،وهذا دعاء لو سكت كفيته لأني سألت الله فيه وقد فعل، وخصّ حضرته بسلام مشتق من الإسلام، ان قيس بالطيب فهو أقرب نصيب، أو نسب إليه الجوهر فهو أشرف وأبهر، أونسب إلى الرياض ، متفرعة الأنهار والحياض، فهو أطيب منها نَسِيماً واحسن من ازهارها قِيَماً :

سلام لو تجسم كان مسكا
وياقوتا ذكيًا في الكتاب
كأن العنبر العدني فيه
وفأر المسك مقصوص الرضاب

سلام أصحاب اليمين، إذا قيل لهم ادخلوها بسلام آمنين . ((ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين)) . صدر عن أخ في الدين والمذهب وشقيق في الأدب ،وابن عم في النسب، رمت به (365) يد الفراق ، الى مَدى صعب المراق ،إن قدم ندم وان رجع، بَعُدَ عنه المرتجع، لإعياء الدواب عن الذهاب ،وبُعْدُها عن الاياب. فسكن على مجاز، وأقام على أوفاز. يشيمُ برق الخُلَّب[3]، ويهيم بغير هاوٍ وقلب. وكان كذي النون اذ ذهب مغاضبا وهو كظيم، فالتقمه الحوت وهو مليم، ونادى في ظلمات البر نداء يونس في ظلمات البحر: أن لاإله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. ونداء أيوب: أني مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين.

إلاّ أن حوت يونس لم يكن من المتعدّين، وحوتنا هذا من+ أئمة الدين ، فليت شعري أيخرج من التقمه هذا الحوت ،فإنه من الغواة القاسطين، وينبت عليه شجرة من يقطين ، أم يلبث في بطنه الى يوم يبعثون. غاضبت إلى بلاد السنة، فعثرت عن أهلها على الظِنّه ، وماتقيت من سهامهم بجُنَّة. اقتطعوا من دفاتري عدة إخوة الصِّدّيق[4]، فهي إلى الآن معهم عند فريق . فياليت شعرى أرى فيها مثل رؤيا يوسف، أم لا أري الا الكمد والتأسف. وهل أرى أحد عشر كوكبا لي ساجدة ، فتصبح دفاتري لي عائدة ، ام تمتنع من السجود، فتتعذر علي بالوجود . فالكواكب من النجوم نظاير كتب العلوم.

النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، والكتب يهتدى بها في ظلمات الجهل، وفي كل

(1) - من هنا تبتدي التورية بمصطلحات النحاة

(2) - هنا مصطلحات أهل العروض .

(3) - برق خُلَّب: السحاب والبرق لامطرفيه .

(4) - يعني يوسف: أحد عشر كوكبا

أمرنا معلَّم جودان ، شمرت للخيانة الأردان. يامحمد بن عواض، ليغن الله عن كل سارق لم تَبتْ عنه راض، كنت إليك من الراكنين، ولك مِن الآمنين، فخنت، والله لايهدي كيد الخائنين. خنت رفيق الجنب، فأنت مثقل الذنب. سرقت الوديعة، وأظهرت الخديعة. استخلفتك على الكتب، فكنت خليفة غير منتخب. وأتيت لي في خلافك بالعجب، وفتنت أقواما من الطغام بها، وازددت شرفا عندهم بسببها، فخدعتهم بالريب، وادعيت عندهم علم الغيب، وأريتهم فيها خطوط المساحات، مربعاتها والمثلثات، ودوائر العروض، ومافى الشعر من مسنون ومفروض. وقلت: فهمت مالا تفهمون، وعلمت مالا تعلمون، في هذا علم ماكان وماسيكون ، وماتأتون وماتتركون، وأدركت من ذلك مالاتدركون. حتى آمن بك واتبعك إمام عندل[1]، اتباع الفصيل للعَنْدل.[2] ففتنتهم كما فتن السامريُ بالعجل قوم موسى، واتخذه للكفر ناموسا، فعبده قومه وعكفوا عليه، وأخذ براس أخيه يجره إليه.

فليت شعرى بأي رأس أجر، ومن ينفع منك أو يضر. قبض السامري قبضة من أثر الرسول، وقبضت من أثري قبضة من غرضك والسول، فغويت وأغويت، وأضللت وماهديت. لقيتنى في السفر جانحا، حسبتك للنصح مانحا، فكنت طيرا بارحا لاسانحا. ياشر الطيور، ليس بباز ولاعصفور، ولاساكن على القصور، لقد أحسن المتنبى وصفك، في قوله المشهور :

خير الطيور على القصور وشرها
ياوي الخراب ويسكن الناووسا

ضننتك هدهد سليمان الذي دلّ بلقيس وقومها على الإيمان، فقال: جئتك من سبأ بنبأ يقين، فكان من الصادقين. فأخلف فيك الظن، وعملت ذوفن، وصح أنك غراب النابغة الأسود، ونازحه الأنكد. بغير شك يامحمد ،الذي يقول فيه النابغة

زعم النوازح أن رحلتنا غدا
وبذاك خبرني الغراب الأسود

ياسارق الأسفار، إنك من الكفار. إقرا سورة الجمعة اذا صليت بالجماعة، وسورة النور، فقراءتهما من الطاعة(366). فأنت في بلد السنة إمام، وسرق الدفاتر في مذهبك للإمامة تَمام. ومن هذه الكتب مع إمام عندل كتاب، أرجو ان يتوب ومآن له متاب، اذا طلبت منه الأداء، طلب منى الفداء. واذا خوف بالحرام، نسب مخوِّفه الى الغرام. أو روي له قول الرسول «المؤمنون وقافون عند الشبهات»[3]، مد يده وقال: ان أردت الكتاب فهات؛ فسلمت من خُرّاب الأعراب، ولم أسلم من ائمة المحراب. كأن المعري نظر إلي وإليهم فنظم هذين البيتين فيهم :

في البدو خُرّاب أذواد مسومة
وفي المساجد والأسواق خراب
فهولاء تسموا بالعدول أوالتجا
رواسم أولئك القوم أعراب

استغفر الله -عزوجل- مافي الدنيا من العجائب، لكل مقيم وجائب. كأن سيري من نفسى باختيارى، فوقعت من الشغل فى صِمِّي ضَمَّام، من إمام منهم بعد إمام، فوقفت انتظر رجوع الكتب، وتوبة خاطىء لم يتب، في مناخ جعجاع، لاأملك خيارا في إقالة ولاارتجاع، كأن امرأ القيس بن حجر الكندي، فيما ينشد من شعره في الندى حيث فاته الأمل ، فوقفت باكيا بين الدخول فحومل. وهيهات هيهات فات مافات ، وحالت دونه الآفات. لعل سائر الفقهاء، ينكرون من فعل السفهاء، ويشتركون في الصيد، ويتمثلون ببيت دريد :

ومأأنا الا من غزية إن غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

(1) - عندل: بلدة تاريخية مشهورة، تقع في اعلى وادي دوعن بمنطقة حريضة على مقربة من لحروم(معجم البلدان والقبائل اليمنية:1131.

(2) -ا لعندل: الناقة والجمل

(3) - حديث صحيح رواه الشوكاني في نيل الاوطار

وأنا على كل حال، شاكر لذي القدرة والمحال، في بلد جديب، جد بين من خصب ومن أديب. في زمان المهذب فيه معذب، والصادق مكذَّب. والثابت عند أهله أعوج، والثبت عندهم أهوج، كما قال المعري :

غلب المين منذ كان على الخلق

وماتت بغيظها العلماء

أحببت السلام على السلطان الأجل، والشكية إليه ، وإلى الفقهاء والأدباء الساكنين لديه، بعد أن شكوت إلى علام الغيوب، شكية مكروب، مثل شكية يعقوب ،حين فقد من بنيه واحدا، فأصبح به واجدا ، فعمي من البكاء عليه جاهدا ،وكان غيره فيه زاهدا، حتى أتاه البشير بولده ، فزال عنه مالقي من بثه وكمده. فليت شعري! هل أرى بهذه الكتب بشيرا، فيرتد بصير القلب ببشارته بصيرا، أم يكتب عليه العمى بنسيانها، ويتعين عليه الأسف دون عيانها. وقد مضت رحال الفقهاء - أيدهم الله - في طلبها سريعا، فعسى الله ان ياتينى بهم جميعا. وقد بيع من هذه الكتب أربعة ، وبقي في ظل الكتمان سبعة: ثلاثة عند أبي حمادة ، والظن فيه حسن لما هو عليه من العادة. وكتاب عند إمام عندل، اذا خوطب فيه فكأنه يُرْمى بالجندل، أو يحرق حريق عود المندل، الا أن العود يفوح بالطيب، ولاأدري مايفوح عن الإمام الخطيب. فإن وصل إلى بلد السلطان الأجل أحد من هذه الكتب بشيء، التي جعلت كالفيء، فهذه ترجمتها ليدل عليها، والمسألة من إنعام السلطان الأجل، والفقهاء قبله الشفاعة فيها، وإن لم يصلهم منها شيء، فلهم الإنعام بالحث عنها لعلها تجلب الى ناحيتهم ، فيرجع منها شيىء ببركتهم.

وقد كان يجب (367) التخفيف عن حضرة السلطان، من كثرة هذا الهذر، تخفيف أبي عمرو [1] لما قرأ من النبر، إلا أنها نفثة مصدور، سبق بها المقدور. فليبسط العذر، وإن كان لاعذر إلابكرمه، وطيب أعراقه وحميد شيمه . والسلام على حضرة السلطان الأجل، وعلى جميع المسلمين قبله، ورحمة الله تعالى وبركاته .

(1) يعني أبي عمرو بن العلا المتوفي سنة 154هـ

المصـــــادر والمراجـــــع[1]

بامطرف محمد عبدالقادر (ت 1988م).
1 - الشهداء السبعة
ط 1983/2م. دار الهمداني، عدن.
بلفقيه، عبدالله بن حسن (ت 1400هـ).
2 - نحو المدخل إلى التاريخ الحضرمي (خ).
الحبشي، عبدالله بن محمد.
3 - مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن.
مركز الدراسات اليمنية، صنعاء بدون تاريخ.
الحداد، علوي بن طاهر (ت 1382هـ).
4 - عقود الألماس
الطبعة الثانية، 1968م، مطبعة المدني، مصر.
الشلي، محمد بن أبي بكر (ت 1093هـ).
5 - المشرع الروي في مناقب آل أبي علوي
الطبعة الأولى، 1319هـ. المطبعة العامرة الشرفية، مصر.
عبدالنور، محمد يسلم.
6 - مدرسة حضرموت التاريخية.
بحث أعدَّ للحلقة العلمية الخامسة للإمام المهاجر. ونشر في مجلة الجذوة. مركز الإبداع، عدن. العدد (10) ربيع الثاني 1426هـ.
الغلام، حسن صالح.
7 - مصادر تاريخ حضرموت في العصر الإسلامي الوسيط.
أطروحة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، 2004م (دراسة غير منشورة).

(1) ومن ضمنها المصادر المخطوطة والمطبوعة التاريخية الحضرمية المذكورة في البحث.

قراءة في كتاب
((المختصر القويم في التعريف بمدينة تريم))

تأليف الاستاذ/
محمد بن عبدالله الجنيد •

إعداد/مراد رمضان صبيح ••

إن مدينة تريم الغناء.. غنية عن التعريف.. في مدينة مباركة.. مدينة طيبة بطيبة أهلها وساكنيها.. وفيها يحسُ الداخل حقيقة بروحانية ذلك المكان.. وصفاء زمانه وهدوئه.. وما أجملها وهي تتوج عروسة وعاصمة للثقافة الإسلامية للعام 1431هـ 2010م.. وحقيقة هي عاصمة منذ القديم ولا تزال وستبقى عروسة وعاصمة على ممر السنين.. وإنما سُلطت عليها الأضواء الإعلامية في عامنا المذكور لردٍ بعض من الجميل والجزاء الحسن منَ قِبل المحبين والمُقَدِّرين لهذه المدينة.. وفي الحقيقة هو من باب زيادة الشرف تشريفاً.. والمعرَّفِ تعريفاً.. ولكي يعلم الكل منّا مدى أهمية هذه المدينة على مر التاريخ..

وما حقّقته بصدق رجال العلم والصالحين فيها.. من المشي على الهدي النبوي الذي توارثوه شيخاً عن شيخ بالسند المتصل عبر القرون وهكذا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وبث روح الإسلام .. إسلام المحبة والسماحة التي جاء بها ومن أجلها رسول الإنسانية رسول السلام عليه الصلاة والسلام.. ومما أعجبني وداخل السرور على قلبي صدور كتاب مميز يحوي خلاصة وجيزة وشافية عن هذه المدينة والموسوم بـ ((المختصر القويم في تاريخ مدينة تريم)) قام بإصداره مركز النور للدراسات والأبحاث بالتعاون مع الجمعية اليمنية للتاريخ وحماية التراث بتريم .. الكتاب الذي يُعَدُّ دليلا هاماً لزائر هذه المدينة الغناء.. والتعرف على أهم معالمها الدينية والعلمية والثقافية.. مُدعّما بالصور النادرة والتي شاهدتُها لأول مرة في هذا الكتاب مع كثرة تتبعي وعشقي لهذا الجانب التوثيقي.. ومما زاد هذا الكتاب قبولا وإشراقا صدروه عن مؤلفٍ كان همّه الأول والأخير خدمته الصادقة لهذه المدينة.. إيماناً منه بروح

• المدير التنفيذي لمركز النور للدراسات والابحاث/ بتريم/ حضرموت .
•• مشرف قسم البحث العلمي بمركز النور للدراسات والأبحاث / بتريم/ حضرموت .

الانتماء إلى حب الوطن وإيصال رسالة تعريفية إلى كل قريب أو بعيد تعرّفه بأهم معالم هذه المدينة..

هذا الكتاب الذي نحاول قراءته - كقراءة أولى على أمل إكمال قراءته في عدد قادم-

ومما استوقفني أثناء استطلاعي للكتاب أمور مهمة ألخصها للقارئ الكريم في النقاط التالية:

تطرّق في البداية بإعطاء نبذة عن الخصائص الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية لهذه المدينة ومما جاء فيها قوله: ((تُعدُّ المدينة - تريم- عاصمة وادي حضرموت الدينية، حيث كانت ولا تزال مركزاً يَشِعُّ منه نورُ العلم والمعرفةِ ومركزَ إشعاع ديني منذ ظهور الإسلام حيث أُقِيمتْ الأربطة الدينية ومراكز تعليم وتحفيظ القرآن الكريم، وتدريس الفقه الإسلامي وغيرها من فروع العلوم الدينية، وكان طلاب العلم يتوافدون من المناطق اليمنية والدول المجاورة والشرق الأقصى وشرق أفريقيا حيث ساعد على ذلك كثرة علمائها وزواياها العامرة بالتدريس.

ثم قال: إنّ أصل مدينة تريم القديمة هي منطقة الخُلِيف والأَزْرَة وهما حارتان متصلتان بالحصن والسوق النجدية". فمدينة تريم قديماً عبارة عن ما يقع حول حصن الرّناد. أي أنها لا تتجاوز من الغرب ما بين مقبرة الفُرَيْطِ جنوباً ومسجد باجرش شمالاً ومن الشرق ما بين مسجد عاشق المعروف سابقاً بمسجد آل أبي حاتم جنوباً ومسجد باعلوي شمالاً. وتشغل الآن هذه الحارة القسم الأوسط من المدينة حيث نجدها بعد ذلك قد اتّسعت وتطورت.

ومن ثم تطرق إلى المراحل التاريخية التي مرت بها المدينة والتقلبات السياسية ونتج عن ذلك بناء الأسوار والقلاع والحصون لحمايتها قائلا: ومن المعروف إنه قد تعاقبت على المدينة الكثير من الدويلات ابتداء بدخول الإسلام إلى مدينة تريم حتى سقوط الدولة الكثيرية. وكنتيجة طبيعية لحالات الصراع والتقلّبات السياسية أقيمت في تريم القِلاعُ التاريخية فوق سفوح الجبال، ومن أجل دَرْءِ الأخطار واستتاب الأمْن أقيم سورُ المدينة الذي يُعَدُّ مَعْلماً بارزاً من معالمها، وهذا السُور طرأ عليه كثير من التَجديدات والتغييرات ففي عام 601هـ قام السلطان عبدا لله ابن راشد ببنائه حول المدينة. وفي عام 895هـ هدمه عبدا لله بن راصع، ثم أعاده أحمد بن محمد راصع عام 913هـ وأحكمه وعمل له ثلاث بوابات، الأولى من جهة الجنوب عند البئر المسمّاة عاسل والثانية من جهة الشرق عند حارة آل شريف والثالثة من جهة الشمال عند حارة القارص.

في القرن الثالث عشر للهجرة جُددت عمارة السور وسُوّرت الجهة حول حارة عيديد كما شهدت مدينة تريم حركة عمرانية ملحوظة ولا سيما جهة الشمال والمتمثلة في حارتي النويدرة والسحيل، ولكن بالرغم من ذلك ظلت مساحة المدينة محدودة واقتصرت حركتها التجارية على السوق القديم لفترة طويلة وظلت الحياة صعبة والحركة محدودة . حيث تعيش داخل سورها وتقفل أبوابها في المساء حتى صباح اليوم التالي .

أما الأراضي التي كانت تقع خارج السور فأغلبها زراعية تتميز بالانبساط والتربة الخصبة لذا استغلت في مجال الإنتاج الزراعي وفي أواخر هذه الفترة بلغت الحركة العمرانية أوج تطورها في نطاق رقعة المدينة دون دخول أي توسع حيث كان لعامل الهجرة إلى سنغافورة واندونيسيا أعظم الأثر في ذلك حيث أدخل طرازا وفن معماري جديد والمتمثل في قصور تريم حيث انتشر بعضها إلى خارج السور . ومع بداية القرن العشرين بدأت الحياة المدنية الحديثة تَدُبُّ في أوصال المدينة حيث وصلت أول سيارة إلى تريم من المكلا عام 1920م على ظهور الجمال مفككة ثم تمّ تركيبها في تريم فبدأت عمليات شق ورصف الطرق وتوسيعها وبدأت المشاريع الأهلية للمياه والكهرباء ومحطات الوقود تقام بالمدينة إلى أن تم استقلال جنوب اليمن سابقاً، فتوسعت المدينة عُمرانياً وبدأ البناء خارج سور المدينة وتم ربط تريم بسيئون والمكلا وغيرها من المدن بشبكة من الطرق المرصوفة ثم المسفلتة وأدخلت خدمات الهاتف ووسائل الاتصالات الحديثة.

ومن ثم جاء إلى ذكر أهم ما ميّز هذه المدينة عن غيرها، وذلك بالمؤسسات العلمية والإصلاحية قائلا:

التعليم والمؤسسات العلمية بالمدينة:

لا يكاد المرء يذكر مدينة تريم إلا ويتبادَرُ إلى ذهن السامع الحركة العلمية الدينية، ومجالس العلم فقد اقترن اسم البلدة بهذا الأمر وأصبحا وكأنهما مترادفتان طبيعيتان، ولم يأتِ هذا الأمرُ من فراغ؛ بل عمَّدته وفرضته الرِّيادةُ العلمية التي تبوأتها هذه المدينة العظيمة، والأهم من ذلك الثمرة الجليلة التي قدّمتها خلال القرون وعبر الأجيال وعلى مساحات شاسعة من العالم الإسلامي، وهو موضوعٌ سنتطرق إليه في بحثنا هذا لاحقا:

الكليات والمدارس الحكومية والأهلية:

توجد بالمدينة كلية شرعية واحدة تقدّم منهجا أكاديميا مؤسّسيا وهي كلية الشريعة /جامعة الأحقاف التي تأسست عام 1415هـ/1995م، وتخرّج منها على عمرها القصير مجموعةٌ من دفعات الخريجين الذين عمّ بهم النفعُ محليّاً وخارجياً.

أمّا المدارس النظامية الحديثة فقد ظهرت في تريم منذ عام 1333هـ/1914م عندما تأسست مدرسة جمعية الحق وهي أول مدرسة نظامية تعتمد المنهج التعليمي للمدارس النظامية والتي قامت على أثرها لاحقاً في عام 1952م مدرسة الأخوة والمعاونة كما قامت من قبلها (أي قبل مدرسة الأخوة) وتحديداً عام 1948 مدرسة عينات وحالياً يبلغ عدد مدارس التعليم الأساسية في مديرية تريم عموماً ثمان وثلاثين مدرسة وهي على النحو التالي:

المدارس الموجودة حاليا في المدينة وضواحيها

	المدرسة	سنة التأسيس		المدرسة	سنة التأسيس
1	عينات	1948م	20	بلقيس	1990 م
2	الأخوة	1952م	21	ثبي	1991م
3	دمون	1958م	22	عيديد/بنات	1993م
4	الغرف/بنين	1958م	23	السويري/بنات	1996م
5	الرَدُود/بنين	1959م	24	22 مايو	1996م
6	الفقيد فيصل بن شيبان	1962م	25	قسم/بنات	1996م
7	القرية/بنين	1962م	26	الواسطة	1996م
8	قسم/بنين	1962م	27	الأخوة/مساء	1996م
9	الكودة	1964م	28	7 يوليو	1997م
10	السويري/بنين	1965م	29	الرَدُود/بنات	2001م
11	باعلال	1970م	30	الوحدة بالرحبة	2002م
12	عيديد/بنين	1973م	31	القوز	2004م
13	الخون	1973م	32	القرية/بنات	2005م
14	ابن خلدون	1974م	33	الوادي بدمون	2006م
15	شربوف	1976م	34	بلقيس/مساء(أروى)	2006م
16	حَكمه	1978م	35	الريضة/بنات	2006م
17	مسيلة آل الشيخ	1980م	36	ثبي/بنات	2008م
18	الريضة/بنين	1986م	37	الوحدة/بنات	2008م
19	الحد بالفجير	1989م	38	الرملة	2008م

أما المدارس الثانوية في المدينة وضواحيها فقد بلغت سبع مدارس وهي على النحو التالي:
1 - ثانوية تريم للبنين تأسست سنة 1977م.
2 - ثانوية الأحقاف تأسست 1999م .
3 - ثانوية تريم للبنات تأسست سنة 2000م.
4 - ثانوية السويري للبنين تأسست 2000م.
5 - ثانوية الرّدود تأسست سنة 2006م
6 - ثانوية السويري/بنات تأسست سنة 2007م
7 - ثانوية عمر ابن الخطاب تأسست سنة 2007م

أما المدارس الأهلية في المدينة فهي كما يلي:
1 - مدرسة دار السقاف النموذجية (تأسست سنة 1996م)
2 - مدرسة دار المصطفى الأهلية (تأسست سنة 1998م)
3 - مدرسة النجاح النموذجية (تأسست سنة 2006م)

كما توجد في المدينة روضة واحدة للأطفال تأسست منذ عام 1980م.

مراكز الدراسات والأبحاث العلمية :

في ظل دولة الوحدة تيسرت الأسباب لتأسيس مراكز علمية فبرزت مجموعة من هذه المراكز المتخصصة في الدراسات الشرعية والتاريخية المختلفة وهي :

1. مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث أسسه الداعية الى الله العلامة الحبيب أبوبكر بن علي المشهور سنة 1417هـ/1997م ويعتني بتنظيم الحلقات العلمية التي تبرز أعمال أكابر العلماء والصلحاء بالمنطقة وباقامة الدورات والندوات والملتقيات والمحاضرات الشهرية في كافة المجالات العلمية والفكرية والاجتماعية والطبية وإحياء المناسبات الإسلامية ذات العلاقة بتاريخ الأمة.
2. مركز النور للدراسات والأبحاث:أسّسه الداعية العلامة عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ في محرم سنة 1423هـ/ابريل2002م ويعتني بالتحقيق والأبحاث العلمية الشرعية والتاريخية والأنساب العربية وعقد الندوات والأنشطة العلمية المختلفة وكذا بتوثيق وصيانة وترميم المخطوطات.
3. مركز تريم للدراسات والنشر: أسسه السيد عبدالرحمن بن علي بلفقيه سنة 1423هـ/2002م ويعتني بالبحث العلمي والتحقيق والنشر للتراث العلمي في حضرموت واليمن وكذا الدراسات العلمية المختلفة.
4. دار العلم والدعوة: أسسها السيد محمد بن زين بن سميط سنة 1424هـ/ 2004م تعتني بالإضافة إلى الدراسات والبحوث بتوثيق ونشر المحاضرات العلمية لمجموعة من العلماء وقد أصدر ت العديد من المؤلفات وأعمال التحقيق ومجموعة من الكتب العلمية الهامة.

الحياة الاجتماعية ومؤسسات المجتمع المدني في المدينة :

كان لأهالي مدينة تريم قصب السبق المُبكّر في النشاط الخيري وتأسيس الجمعيات الخيرية حيث تأسست جمعية الحق الشهيرة والتي وقف وراء تأسيسها سنة 1333هـ /1914م عميد الأسرة الكافية السيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف ثم جمعية نشر الفضائل سنة 1337هـ وجمعية الأخوة والمعاونة عام 1352هـ/1932م.

وحالياً يوجد بالمدينة العديد من مؤسسات المجتمع المدني الاجتماعية أو الخيرية والتخصصية منها ما هو مركز رئيس ومنها ما هو فرع لبعض المؤسسات المنتشرة في ربوع الوطن اليمني وهي:
1 - الجمعية اليمنية للتاريخ وحماية التراث.
2 - جمعية تريم لخدمة التراث.
3 - جمعية معالمة العمارة الطينية.
4 - جمعية الأمل لذوي الإحتياجات الخاصة .
5 - فرقة الدان الحضرمي.
6 - فرقة المسرة لإحياء الحفلات الدينية.
7 - فرقة الأحقاف للنشيد الإسلامي.

8 - منتدى حي في قلوبنا .
9 - منتدى تريم الثقافي الإجتماعي.
10 - منتدى عينات العلمي الثقافي.
11 - جمعية المرأة الحضرمية .
12 - جمعية المستقبل لتنمية المرأة.
13 - جمعية أصدقاء البيئة.
14 - جمعية رعاية الطالب.
15 - جمعية الدعوة.
16 - الجمعية الوطنية.
17 - هيئة البر الخيرية.
18 - جمعية الإصلاح الخيرية.
19 - مؤسسة الضمير الخيرية.
20 - جمعية الحكمة الخيرية.
21 - جمعية الرأفة الخيرية .
22 - جمعية أهالي الفجير.
23 - جمعية دمون الخيرية .
24 - جمعية رعاية المتقاعدين.
25 - جمعية أهالي الجحيل .
26 - جمعية آل حنّان .
27 - جمعية السبيل بالغرف.
28 - الجمعية الهاشمية.

كما توجد بعض الجمعيات التي تسعى إلى الإشهار من قبل مكتب الشؤون الاجتماعية والعمل قريباً إن شاء الله تعالى .

الحركة الرياضية:

أوّل نادٍ رياضي ثقافي:

شهدت مدينة تريم اهتماما مُبكّراً بالرياضة فتأسس أولُ نادي رياضي ثقافي في المدينة وهو نادي الشبيبة المتحدة سنة 1350هـ - 1929م وترأسه السيد عمر بن شيخ الكاف والذي يُعدُّ أول نادي له فريق كرة قدم ومقرّه وملتقاه الثقافي أولاً في بيت المهندس علوي الكاف ثم لاحقاً في قصر المُنيْصُورَة الذي عُقِدتْ فيه العديد من المحاضرات والندوات التي لم يحفظ لنا الدهر منها إلا القليل مثل المحاضرات التي ألقاها الأستاذ محمد بن هاشم بن طاهر كمحاضرة (رحلة الثغرين) التي ألقاها في 15 شعبان 1350هـ/1931م متحدّثاً عن الطريق التي ربطت بين ساحل ووادي حضرموت.

أندية مدينة ومديرية تريم حالياً:

1 - نادي الوحدة الثقافي الرياضي:

يعود تأسيس نادي الوحدة الرياضي بتريم إلى عام 1952م باسم نادي الشباب حيث تم دمج نادي الشباب والنادي الأهلي تحت اسم نادي الوحدة الرياضي الثقافي الاجتماعي وذلك عام 1973م.

2 - نادي البرق:

تأسس كفريق شعبي عام 1979م وأعلن كنادي عام 1999م ونال الاعتراف المؤقت عام 2000م وحصل على الاعتراف الرسمي في أبريل 2003م.

بالإضافة إلى أندية ضواحي تريم التي تأسست حديثا وهي: نادي شباب عينات، نادي الهلال بالسويري، نادي الأحقاف بالغرف، نادي شباب اللّسْك بمنطقة القرية.

الخدمات الصحية في المدينة:

شهدت مدينة تريم تأسيس أول مستشفى من صدقات السيد الكريم شيخ بن عبد الرحمن الكاف وهو أول مستشفى خيري أهلي في المدينة بل وفي جهةِ حضرموت كلها فقد جاء في (مجلة الرابطة العربية) محرر 23جماد الآخر 1355 هـ الموافق 19 ديسمبر 1936م التي تصدر شهريا في القاهرة (يقوم السادة آل الكاف بتشييد أول مستشفى على الطراز الحديث لمعالجة المرضى من أهالي تريم مجاناً وقد جلبوا لهم الآلات الحديثة وقد عهد بتشييد المستشفى على الوجه الفني للسيدين القديرين وهما عمر بن شيخ الكاف وعلوي بن أبي بكر الكاف). وقد شكل بناء مستشفى الكاف الخيري نقطة تحوّل هامة في الطب في المنطقة وذلك ما لمح إليه الأستاذ المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري (ت 1422هـ) في كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي)

ص439 عندما أشار إلى دور شيخ الكاف وصدقاته في هذا الشأن قائلا: (بدأ التطوّر في الطبِّ منذ نصف قرن - ويعني هنا حال انتهائه من تأليف مؤلفه الموسوعي أدوار التاريخ الحضرمي وذلك سنة 1386هـ الموافق 1965م وبما يعني أن ذلك قبل بناء المستشفى- حيث أستقدم أول طبيب وطني هو السيد عبد الهادي الجيلاني الذي استقدمة السادة آل الكاف على حساب خيرات أبيهم.

وقد اعتنى في تجهيز المستشفى بكل ما لزم بل وجهز بمعدّات على أرقى مواصفات تلك الحقبة حيث جُهّزَ بأول جهاز أشعة (X - Ray) واستقدم له الأطباء المؤهّلِينَ فالكثير من المعمّرين في مدينة تريم يذكرون ما تتناقله الألسن عن الأطباء الذين عملوا في المستشفى مثل الإيطالي (مروشي) ثم الهندي (رنلي) و (محمد حياة) الذين قاموا بتأهيل مجموعة من شبّان المدينة للعمل في الحقل الطبي كمساعدين صحيين. وفي العقد السابع من القرن الماضي افتتح مستشفى تريم الحالي كمركز صحي في بداية أمره ثم تطور مع مرور الزمن وبفضل اهتمام الدولة والإدارات المتعاقبة للمستشفى الذين قاموا بمتابعة تطوير المستشفى عبر خطط الدولة ومساهمات أهل الخير و المتصدّقين وأهل البر والإحسان والجمعيات الخيرية المختلفة بالإضافة إلى افتتاح بعض المراكز الصحية ببعض القرى في مديرية تريم كما تأسست مجموعة من المراكز والعيادات الصحية الخيرية لعل من أهمها مستوصف عيديد الخيري، والوحدة الصحية بعيديد التابعة لجمعية الإصلاح الخيرية، والعيادة الصحية بمنطقة خيلة التي أسستها وترعاها مؤسسة الضمير الخيرية.

الصحافة:

رغم حالة التخلّف الشديد والعزلة التامة فقد شهدت حضرموت عموماً بما فيها تريم منذ مطلع القرن العشرين محاولات جادة لبداية حركة صحفية أشار إليها الدكتور عبدالله يحيى الزين في كتابه (النشاط الثقافي والصحفي لليمنيين في المهجر - ص 53 جدول 1) فقد كان السبقُ فيها (لمجلة السبيل) التي أصدرها السيد محمد بن عقيل بن يحيى في المسيلة عام 1329هـ/1911م ثم (صحيفة الإخاء) التي صدرت منذ عام1357هـ/ 1938م والتي تولى إدارتها السيد أحمد بن علي بن أحمد الكاف (ت1969م) ورأس تحريرها السيد محمد بن حسن بن شيخ الكاف (ت 1405هـ). كما ذكر الأستاذ القدير أحمد بن عبدالله بن شهاب في كتابة (تريم بين الماضي والحاضر) ما مفاده بأنّه صدرت سنة1357هـ/ 1938م بمنطقة المسيلة (مجلة الحلبة) التي أسسها الأستاذ موسى الكاظم بن عبد القادر بن يحيى، كما صدرت عن مكتب الطلبة بتريم (مجلة التلميذ) وهي مجلة علمية أدبية فكاهية سنة 1365هـ/1946م.

النشاط الاقتصادي لسكان المدينة:

تاريخياً ارتكز النشاطُ الاقتصادي في مدينة تريم على الزراعة كمورد اقتصادي رئيسي، وتعتبر زراعة النخيل والذّرة والبرّ وجميع أنواع الخضروات المنتج الاقتصادي الرئيس للزراعة في تريم ووادي حضرموت.

أما الصناعة فقد عرفت مدينة تريم ووادي حضرموت عموماً الكثير من الصناعات والحرف التقليدية القديمة التي لبّت على مدى العصور الحاجات المختلفة للمجتمع إلا أنه للأسف الشديد انقرض بعضها إن لم يكن أكثرها، وبقِيَ بعضها مقاوماً لرياح التغيير، وقد انفردت بعض الأسر المعروفة بالعمل والتخصص في صناعاتٍ معينة كأسرة آل باني في صناعة الخزف والفخار الطيني، وآل باحشوان في صناعة النجارة وغيرها من الأسر، ولعلّ أهم هذه الصناعات:

1 - صناعة الفخار.
2 - صناعة المنتجات الخوصية.
3 - صناعة دباغة الجلود.
4 - صناعة النجارة والمنتجات الخشبية.

5 - صناعة حياكة الأقمشة المختلفة.
6 - صناعة الحِدادة والمنتجات الحديدية.
7 - صناعة الحبال .

ثم تطرق المؤلف بعد ذلك إلى فصل آخر من فصول هذا الكتاب .. حيث أخذ في قراءة صفحات من تاريخ تريم السياسي وقال: إنّ احتواء التاريخ السياسي والاجتماعي لبلدةٍ مثل تريم لن يُكتب له النجاح في مثل هذه الصفحات وذلك لضخامة الوقائع التاريخية، وضعف ونُدرة وشتات المعلومات خصوصاً إذا علمنا أننا بدراستنا لتاريخ المدينة فإن النجاح في ذلك مرهون بالعروج إلى دراسة تاريخ العديد من المدن والمناطق بل والدول الأخرى ولذلك فإننا سنحاول تسليط الضوء إجمالا على صفحات متفرّقة من تاريخ مدينة تريم ...، ونجمل ذلك في جدول بما يتيح للقارئ متابعة تسلسل الأحداث التاريخية ومتابعة وقوعها.

السنة أو الزمن	الحدث	ملاحظات وأحداث متفرقة
سنة 10 هـ	قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفْدُ حضرموت بقيادة وائل بن حجر الحضرمي، والأشعث بن قيس الكندي وغيرهم ليعلِنُوا إسلام أهلها، وعلى إثر ذلك عيّن الرسول صلى الله عليه وسلم زياد بن لبيد البياضي عاملا له عليها وكانت إقامته تارة في تريم وتارة في شبام	
بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم	قامت حركة الردة. وفي حضرموت امتنعت قبيلة كندة بقيادة الأشعث بن قيس عن دفع الزكاة فتصدى لهم سيدنا أبو بكر الصديق بحزمٍ وقضى على هذه الفتنة.	يُذْكَر أنّ سيدنا أبوبكر الصديق عندما وصلته أخبار ثبات أهالي تريم على التوحيد دعا للبلدة بثلاث دعوات وهي أنْ يكثر فيها العلماء كما ينبت الزرع وأنْ يُبارك في مائها وأن لايطفئ بها نار أي أن تعمر إلى يوم الدين
عهد الخلفاء الراشدين	ظلّت حضرموت بما فيها تريم تابعة للدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين يعيّنون عليها عمالا، أو أنها تحت حكم من يتولى على اليمن وهم الولاة الذين ربما جعلوا عليها نوابا.	
سنة (129هـ) خلال الخلافة الأموية (40 - 132هـ)	تمرّد عبدالله بن يحيى الكندي على حكم بني أمية واعتنق المذهب الإباضي واستولى على تريم وشبام في حضرموت بل وصنعاء ومكة والمدينة إلا أن الدولة الأموية هبّت للقضاء عليه وتمّ لها ذلك سنة (130هـ).	لم يتم القضاء نهائيا على المذهب الإباضي في حضرموت إلا سنة 591هـ بتحوّل إمامة مسجد الخوقه بشبام الى مذهب أهل السنة.

الدولة العباسية سنة (132هـ)	خضعت حضرموت لحكمها	خلال حكمها قامت الدويلات المستقلة في اليمن التي انفصلت عن الدولة المركزية مع حلول القرن الثالث الهجري، فأصبحت حضرموت أو أجزاء منها خاضعة لحكمها في صنعاء أو تعز أو عدن أو زبيد.
سنة 245هـ	خضعت حضرموت عموما وبما فيها مدينة تريم للدولة الزيادية (205 - 402هـ) وعاصمتها زبيد.	وفي عهد تلك الدولة قدم السيد أحمد بن عيسى (المهاجر) وهو الذي رسخ ونشر مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الجزء من اليمن.
سنة (455هـ)	خضعت تريم لحكم الدولة الصليحية التي امتد حكمها من 439هـ الى 532هـ عندما استولى علي بن محمد الصليحي على حضرموت.	
القرن الخامس الهجري	قيام أول إمارة سنية محلية لبني قحطان (آل راشد) وأشهر سلاطينها السلطان العادل عبدالله بن راشد القحطاني والتي استمرت إلى (616هـ)	في الوقت نفسه خضعت حضرموت جميعها للدولة الأيوبية من سنة (575هـ) إلى سنة (621هـ). ظهور مدرسة التصوف في حضرموت وقيام الفقيه المقدم محمد بن علي بكسر السيف كحدث رمزي يعبر عن نهج مدرسة حضرموت بالنأي بأتباعها عن التطلع للحكم والقتال من أجله وإشاعة السلم الاجتماعي بين شرائح المجتمع.
سنة (621هـ)	قيام إمارة آل يماني التي امتد حكمها لقرنين من الزمان تقريباً وتحديداً إلى سنة (814هـ) وأشهر سلاطينها السلطان مسعود بن يماني.	سنة (637هـ) أعلنت إمارة آل يماني بتبعيتها للدولة الرسولية التي امتد حكمها من سنة 626هـ إلى سنة 858هـ ثم من سنة (673هـ) إلى سنة (678هـ) تم انفصال تلك التبعية مؤقتا واستبدالها بالتبعية الحبوضية وذلك عندما استولى عليها سالم بن إدريس الحبوضي
سنة 814هـ	قيام الدولة الكثيرية الأولى وبناءهم عينات التي اتخذوها معقلاً وعاصمة لهم في بداية أمرهم وقد استمر حكمهم إلى سنة 1143هـ وأول سلاطينهم علي بن عمر الكثيري وأشهرهم بدر أبو طويرق (ت975هـ) الذي عمّ حكمه جميع حضرموت والمهرة.	خضعت حضرموت مدة للخلافة العثمانية، كما خضعت أيضا مدة من الزمن لحكم الدولة القاسمية التي قامت في اليمن عقب خروج العثمانين سنة 1045هـ وذلك في عهد الإمام إسماعيل بن القاسم عندما أرسل القائد أحمد بن حسن الحيمي الملقب بسيل الليل سنة 1070هـ.

سنة 1143هـ	توزعت حضرموت إلى دويلات صغيرة في مختلف المدن والقرى فقامت في تريم ثلاث دويلات يافعية هي آل غرامة وآل بن عبد الله وآل همام.	
سنة 1220هـ	محاولة السيد طاهر بن حسين بن طاهر لإقامة دولة قوية في حضرموت لتقضي على الفتن والفوضى وتنشر الأمن والاستقرار في حضرموت بعد سقوط الدولة الكثيرية الأولى. إلا إنها باءت بالفشل.	
سنة 1224هـ	تعرض حضرموت لحملة وهابية بقيادة ابن قملة. ولدى دخولهم إلى تريم قاموا بتهديم الأضرحة ودفن الآبار بالكتب وحرقها.	
سنة 1249هـ/ 1845م	قيام وإعلان الدولة الكثيرية الثانية والذي يعود الفضل في تأسيسها وقيامها إلى السلطان غالب بن محسن الكثيري.	خضعت الدولة الكثيرية لحكومة التاج البريطاني.
سنة 1255هـ /1839م	قيام الدولة القعيطية وتوجهها للتوسع بالاستيلاء على بعض مناطق وادي حضرموت بما فيها منطقة دمّون وهي إحدى ضواحي مدينة تريم.	
	التدخل البريطاني في حضرموت بعقد اتفاقيات الحماية والاستشارة وتوقيعها من قبل السلطانين حسين بن علي بن منصور الكثيري وغالب بن عوض بن صالح القعيطي.	
1387هـ/		
1967م	استقلال جنوب اليمن المحتل من الاستعمار البريطاني في 30نوفمبر.	مرّ جنوب اليمن بمحنةٍ تاريخية عند قيام الحكم الشمولي وذلك أن قُيّدت الحرّيات وأغلقت دور العلم الدينية وحورب العلماء بل وقتلوا وشرّدوا من البلاد.
22 مايو 1990م	تحقيق الوحدة اليمنية المباركة وقيام الجمهورية اليمنية.	تنفّست البلاد واعيد فتح دور العلم فعاد العلماء وأقبل على طلب العلم الشرعي المئات والآلاف من أبناء البلاد بل ومن خارجها فازدهرت دور العلم وانتعشت الحياة العلمية في مدينة تريم واليمن بكامله.

ومن خلال الجدول أعلاه يتضح للقارئ مدى تمكن المؤلف من تتبع هذه الأحداث وصقلها في جدول كان من الروعة والإتقان بمكانة ثم يأخذ بعد ذلك في عرض للحياة العلمية في هذه المدينة موضحاً في بداية الأمر المقصود من تلك الحياة قائلا: ونقصد بها الحركة العلمية الشرعية ممثلة في الزوايا ودور العلم والمدارس وما قدّمته من علماء ودُعاة كان لهم أثرٌ كبير جداً على المستوى المحلّي والإقليمي والعالمي في إثراء الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام في مختلف الجهات وما قدّمه أولئك من نتاج علمي تمثّل في ثراء مدينة تريم بالمئات والآلاف من المؤلفات المخطوطة في مكتبات البلدة سواء كان للمؤلفين المحلّيين أو المنسوخة للعديد من علماء العالم الإسلامي.

ليأتي لنا المؤلّف بنماذج حيّة من تلك الحياة العلمية تمثلت في سرده لستة وعشرين نموذجاً أكتفي بذكر الآتي:

أولا: الزوايا والمدارس العلمية التقليدية وكذا الحديثة:

1. زاوية الشيخ سالم بن فضل بافضل – وهو مؤسسها (ت 581هـ) وتقع في حارة الخُلَيْف وتعتبر من أعرَقِ المدارس العلمية التي ما من عالم من علماء تريم إلا وقد تلقّى على أيدي المشايخ فيها مختلف صنوف العلم الشريف كالفقه والحديث والتفسير ..الخ
2. (معلامة أبي مريّم/قبة أبي مريّم) – نسبة إلى مؤسسها السيد العلامة الإمام محمد بن عمر بن محمد المكنى بأبي مريّم (ت 822هـ) -تصغير مريم- ابنته الصالحة القانتة العابدة وتعتَبرُ أول مدرسةٍ متخصّصَةٍ في تحفيظ القرآن الكريم في المنطقة، تخرّج منها الآلاف من الحفّاظ لكتاب الله الشريف.
3. رباط تريم العلمي ويعرف بأزهر حضرموت الذي يقع في قلب مدينة تريم، وحصل به نفع كبير ليس لتريم وحضرموت واليمن بل للعالم الإسلامي منذ تأسيسه في عام 1304هـ/1885م حيث أشار الى ذلك السيد العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف في (معجم بلدان حضرموت) ص 508 (أوائل القرن الرابع عشر كان بناء الرباط بتريم. ومن أكبر القائمين به والساعين له الصدر الجليل السيد عبدالقادر بن أحمد الحداد وممن ساعد على بناء ذلك الرباط السيد أحمد بن سقاف الجنيد والسيد محمد بن سالم السَّري والشيخ محمد بن عمر عرفان وكان إليهم النظر في مدة حياتهم، ولمّا توفي السيد عبدالقادر سنة 1313هـ/1894م خلفه ولده عيسى ولما توفي الشيخ محمد بن عمر عرفان أقيم في مقامه السيد عمر بن أحمد الشاطري، وقد تخرّج منه أكبر علماء تريم وحضرموت واليمن وشرق أفريقيا وجنوب شرق آسيا وغيرها من بقاع العالم الإسلامي.

وهذه ثلاثة نماذج للزوايا والمدارس القديمة والتي لا زلت تواصل عطاءها حتى يومنا هذا.. ويُقبِل عليها طلاب العلم من شتّى البقاع. وإليك ثلاثة نماذج أخرى للمدارس العلمية الحديثة..

1. دار المصطفى بتريم للدراسات الإسلامية. وتقع في حارة الروضة بعيديد وهي أول مؤسسة علمية تتأسس بعد انتهاء فترة الحكم الشمولي أسسها الداعية إلى الله العلامة عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ سنة 1414هـ/1994م وتولى إدارتها السيد العلامة علي المشهور بن محمد بن حفيظ مفتي تريم، لتبرز مَعْلَماً علمياً وتربوياً ودعوياً توافد عليها طلاب العلم من مختلف منطق اليمن والعالم الإسلامي.
2. دار الزهراء للدراسات الإسلامية: تأسست هذه الدار كفرع لدار المصطفى للدراسات الإسلامية تخصصت في تعليم وتربية وبناء المرأة المسلمة العالمة والصالحة ويدرس فيها الفتيات من مختلف محافظات الجمهورية والدول العربية والإسلامية.

3. كلية الشريعة جامعة الأحقاف /عضو اتحاد الجامعات العربية والإسلامية وعضو رابطة الجامعات اليمنية. تأسست سنة 1415هـ/1995م ودرِّس فيها ولا يزال جملةٌ من علماء تريم الأكابر ويدرس فيها طلاب العلم من مختلف محافظات الجمهورية اليمنية والدول العربية والإسلامية ويحصل خريجها على شهادة البكلاريوس كما تُقدِّم الكلية أيضاً مساق الماجستير.

يأتي المؤلف بعد ذلك إلى ذكر جهابذة من علماء ومشايخ العلم فيها .. حيث ذكر خمسة عشر نموذجاً من أولئك الأجلاء والذين قدّموا لأمة الإسلام كنوزاً من العلم والكتب والفكر الوسطي.. وبذلك انتشرت محبتهم في شتّى البِقاع.. وكل واحد منهم مدرسة وذخيرة علمية لا يقل عن نظرائه وإليك نماذج فقط من أولئك الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب حيث قال:

ثانيا العلماء ومشايخ العلم والدعاة:

كثيرا ما يتداول أهالي مدينة تريم ويفخر ما يحكى أنّ سيدنا أبوبكر الصديق كان قد سأل الله لمدينة تريم وأهاليها ثلاث دعوات وذلك بعد أن ثبت أهالي البلدة على دين الحق ولم ينخرطوا في صفوف المرتدين بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فما أن وصلت الأخبار لخليفة المختار حتى فرح بها وسأل المولى لتريم ولأهاليها ثلاث دعوات هي: أن يبارك الحق جل وعلا في مائها ويكثّر فيها العلماء كما ينبت الزرع وأن لا يطفئ لها نار. أي أنْ تبقى معمورة إلى يوم الدين وعلى مرِّ العصور تتجلى آثار دعوة سيدنا أبي بكر الصديق لمدينة تريم وأهاليها في بروز نور العلم من هذه المدينة إلى الآفاق؛ الأمر الذي تجسّد أداء تريم ودُوْرها وزواياها العلمية دوراً كبيراً في نفع الأمة وتخَرّج منها الألوف المؤلّفة من العلماء الذين انتشروا خلال مسيرة التاريخ الطويلة إلى الهند وشرق أفريقيا وجنوب شرق آسيا إلى الفلبّين وبعض مناطق الصين، وسيصعب علينا حصر الكَمُ الهائل من هؤلاء العلماء وسنكتفي بسردِ بعض أهم أعلام البلدة على أنّ من لم نُشِرْ إليهم ليسوا بأقل ممن أشرنا إليهم وهذا على سبيل المثال لا الحصر:

الشيخ الإمام الرحالة سالم بن فضل بافضل:

وهو علامة كبير وشيخ من شيوخ التربية جليل له الشهرة الواسعة والمنزلة في النفوس، مولده بتريم عام 520هجرية. هاجر إل العراق للتزوّد بالعلم لمدّة 40 عاماً، وهو أحد الذين حاربوا بدعة الأباضية والمعتزلة. وهو أول من قام ببناء مسجد الرباط سنة 570هجرية. وإثر استيلاء الأمير عثمان الزنجبيلي والي عدن على تريم عمّت الفتنة وذهب ضحيتها كثيرٌ من علماء تريم وفقهائها ومنهم العلامة سالم بافضل ويحيى بن سالم أكدر وذلك عام 581هـ .

الحاكم العادل عبد الله بن راشد القحطاني:

السلطان عبدا لله بن راشد القحطاني: أحد الأفراد القلائل الذين جمعوا بين العلم والحكم والعدل والفضل، نشأ في وسط علمي بتريم وقد ولد بها سنة 553هـ وحفظ القرآن الكريم وتوجّه لطلب العلوم الشرعية والعربية. لقد كان ابن راشد عالماً جليلاً قبل أن يكون سلطاناً وبعد أن كان. لم يقتصر على الأعمال العسكرية والسياسية والعلمية؛ بل أخذت كثير من اهتمامه النواحي العمرانية فقد جدّد حصن الرناد الشهير وبنى سور تريم في عهده وذلك سنة 601هـ وأقام العدل والسِلْمَ والرّخاء وقضى على الاضطرابات الضاربة أطنابها وله مقولةٌ شهيرة: (لا يوجد ببلادي حرامي ولاسارق ولا محتاج)، وهو من أعظم السلاطين له دورٌ في الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ولصدْقِهِ وعدْلِهِ وحبِّ الناس له سُمّي وادي حضرموت باسمه ويقال له (وادي ابن راشد). قتل عليه رحمة الله سنة 616هـ ودفن في قرية مريمة شرقي سيئون.

الإمام المربّي عبد الله بن علوي الحداد:

من مواليد سنة 1044هـ بتريم وفي السنة الرابعة من عمره فَقَدَ بصرَهُ بسبب الجدري، ورغم ذلك فقد أكبّ على دراسة العلوم والمعارف والتردّد على العلماء والاستماع إليهم حتى أصبح من كبار علماء عصره، وقد ألّف العديد من الكتب منها: (النصائح الدينية) و(الدعوة التامة)، و(رسالة المعاونة)، و(الفصول العلمية)، و(إتحاف السائل) وقد جمع تلامذته كلامه في كتاب (تثبيت الفؤاد)، وله عقيدة التوحيد وغيرها كما أن له ديوان شعر وفتاوى ووصايا ومكاتبات، توفي بتريم ودفن بها عام 1132هـ وهو شخصية غنيّة عن التعريف، ولا تفي حقّه هذه السطور، وإنما قصدنا الإشارة فقط.

وأقول هذه ثلاثة نماذج من خمسة عشر تم ذكرهم في هذا الكتاب الذي بين يدينا وهؤلاء أيضا نماذج من ألوف مؤلفة أخرجتهم هذه المدينة ليكونوا أعجوبة في عالمنا الإسلامي. ليختم الكاتب هؤلاء الأقوام بقوله: وبالمناسبة من المهم أن نذكر بعضا ممن ولد أو نشأ أو تلقّى العلم بتريم من القرن الماضي ثم انتشر على يده الخير وعمّ به النفع في كثير من الأصقاع وفي مقدمتهم:

الإمام الداعية عمر بن أحمد بن سميط مفتي شرق أفريقيا.

والعلامة الشيخ الفقيه عمر بن عبدالله الخطيب مفتي سنقافورا.

والعلامة الداعية إلى الله محمد بن سالم العطاس نزيل سنقافورا.

والعلامة الفقيه إبراهيم بن عقيل بن يحيى مفتي تعز.

والعلامة الفقيه المؤرخ علوي بن طاهر الحداد مفتي جوهور بماليزيا .

وغيرهم كثير من علماء تريم أو ممن تلقى العلم بتريم.

وبعد ذلك يفتح لنا الكاتب فصلا آخر من فصول هذا النضوج العلمي والمعرفي والذي تمثّل في جانب المكتبات قائلا:

ثالثا مكتبات المخطوطات ودور الكتب العلمية:

تعتبر المخطوطات الأوعية العلمية التي تعبّر عن حالة الثراء العلمي في أي بلدٍ من بلدان العالم: وبلدة علمية كتريم لم تخرج عن هذه القاعدة الأمر الذي تجسّد ببروز مجموعة من المكتبات التي عبّرت عن اهتمام العديد من الأسر والشخصيات ونضوج الوعي والثراء العلمي بالبلدة إلا أن صفحات تاريخ البلدة تحمل العديد الحوادث الأليمة التي استهدفت فيها المكتبات الخاصة الأمر الذي أدّى إلى فَقْدِ وَتَلَفِ العديد من المخطوطات القيّمة التي أُحرقت ومُزقت وأُتلفت بشتّى الطُرُقِ كان آخرها ما حصل من قِبل الحكم الشمولي في نهاية الستينات من القرن الماضي حيث اقتحمت المكتبات الخاصة الموجودة آنذاك وأخذت كتبها وأغلقت وجمعت محتوياتها في أقبية ودهاليز لا ترى النور بما أدّى إلى تلف الكثير منها إلا أنه وبجهود بعض الخيّرين جرى تجميع مابقي منها ووضعت في مكان واحد وتأسست على إثر ذلك مكتبة الأحقاف سنة 1973م ثم فصلت محتويات المكتبة لاحقاً سنة 1977م وتأسست مكتبة الأحقاف للمخطوطات ومكتبة الأحقاف للمطبوعات التي سيرد التعريف بهما.

بالإضافة إلى الاعتناء الشخصي من قبل العديد من العلماء وأثرياء البلدة بالاقتناء الشخصي ووجود المكتبات الشخصية في بيوتهم وقد نشأت مجموعة من المكتبات الأهلية خلال القرن الماضي والتي أصبحت محتوياتها لاحقا في مكتبة الأحقاف للمخطوطات ومكتبة الأحقاف للمطبوعات مثل مكتبة آل بن يحيى ومكتبة الكاف التي وقف وراء تأسيسها السادة آل الكاف وفي مقدمتهم السيدان عبدالرحمن بن شيخ الكاف وحسن بن عبدالله الكاف، فقد كانا شديدي الاعتناء بالكتب ونسْخِها وطلاب العلم الشريف.

إلى أن قال: وحاليا بالإضافة إلى المكتبات الموجودة في المؤسسات العلمية الأهلية كرباط

تريم وكلية الشريعة ودار المصطفى وغيرها توجد بالبلدة مكتبات فتحت أبوابها للباحثين وطلاب المعرفة هي :

1. **مكتبة الأحقاف للمخطوطات،** وتعتبر حالياً من أبرز دور الكتب العلمية التي توجد في تريم بل وحضرموت واليمن عموما، تأسست بقرار حكومي وكانت تحتوي على مجموعات من الكتب المطبوعة والمخطوطة ثم في سنة 1977م فصلت المكتبة إلى مكتبتين مكتبة للمخطوطات وأخرى للمطبوعات وسُمّيت المكتبة مكتبة الأحقاف. وتحتوي على ما يقارب الخمسة آلاف مخطوط، وهي مجمّعة من مكتبات أسر تريمية أشهرها :آل بن يحيى ، آل الجنيد ، آل بن سهل، آل الحداد ، آل الكاف، آل العيدروس ، آل الحسيني. وأضيفت إليها مكتبة السلطان صالح القعيطي من المكلا ومعظم المخطوطات تعود إلى القرن الخامس الهجري أهمها (مخطوط رقم 2468) نسخة من الجزء الثاني من كتاب القانون في الطب لابن سيناء ت (428هـ الموافق 1036م) وبها حواشي منقولة من نسخة المؤلف. مجموعات مكتبة الأحقاف من فهارس المكتبة (المجلد 89، 88، 87)... إلخ.

1. **مركز النور للدراسات والأبحاث،** برز هذا المركز كمؤسسة علمية تعتني بتوثيق الموروث العلمي من المخطوطات من خلال القيام بخدمة المكتبات الشخصية والأهلية بتوثيقها وصيانتها وترميمها فبلغ ما قام بتوثيقه المركز حتى يونيو 2008م كما يلي:

- المخطوطات الأصلية (716) مخطوطا قام بعض الأهالي بإهداء البعض منها وتم تعهيد البعض الآخر من قبل آخرين لدى المركز عبر بعض الوجاهات الاجتماعية كعهدة للحفظ والإتاحة لطلاب العلم والباحثين .
- المصورات الورقية (683) نسخة مخطوط.
- المصورات الرقمية: وهو ما تم تصويره بالكاميرات الرقمية وحفظه في وسائل حفظ إلكترونية مختلفة والتي بلغت المخطوطات منها (5083) نسخة رقمية.

إضافة إلى ذكره لنماذج أخرى من المكتبات التي تحتضنها مدينة تريم الغناء والتي هي محط وقبلة لكل زائر يفدُ إليها.

ونأتي إلى ختام هذه السياحة التأملية وإلى آخر فصولها والذي تمثل في المعالم التاريخية وشواهد فن العمارة الطينية والذي هو أهم سمات هذه المدينة التاريخية قائلا: عند الحديث عن المعالم التاريخية للمدينة يبرز عنصر رئيس يميزها بصورة فريدة ألا وهو عنصر مادة البناء وهي الطين، ولذلك عمد الكثير من الباحثين على النظر إليها كشواهد للعمارة الطينية التي تميّزت بها مدينة تريم والتي تعتبر مصدرا رئيسياً بل ومدرسة مستقلة في البناء بالطين والعمارة الطينية التي قدّمت العديد من معالمة (أساطين) البناء بالطين الذين انتشرت أعمالهم في مدن وقرى وادي حضرموت، بل ومناطق أخرى من اليمن لتبقى شواهد على ريادة فنّ العمارة الطينية والبناء الطيني في تريم وتقدّمه، ومن أهم الأسر التريمية التي تخصصت في ذلك أسر آل عفيف وآل يعمر وباحريش وغيرهم . وعند الحديث عن العمارة الطينية يبرز لنا عنصران أساسيان هما المساجد والقصور الطينية بتريم:

أولا: المساجد التاريخية الطينية:

بداية أقول لمن أراد التوسع والاستزادة في معرفة تفاصيل مساجد تريم فإني أحيله إلى كتاب (الدرر الثمينة في ذكر مساجد تريم ومآثرها القديمة) للأستاذ خالد سعيد باغوث (مطبوع حديثا لدى دار الفقيه بتريم) -والذي نأمل أن تكون لنا قراءة ووقفة معه في عدد قادم بمشيئة الله- فيمكن للباحث الرجوع إلى هذا المصدر وأمثاله، والمؤلف الجنيد هنا أورد خمسة عشر نموذجاً وأوضح فيها عددا من الجوانب الفنية والزخرفية والمعمارية،

غير أنني أكتفي بذكرِ نموذج واحد فقط وهو النموذج الذي يُعتبر قريناً بذكر تريم.. ذاك هو مسجد المحضار ومئذنته العجيبة الشهيرة والذي هو مقصد لكل زائر إليها فنقول:

مسجد المحضار:

جاء في كتاب (عوض سليمان عفيف باني منارة المحضار): ((أن مسجد المحضار يعود تاريخه إلى أيام إمام أهل وقته وزمانه السيد الشيخ عمر المحضار ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف الذي اهتم واعتنى ببنائه وعمارته مع غيره من المساجد المختلفة ومنها مسجد باعلوي الذي أعاد بناءه باستثناء الجدار الغربي منه.

وكان صفة العمارة الأولى تشبه عمارة مساجد تريم حيث القبع التي تزوّد بها نهايات الأسطح والبناء من مادة الطين ويذكر بعضهم أنّ المسجد كان عبارة عن حمام يحمله عمودان وهما الموجودان حالياً في الجهة الجنوبية من الحمام الجنوبي، أما العمارة الثانية فجاءت بتوسعة للمسجد بحيث توسع صحن المسجد شمالاً حيث أضيفت ثمانية أعمدة على مسافة حوالي خمسة أمتار.

أما العمارة الأخيرة وهي العمارة الموجودة حالياً والتي بناها المعلّم عوض سليمان عفيف رحمه الله وذلك سنة 1333هـ1914-م، والتي وسّع فيها المسجد في الجهة الشرقية حيث أضيف إليه الصحن ذو الرّواقين ومئذنته المربعة في الجهة الشرقية.وذكر أنّ باتساعه هذا في ذلك الوقت اعتبر أكبر مساجد تريم، وصارت عمارة متميزة وبالأخص المئذنة المربعة التي كانت متميزة عن المآذن الدائرية وارتفعت إلى أكثر من أربعين متراً بمادة الطين وعدد درجاتها حوالي 134درجة)).

وبعد ذلك تطرّق الكاتب إلى ذكر شاهد آخر من شواهد فن العمارة الطينية ممثلا في قوله:

ثانياً: الحصون والقصور التاريخية الطينية:

طاف الكاتب وحلّق بنا في ذكر عدد من الحصون وكذا القصور التي تشكّلُ حلقةَ تميّزٍ، وجانب آخر من التألق الحضاري في عمق تاريخ هذه المدينة والذي تزخر به ولنأخذ نموذجاً من الحصون التي وَرَدَ ذكرها في هذا الكتاب حيث قال:

حصن الرناد: يقع هذا الحصن (القصر) وسط المدينة القديمة بجوار جامع تريم، ويُعتبر أقدم حصون تريم العسكرية قاطبة ويرجع تأسيسه إلى الألف الثالثة قبل الميلاد ويتربّع على الهضبة الواقعة وسط البلدة وقد شهد جميع المراحل التي عاشتها البلدة بدءاً من عصر ما قبل الإسلام حيث يُحكَى أنه قد عُثر فيه في الستينات على رأس حيوان من الرخام الأبيض وعليه بعض الكتابة بخط المسند؛ ثم جاء عصر الإسلام وشهد الحصن أيام الوالي الإسلامي الأول لتريم الصحابي الجليل زياد بن لبيد البياضي الأنصاري، واستمر كذلك في عهد الزياديين الذين حكموا تريم وكذا كان مقراً للحاكم في عهد حسين بن سلامه، ولقد جدّد بناؤه في العديد من المرات إلا أنّ ما تذكره لنا المصادر فقط هو تجديد السلطان العادل عبد الله بن راشد القحطاني عامِ 600هـ، وكذا التجديد الأخير للقصر والذي تمّ في سنة 1352هـ في عهد حاكم تريم آنذاك محمد بن حسن الكثيري والذي دعا المهندس علوي الكاف (الخضيب) ليشرف على عملية إعادة البناء ووضع التصميمات الخاصة بالقصر والواجهة الخارجية.

شهد القصر أيضا أيام الحكم الاشتراكي لجنوب اليمن سابقاً حيث اتخذ أيضا مقرا للحزب الحاكم وسجناً خاصاً وكذا مجموعة من الإدارات الحكومية حيث كانت هناك المحكمة والنيابة العامة والشرطة وشؤون الأحوال الشخصية (الهوية) وكذا المليشيا الشعبية وشؤون التجنيد الإجباري وغيرها، والتي خرجت منه بعد الوحدة اليمنية المباركة على إثر تخصيص وبناء أو استئجار مقرّات خاصة بكل مرفق منها. وفي عام 1998م تقرّر وضع خطة لترميمه و إعادة توظيفه ليكون متحفاً للبلدة وأصدر قرارا لإخلائه. اهـ

أما في جانب القصور فإننا نأخذ نموذجا لا يقل

إبداعاً وإتقانا عن غيره من القصور في فنون العمارة الإسلامية المنتشرة كالكواكب المضاءة في أركان هذه المدينة وتمثل ذلك في قصر المنيصورة حيث قال الكاتب:

قصر المنيصورة، يعود بناؤه إلى عام 1351هـ لصاحبه أحمد بن عمر بن عبد الله بن يحيى ويقع هذا البيت شرقي مسجد المحضار. ويعتبر من أجمل ما أبدع من البيوت في تريم من ناحية الزخارف والواجهات الخارجية وهو أيضاً يمكن تصنيفه معمارياً ضمن البيوت ذات الطراز المعماري الكولونيالي بما به من مظاهر جمالية تعبّر عن تلك المرحلة التي عاشتها حضرموت وجنوب اليمن. ويتميّز بواجهتيه الشرقية والجنوبية التي أبدع فيها المصمم الذي قام بالمزج بين الأصالة التي مثلتها النوافذ الحضرمية ذات الفتحات المعكوفة، والمعاصرة التي مثلتها التيجان والزخارف التي تزيّن هذه الواجهات.

على أثر الأمطار والسيول الشديدة التي تعرّضت لها تريم عام 1979م تداعت التيجان الزخرفية التي تزيّن الواجهة الشرقية للمبنى وبقيت إلى اليوم على حالها في انتظار إعادتها وإصلاحها. حالياً يعيش بعض من ورثة المرحوم السيد محمد المذكور وخصوصاً من بقِيَ منهم في بلدة تريم في حين استوطن البعض منهم المدن اليمنية ودول الجوار كالإمارات والسعودية وجاوا.

هذا ما تمكنت من استخلاصه من عمق الغوص في هذا الكتاب الذي شدّ انتباهي وأثار إعجابي وأحببتُ إبرازه وتسليط الضوء عليه من خلال هذه القراءة المتواضعة

والله ولي التوفيق .

المكتبات ودورها في الحياة الدينية بتريم

منير بن سالم بازهير*

إن للقراءة المكثفة في مختلف كتب العلوم إسهاما كبيرا في تكوين المخزون العلمي والفكري والثقافي والحضاري الأخلاقي في حياة الشعوب .. كما أن ملازمة الكتاب الذي تشبع بعصارة أفكار أساطين العلماء في مختلف أقطار العالم يشحذ العقلية القارئة بمعين من الأفكار والرؤى التي يصوغها العقل في قوالب شتى في مجال المعرفة والتعليم إقراراً وتفعيلاً أو نقداً وتحليلاً.. فبالقراءة الواعية يتسع أفق العقل وتستثير مدركاته وتتأقلم النفس وتستوعب أصناف الطروح المتبادلة على سطح الواقع العلمي فتساعد بانعكاساته على فهم نمط الحياة وتحليل مشاكل أفراد المجتمع وتقلبات الأمم والشعوب.

وإن المد العلمي والثقافي بمدينة تريم المباركة جاء ثمرة رحلة طويلة بل وعميقة من القراءة المستمرة لأصناف الطروح العلمية الموزعة في العالم الإسلامي وبعد الغربلة والتمحيص لنتائجها تم انتخاب عصارة علميه وتربويه تشكل من خلالها نمط التعليم والسلوك والحياة الاجتماعية المتناسبة مع الوضع النفسي لأفراد هذا المجتمع وعلمائه ... والمتأقلمة مع طبيعة الفرد في هذا الوادي وما يسوده من مناخ وتضاريس.

ومن المعلوم أن للعلماء الحضارمة خلال مراحل التاريخ التولع الكبير باقتناء الكتب التي تسهم في توسيع المخزون المعرفي والعلمي إلا أن طبيعة وادي حضرموت المكانية والجغرافية التي أقصته عن حواضر العلم الكبيرة في العالم جعلت نسبة الكتب الواصلة إليه قليلة ونادرة ومحدودة. ثم إن طبيعة قسوة العيش عند الحضرمي وميوله إلى تحصيل ما يقتات به ويأوي إليه ويستر به عورته أسهمت في إنشغال جزء كبير من أفراده بأمور

* مدرس بثانوية تريم للبنين
وباحث بمركز النور للدراسات والأبحاث - تريم حضرموت.

المعاش وما يترتب عليها ولم يشتغل بالكتابة والقراءة إلا حملة العلم والمشتغلين به وأرباب اليسار من العلماء والصلحاء..

وقد صدق الشاعر في تحليله لحياة الشعوب ذات الطبائع القاسية من حيث المعاش بقوله:

بلد الحراثة لو أتاها جرول
ابن الحطيئة لانثنى حراثا
تصدى بها الأذهان بعد صقالها
وترد ذكران العقول إناثا

ومع وجود هذه الصعوبات وتفاقم هذه الظروف إلا أن للعالم الحضرمي مشاركات وإسهامات لا يستهان بها في مجال جمع الكتب وتحصيلها على مر التاريخ البعيد والقريب فإن رحلات العلماء من بدايات القرن الرابع إلى القرن السابع من وإلى حضرموت كرحلة الإمام المهاجر أحمد بن عيسى (ت 345هـ) من العراق إلى اليمن ورحلة ابنه عبيد الله بن أحمد (ت 383هـ) للأخذ عن أبي طالب المكي (ت 386هـ) بالحجاز وقراءته عليه لكتاب ((قوت القلوب)) وهجرة العلامة سالم بن بصري (ت 604هـ) إلى عدّة حواضر علمية والإمام أبو عبيد الحضرمي (ت 613هـ) إلى الحجاز والإمام صاحب مرباط (ت 556هـ) إلى عمان وحواضر علمية أخرى، وشيخ الإسلام سالم بافضل (ت 581هـ) إلى العراق والعلامة محمد بن أبي الحب (ت 611هـ) والمحدّث أبو جديد (ت 620هـ) إلى عدة حواضر علمية كل هذه الرحلات لابد أن يكون مصاحبا لها كَمٌّ هائل من التراث المعرفي وكتب أئمة العلماء في تلك الأقطار، وإذا علمنا أن أصحاب هذه الرحلات كان مقصدهم الأول والأخير تحصيل العلوم فلابد إذاً بضرورة العقل أن يستصحبوا معهم العديد من الكتب في شتى فنون العلم والمعرفة ولابد من أنهم تأثروا بمخزونها العلمي والثقافي وانعكس على حياتهم العلملية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.. وإذا علمنا أن شيخ الإسلام سالم بافضل قد عاد من رحلته إلى العراق بأربعين جملاً محملة بأصناف الكتب ترسخ اليقين في نفوسنا أن حضرموت كانت في هذه الفترات تزدهي وتتمتع بحضارة علمية معرفية تلحقها بغيرها من حواضر العلم إلا أن الحروب الطاحنة التي توالت على حضرموت خلال مراحل معروفة في تاريخ حضرموت أبادت الكثير من آثار هذه الحضارة العظيمة، واستأصلت واجتاحت العديد من المكتبات، وإذا انضاف إليها إهمال الأفراد وعوامل الزمن الأخرى، ظهر لنا سر تفسير غياب هذا التراث الضخم.

ومن بعد القرن السابع إلى القرن الثالث عشر، اتسع اتصال وهجرة الحضارمة إلى الأصقاع المختلفة، مما أسهم في زيادة الرصيد المكتبي لدى العديد من العلماء، الذي تشهد به مؤلفاتهم، التي نقلت الكثير والكثير من مراجع لعلماء أقطار تبعد عن حضرموت، مما يدل بكل وضوح على التواصل الحضاري مع جميع حواضر العلم في العالم الإسلامي سواء من حيث الإسناد أو من حيث الكتب المعرفية الأخرى في شتى مجالات العلوم.

إلا أن هذا التراث الضخم أيضاً لم يسلم من عوادي الزمن الحربية والطبيعية، كما لم يسلم من العصبية الفردية فلم يتبق منه إلا النزر اليسير في بعض المكتبات الخاصة والعامة في مدينة تريم.

ولعل أشهر المكتبات الخاصة التي يُشرف عليها الأهالي وأبناء العلماء بمدينة تريم والتي جمعت بين كتب ومؤلفات الحضارمة ومؤلفات غيرهم من علماء العالم ما يلي:

1. مكتبة مقام الإمام عبدالله باعلوي.
2. مكتبة العلامة محمد بن سالم السِّري، وقد تجزأت إلى ثلاثة أجزاء ما بين أبنائه.
3. مكتبة العلامة عبدالرحمن بن محمد المشهور.
4. مكتبة السيد العلامة عبدالله بن عمر الشاطري.

5. مكتبة السيد العلامة محمد بن سالم بن حفيظ.
6. مكتبة رباط تريم.
7. مكتبة الشيخ سالم بن سعيد بكيّر باغيثان.
8. مكتبة السيد علي بن محمد باعبود.
9. مكتبة السيد هود بن أحمد بن سميط.
10. مكتبة الشيخ عبدالرحمن بن محمد عرفان بارجاء.
11. مكتبة السيد عبدالقادر بن أبي بكر بلفقيه.
12. مكتبة السيد علي بن حسن بن زين بلفقيه.

أما مكتبات المخطوطات العامة التي يرتادها الباحث في مدينة تريم فهي:

1) **مكتبة الأحقاف للمخطوطات،** وتعتبر حالياً من أبرز دور الكتب العلمية التي توجد في تريم بل وحضرموت واليمن عموما، تأسست بقرار حكومي عام 1970م، وكانت تحتوي على مجموعات من الكتب المطبوعة والمخطوطة ثم في سنة 1977م فصلت المكتبة إلى مكتبتين مكتبة للمخطوطات وأخرى للمطبوعات وسُميت المكتبة مكتبة الأحقاف للمخطوطات. وتحتوي على ما يقارب الخمسة آلاف مخطوط، وهي مجمّعة من مكتبات أسر تريمية أشهرها :آل بن يحيى ، آل الجنيد، آل بن سهل، آل الحداد، آل الكاف، آل العيدروس، آل الحسيني. وأضيفت إليها مكتبة السلطان صالح القعيطي من المكلا ومعظم المخطوطات تعود إلى القرن الخامس الهجري أهمها (مخطوط رقم 2468) نسخة من الجزء الثاني من كتاب القانون في الطب لابن سيناء (428هـ الموافق 1036م) وبها حواشي منقولة من نسخة المؤلف. مجموعات مكتبة الأحقاف من فهارس المكتبة (المجلد 89، 88، 87).

- مجموعة آل الجنيد التي أسسها السيد عمر بن علي الجنيد وأخوه أحمد بن علي سنة 1268هـ-1851م.
- مجموعة آل بن سهل التي أسسها السيد حسين بن عبدالرحمن بن سهل سنة 1274هـ-1857م.
- مجموعة الحسيني وهي أصلا مجموعة كتب الأديب الراحل صالح بن علي الحامد التي تأسست سنة 1315هـ- 1897م إلا أنه عند وفاته سنة 1387هـ قام السيد حسين بن أحمد بن ابي بكر الحسيني بشرائها ووقفها على طلبة العلم.
- مجموعة رباط تريم العلمي التي تأسست مع تأسيس الرباط سنة 1305هـ1887-م.
- مجموعة الكاف (حسن بن عبدالله الكاف) التي تأسست سنة 1334هـ1916-م
- مجموعة الكاف (عبدالرحمن بن شيخ الكاف) التي تأسست سنة 1350هـ1931-م.
- مجموعة آل الحداد التي تأسست سنة 1225هـ-1810م.
- مجموعة آل بن يحيى التي أسسها السيد العلامة عبدالله بن عمر بن يحيى سنة 1265هـ1848-م في منطقة مسيلة آل شيخ ثم قام بنقلها إلى تريم السيد أحمد بن عمر بن يحيى سنة 1375هـ
- مجموعة المكتبة السلطانية التي جُلبت من مدينة المكلا والتي أسسها السلطان صالح بن غالب القعيطي سنة (1941م).

2) **مركز النور للدراسات والأبحاث،** برز هذا المركز مؤسسةً علميةً تعتني بتوثيق الموروث العلمي من المخطوطات من خلال القيام بخدمة المكتبات الشخصية والأهلية من خلال توثيقها وصيانتها وترميمها فبلغ ما قام بتوثيقه المركز حتى يونيو 2008م ما يلي:

- المخطوطات الأصلية (716) مخطوطا قام بعض الأهالي بإهداء البعض منها وتم تعهيد البعض الآخر من قبل آخرين لدى المركز عبر بعض الوجاهات الاجتماعية كعهدة للحفظ وإتاحة الفرصة لطلاب العلم والباحثين من الاطلاع عليها والاستفادة منها .

- المصورات الورقية (683) نسخة مخطوط.
- المصورات الرقمية: وهو ما تم تصويره بالكاميرات الرقمية وحفظه في وسائل حفظ إلكترونية مختلفة والتي بلغت المخطوطات منها (5083) نسخة رقمية.

أما القسم الثالث فهي المكتبات الخاصة بالكتب المطبوعة بمدينة تريم وهي:

1) **مكتبة الأحقاف للمطبوعات،** مكتبة تحفل بالعديد من المؤلفات المطبوعة القديمة التي يزيد عمرها على المائة عام والتي أصبحت ذات قيمة تاريخية وعلمية هامة، وكذا المجلات والصحف التي صدرت في القرن الماضي، وقد تأسست هذه المكتبة في بداية الأمر عام 1972م من مجموعة المكتبات الأهلية التي تأسست منها مكتبة الأحقاف للمخطوطات، إلا أنها انفصلت عام 1977م لتبرز كمكتبة خاصة بالمطبوعات فقط.

2) **مكتبة مسجد خرد،** أسسها السيد عبد القادر بن سالم خرد سنة 1418هـ واعتنى بتوفير قائمة كبيرة من الكتب العلمية الشرعية والفكرية والثقافية وكذا بعض المصورات لبعض المؤلفات القديمة كما يوجد بها مجموعة من المجلات والحوليات العلمية، كما توفر خدمة بحث اليكترونية من خلال المكتب الملحق بها.

3) **مكتبة مسجد الحداد / الفتح،** تأسست المكتبة سنة 1419هـ بعد إعادة بناء مسجد الفتح الذي قام به السيد عيسى بن عبد القادر الحداد، وكانت النّواة الأولى لها محتويات مكتبة السيد المرحوم علي بن عيسى الحداد التي جُلبت من سنقافورة حيث أهدى ورثته مكتبة والدهم المرحوم لتأسيس هذه المكتبة.

4) **مكتبة دار المصطفى للدراسات الإسلامية** وقد سبق التعريف بهذا الصرح العلمي وبالصروح التي بعده .

5) مكتبة مركز النور للدراسات والأبحاث .

6) مكتبة كلية الشريعة.

أما القسم الرابع من المكتبات فهي مكتبات البيع وأشهرها:

1) مكتبة تريم الحديثة .
2) مكتبة تريم حضرموت.
3) مكتبة دار الفقيه.
4) مكتبة دار العلم والدعوة.

وقد أسهمت هذه المكتبات في تزويد العالم والباحث وطالب العلم بشتّى أنواع المعارف في مختلف المجالات.

وختاماً فهذه خلاصة موجزة عن إسهامات المكتبة المخطوطة والمطبوعة في السمو بالحالة الدينية والمعرفية والفكرية بمدينة تريم.

وبالله التوفيق.

واقع المخطوطات بوادي حضرموت مكتبة الاحقاف للمخطوطات بتريم أنموذجا*

يمثل وادي حضرموت المساحة الأكبر من محافظة حضرموت التي هي أكبر محافظات الجمهورية اليمنية.

وينتشر العمران على طول وادي حضرموت وتمثل المدن والقرى عقدا مترابطا، تكون مدينة تريم واسطة ذلك العقد ودرته، وهو من أكبر وديان شبه الجزيرة العربية ويبلغ طوله ما يقارب 200كم.

إعداد:
المهندس / حسين عمر أحمد الهادي **

وتبعاً للحركة العلمية التي شهدها الوادي على امتداد تاريخه الإسلامي الطويل فقد نشأت مكتبات أهليه كثيرة منها الكبيرة ومنها الصغيرة التي هي في شكل خزائن كتب تحتفظ بها بيوت العلم وتتوارثها خلفا عن سلف. ومنها:

مكتبات وادي دوعن:

بمنطقة دوعن والتي تنسب إلى العلامة الفقيه الورع عمر بن عبد الرحمن البار الذي توفي سنة 1158 هـ وكان من خواص تلاميذ الإمام الحداد توجد بمنطقة القرين مكتبته العامرة وفيها عد من المخطوطات يقدر عددها ب 546 مخطوطا في مختلف العلوم أقدمها كتاب الحدائق لأهل الرقائق والذي كان نسخه بتاريخ 639 هـ.

كما توجد بمنطقة القرين أيضاً مكتبة العلامة حسين بن محمد البار تحوي مخطوطات عددها حوالي 135 مخطوطا.

مكتبة رباط قيدون:

المنسوب للعالمين عبدالله وعلوي ابني الحبيب طاهر الحداد توجد بمنطقة قيدون بوادي دوعن هذه المكتبة العامرة والتي تحتوي على حوالي 400 مخطوط في مختلف العلوم أهمها تاريخ باسنجلة في تاريخ حضرموت والذي يعتبر من

* ورقة عمل للمشاركة في الندوة الإقليمية حول المخطوطات في الوطن العربي (الواقع، التحديات، الآفاق) المنعقدة في مسقط، سلطنة عمان من 3-5 أكتوبر 2010م.

** أمين عام مكتبة الاحقاف للمخطوطات تريم - حضرموت.

النسخ النادرة نسخ عام 1032هـ وكتاب المهذب في الفقه للشيرازي والذي نسخ سنة 577 هـ

مكتبة آل بلخير :

في غيل بلخير منطقة دوعن والتي تنسب إلى الشيخ احمد بن محمد بلخير المتوفى أوائل القرن الرابع عشر الهجري وأقدم تلك المخطوطات رسالة الإمام الحسن البكري في فضل مكة وأهلها 1034هـ

مكتبة العلامة عبد الرحمن بن عمر الحبشي :

بمنطقة قيدون بدوعن والتي تأسست في بداية القرن الرابع عشر هـ والتي تحتوي على حوالي 102 مخطوط أقدمها كتاب منهاج العابدين للإمام الغزالي نسخ سنة 840 هـ

مكتبة المشايخ آل با شيخ :

بمنطقة هدون بوادي دوعن وهي منسوبه إلى الشيخ عبد الرحمن بن احمد باشيخ المتوفى في أوائل القرن الثالث عشر تحتوي هذه المكتبة على عدد من المخطوطات حوالي 166 مخطوطا اقدمها كتاب متن العباب في الفقه .

كما توجد هناك مكتبات في كل من قرية الرشيد لآل بازرعة، وفي القويرة لآل المحضار، وفي بضه لآل العمودي وفي صيف لآل باحنان، وفي حريضة مكتبة أحمد بن حسن العطاس، وفي عمد مكتبة السادة آل المساوى، وفي قرية الشعبة مكتبة آل العمودي (خزانة كتب) .

وعلى امتداد وادي حضرموت وبعد وادي دوعن تأتي مدينة القطن، وبها مكتبة للأمير علي بن صالح القعيطي.

وبعدها تأتي مدينة شبام وهي تزخر بمكتبات خاصة كثيرة . وفي منطقة الحزم شبام مكتبة العيدروس وهي أحدى المكتبات المكونة لمكتبة الاحقاف للمخطوطات. وفي حوطة أحمد بن زين مكتبة مدرسة الفتح والإمداد وكذا مكتبات لبيوت علم أخرى .

وفي مدينة سيؤون وضواحيها عدة مكتبات أهلية منها:

مكتبة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي :

وهي إحدى اكبر مكتبات وادي حضرموت تقريبا يقدر عدد المخطوطات فيها ب 620 مخطوط إضافة إلى مئات الرسائل والمكاتبات وتنسب إلى علامة ومسند وادي حضرموت السيد العلامة عيدروس بن عمر الحبشي وكان عالما محدثا فقيها . توجد هذه المكتبة بمنطقة الغرفة ويطلق عليها بالمكتبة الحضرمية .

توجد بهذه المكتبة مخطوطات نادرة مثل كتاب الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر لباجمال والتي تعتبر نسخة يتيمة في مكتبته، وأقدم تلك المخطوطات كتاب العمدة في الأحكام للعلامة عبد الغني المقدسي والذي نسخ عام 768هـ

مكتبة العلامة المؤرخ عبد الله بن محمد بن حامد السقاف :

ولد سنة 1301 هـ وتوفي 1387هـ كان عالماً مؤرخاً له مؤلفات أهمها: تاريخ الشعراء الحضرميين له مكتبة في بيته بسيؤون بها عدد من المخطوطات تقدر بـ 50 مخطوط أهمها كتبه التي ألفها مثل كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين.

مكتبة الشيخ عبد الرحيم محمد مسعود بارجاء :

احد علماء مدينة سيؤون ولد وتوفى بها ، وبمكتبته عدد من المخطوطات تقدر بـ 90 مخطوطا وأندر المخطوطات الموجودة فيها كتاب شرح التفتازاني في علم الصرف والذي نسخ عام 1130هـ .

مكتبة السيد محمد بن حسن بن سميط :

بمنطقة الحزم قريب من شبام تحتوي هذه المكتبة على حوالي 31 مخطوطا . أقدمها كتاب التنوير في إسقاط التدبير احمد بن عطاء الله والذي نسخ عام 1174هـ .

مكتبة السيد علي بن أنيس بن حسن الكاف :

تحتوي هذه المكتبة على وثائق يبلغ عددها حوالي 2000 وثيقة تقريباً قام بتجميعها السيد علي من وثائق عائلة السيد شيخ بن عبدالرحمن الكاف .

كما توجد بمدينة سيؤون مكتبات عامرة أخرى منها: مكتبة مسجد الجامع ومكتبة مسجد علي بن عبدالله السقاف ، ومكتبة المفتي العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف والتي آلت حالياً إلى مركز بن عبيدالله لخدمة التراث والمجتمع ويعتبر أحد المؤسسات الحديثة التي تهتم بجمع التراث . وكذا مكتبة المؤرخ جعفر بن محمد السقاف .

مدينة تريم

اشتهرت مدينة تريم كحاضرة علمية لوادي حضرموت حيث كانت ولا زالت مركزاً يشع منه نور العلم والمعرفة ومركز إشعاع ديني منذ ظهور الإسلام حيث أقيمت الأربطة الدينية ومراكز تحفيظ القرآن الكريم وتدريس الفقه الإسلامي وغيرها من فروع العلوم الحديثة وكان طلاب العلم يتوافدون ويقصدونها من مدن وقرى وادي حضرموت والمحافظات اليمنية الأخرى والدول المجاورة كما يقصدها أبناء المهاجرين الحضارمة من المهجر القريب والبعيد كجنوب شرق آسيا والسواحل الشرقية الأفريقية كما يصطحبون معهم الكثير من أهالي تلك الدول بل تعدى الأمر في السنين الأخيرة أن يطلب العلم بتريم من كل قارات العالم .

حيث ساعد ذلك على كثرة علمائها وزواياها العامرة بالتدريس ، التي من أقدمها زاوية الشيخ/ سالم بن فضل بافضل المتوفى سنة 581هـ ، ومعلامة أبي مريِّم لتحفيظ القرآن الكريم التي أسست في القرن الثامن الهجري. وقد بلغ عدد المعاهد والزوايا الموجودة في تريم قبل افتتاح معهد رباط تريم العلمي سنة 1304هـ حوالي عشرة معاهد. وفيها الآن دار المصطفى للدراسات الإسلامية، وكذا كلية الشريعة التابعة لجامعة الاحقاف .

ومع كثرة العلماء وطلاب العلم سواء كان من أهل البلد أو الوافدين من الخارج فمن الطبيعي أن تمتلئ بيوت هذه العائلات العريقة بالكتب المخطوطة في مختلف فنون العلوم الدينية والعلمية.

فمدينة تريم تزخر بالتراث الإسلامي المخطوط حيث يوجد بها كثير من المكتبات الأهلية الموجودة في البيوت والزوايا العلمية وطلباً لثواب الله وعفوه؛ فقد أوقفت كثير من هذه العائلات ما تملكه من مخطوطات وكتب وقفاً على طلبة العلم بمدينة تريم وضواحيها .

ومن المكتبات الموقوفة والمكونة لمكتبة الاحقاف للمخطوطات بتريم الآتية ذكرها :

مكتبة آل بن يحيى :

تأسست سنة (1265هـ - 1848م) أسسها العالم الفاضل عبدالله بن عمر بن يحيى ولد سنة 1209هـ وتوفي بالمسيلة سنة 1265هـ . أسس مكتبته في مسيلة آل شيخ وقد بقيت المكتبة في المسيلة تحت رعاية أولاده ثم نقلها إلى تريم حفيده أحمد بن عمر بن يحيى سنة 1375هـ .

مكتبة آل بن سهل :

(تأسست سنة 1274هـ - 1857م) أسسها السيد حسين بن عبدالرحمن بن سهل ولد بتريم ونشأ بها ، وكان من رجال العلم والمال أخذ يجمع لرجال العلم الكثير من الكتب توفي بالشحر سنة 1274هـ .

مكتبة آل الكاف :

تأسست سنة (1350هـ - 1931م) جمعها رجل الفضل والخير والسمات الطيبة (عبدالرحمن بن شيخ الكاف) جمع الكتب بالشراء والاستنساخ وسافر إلى مصر وزود المكتبة بكثير من أمهات الكتب توفي سنة 1367هـ

مكتبة حسن بن عبدالله الكاف :

تأسست سنة (1334هـ - 1916م) أسسها السيد حسن بن عبدالله الكاف، وكان من رجال الفضل والمعرفة جمع الكتب بالشراء والاستنساخ، توفي بتريم سنة 1346هـ .

مكتبة آل الجنيد :

تأسست سنة (1268هـ - 1851م) أسسها عمر بن علي الجنيد ولد بمدينة تريم وتربى تربية صالحة ثم سافر إلى سنغافورا وتوفي بها سنة 1268هـ. وأخوه احمد بن علي الجنيد ولد بمدينة تريم وكان من رجال العلم والفضل توفي بها سنة 1275هـ ولقد جمعت المكتبة بالشراء والاستنساخ.

مكتبة الرباط :

تأسست سنة (1305هـ - 1887م) وكان الجمع بالشراء والإهداء والوقف .

مكتبة آل الحداد :

تأسست سنة (1225هـ - 1810م) أسسها الإمام عبدالله بن علوي الحداد ، وهو من رجال العلم والفضل له مؤلفات عدة في كثير من الفنون كان حريصاً على الكتب العلمية ليهتدي بها الطالب وينتفع بها توفي سنة 1232هـ

مكتبة الحسيني :

تأسست سنة (1315هـ - 1897م) أسسها الأديب المؤرخ صالح بن علي الحامد وهو من رجال العلم والأدب والتاريخ بحضرموت كان يجمع الكتب بالشراء توفي سنة 1387هـ وبعد وفاته تقدم حسين بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالحسيني بالشراء لهذه المكتبة وجعلها وقفا على طلبة العلم .

إضافة إلى مكتبة العيدروس من الحزم تأسست سنة (1113هـ - 1701م) ومؤسسها السيد عمر بن عبدالرحمن بن محمد العيدروس أسس المكتبة بالحزم وتناقلها أحفاده ثم سميت تلك المكتبة (مكتبة العيدروس) نسبة إلى عيدروس بن حسين بن احمد الحفيد الثالث والذي توفي بحيدر اباد بالهند سنة 1346هـ . والمكتبة الشعبية بالمكلا تأسست سنة (1361هـ - 1942م) وكانت تابعة للسلطان صالح بن غالب القعيطي ويطلق عليها المكتبة السلطانية ومؤسسها عمر بن عوض القعيطي . وكذا مجموعة عينات تأسست سنة (1350هـ - 1931م) هذه المجموعة التي تبرع بها السيد الجليل علي بن عيدروس بن عقيل وهو من رجال الخير وقد كون مكتبة كبيرة بالشراء والاستنساخ .

كما توجد مصادر أخرى بسيطة مكونه لمكتبة الاحقاف للمخطوطات .

وعليه فقد تأسست مكتبة الاحقاف للمخطوطات بتريم من هذه المكتبات الآنفة الذكر وتم تجميعها في مكتبة عامة واحدة سنة 1970م والتي ترعاها الدولة ممثلة بوزارة الثقافة ويشرف عليها مجلس أمناء من أهالي المكتبات الموقوفة .

فمكتبة الاحقاف للمخطوطات بتريم تعد هذا اليوم من أبرز وأندر المكتبات في الوطن العربي والإسلامي فهي تقع في جزء من الدور الأول من مسجد الجامع بتريم والمكان عبارة عن صالة مفتوحة تم تجزئتها بالحواجز وخصص الجزء الأكبر منها لحفظ المخطوطات، وجزء للمراجع المطبوعة والدوريات ومقتطع جزء منها مكتب الإدارة وورشة للصيانة والتجليد .

الاسم والدلالة

سميت المكتبة بـ(الاحقاف) تيمنا بهذا الاسم المبارك الذي ورد في القرآن الكريم السورة رقم (46) والاحقاف الاسم القديم لوادي حضرموت والحقف بكسر الحاء وسكون القاف هو المرتفع من الرمل .

فنون المخطوطات

نظمت المخطوطات في الدواليب حسب فنون الموضوعات التي تحتويها وهي كالتالي:

التفسير ، الحديث ، الفقه ، التصوف ، التراجم والسير والتاريخ ، الأدب واللغة ، الطب ، المتوعة ، المجاميع (مخطوطات تشتمل على أكثر من نص وموضوع) .

عصر المخطوطات

معظم المخطوطات في مكتبة الاحقاف يعود نسخها إلى القرن العاشر والحادي عشر الهجريين وأقدم المخطوطات المحفوظة في المكتبة تعود إلى القرن السادس الهجري ونذكر بعضها:

1) نسخة من البيان في تفسير القرءآن (الجزء الخامس) لأبي جعفر بن الحسن الطوسي نسخت سنة 595هـ بخط نسخي مهمل النقط في الأكثر.
2) نسخه من الجزء الثاني من كتاب القانون في الطب لابن سيناء نسخت سنة 633هـ وبها حواشي منقولة من نسخة المؤلف.
3) نسخة لخمسة أجزاء من الدر المنثور في التفسير لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي نسخت سنة 897هـ ومزين بالذهب بالأسلوب المملوكي وعليه انجازات مكتوبة بيد المؤلف.
4) نسخه في جزءين بخط بديع ومزين بالذهب لكتاب الشفاء لتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي نسخت سنة 763هـ.

أقسام المكتبة

قسم المخطوطات:

يحتوي القسم على أكثر من ستة ألف ومائتي مخطوط مرتبة في الدواليب على حسب الفنون ولكل مخطوط رقم وبطاقة خاصة به تعطي معلومات كاملة عن المخطوط (اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ الوفاة، أول المخطوط، آخر المخطوط، مقاس المخطوط، تاريخ نسخ المخطوط، مميزات المخطوط، المجموعة) كما توجد فهارس على شكل جداول تعطي معلومات أولية للباحث.

قسم المطبوعات:

يحتوي على كثير من المراجع المتعلقة بالمخطوطات وكذا فهارس بعض المكتبات العالمية وكتب ومجلات خاصة بالمخطوطات ومواضيع مختلفة في العلوم ويزيد عدد المطبوعات عن 2500 مطبوع ولها فهرسة خاصة بها.

قسم الكمبيوتر والتصوير الرقمي:

يحتوي على أجهزة كمبيوتر وكاميرا للتصوير الرقمي إضافة إلى آلة التصوير الورقي.

يخدم هذا القسم عملية صف وإعداد الفهرس وكذا تصوير المخطوطات لحفظها ولخدمة الباحثين.

قسم الصيانة:

يحتوي هذا القسم على مواد وورشة متواضعة للتجليد ويتم فيه تنظيف المخطوطات وعمل أغلفة مؤقتة لحماية أوراق المخطوط من التكسر وتجليد الكتب المطبوعة.

مهام المكتبة:

1 - خدمة الباحثين وهي أهم الواجبات والأعمال اليومية التي تقدمها المكتبة للباحثين الذين يفدون إليها من المؤسسات العلمية والجامعات الحكومية والأهلية والأجنبية.
2 - التعريف بالتراث الثقافي الإسلامي وإسهام اليمن في الحضارة الإنسانية وذلك من خلال الوفود الرسمية الكبيرة كرؤساء الدول ورؤساء الحكومات والوزراء الذين لا تخلو برامجهم من زيارة المكتبة وكذا الأفواج السياحية من جميع أنحاء العالم. كما يرتاد المكتبة بشكل يومي أعداد كبيرة من السياح المحليين وطلاب المدارس من محافظات الجمهورية. ويقدر عدد الزوار سنوياً بنحو ستة آلاف زائر.

وقد أعد لهذه الزيارات معرض دائم يحتوي على أكثر من خمسين لوحة من أندر مخطوطات المكتبة وعليها تعليق باللغتين العربية والإنجليزية. كما تعرض داخل موقع قسم المخطوطات نماذج من نفائس المخطوطات.

وشهدت المكتبة خلال الأعوام الماضية وبالتحديد بعد الوحدة المباركة تطوير على مستوى التنظيم والمظهر العام لها وذلك بدعم من الدولة وكذا بعض الجهات الأهلية والمنظمات العالمية ونتمنى أن يلاقي المخطوط نفسه حظه من الدعم.

نشاطات المكتبة

للمكتبة نشاطات عديدة على مستوى المدينة ومدن الجمهورية وخارجها . فبالتعاون مع بعض الجهات والمؤسسات ذات العلاقة تعقد بين الحين والآخر ندوات ودورات في توثيق وترميم وتصوير المخطوطات والمحافظة عليها وكذا معارض للصور وللمكتبة حضور فعال في ذلك.

كما تشارك المكتبة كل عام وضمن المعارض السنوية لبعض المدارس الابتدائية والثانوية بوادي حضرموت وتعريف الطلاب بالمخطوط وكيفية الحفاظ عليه والاعتناء به وإبراز أعلام المنطقة الذين لهم دور في تطور الحركة العلمية.

ولدى المكتبة معرض لأكثر من 50 لوحة من نوادر مخطوطات المكتبة حيث شاركت به في صنعاء وعلى هامش معرض الكتاب الدولي العام الماضي، كما شاركت به في اليوم الأول لتدشين حفل إعلان تريم عاصمة للثقافة الإسلامية 2010م

وعلى كل لوحة تعليق يعرف بها باللغة العربية والانجليزية وهو متاح للمشاركة به في أي مناسبة محلية أو دولية وفي القريب العاجل سوف يصل عدد اللوحات إلى مئة لوحة بإذن الله تعالى .

كما توجد بمدينة تريم مكتبات خطية أخرى منها:

مكتبة السيد محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم ،

صاحب المكتبة هو العلامة شهيد الدعوة السيد محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم الذي ولد في قرية مشطة (احدى ضواحي تريم) عام 1332هـ

وكان عالما نحريرا وشاعرا فصيحا، وهو أحد أعضاء مجلس الإفتاء بتريم آنذاك له عدة مؤلفات تزيد على 17 مؤلفا .

مكان المكتبة الحالي: مدينة تريم - حافة المحضار وهي بحالة جيدة.

عدد المخطوطات الموجودة فيها 238 مخطوطا أقدمها كتاب السراج في نكت المنهاج لابن النقيب المصري والتي نسخت سنة 850 هـ

مكتبات السادة آل سَري

وهي عبارة عن ثلاث مكتبات : أولها مكتبة العلامة محمد بن سالم بن علوي السري جمال الليل الذي وصفه محدث المغرب العلامة الكتاني بقوله مسند تريم بل اليمن وحرزه المؤتمن ولد بسنغافورا عام 1264هـ وتوفي بتريم . وتوجد ببيته بمدينة تريم - السحيل أكثر من 200 مخطوط أهمها ثبت أسانيده إذ كان عالما مسندا

ثانيها مكتبة السيد العلامة ابوبكر بن احمد بن علوي السري جمال الليل ولد بتريم سنة 1309هـ وتوفي بها سنة 1369هـ وكان عالما ورعا تقيا توجد ببيت ابنه عبد الله بتريم - عيديد. وأقدم مخطوط بها كتاب الدلالات المفيدة على ألطريقه الحميدة ل محمد بن حسين الاسلافي نسخت عام 1188هـ .

ثالثها مكتبة السيد عبد الرحمن بن حامد بن محمد السري جمال الليل الذي ولد بتريم سنة 1328 هـ وتوفي بها عام 1402 هـ وكان عالما شاعرا أديبا له ديوان شعر .

توجد ببيت ابنه عبد الرحمن مكتبة بها مطبوعات ومخطوطات يقدر عدد المخطوطات فيها ب 50 مخطوطا

مكتبة مفتي الديار الحضرمية في وقته العلامة عبد الرحمن بن محمد بن حسين المشهور الذي ولد بتريم عام 1250 وتوفي بها عام 1320 هـ وكان عالما فاضلا له فتاوى مشهوره ومؤلفات. توجد مكتبته في بيته القديم بمدينة تريم حافة المحضار

والتي تحتوي على حوالي 60 مخطوطا. أهم كتب المكتبة المخطوط. كتاب شمس الظهيرة الذي ألفه في مجموعة السادة الحسينيين بحضرموت، وكتاب بغية المسترشدين الذي جمع فيه عدة فتاوى

مكتبة السادة آل بلفقيه وتنسب الى العلامة المحقق عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بلفقيه ومن بعده من أولاد وأحفاده إذ أنهم بيت علم وفضل ولد بتريم عام 1089 هـ وتوفي بها عام 1162 هـ توجد ببيت أحفاده بمدينة تريم عدد من المخطوطات تقدر ب 40 مخطوط تقريبا أقدمها كتاب الأذكار النووية للإمام النووي وقد نسخ هذا الكتاب سنة 1104هـ

مكتبة الشيخ عبد الرحمن بن محمد عرفان با رجاء

ولد بتريم عام 1290 هـ وكان عالما فاضلا توجد عند أحفاده مكتبته التي يوجد بها عدد من المخطوطات يقدر عددها ب 30 مخطوطا تقريبا أقدم هذه المخطوطات كتاب الهدية السنية للعلامة عبد الله بن حسين بلفقيه والذي نسخ عام 1255 هـ في حياة المؤلف.

مكتبة السيد الأديب علي بن محمد با عبود

من مواليد ما قبل سنة 1340 هـ وتوفي سنة 1396هـ وكان عالما أديبا شاعرا له مكتبة فيها عدد من المخطوطات تقدر بـ 112مخطوطا نقلت من بيته الكائن بمنطقة بور إلى احد بيوت أسباطه في مدينة تريم

مكتبة السيد عبد القادر ابوبكر بلفقيه

والتي تنسب الى خاله الشيخ سالم بن عبد الله رحيم با فضل بمنطقة خيلة، بتريم والتي يقدر عدد المخطوطات فيها بـ 108 مخطوط أقدمها كتاب رفع الشقاق على حكم مسالة تعليق الطلاق لتقي الدين السبكي والذي نسخ عام 1049 هـ

مكتبة السيد عبدالرحمن بن علي بلفقيه :

والتي تنسب إلى احد أجداده بحارة الخليف بتريم ويوجد بها حوالي 60 مخطوطا أقدمها كتاب مقدمة التوحيد الذي نسخ عام 1184هـ

مكتبة السادة آل بن سميط

الأولى تنسب إلى السيد احمد بن هود بن سميط بمنطقة المجف بتريم وتوجد بهذه المكتبة عدد من المخطوطات مزقت أيادي الإهمال أكثرها وبقى منها حوالي 50 مخطوطا أقدمها حاشية العبادي على التحفه نسخ عام 1216هـ

الثانية تنسب إلى السيد حامد بن سميط بمنطقة خيله والتي تحتوي على حوالي 110 مخطوط أقدمها كتاب شرح منهج الطلاب في الفقه والذي نسخ سنة 994هـ

مكتبة السيد حامد بن محمد حامد باعلوي

(مقام مسجد باعلوي بتريم) والتي تحتوي على حوالي 50 مخطوطا .

مركز النور للدراسات والأبحاث بتريم

يعني المركز بجمع المخطوطات وتصويرها وتحقيقها ونشرها، تأسس المركز بداية عام 1423هـ 2002م. ويهدف المركز إلى:-

1) التعاون وتبادل المساهمات العليمة والخبرات مع المراكز والجهات ذات نفس المجال والأهداف.
2) الحفاظ والتوثيق والنشر والتحقيق لمهمات الكتب المشتملة على المؤلفات العلمية والأدبية والثقافية.
3) إبراز التاريخ الإسلامي عموماً وتاريخ اليمن خصوصاً .
4) نشر التراث العلمي وتدريب الناشئين الراغبين على التحقيق والبحث العلمي.

مكونات المركز

ـ وحدة البحث العلمي وتتكون من :

1) قسم الدراسات وتحقيق التراث .
2) قسم التاريخ .
3) قسم دراسة وتوثيق الأنساب العربية .

ـ وحدة الشؤون الإدارية والخدمات الفنية :

أ) قسم الشؤون الإدارية والمالية .

ب) قسم صيانة المخطوطات ويشمل على :

1) معمل ترميم المخطوطات والوثائق .

2) معمل تجليد المخطوطات والكتب .

ج) قسم التوثيق ويشتمل على :

1) شعبة الفهرسة والتصنيف .

2) شعبة الحفظ والتوثيق للمخطوطات الأصلية.

3) شعبة التوثيق الورقي .

4) شعبة التوثيق الرقمي .

د) قسم الصف والطباعة .

هـ) المكتبة.

الأنشطة والوسائل التي يسعى المركز من خلالها إلى تحقيق أهدافه.

1) التنظيم والتنسيق أو المشاركة في الأنشطة والمؤتمرات والندوات العلمية المختلفة .

2) عقد الدورات التدريبية في مختلف الفنون العلمية والتي تجسد أهداف المركز وخصوصاً في المجالات ا لتالية :

أ) قواعد البحث العلمي .

ب) أصول التحقيق للمخطوطات .

ج) تصنيف وفهرسة المخطوطات .

د) صيانة وترميم المخطوطات والوثائق .

هـ) تجليد الكتب والمخطوطات .

3) دعم وتبني الدراسات المختلفة المنصبة وأهداف المركز .

4) تحقيق ونشر أهم الكتب العلمية والأدبية والثقافية .

5) خدمة الباحثين وتيسير عملية البحث لهم من خلال توفير المراجع العلمية والكتب النادرة.

الأعمال التوثيقية

- في سبيل إتاحة الفرصة للباحث وإعانته على الحصول على معلومات أولية عن المكتبات الأهلية العامة والخاصة في حضرموت، تم عمل مسح أولي لما يقارب 50 مكتبة ومتابعة جمع قوائم لمحتويات بعضها.
- تم جمع مجموعة من المخطوطات من خلال التواصل مع مجموعة من أرباب المكتبات الخاصة بعد ابدائهم النية بتسليم ما لديهم من مخطوطات بشكل عهدة يتعهدها المركز ويتعهد الحفاظ عليها وصيانتها وكذا الحفاظ على الحق المعنوي والمادي لأصحابها عند التحقيق أو النشر وذلك من خلال اتفاق يحفظ ذلك .
- قام المركز بخدمة لما يربو على 30 مكتبة من مكتبات الأربطة والمكتبات الخاصة من خلال القيام بالفهرسة والتصنيف لها والترميم والتجليد والتصوير لبعض محتوياتها المخطوطة أو المنسوخة حسب المتاح .

قسم التوثيق يعتمد على ثلاث طرق في الحفاظ على المورث العلمي لهذه الكتب وهي :-

1. تعهد بعض المكتبات كتبها للمركز وذلك حسب نظم متبعة في المركز .
2. تصوير هذه الكتب بآلة التصوير الورقية لكي تحفظ نسخة مشابهه للأصل .
3. تصويرها رقميا وهي الطريقة المتبعة عالميا والأسهل استعراضا للمخطوط والمحافظة عليه.

- توجد بالمركز مخطوطات أصلية ما يقارب (993) .
- توجد بالمركز من مخطوطات مصورة ورقياً ما يقارب (944) .
- توجد بالمركز من مخطوطات مصورة رقمياً ما يقارب (4849) .
- أجمالي المخطوطات بالمركز هي (6786) مخطوط .

- من أهم وأقدم المخطوطات بالمركز مخطوطة من القرن السادس الهجري وهي في علم الحديث وعنوانها (سنن الترمذي) (للمحدِّث أبي عيسى محمد الترمذي) نسخت بتاريخ (549هـ) .

- وأيضا من أهم وأقدم المخطوطات بالمركز مخطوطة من القرن السابع الهجري وهي في علم الحديث وعنوانها (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء الجزء الأول) للعالم (أبي نعيم الأصفهاني) نسخت بتاريخ (675هـ)
- كما يقوم القسم بالخروج الميداني لتصوير كثير من المكاتب في جميع المحافظات في اليمن وعندنا أمل للخروج خارج البلد .

خلاصة الموضوع

من خلال تنقلنا في كثير من مكتبات وادي حضرموت وبصحبة فريق من مركز النور للدراسات خلال الأعوام الماضية ومن خلال دارسة كثير من البعثات تبين لنا الواقع المرير الذي تعيشه تلك الدور التي تحكي في صمت تاريخ الأجيال حيث تعاني المكتبات الأهلية المخطوطة في وادي حضرموت من عدد من الظروف الحرجة والمشكلات التي تؤدي إلى تلف بعض المخطوطات:

1 - إن المكتبات تؤل بالوراثة إلى عدد من الأفراد مما يؤدي إلى تجزئتها وتشتيتها وتلف بعضها لوقوعها في أيدي من يجهل قيمتها العلمية.

2 - كل المكتبات في بيوت عتيقة مبنية من مادة الطين مما يسهل تسلق الأرضة إليها وتسرب مياه الأمطار .

3 - إن المكتبات صارت مهجورة ولم يتعهدها أصحابها بالصيانة الدورية وعدم إتاحتها للباحثين .

4 - حالة الجفاف والحرارة الشديدة والتي تؤدي إلى أضرار كيماوية تلحق بالأوراق والأحبار.

5 - عدم وجود اعتماد لاقتناء المخطوطات من المواطنين.

6 - ضعف إمكانيات المؤسسات المتخصصة في رعاية المكتبات الأهلية .

وفي الأخير أدعو الله أن يرحم الواقفين لكل المكتبات سواء المكونة لمكتبة الاحقاف للمخطوطات أو غيرها وان يسكنهم الله فسيح جناته. كما أتقدم بالشكر الجزيل لمن ساعد في أن أكون خادماً لهذه العلوم الشريفة.

ملخص:

الأسس الفكرية للتناقضات في السلطة الزيدية دراسة تاريخية لظاهرة تعارض الأئمة الزيدية في اليمن (284-840هـ)•

د / سلوى على المؤيد

أهمية موضوع البحث

تتمثل أهمية موضوع البحث في الآتي: أولا: يمثل الموضوع دراسة للفكر السياسي الزيدي في جانب مهم منه وهو "تداول السلطة" ثانياً: خلو المكتبة العربية من دراسة علمية شاملة للموضوع.

منهج البحث

استخدمت في البحث المنهج التاريخي مستعينة بالإحصاء، ولأن أطروحة الدكتوراة تتطلب اجتهاد الباحث فقد استعنت بأشكال ووسائل وقواعد بيانات كي أختصر التفاصيل، وأترك البحث للتحليل والمقارنة.

مصادر البحث:

اعتمدت في البحث على المصادر الأصلية بحكم كون معظمها مازال مخطوطا، كما استعنت بالمراجع العربية، وماتوفر من الدوريات.

هيكل البحث

يتكون البحث من:

المقدمة :-

وتناولت فيها آلية عملي في البحث الذي دار على فرضية وجود مؤسسة إمامة شهدت تعارضا بين الأئمة وكان لهذا التعارض أسسه الفكرية إضافة على عوامل أخرى.

التمهيد

تناولت فيه موضوع الإمامة فكرة وتأريخا، فتطرقت إلى مفهوم الإمامة ومرجعيتها الفكرية وكيفية ظهور المصطلح عند الزيدية.

الفصل الأول: الأوضاع العامة في اليمن في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري

لاحظت أن نوعين من التطورات كانت وراء خروج اليمن النسبي من دولة الخلافة إلى حالة الدويلات المستقلة، بعضها يتعلق بأوضاع دولة الخلافة نفسها والبعض الآخر يتعلق بتطور الأوضاع العامة في اليمن.

• أطروحة تقدمت بها الباحثة إلى جامعة صنعاء –كلية الآداب– قسم التاريخ. ونالت درجة الدكتوراه في عام ٢٠٠٨م.

الفصل الثاني: الزيدية في اليمن

كرست الأطروحة هذا الفصل لدراسة دخول الزيدية إلى اليمن وتطورها في مدة الدراسة للوقوف على ماإذا كان هذا التطور رتيبا تتابعيا، أو مختلفا لأن الزيدية إضافة إلى كونها خروج على الخلافة فهي لم تتفرد باليمن، إنما شاركتها قوى أخرى وأثر شكل العلاقة بينها وبين تلك الأطراف مجتمعة على تطورها التاريخي، إضافة إلى عوامل ذاتية في الوسط الزيدي نفسه.

الفصل الثالث: نظرية الإمامة الزيدية

تناولت في هذا الفصل دراسة نشأة فكر الإمامة عند الزيدية وتطوره، والاتجاهات التي ظهرت بين زيدية اليمن سواء على مستوى الأسرة العلوية في اليمن أو على مستوى القاعدة الاجتماعية للزيدية.

الفصل الرابع: تعارض الأئمة:

تناولت فيه حالات تعارض الأئمة مستهلة إياه بدراسة لمفهوم التعارض، ثم دراسة لحالات التعارض والصيغ التي تعامل بها المتعارضون مع بعضهم ومع رعيتهم وفهمهم لمواقفهم.

الفصل الخامس: أسباب التعارض:

تضمن هذا الفصل دراسة لأسباب التعارض سواء منها الأسباب المباشرة التي رافقت ظهور حالات التعارض أو غير المباشرة التي قادت إلى التعارض. ومايتعلق منها بالمجتمع والأسس الفكرية التي قامت عليها الزيدية.

الفصل السادس: نتائج التعارض:

تناولت فيه نتائج التعارض وانعكاساته على الوسط الزيدي وعلى اليمن عموماً واشتمل على مبحثين

الأول النتائج المباشرة للتعارض

والثاني: النتائج غير المباشرة للتعارض

خرجت من دراستي با لنتا ئج الاتية :

لم يكن مصطلح (الامامة) بمعنى (شخص مفترض الطاعة متداولا بعدوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وأيام صحابته والأ رجح أنه ظهر فى أواخر النصف الأ ول من القرن الثانى الهجرى) وعبر زيد بن علي عن رفضه للقا ئلين بذلك بقوله «والله ما منا آل البيت إمام مفترض الطاعة».

لم يترك زيد بن علي مذهبا با لمعنى الذي أعطي لهذا المصطلح في عصور لاحقة وما تركه كان تجديدا لمبدأ أو شعار إسلامي اصيل هو «مبدأ الخروج على الظلم»

ظهرت عبر التا ريخ الإسلامي بعض الفرق والمذاهب التي نسبت نفسها إلى زيد لكنها لم تحمل أفكاره بل تناقضت معه.

حمل الهادي عند دخول اليمن فقها هو اقرب إلى فقه أبي حنيفة وفكرا اعتزاليا يحكم «العقل» في شئون الحياة والدين أكثر مما يحكم «النص» على طريقة معتزلة بغداد وابي القاسم البلخي تحديدا لا نة شيخه.

كان السائد في اليمن إلى منتصف القرن السادس الهجري فكر الهادي على الحق يحيى بن الحسين.

أقدم مصطلح استخدم لوصف الكيان الذي اسسه الهادي في اليمن هو الشيعة المعتزلة بحسب المقدسي (ت 380هـ)، عند حديثه عن اوضا ع صعدة.

لم يمنح الوسط اليمني الهادي يحيى بن الحسين فرصة كاملة لتحقيق مشروعه السياسي بل قيده في إطار روح القبيلة الذي يتناقض مع مشروع الدولة.

مرت الزيدية عبر تجربتها في اليمن بثلاث مراحل

المرحلة الاولى:

مرحلة الهادي وتلاميذه وتلاميذ تلاميذه، اتسمت بالاعتدال والتسامح.

المرحلة الثانية:

مرحلة المنصور عبد الله بن حمزة وتلاميذه، اتسمت بالتطرف والتعصب.

المرحلة الثالثة:

مرحلة الاعتدال بدءا من أواخر القرن السابع الهجري، اتسمت بالانفتاح، غير أنها لم تتخلص كليا من مؤثرات المرحلة السابقة.

اعتمد تلاميذ الهادي فكره ومنهجه في التعامل مع الحياة اليومية بعدما لاحظوا أن المرحلة تحتاج أكثر من مجرد أسس فكرية ، فاجتهدوا في أن يعطوا فكره بعدا حياتيا أكثر تفصيلا، فخرجوا بمقولات عقلانية علمية، استخدمها المنصور ضدهم فكفرهم واستباح دماءهم، فضعف مذهب الهادي.

المؤلفات المنسوبة للهادي لاتصمد أمام المنهج النقدي التاريخي، بل يقودنا هذا المنهج إلى أن عوامل عدة دفعت البعض في مراحل تاريخية متعددة إلى تحريف فكر الهادي والتلاعب بمؤلفاته ليتلاءما مع المؤثرات الزيدية الوافدة من العراق وطبرستان.

في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، بدأ الإتجاه الزيدي المتأثر بالهادي، وقد بلغ أقصى قوته في عصر عبد الله بن حمزة.

اختلفت زيدية الهادي في اليمن عن تجارب زيدية في مناطق من العراق وطبرستان والجيل والديلم؛ ففي حين ركزت الأولى على مسائل العدل والتوحيد، ركزت البقية على إمامة أهل البيت .

ساد الاعتقاد بالإمامة كأصل من أصول الدين عند الإتجاه الزيدي المتأثر بمقولات زيدية العراق وطبرستان، بينما كان الأصل الخامس في فكر الهادي هو «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»

أخذت ظاهرة وجود دعوة لأكثر من إمام زيدي مصطلح «التعارض» وفقا للمعنى اللغوي للكلمة والذي ورد في لسان العرب لابن منظور قوله: عارضته فعلت مثلما فعل»

أخذت النظرة لتعارض الأئمة في التغير والتطور، فبدأت برأي الأولين من الزيدية بأن الإمام في كل وقت يجب أن يكون واحدا ، ووصلت في مرحلة إلى تبرير وجود أكثر من إمام، وانتهت بالقول بضرورة إختبار العلماء لكل من دعا إلى نفسه بالإمامة واختيار الأفضل.

توصل العلماء الزيدية بعد القرن السابع إلى إجتهاد جديد لحل مسألة تعارض الأئمة بالطرق السليمه عن طريق إجماع العلماء الكبار على أحد المتعارضين من خلال إخضاعهم للإختبار.

اختلف العلماء وانقسموا كل جماعة تؤيد أحد الأئمة المتعارضين وأصبحوا أطرافا في ظاهرة التعارض، وانقسمت بانقسامهم القاعدة الزيدية وبدأت ظاهرة التعارض تأخذ أشكالاً متعددة كان الصراع بالقوة هو السمة الغالبة عليها .

ظهرت في مدة الدراسة ثلاثة عشر حالة تعارض بين الأئمة الزيدية كان الصراع بالقوة هو السمة الغالبة عليها ، وأدى في معظم الحالات إلى اعتقال أو مقتل أحد الأئمة المتعارضين.

أسهمت الإنقسامات داخل الأسرة العلوية في ظاهرة التعارض.

أسهمت الأوضاع الاقتصادية والمصالح الشخصية في ظاهرة تعارض الأئمة، ولكن المصادر الزيدية تعمدت إغفالها.

تسبب قول الزيدية ب «الدعوة» طريقاً للإمامة في خلل كبير في عملية تداول السلطة، تمثلت في ظاهرة تعارض الأئمة.

كان العامل الجوهري لظاهرة تعارض الأئمة هو العامل الفكري، دون أن ينفي دور الإنتماء الأسري، والأوضاع السياسية والارتباط بمراكز قوى خارجية.

تسببت الحروب الناتجة عن صراع الأئمة المتعارضين إلى إضرار كل طرف بمصالح الطرف الآخر عن طريق عمليات التخريب، والهدم للبيوت والمزارع وعمليات الأسر والقتل. وأدت بالتالي إلى تفكك الوسط الزيدي وانقسامه وضعف السلطة الزيدية .

أدت ظاهرة تعارض الأئمة إلى فقدان الزيدية الكثير من عوامل قوتها وتأثيرها، وأضعفت بالتالي دورها التاريخي والإنساني.

أدت ظاهرة تعارض الأئمة إلى قول العلماء الزيدية المتأخرين بعدم قطعية الإمامة بمعنى أنها ليست مسألة أصولية ويجوز فيها الإجتهاد، ولايترتب على الموقف منها أي تفسيق أو تكفير، (وهو قول الهادي) وأدى ذلك إلى انفتاح الزيدية على المذاهب الأخرى. (القرن التاسع) .

ملخص :

الرسوم والنقوش الصخرية في وادي حضرموت (الألف االثاني قبل الميلاد -الألف الأول الميلادي)•

دراسة أثرية - تاريخية

الباحث/ حسين أبوبكر العيدروس

مدخل:

ملخص لرسالة ماجستير بعنوان "الرسوم والنقوش الصخرية في وادي حضرموت" دراسة أثرية تاريخية. تغطي الفترة الزمنية من الألف الثاني قبل الميلاد إلى الألف الأول الميلادي، وتتكون من خمسة فصول ومقدمة وخاتمة وعدد من الملاحق.

الجدير بالذكر أن الباحث قد استثنى عدداً كبيراً من المواقع المتعلقة بالرسوم والنقوش الصخرية في وادي حضرموت، على أساس أنها قد نُشرت من قبل الباحث من ذي قبل، ولذلك تم الاقتصار على المواقع الجديدة المكتشفة.

في المقدمة: تحدث الباحث عن أهمية ومشكلة البحث، وأسباب اختياره لموضوع الدراسة وأهدافها، وفيها أيضاً يعرض لمنهجية البحث الميداني والمكتبي الذي استخدمه في جمع المعلومات ودراستها وتحليلها.

وفي الفصل الأول: قدم الباحث مدخلاً جغرافياً يوضح تضاريس المنطقة، وفي الجانب التاريخي أوضح الباحث أهم الدراسات الأثرية السابقة في منطقة "حضرموت" بشكل خاص، مع بعض الإشارات لأهم الأعمال الأثرية في هذا الموضوع في مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية.

وفي الفصل الثاني: استعرض الباحث الرسوم والنقوش الصخرية وعلاقتها بالفنون الأخرى المشابهة كالرسم والنحت، واستعرض فيه جوانب

• رسالة تقدم بها الباحث إلى قسم التاريخ -كلية الآداب- جامعة صنعاء 2009م ونال درجة الماجستير.

من تاريخ نشوء الفنون القديمة كتمهيد لموضوعه، بالإضافة إلى التعريف بهذا الفن وأهميته.

وفي الفصل الثالث: يقدم الباحث قراءة جديدة للرسوم والنقوش الصخرية في منطقة الدراسة، ويعرض نتائج الدراسة التي أجراها في «وادي حضرموت» خلال الفترة من 2006 - 2009م، والتي أسفرت عن العثور على (27 موقعاً جديداً) تحتوي على عدد كبير من الرسوم والنقوش، المنفذة بأساليب وطرق مختلفة. وخلال استعراضه لهذه الرسوم والنقوش، قام الباحث بمقارنتها مع الرسوم والنقوش الصخرية من مواقع أخرى في اليمن وشبه الجزيرة العربية، مما ساعده على معرفة الكثير من المعلومات المتعلقة بالأنماط والطرق، بالإضافة إلى التاريخ النسبي الذي اعتمد لهذه الرسوم والنقوش الصخرية اعتماداً على درجة العتق «البلى» وأسلوب ونمط الرسوم، والنقوش بدرجة رئيسه على المقارنة بما يشبهها في مناطق أخرى في اليمن وشبه الجزيرة العربية.

وفي الفصل الرابع: استعرض الباحث المكونات والعناصر الأساسية لهذه الرسوم والنقوش، مبيناً تقسيماتها وأنواعها، ومواقع انتشارها، وقد تم تقسيمها على النحو الآتي:

1. الرسوم الحيوانية
2. الرسوم الآدمية
3. الأدوات والأسلحة
4. الرموز والأشكال الأخرى
5. (النقوش) أو الكتابات

وفي الفصل الخامس: استعرض الباحث الجوانب التكنيكية، والتقنيات والوسائل المستخدمة في تنفيذ الرسوم والنقوش الصخرية، في منطقة الدراسة، وقام بتصنيفها، ومطابقتها مع ما يشابهها في مواقع أخرى مدروسة في اليمن وشبه الجزيرة العربية، ولاحظ وجود عدد من الطرق المختلفة، كالتوقيعات (الطغراء)، ووجود بعض حروف الكتابة بأشكال جديدة، وبعضها كتب بالخط الثمودي، وأخرى مكتوبة بخط الزبور اليماني، ووجد أن معظمها مكتوبة بحروف المسند.

• المشكلة المطروحة:

لم تحظ الرسوم الصخرية بالذات بعناية كما كانت تحظى النقوش أو (الكتابات) التي ارتبطت بها في مرحلة متأخرة من الألف الثاني قبل الميلاد، وظلت على هامش الدراسات التي تنشر من قبل متخصصين وهواة في علوم اللغات، وكانت بعض التفسيرات التي يتناولونها تركز على الجانب السحري أو الجانب الديني في هذه الرسوم فقط، بينما ثمة تفسيرات أخرى تركز على الأشكال الظاهرية للملابس، أو على شكل الشَعر، أو غير ذلك من العناصر التي تجسدت فيها، ولذلك لم تتوسع الدراسات في تفاصيل أكثر عند معظم الذين تناولوا هذا الموضوع إلا فيما ندر، واقتصروا على توثيقها بشكل عام.

وقد نالت بعض مواقع الرسوم الصخرية في شبه الجزيرة العربية حظاً من الدراسات المتخصصة في وقت قريب، كما نالته مواقع محددة في اليمن مثل صعدة بدرجة رئيسة، ثم تلتها مناطق أخرى مثل الضالع، وبعض مناطق في حوض صنعاء.

ونظراً لأهمية هذه الرسوم والنقوش الصخرية في إعطاء الكثير من المعلومات عن حياة المجتمعات القديمة، ومعرفة الحياة البرية، ومعرفة لغتهم، وطرق معيشتهم، إلى آخره من المعلومات التي بلا شك ستكون رافداً مهماً في صياغة التاريخ، بالإضافة إلى أن ماتتعرض له مواقع الرسوم والنقوش الصخرية من تدمير وإزاله نتيجة للزحف العمراني واستخدام الصخور في البناء من أهم الدوافع للاسراع في توثيق ودراسة هذه المواقع.

• أهداف الدراسة:

• القيام بمسح واسع للمواقع الأثرية التي نتوقع بها رسوما ونقوشا صخرية في "وادي حضرموت" وفروعه، وذلك بهدف توثيقها

توثيقاً علمياً سليماً يفيد البحث العلمي مستقبلاً.

- البدء بعمل خارطة أثرية لمواقع الرسوم والنقوش الصخرية، كجزء من الخارطة الأثرية العامة لليمن، بهدف معرفة مناطق انتشار هذا النوع من الفنون، وعلاقته بمناطق الجوار.
- فحص ودراسة محتويات هذه الرسوم، لمعرفة الجوانب المختلفة من حياة الإنسان في المنطقة، وربط المعلومات المستقاة منها بالمواقع نفسها، وبما جاورها من مناطق تدل بعض المؤشرات أن لها صلات بها، وإجراء الدراسات المقارنة.
- التعرف على المزيد من المعلومات عن الحياة القديمة مثل الحياة البرية السائدة في ذلك الوقت، حيث كانت توجد بعض الحيوانات والنباتات؛ كالوعول والنعام وغيرها، ولم تعد موجودة في الوقت الحاضر، أو أنها أصبحت نادرة. وهو ما يُفسر التغيرات المناخية التي سادت المنطقة. بالإضافة إلى إثراء معاجم اللغة اليمنية القديمة بالمزيد من الأسماء والمعلومات عن الكتابة وأشكالها.

- **المنهج**

إعتمدت الدراسة المنهجين العلميين الأثري والتاريخي، فقد كانت الدراسة ميدانية بدرجة أساسية، ولذلك كان المنهج الأثري هو الأساس، إلا أنه كان لابد من الإستعانة بالمنهج التاريخي فيما يتعلق بالخلفية التاريخية ومعرفة الدراسات السابقة التي تمت.

ومن خلال الدراسة التي قام بها الباحث في عدد من مواقع الرسوم بمنطقة الدراسة وغيرها، فقد استطاع تحديد (ستة أساليب) للرسوم والنقوش الصخرية، بناء على الشكل الرئيس المستخدم، وتتدرج تحت هذه الأساليب عدد من التقسيمات الأخرى تمثل الأنواع أو الأشكال والتي تحدد التفاصيل كطرق التنفيذ والمواد المستخدمة.

الأساليب الأساسية للرسوم والنقوش في منطقة الدراسة: الرسم العودي: وهو أسلوب الرسم الشائع في منطقة الدراسة. الرسم الإطاري: وهو أسلوب رسم غير شائع في منطقة الدراسة. الرسم المصمت: وهو أسلوب رسم غير شائع في منطقة الدراسة. الرسم الرمزي: وهو أسلوب رسم شائع في منطقة الدراسة. الكتابة: أسلوب منتشر في معظم مواقع الدراسة، و أشكال حروفه متنوعة، كتبت بالخط المسند وبعض حروف من الثمودي، كما ظهرت أشكال جديدة للحروف والتوقيعات (الطغراء). وتم رسم أشكال بواسطة بعض الحروف. الرسم والكتابة: وهو أسلوب يجمع بين الرسم والكتابة في آن واحد، وهذا الأسلوب شائع في منطقة الدراسة

وهذه الأساليب غير مقتصرة على مواقع الدراسة بـ (وادي حضرموت) فحسب، ولكنها منتشرة في مرحلة العصر الحديدي وعصر الكتابة حتى بداية العصر الإسلامي، في مواقع شبه الجزيرة العربية بشكل عام.

أهم نتائج الدراسة:

تم تسجيل وتوثيق (27موقعاً) جديداً للرسوم والنقوش الصخرية في وادي حضرموت. وقد حصر الباحث في مواقع الدراسة مايزيد عن (223 نقشاً) بخط المسند معظمها أسماء أعلام، بالإضافة إلى بعض الحروف الثمودية وخط الزبور اليماني، وأشكال متنوعة للتوقيعات (الطغراء)، ومنها بعض الحروف المختلفة مثل الباء الذي تعلوه نقطتان في (نقش 95)، وما يزيد عن (100 لوحة) مرسومة تحتوي على حوالي (177 عنصراً) رُسمت بأساليب وطرق مختلفة، وقام بتوثيقها ومقارنتها بما يشابهها في المواقع التي سبق دراستها في وادي حضرموت واليمن ومناطق من شبه الجزيرة العربية.

- وقد كشفت نتائج الدراسة عن وجود عدد من الأساليب الفنية الشائعة خلال مرحلة تمتد من الألف الثاني قبل الميلاد وحتى الفترة السبئية المتأخرة، وكان من الصعب القيام بتحديد جازم وأكثر دقة لتأرخة عدد من الرسوم وبعض النقوش بطريقة المقارنة أو أشكال الحروف فقط نظراً لوجود أشكال متشابهة ربما تتكرر في مراحل مختلفة، وربما تظهر أشكال مختلفة لحروف كتبت في عبارة أو كلمة واحدة، وفي موقع واحد. وقد ينطبق الأمر ذاته على الرسوم في كثير من المواقع، إلا أن الإطار الزمني العام يتقارب في معظم مواقع الدراسة مع تميز بعض المواقع مثل موقع (شعب صياد) الذي حوى نماذج متنوعة وأساليب مختلفة، ومنها رسم الوعل بالأسلوب الإطاري والذي يشابه راسما موجودا بموقع (وادي بني خروص في عمان) من الألف الثاني قبل الميلاد، وكذلك رسوم الجمال في (موقع شعب صياد) التي تشابه تماماً رسوم الجمال في (موقع قبائل الصفاء) في شمال السعودية.
- وجد الباحث نماذج من النقوش المسندية معظمها أسماء أعلام، بالإضافة إلى بعض الحروف الثمودية وخط الزبور اليماني، وأشكال متنوعة للتوقيعات (الطغراء) ووجود بعض الحروف ذات أشكال مختلفة مثل حرف الباء في (رأب إل) في (نقش 95)، وعدد من الرموز المألوفة في مواقع الرسوم الصخرية في اليمن وشبه الجزيرة العربية مثل طبعات الأيدي (الكفوف).
- يظهر من خلال المواقع أنه كان للطرق التجارية الواسعة في وادي حضرموت وعلاقتها بالمناطق المجاورة سواءً في اليمن أو في شبه الجزيرة العربية الأثر الكبير في وجود وتعدد هذه الأساليب المتنوعة خلال الفترة المحددة.

أهم التوصيات:

- يوصي الباحث بالاسراع في حماية مواقع الرسوم والنقوش الصخرية لما تعرضت وما زالت تتعرض له من تدمير في معظم المناطق، مع تكثيف الجانب التوعوي المناسب لتلافي هذا التخريب مستقبلاً.
- يوصي بالإسراع في توثيق ما تبقى من مناطق يحتمل وجود مواقع للرسوم والنقوش الصخرية بها، وإجراء الدراسات باستخدام وسائل التأرخة الحديثة، حتى تكون النتائج أكثر دقة وفائدة.

ملخص نظام الرهائن في عهد الإمامين يحيى حميد الدين وأبنه أحمد حميد الدين 1918-1962م•

أمين الجَبر

ليس ثمة ظاهرة سياسية اجتماعية، حظيت باستهجان ونقد معظم الكتاب والمؤرخين، مثل نظام الرهائن Hostage system في المملكة المتوكلية اليمانية (1918-1962) ، ولم تلق هذه الظاهرة قبولاً سوى من بعض من أرّخ للإمامة من جانب رسمي .

ومع ان الدلائل تؤكد ان الرهائن هي ظاهرة قديمة ليس في اليمن فحسب ، ولكن في دول وحضارات اخرى قديمة، فان ظاهرة اخذ الرهائن في عهد الدولة المتوكلية تحول إلى نظام قائم بذاته، حيث تميز بوسائله المتعددة ومقاصده وغاياته التي تتلخص في تثبيت النظام وفرض الولاء للإمام وللمذهب .

ومع نهاية عهد العثمانيين في اليمن سنة 1918م، أظهر الإمام طموحا في زيادة المساحة التي تقع تحت نفوذه منذ صلح دعان 1911م، وشجعه على ذلك انه بعد خروج الاتراك لم تكن هناك قوة حقيقية تستطيع منافسته، ومع ذلك وجد الإمام نفسه بحاجة إلى إعمال القوة لبسط سيطرته ونفوذه على سائر البلاد، فكان أن استخدم نظام الرهائن على نطاق واسع، وعلى نحو ماسيرد في الدراسة.

ويبدو ان دافعه إلى ذلك ليس فقط فرض السيطرة السياسية، ولكن ايضا فرض الزعامة الروحية من خلال حمل اليمنيين على الانضواء تحت راية المذهب الزيدي-وان لم يفرضه قسرا- ومن ثم الولاء لآل البيت الذين ينتمي اليهم الإمام.

لقد مثل نظام الرهائن واحدا من أبرز مظاهر العنف السياسي للنظام الإمامي الملكي، كما سنرى في هذه الدراسة .

والجدير بالملاحظة أن نظام الرهائن في عهد الدولة العثمانية كان جزءاً من المهام التي أشرف على تطبيقها بعض الولاة الأتراك كما تذكر المصادر التاريخية، في حين أن الائمة العلويين توسعوا في ممارسة هذا النظام لاسيما في عهد المطهر بن شرف الدين (ت 980هـ-1573م)، خلافاً لما كان عليه في العهد العثماني .

وهذا التوسع في تطبيق نظام الرهائن سرعان ماأصبح منهجا أشد وضوحا منذ تسلم الإمام يحيى (ت1367-1948م) مقاليد السلطة والحكم في

• رسالة تقدم بها الباحث الى قسم التاريخ كلية الآداب-جامعة صنعاء ونال بها درجة الماجستير عام 2006م .

صنعاء عام 1918م وإن كان قد مارسه قبل هذا التاريخ عندما كان يمارس نفوذه باعتباره إماما وزعيما روحيا للطائفة الزيدية .

تتناول هذه الدراسة نظام الرهائن في عهد المملكة المتوكلية اليمانية (1918-1962م) كظاهرة تاريخية ذات ملامح سياسية واجتماعية ونفسية، جديرة بالدراسة والبحث، بمنأى عن السرد التاريخي الذي انتهجته الدراسات التاريخية السابقة.

إن التلازم بين نظام الرهائن وخضوع أهل اليمن لسلطة الأئمة الحكام، قد شكل مع مرور الايام عبئا ثقيلاً على كاهل الناس، وبدأ قطاع واسع منهم يعبرون عن ضيقهم من السياسة المركزية المفرطة التي يتبعها الإمام حتى تطور الأمر إلى إعلان بعض القبائل الخروج على السلطة الإمامية.

ولعل المقاومة القبلية المسلحة التي شهدها الريف اليمني منذ عقد العشرينيات في حاشد والزرانيق والمقاطرة والضالع وريمة ومراد والبيضاء، وخولان... الخ، دليل قاطع على رفض سياسات الإمام التي يمثل نظام الرهائن أسوأ مظاهرها على الإطلاق .

ومنذ اوائل الاربعينيات اتخذ التعبير عن رفض نظام الرهائن من قبل بعض شيوخ القبائل منحا جديدا تمثل في الخروج على سلطة الإمام من خلال الانضمام إلى صفوف المعارضة التي بدأت تتشكل آنذاك من مجموعة من المثقفين الذين نزحوا إلى مدينة عدن .

وتحاول هذه الدراسة إثارة جملة من الأسئلة حول طبيعة هذا النظام وتطبيقاته في العهد الملكي، ومدى إسهاماته في ترسيخ نفوذ سلطة الدولة المركزية على حساب مؤسسة القبيلة ونفوذها ، وإذا كان الأئمة الحكام قد اسهموا في جعل نظام الرهائن أحد أعمدة حكمهم، فإن هذا النظام قد ساهم بدوره في زعزعة الأمن والاستقرار بسبب رفضه، ومقاومته من القوى القبلية كما أن حركة المعارضة اليمنية عملت كل مابوسعها على التشهير بهذا النظام من خلال صحفها وأدبياتها .

إن الهدف من هذه الدراسة هو تبيان ماغفل عنه الباحثون والدارسون والذين ركزوا اهتمامهم على البعد التاريخي، ولم يتطرقوا بصورة اعمق إلى الابعاد الأخرى لهذا النظام وإلى آثاره السياسية والاجتماعية والنفسية على ضحاياه، الذين لبث بعضهم سنواتٍ خلف الأسوار ينتظرون الخلاص والعودة إلى أهلهم وذويهم .

وتشير بعض الكتابات التي ألفها الرحالة العرب والأجانب الذين أتيحت لهم زيارة اليمن في فترة مابين الحربين العالميتين ومابعدها، إلى ماتكون لدى هؤلاء الرحالة من انطباعات متباينة تجاه السياسة المركزية المفرطة للنظام الإمامي الملكي، لكن اهم ماتضمنته تلك الكتابات من مواقف لاتخلو من الانتقادات لنظام الرهائن، وفي مقدمتهم أمين الريحاني صاحب كتاب(ملوك العرب)، وسلفادور أبونتي في كتابه المترجم إلى العربية بعنوان (هذه هي اليمن السعيدة) وهانز هو لفريتز في كتابه المترجم إلى العربية بعنوان (اليمن من الباب الخلفي)، ومنهم من برر، ودافع عن النخبة الحاكمة وعلى رأسهم نزيه مؤيد العظم في كتابه (رحلة في بلاد العربية السعيدة) ومحمد حسن عضو البعثة العسكرية العراقية في كتابه (قلب اليمن) وغيرهم .

ومن جهة أخرى، فإن الدراسات العلمية، خصوصاً تلك الأطروحات الأكاديمية التي تعرضت لنظام الرهائن في اليمن الحديث، لم تعطِ الموضوع حقه، فعلى سبيل المثال لا الحصر قدمت كل من دراسة فضل أبو غانم (البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغير)، ودراسة سيد سالم (تكوين اليمن الحديث)، عرضاً عاماً لهذه الظاهرة التاريخية، وأهملت دراسة البيئة السياسية، التي تولد عنها ذلك النظام.

لقد طبق هذا النظام على شريحة من السكان، وخاصة أبناء زعماء القبائل اليمنية،

الذين اعتقلتهم السلطات الإمامية، لضمان ولاء ذويهم، وحرصت على إعادة تنشئتهم العقائدية السياسية على أسس ثقافية تدين بالولاء لشخص الإمام، ليتم إلحاقهم في مرحلة الشباب بالجهاز الإداري والجيشين الدفاعي والبراني.

تمثل الوثائق بالنسبة لموضوع بحثنا مصدراً رئيسياً، كون نظام الرهائن في اليمن لم يدرس دراسة علمية موثقة، لذا كان من الأهمية بمكان الرجوع إلى الوثائق الرسمية لحكومة المملكة المتوكلية اليمانية المتوفرة للباحث في المركز الوطني للوثائق وبعض مراكز الدراسات والأبحاث.

تشكل هذه الوثائق المصدر الرئيسي لبحثنا، فضلاً عن الوثائق ذات الصفة غير الرسمية، التي يحتفظ بها بعض الأهالي، الذين كانت تربطهم صلة مباشرة بالدولة في عهد الإمامين يحيى وأحمد حميد الدين.

وهي تحتوي في مجملها على سائر المعاملات اليومية المتعلقة بنظام الرهائن، والإجراءات التي تتخذها الدولة وكذا الاجراءات التي تتخذها القبيلة لتوفير الطعام والمسكن والتعليم والصحة وعملية المناقلة... الخ، ورعاية الرهائن في السجون والمعتقلات.

وقد احتوت بعض المصادر الأولية، خصوصاً تلك المخطوطات المتوفرة في دار المخطوطات بصنعاء، مادة تاريخية قيمة لبحثنا، كون مؤلفيها عاصروا فترة المملكة المتوكلية اليمانية، بل وتبوأ بعضهم مراكز تنفيذية وقضائية وتشريعية وسياسية، فخرجوا بانطباعات عامة تساعدنا على فهم جوهر نظام الرهائن وتطبيقاته على أرض الواقع.

فكانت هذه الأعمال المخطوطة عوناً لنا في استكمال الدراسة والبحث، خصوصاً مؤلف الحسن بن أحمد الإرياني (صادق التحاقيق بما حدث في قبيلة حاشد والزرانيق)، وكتاب محمد بن عبد الرحمن شرف الدين (البرق المتألق في رحلة مولانا سيف الإسلام إلى المشرق) وكتاب عبد الكريم مطهر الذي حققه محمد عيسى صالحية (كتيبة الحكمة في سيرة إمام الأمة) الذي يسلط الضوء على طبيعة الصراع بين المؤسسة الإمامية والمؤسسة القبلية من وجهة نظر رسمية، أيضاً كتاب أحمد عبد الله الجنداري (الدرر المنتقاة في سيرة الإمام المتوكل على الله وخصاله المرتضاه)، وغيرها من الكتب المخطوطة التي تناولت تلك الفترة.

من جهة أخرى، تقدم لنا المراجع الثانوية معلومات وافرة لايمكن الاستغناء عنها، خصوصاً ماكتبه الزوار والرحالة الأجانب والعرب الذين تطرقوا لنظام الرهائن وممارساته على نطاق واسع في العهد الملكي، وهي على محدودية معالجتها لمظاهر السياسة المركزية ومنهج الحكم الذي سلكه الإمام يحيى وولده أحمد، تساعدنا على فهم هذا النظام وأثره على مستقبل اليمن المعاصر.

أما الكتابات باللغة الأجنبية فلم نعتمد عليها كثيراً، لأنها لم تأت بالجديد فحسي، وإنما كررت ماأوردته المصادر اليمنية.

واستكمالاً للفائدة العلمية، قمنا بالاتصال ببعض الشخصيات التي كانت رهائن في العهد الإمامي الملكي. ولم يبخل الكثير منهم في الإجابة والتعليق على استفساراتنا، ومناقشة بعض الملابسات الغامضة حول بعض الأحداث والمواقف التي تطرقنا إليها في دراستنا.

وقد قسمنا دراستنا هذه إلى أربعة فصول: قدمنا في الفصل الأول تعريفاً لنظام الرهائن لغة واصطلاحاً وانواع الرهائن، التي كانت تأخذها المملكة المتوكلية من رعاياها. كما قمنا بإعطاء خلفية تاريخية عن نظام الرهائن. تبين جذور هذا النظام والغايات المختلفة من استخدامه عبر مراحل تاريخية طويلة.

وخصصنا الفصل الثاني لدراسة الجانب التطبيقي لهذا النظام، حيث بينا فيه الطرق المتبعة في أخذ الرهائن وكيف كانت تتم عملية

المناقلة للرهائن عند انتهاء المدة المحددة لهم، وعدم قبول الإمامة بغير ابن الشيخ رهينة. وهو مايؤكد بان نظام الرهائن كان نظاماً قائماً بذاته له إدارته واجراءاته المحددة وقواعده المنظمة، كما تطرقنا إلى مسألة تعليم الرهائن وتربيتهم في المعتقلات والسجون، ونوعية المنهج الدراسي الذي كانوا يدرسونه والذي كان يكرس مبدأ الولاء لشخص الإمام، ووظيفته الأيديولوجية، التي كانت تخدم مصالح الطبقة الحاكمة والمؤسسة الإمامية، كما تطرقنا إلى تأثير السجن على نفسية الرهائن، واوضحنا مصادر مالية الرهينة، وتناولنا الحالة الصحية للرهائن وأوضاعهم في المعتقلات، ورأي الدين والأعراف في نظام الرهائن عموماً.

وفي الفصل الثالث حاولنا إبراز دور نظام الرهائن المحوري في عملية بسط السلطة المركزية للمملكة وتثبيت دعائمها نتيجة لما أبدته القبائل في بداية الأمر من خضوع واستكانة تجاه تطبيقات هذا النظام، وقد صاحب عملية بسط السلطة المركزية وتعميم نظام الرهائن على معظم مناطق اليمن العديد من التمردات والانتفاضات التي عبرت عن الرفض لهذا النظام، الذي اخذ به الإمام يحيى منذ مبايعته بالإمامة عام 1904م وهو لايزال مجرد زعيم روحي للطائفة الزيدية.

أما الفصل الرابع والأخير فقد تناولنا فيه تأثير نظام الرهائن على الحكم الملكي الإمامي، وأوضحنا كيف لعب دوراً مزدوجاً، فساعد في بادئ الامر على فرض السلطة المركزية وتوسيع رقعتها، ثم تحول إلى عامل من عوامل زعزعة هذه السلطة.

أما الخاتمة فقد ضمناها النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا هذه. ومع ذلك ورغم مابذلته من جهد في هذا البحث، إلا أنه يظل مشوباً بالقصور والنقصان، مادمت إنساناً فالكمال لله وحده. غير أني أستطيع أن أؤكد أني قد تحريت الحقيقة المجردة، قدر جهدي وجعلتها غايتي والتزمت بما قادتني إليه دراستي المنهجية للمواد التي يُسِرَ لي العثور عليها، وجلها مواد من بقايا الإدارة الإمامية سواء وثائق أو مخطوطات.

ختاماً، لابد أولاً أن أشكر الله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل، كما أشكر أستاذي القدير الذي كان خير مشرف على هذه الرسالة أ.د.أحمد قايد الصايدي.

هذا وأني لأرجو أن أكون قد أسهمت في بحثي هذا في إعطاء صورة أقرب إلى الحقيقة للقارىء عن نظام الرهائن في اليمن خلال حكم المملكة المتوكلية، فإن أصبت فذاك ماأرجو وإن أخفقت فحسبي أني حاولت جاداً ومتجرداً، والله من وراء القصد.

الخاتمة

هكذا وقفنا في فصول هذه الدراسة على (نظام الرهائن في عهد المملكة المتوكلية اليمانية) وتبين لنا من خلالها:

أن نظام الرهائن كان وسيلة من الوسائل التي استخدمها الحكام على امتداد التاريخ اليمني القديم والوسيط والحديث لإخضاع الشعب، وضمان ولاء الأسر والقبائل القوية التي يخشى الحاكم أن تهدد حكمه.

أن هذا النظام لم يقتصر على اليمن وحده، بل هو نظام مغرق في القدم مارسه الفراعنة والأشوريون والبابلون والفرس والرومان، وغيرهم من الدول والحضارات القديمة. مما يشير إلى أن التجربة الإنسانية متشابهة في كثير من ملامحها وتجاربها رغم اختلاف الزمن وتباين البلدان والحضارات.

أخذت الدولة العثمانية بنظام الرهائن، فمارسه الولاة الأتراك في اليمن، كما تشير إلى ذلك المصادر التاريخية.

توسع الأئمة العلويون في ممارسة هذا النظام، ولاسيما في عهد المطهر بن شرف الدين (ت980هـ - 1578م) وأسلافه، خلافاً لما كان عليه في العهد العثماني وماقبل ذلك.

مارس الإمام يحيى (ت 1367هـ 1948-م) هذا النظام منذ بويع بالامامة عام 1904م، وكان لايزال مجرد زعيم روحي للطائفة الزيدية، ثم توسع في ممارسته بعد تسلمه مقاليد السلطة في صنعاء عام 1918م.

غدا هذا النظام ، نظاماً قائماً بذاته له إدارته وإجراءاته المحددة، كما اصبح في نظر الأئمة وكتابهم الرسميين جزءاً من تطبيق الشريعة.

تعددت أنواع وتسميات الرهائن في العهد الإمامي المتوكلي (طاعة- عطف- شمل ... الخ) واختلفت تطبيقات هذا النظام من منطقة إلى أخرى، إلا أن الغاية منه كانت واحدة وهي ضمان الولاء والطاعة للحاكم (الإمام).

إن ظروف أخذ الرهائن ووضعهم البائس في المعتقلات كان يشكل -بشكل أو بآخر- مايمكن أن نسميه، عنفاً سياسياً، خصوصاً وأن معظم الرهائن كانت تؤخذ عنوة، إثر كل معركة كان يخوضها الجيش الإمامي وينتصر فيها.

شكل نظام الرهائن عاملا هاماً من العوامل التي ساعدت المملكة المتوكلية على بسط سلطتها المركزية والحفاظ على تماسكها في بداية عهدها ثم أصبح عامل هدم لها إذ ولد الكثير من التمردات وأجج روح المعارضة والرفض لنظام الإمامة بكامله.

شمل نظام الرهائن معظم -إن لم يكن كل- مناطق المملكة، كما شمل معظم الأسر القوية في اليمن، باستثناء بعض المقربين إلى الإمام من السادة، ممن كان الإمام مطمئناً إلى ولائهم له.

كانت القبائل اليمنية لاتقبل بنظام الرهائن إلا في لحظات ضعفها وهزيمتها. ولكنها إذا ماآنست في نفسها بعض القوة فإنها لم تكن تتردد في إظهار تذمرها ورفضها له، بل وإعلان الحرب على الدولة إذا تمادت في أخذ الرهائن.

ساعد نظام الرهائن في ضياع فرصة توحيد اليمن، بل وفي ضياع بعض المناطق (نجران- عسير- الضالع) التي كان من السهل انضوائها في إطار المملكة المتوكلية، وذلك لما سببه من خوف لدى شيوخ وأمراء تلك المناطق، من أخذ الإمام أولادهم رهائن لدية.

استخدمت المعارضة موضوع الرهائن كاداة لفضح وحشية النظام الحاكم وعدم إنسانيته واستمرت في حملتها ومطالبتها بإلغاء نظام الرهائن، حتى تم إلغاؤه فعلاً بعد قيام ثورة سبتمبر عام 1962م.

كتاب الإعلان بنعم الله الواهب الكريم المنان في الفقه عماد الإيمان للترجيعات في العروض والنحو والتصريف والمنطق وتجويد القرآن

تصنيف شيخ الإسلام أحمد بن عبدالله الوصابي السلمي الزبيدي الشافعي الشهير بالسانة المتوفى 1122هـ رحمه الله ونفع به آمين اللهم آمين

دراسة وتحقيق
عرفات عبد الرحمن عبدالله الحضرمي *

تمهيد:-

إن المتتبع لبداية الحركة العلمية في اليمن يجد أن أفراد قبيلة الاشاعرة ومعها القبائل اليمنية كانوا أكثر وعيا وإدراكا ونضوجاً بحقيقة الرسالة المحمدية وذلك منذسماعهم بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم ودليل ذلك أن في اليمن جامع الاشاعرة وهوخامس الجوامع الإسلامية في العالم بعد مسجد قبا والمسجد النبوي.

ومن أدلة وعي اليمنين بالرسالة الإسلامية وجودعدد كبير من المساجد والجوامع الإسلامية المبنية في العهد المتقدم من الزمن وكذ لك توارث اليمنيين لهذا الكم الهائل من التراث العلمي(المخطوطات) والذي أفرزته حضارة أربعة عشر قرنا حتى أصبحت اليمن بذلك هي الملتقى الثاني والمركزا لعلمي لكافةالبلدان العربية والإسلامية وإحدى أهم المراكز الحضارية بعد مكة والمدينة.

ويمكننا هنا أن نستشهد بقول الدكتور/ خليل الكبيسي المشارك في مؤتمر جامعة الحديدة للعام 2004م بدراسة بحثية علمية عنوانها

(جهود علماء زبيد في القراءات) جاء فيها (ولمكانة علماءاليمن وزبيدايضا في القراءات إسهامُ كبير فإن من علماء القراءة من كان إذا ألف كتابا في القراءات يرسله إلى زبيد، ويعرضه على قرائها، كما فعل المقرئ حسن بن محمد بن سعيد البدر الشظبي المولود سنة (789 هـ) أخذ بتعز وصنعاء علم القراءات السبع، ولما ألف كتابه (الزراري المسفرة نظم الدرة في القراءات) أرسل إلى زبيد بنسخة

• عرض لدراسة وتحقيق المخطوط أعدها الباحث ويضع اللمسات الأخيرة لتقديمها للطبع. الإكليل.

منه[1]. وأيضا في تتبع وحصرلطلاب العلم في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ذكر المؤرخ الاستاذ/ عبد الرحمن عبدالله الحضرمي رحمة الله عليه قائلا (وفي عام1355هـ بلغ آخر رقم قياسي لطلاب العلم في زبيد وحدهاخمسة آلاف مهاجر من جميع أنحاء اليمن والحبشه واريتيريا والصومال وإندونيسيا وكلهم على نفقة الأوقاف في زبيد[2]..

وأمام هذه الجهود العلمية لعلماء اليمن وأدبائها ومثقفيهاوقفت حائرا أمام هذه الثروة الإسلامية العلمية فاستخرت الله تعالى قبل إقدامي على دراسة هذه المخطوطة حتى توصلت إلى ضرورة تقسيم هذه الدراسة إلى أربعة فصول لكل فصل عدة أقسام:-

الفصل الأول :- دراسة منهجية

- (بين المخطوطة ومؤلفها) :-

حينما أقنعت نفسي بالإقدام على دراسة مخطوطة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الله السانة ترددت كثيرا لأن الكتاب عظيم وذو أفكارمتعددة وبه فوائد عديدة وعلوم متنوعة وأنا لست من أهل هذا الباع الطويل وأخاف ألاَ أوفي هذه الدراسة حقها.

ولكنني إستخرت الله العظيم وبدأت البحث فوجدت التيسير والتوفيق من الله عزوجل مماسهل لي القيام بهذا العمل مع العلم أن لشيخ الإسلام تصانيف عديدة و له مكانة علمية عظيمة كما أن له إسهامات كبيرةفي العديد من المجالات العملبة والسياسية ومن أهم إسهاماته وأكثرها تأثيرا كتبه المتنوعة في علم المساحة و المواريث وعلم الفقة وأصوله وعلم اللغة وآلاتها، وكذا براعته في العديد من المواد العلمية الاخرى. ولهذاكان لزاما علي أن أتم متابعتي في البحث عن نسخة ثانية وثالثة من هذا المخطوط حتى أتمكن من دراسة وإخراج هذا السفر الفريد. وكما بحثت أيضا في العديد من المكتبات العامة وخاصة في المدن الرئيسية التالية (صنعاء -تعز - الحديدة- حضرموت) وذلك من أجل أن أعرف وأتأكد من أن كتاب الإعلان لم يتناوله أحد من العلماء لاتحقيقا ولادراسة، وفعلا لم أجد أحداً قد تطرق إلى ذلك. وكنت قد بحثت أيضا في كتب ومطبوعات وفهارس الموسسات العلمية الأخرى ورسائلها المحلية والخارجية فلم أجد لهم أي تحقيق أودراسة لهذا الكتاب. كماكنت أيضا أسأل كل من وصل الينا من الباحثين الاكاديميين عن هذا الكتاب وهل قد بلغ إلى علمكم تحقيقا لهذا المخطوط فكان الجواب لانعلم و لم نسمع. ولهذا أقول بأن هناك حقيقة واضحة وهي أن مؤلفات علماء اليمن في المكتبات العلمية المحلية و الخارجية لم تحظ بالإهتمام والبحث الكافيين من المختصين أوحتى من المؤسسات المهتمة بالعلم كما وأنه وإلى هذه اللحظة لم يتم إعداد مقترح يتضمن دراسة علمية لبحث كيفية إخراج المخطوطات اليمنية أو حتى دراسةإمكانية طرق الحفاظ عليها أو ترميمها أوحتى البحث عن الكتب العلمية النادرة وأقتنائها وإخراجها إلى حيز الوجود .مع العلم أنه في الآونة الأخيرة وجدت بعض المؤسسات العلمية والمنشأة محليا تسعى حاليا للبحث عن هذه الذخائر العلمية والإحتفاظ بها وتحقيقها ولكنها تواجه صعوبة كبيرة منها قلة الدعم وضعف التعاون من قبل المالكين لهذا التراث العلمي .

وأقول أيضا حينما بدأت بالبحث بأول خطوة من هذه الدراسة وجدت نفسي أمام متطلبات كبيرة وكثيرة عرفت حينها أن الوقت سوف يكون طويلا وأن دراسة أوتحقيق مثل هذه المخطوطة يحتاج إلى دعم متواصل وجهد كبير ولكني لم أتوانَ أو اتراجع أوانتظر دعما من مؤسسة ما، فبدأت بأول الخطوات وهوالبحث

(1) بحث مقدم إلى مؤتمر جامعة الحديدة2004م د/ خليل رجب حمدان الكبيسي.

(2) المؤرخ/ عبدالرحمن الحضرمي جامعة الاشاعر مخطوطة منقحة ومزيدة تحت الطبع صـ635.

عن المخطوطة الثانية وبتيسير من الله عزوجل حصلت عليها بعد بحث طويل إستمر عاماً ونصف العام وكان من أهم مواقع بحثي عن هذا السفر في العديد من المكتبات التهامية فلم أجدها قط. ثم تلا بحثي ايضاخارج المكتبات التهامية فذهبت إلى محافظة حضرموت في العام 2001م فوجدت المخطوط في مكتبة الاحقاف بمدينة العلم تريم فحمدت الله تعالى رمزت لها بالحرف (ح) نسبة إلى حضرموت وحينها شعرت بأني المسؤول الأول عن إخراج هذه المخطوطة ودراستها وعلي واجب إخراجها وخاصة أن المخطوطة المنسوخة الثانية تحمل الرمز (ز) نسبة إلى مدينة زبيد حرسها الله وقدكانت موجودة في مكتبة السيد العلامة أحمد بن عبد القادر الأهدل بزبيد كما توجد نسخة مصورة في مكتبة والدي رحمه الله تعالى وهنا شرعت بكتابة المخطوطة الأصل في الحاسب الآلي بكل صبر وتأني، وهذه الخطوة كانت هي البداية الأولى وكان ذلك بتاريخ 29 ابريل من عام2004م .

- **منهج وخطة العمل في المخطوط :-**

بعد طول البحث وتوفيق الباري عزوجل بحصولي على المخطوطتين الأولى وهي الأم (ح) حضرموت والثانية (ز) المنسوخة والموجودة في زبيد قمت بإعداد خطة عمل لتنفيذ برنامج يتضمن خطوات وإنجازكتابة هذا المخطوط فكان حسب النظام التالي :-

1 - تم قراءة المخطوط كاملا و المقابلة مع النسخة الثانية.

2 - تم القيام نسخ المخطوطة الأم الأصلية كاملة في جهاز الحاسب الآلي بنظام الوورد2004م وقدرمزت كما سبق للمخطوط الاصلي بالحرف (ح) نسبة إلى حضرموت (مكتبة الأحقاف).

3 - بعد الانتهاء من كتابة المخطوطة (ح) تم مقابلتها مع المخطوطة الثانية والتي رمزت لها بالحرف (ز)نسبة إلى مدينة زبيد مقر المخطوط المنسوخ .

4 - في اثناءالمقابلة بين النسختين تم تقييد وتوثيق جميع العبارات المختلفة بين المخطوطتين .

5 - بعد الانتهاء من المقابلة بين المخطوطتين تم إستخراج جميع الفنون العلمية وإفرادها في آخر الكتاب بطريقة رسائل منفصلة كماوضعت جميع ملحقاتها في آخرالكتاب حتى يسهل للطالب والعالم قراءتها.

6 - بعد الانتهاء من كتابة المخطوط كاملا كان لابد لي من تمييز جميع هذه العلوم كلها فأفردت كل فن بلون مختلف عن الآخر حتى يسهل للمطلع التمييز بين الفنون وسهولة القراءة.

أ- معطيات منهج العمل السابق :-

في هذه الفقرة سوف نظهرالمعلومات والمعطيات التالية :-

نتائج كتابة المخطوط الاصلي (ح):-

- تبين لي من خلال كتابة النصوص أن المخطوطة (ح) هي الأصل وقد تم كتابتها بخط تلميذ شيخ الإسلام وهو الشيخ عبد الرزاق الخولاني وعلى هذا نستنتج أن صاحب الإعلان قدأعتمدهذه النسخة الأصلية بدليل أنه قام بمراجعتها مع الناسخ المذكور في مجالس عديدة وقدذكرذلك في مقدمته
- في المخطوطة (ح) قام الناسخ بإعتماد اللون الاحمرلجميع الفنون العلمية الخمسة بحيث تسهل قراءة هذه المتون.
- في أثناء المقابلة بين المخطوطتين (ح).(ز) لم نجد إختلافات جوهرية كبيرة كما سوف نوضح لاحقا في منهج دراسة النصوص.
- بعد الانتهاء من مقابلة النسختين (ح).(ز) قمت بمعالجة النصوص بشكل لايؤثر على منهج وأسلوب ومعنى العبارة كما تم معالجة جميع العبارات المختلة والمتآكلة نتيجة حشرة الأرضة.

ب- منهج تحقيق العبارات :-

كانت هناك صعوبات كبيرة من أجل تحقيق العبارات الواردة في المخطوطتين مما استغرق مني وقتا كبيرا نظرا لطول فترة مقابلةالعبارات المختلة بين المخطوطتين وتصحيحها وخاصة اذاما كانت المخطوطتان (ح).(ز) بهما تآكل أو خروم في الورق كما كانت كتابة المخطوطة في الحاسب الألي وقراءة هذه النصوص تحتاج إلى خبرة كافية حتى يستطيع الكاتب فك جميع العبارات المتداخلة بعضها عن بعض وذلك أثناء نقلها في الجهاز. ولهذا كانت خطوات العمل في المخطوطتين فيها صعوبة كبيرة وخاصة في الصفحات الأولى من المخطوطة (ح) الأصلية ومع هذا فقد وضعت منهجا بكيفية دراسة النصوص تمثل في النقاط التالية :-

1 - أثناء حصولي على عبارة غير مكتملة أو متداخلة مع عبارة اخرى (أقوم بفك العبارة من حيث الجانب اللغوي أوالحرفي لكل العبارات الأفقية والعمودية وذلك بعد معرفتي وقراءتي على أقل تقدير لحرفين أو ثلاثة أحرف من الكلمات المتداخلة)حتى أتمكن من قراءت العبارة التي واجهتني بها هذه الاشكالية.

2 - بعد الانتهاء من كتابة المخطوطة الأصلية (ح) قابلتها مع المخطوطة الثانية (ز) وتبينت لنا الأمور التالية:-

- وجدت نقصا لبعض العبارات في المخطوطة الأصلية (ح) كما وجدت نقصا لبعض العبارات في المخطوطة (ز) فأتممت النقص من نصوص المخطوطة المستوفاة للعبارة ومن ثم طباعتها في الحاسب الآلي واثباتها في الهامش .
  - إعتمدت المخطوطة الأصلية (ح) في كتابتها على الحاسب الآلي وذلك لسببين:-
  - أن المخطوطة (ح) كتبت تحت إشراف المؤلف كما ورد ذلك في مقدمة الكتاب.
  - تعتبر المخطوطة الأصلية (ح) كاملة ولايوجد بها نقص شديد ماعدا بعض الكلمات المتداخلة أو المتآكله.
- وجدت بعض العبارات لم يتم تنقيط أحرفها في المخطوطة الأصلية (ح) فقمت بوضع النقط لهذه العبارات في الجهازالآلي وذلك بعد مقابلتها مع المخطوطة (ز) حتى يتسنى لي قرآئتها بشكل صحيح ولكثرة العبارات الغير منقوطة عمدت إلى ذكرها هنا من غير تمييزها.
- بعدها قمت بإصلاح بعض العبارات والتي لم تفهم معانيها بسبب دمج حرفين بعضهما ببعض أوبسبب خروم الأرضة ووضعت الصحيح بين معكوفتين {} في الهامش وذلك لقلتها وندرتها.
- قمت بضبط بعض الكلمات بالحركات من أجل أن تقرأ على الوجه الصحيح .
- إسخرجت كل الفنون العلمية الأحدى عشر من الجدول والأعمدة بصورة منفصلة حتى يصبح قرآءة النص متماشيا مع المنهج العلمي السليم والطرق التقليدية المتعارفه

- **وصف المخطوطتين :-**

- وصف النسخة الأولى (ح) الاصلية:-

اسم الناسخ	مكان النسخ	تاريخ النسخ	نوع الخط	عدد الورق	مقاس الخط	مقاس الورق	الحبر
عبد الرزاق الخولاني الشافعي	زبيد	1114هـ زمن المؤلف	نسخ	116ورقه	20X20سم	30X40م	احمر + اسود

- وصف النسخة الثانية (ز) :-

اسم الناسخ	مكان النسخ	تاريخ النسخ	نوع الخط	عددالورق	مقاس الخط	مقاس الورق	الحبر
عبد الله بن أحمد حسين المسلمي الموقري	زبيد	1263هـ	نسخ	232ورقه	20X25	30X40سم	اسود +احمر

• **الوصف الداخلي للمخطوطة (ح) ، (ز) :-**

- الهوامش / يستخدم الناسخ الهوامش في جميع الصفحات لغرض توضيح بعض معاني الكلمات وكما توجد هوامش صغيره باللون الاسود .
- التعديلات / توجد بعض التعديلات والخدوش في المخطوطتين.
- ترتيب الصفحات / يرتب الناسخ الصفحات وذلك بإستخدام الكلمات أسفل الورقة لتكون علامة على بداية الصحفة المقابلة.
- المظهر الخارجي للمخطوطتين / المخطوطتان بحالة جيده وبهما غلاف قوي يحميهما من التلف. كماأن العنوان بالنسبة للمخطوطتين مكتوب بخط كبير وكذلك مكتوب إسم المؤلف بالكامل في الصفحة الأولى .

(انظر الصور المرفقة آخر الكتاب)

• **منزلة الكتاب العلمية وأهميته :-**

تعتبر مدينة زبيد واحدة من أهم المدن اليمنية التاريخية وقد لعبت دورا علميا وثقافيا عبر التاريخ وأمتد تاثيرها إلى كافة الدول الإسلامية لأن بها خامس مسجد بنى في الإسلام وهوجامع الاشاعرة، وهي أول جامعة إسلامية وعاصمة اليمن على مدى أربعة قرون من الزمن وحاضرة ثمان دويلات متعاقبة إمتدت 13 قرنا إبتداءً بالاشاعرة وحتى العثمانيين وهنا يصف لنا ا لفقية والمؤرخ / محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي في كتابة السلوك الجزء الأول صـــ 546 مدينة زبيد بقوله (ثم اعلم أن أكثر بلد اليمن من زمن متقدم على زماننا فقهاء ومتفقهين وعلماء محققين مدينة زبيد).

إذا من خلال هذه العبارات سوف يظهر لنا جليا بأن المناخات العلمية كانت متواصلة في زبيد ومنها الهجرة لطلب العلم في هذه المدينة ، و شيخ الإسلام كان أحدالطلاب المهاجرين إلى هذه المدينة و قد تأثر كثيرا بهذه الأجواء العلمية السائدة بها وذلك منذ دخوله زبيد عام 1077 هـ وحتى مطلع الربيع الأول من القرن الثاني عشر الهجري . (1) كما أن أهمية كتاب الإعلان يأتي كونه مشتملا على عدة فنون منها علم الفقه و العروض والنحو والتصريف والمنطق وتجويد القرآن. والواقع أنه كتاب منقطع النظير فعندما تريد أن تقرأ كلمة بشكل عمودي تجد العروض وعندماتريد أن تقرأبطريقة أفقية تجد أن المعلومات في علم الفقه ومثل ذلك عند ماتقرأ عموديا مرة اخرى ابتداء بأول حرف فقط من آخركل سطر تجد فن علم التجويد ولهذا أفردت فصلا خاصاً بها.

ومع ذلك فإن قيمة وأهمية كتاب الإعلان تكمن في براعة ترتيبه وأحتوائه على علوم متنوعة وتكمن أهميته أيضا بأنه يعتبر المنهج الأساسي لتدريس طلاب العلم المبتدئين وقد أشار إلى ذلك المؤلف. كما أن الكتاب يحتوي على مجموعة علوم مهمة و مبسطة.

---

(1) معلومة موثقة من أصل المخطوط (ح) نص ترجمة المؤلف لنفسه بعد دخوله زبيد.

ولهذا فإن شيخ الإسلام يعتبرثالث أهم العلماء اليمنيين والذين أستطاعوا تطويع الكلمات والحروف كما وأنه يعتبرآخر علماء القرن الثاني عشرالهجري والذي إستطاع بفضل الله عزوجل ثم بذكائه صناعة مثل هذا الكتاب العلمي المفيد. واخيرا رُغم البحث المتواصل لم أقف بعدها على مؤلفين من القرنين الماضيين إبتكروا مثل هذا المؤلف البديع.

- ترجمة المؤلف:-

1 - اسمه :- هو شيخ الإسلام هكذا هي كنيته المعروفة عند علماء زبيد وعامتهم وشواهد ذلك موجودة في الفتوى المنقولة عنه أماإسمه فهو أحمد بن عبدالله السانة السلمي الزبيدي الشهير بابن السانة.

2 - مولده :- لم تسعفنا المراجع التاريخية بمكان ولادته إلا أنني من خلال الإطلاع والقراءة على نص ترجمة المؤلف لجزء من حياته تأكدلي بدلالة قطعية بأن مولده في وصاب العالي هذا وقد أورد أيضا السيد محمد بن محمد زبارة الصنعاني مكان ولادته [1] قائلا (الشيخ الامام مفتي زبيد أحمد بن عبدالله السانة من قرى بلاد وصاب العالي الشافعي اليمني).

3 - مشائخه :- على الرغم من سعة علمه ومؤلفاته الكثيرة في شتى العلوم لم يذكر لنا المؤرخون عن شيوخه إلا قليلا.

فمن أهم شيوخه:-

1 - العلامة محمد باقي المزجاجي [2] أخذ عنه في الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والنحو والتصريف والبيان والحديث وأخذ عن علماء الشافعية بزبيد في الفقه والأصول والفروع والتفسيروالحديث.

(1) نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الالف العلامة محمد بن محمد يحيى زبارة الصنعاني صـ155ج 3 .

(2) جامعة الاشاعرة عبد الرحمن الحضرمي (تراجم) مخطوطة.

2 - القاضي أحمد بن اسحاق جعمان المتوفى 1110هـ .

4 - تلامذته :- ذكرت لنا المصادر التاريخية أن لشيخ الإسلام تلاميذ كثيرون وصلوا إلى مكانة عالية في مراتب العلم والفقه والفتيا والقضاء والتأليف أهمهم:-

1 - العلامة محمد بن زياد الوضاحي ممن أخذ عنه واستجاز منه،

2 - كما استجازمنه ايضا القاضي طه بن عبد الله السادة الشافعي الجِبْلي المتوفى 1141هـ[3].

5 - أقرانه ومعاصروه:- كان من أهم علماء هذه المرحلة والمعاصرين له هو السيد العلامة يحيى بن عمر الأهدل مؤسس رباط الأهدل المشهور بزبيد، وقد كان بينه وبين شيخ الإسلام سجال كبير وردود علمية واسعة وسببها أن شيخ الإسلام أحمد السانة قام بإحداث أربع عشرة مقصورة(غرفة) في الجناح الشرقي بالجامع الكبيروذلك اثناء توليه نظارة الأوقاف بزبيد .

6 -مؤلفاته:-

1 - الإعلان على منوال كتاب عنوان الشرف للشيخ العلامة إسماعيل المقري[4] هو هذا الكتاب.

2 - منظومة في المساحة مع شرحها الإراحة في علم المساحة مخطوطة [1].

(3) نشر العرف المصدر السابق.

(4) إسماعيل بن ابي بكر بن عبدالله بن ابراهيم الشرجي المقري الشاوري الزبيدي اليمني.

- ولد في قرية ابيات حسين عام 755هـ1354-م والمتوفى عام837هـ1433م في مدينة زبيد كان إمام عصره في الفقه ودقائقه وعلوم اللغة وغيرها من العلوم قصده طلاب العلم من جميع انحاء اليمن وقد اثنى عليه السخاوي ، وابن حجر، والسيوطي ولقبوه بعالم الديار اليمنية وفقيهها ومفتيها المرجع/ بحث مقدم من الاستاذ حسن محمد علي العاقل بعنوان (الفنيات الأدبية في هندسة الكلمات)1998م . وقبر المقري معروف ومشهورفي مقبرة الشيخ اسماعيل الجبرتي.

3 - شرح كتاب الأفهام المراحة في رياض المسرَّة والإراحة لطالبي علم المساحة مخطوطة[1].

4 - رد على الصوفية ترتيب الأهم مما جعل من طبقات السبكي.

5 - فائدة تعلم علم النحو وأول من قام بتاليفه مخطوطة[1].

6 - غاية الآمل في جواب السائل عما يقع في دفن الاموات من الخلل مخطوطة[1].

7 - حسن الأمل فيما يفضل فيه القليل من العمل مخطوطة[1].

8 - إتحاف (إعانة) الإخوان بوصية نصيب وارث لو كان مخطوطة[1].

9 - القدر الكافي في علم العروض والقوافي مخطوطة[1].

10 - النصر المفيد والرد على الموضوع المسمى القول السديد الخارج عن سبيل النجاة إلى السبيل المبيد بالإعتراض على الناظر في إصلاح جامع زبيد مخطوطة[2]

11 - منظومة في عدد المقروءات.

12 - طرفة الطلاب لعلم الحساب [3].

13 - إبانة مايدخل في رضى الله ومقته [4].

14 - ترويح ذوي الإمعان مع محاولة في علم الجبر والمقابلة[5].

7 - وفاته :-

لم أجدأي مرجع من المراجع التأريخية يحدد لنا مكان وتاريخ وفاة شيخ الإسلام أحمد السانة بل إختلفت أقوال المؤرخين ولهذا أود أن أقول بأنه كان لي الحظ الأوفر والسبق الأول في أن أخرج هذه المعلومات والتي لم يسبقني إليها أحد ومنها أنه قد أرخ شيخ الإسلام لجزء من مراحله الاولى من دخوله مدينة زبيد كما وثق تلميذه عبدالرزاق الخولاني الشافعي مكان وتاريخ وفاة شيخه وبذلك نستطيع أن نثبت هذه الحقائق بموجب المصدرالأصلي لهذه المعلومة في المخطوطة(ح) والتي لم توثق من قبل بشكل صحيح وذلك لسببين:-

1 - أن خروج شيخ الإسلام من زبيدعام 1116هـ بسبب كثرة الصراعات والإختلافات المتواصلة بين شيخ الإسلام أحمد السانة وبين السيدالعلامة يحيى بن عمر الأهدل حيث كان للآخير مؤيدوه كما كان لشيخ الإسلام مناصروه، أدى كل ذلك إلى إنقطاع أخباره عن المدينة .

2 - السبب الثاني ضياع مواهب الطلاب وتشتيت إبداعاتهم العلمية وهذه حقائق الكل يعرفها و هناك نماذج نجت من الأزمات نظرا لإصرارهم الصادق وإخلاصهم لله تعالى في القول والعمل، ولهذا حصل لهم التأييد ونصر الله بهم الحق وأذهب بهم الباطل ومنهم شيخ الإسلام اسماعيل المقري والشيخ العالم الصِّدِّيق الخاص والسيدالعلامة محمد داود حجر القديمي وغيرهم وقد وصف الأخير مشاكله مع أهل زبيد بقوله :-

إنني من عماء أهل زبيد
في عناٍ لازم وكرب شديد

إلى أن قال:

ويقولون إنهم أهل علم
بذلوه للطالب المستفيد
غرهم إذ جرت رقوم بفيهم
وأنطلاق الأقلام بالتقييد

وعودة إلى ماحصلت عليه من نصوص وبيانات عن وفاة المؤلف ومكان وفاته فإنهاالاوثق لسببين:-

(1) هذه المخطوطات موجودة في مكتبة الشيخ الفاضل الاستاذ/ أحمد محمد عبد اللطيف جعفر واطلعت عليها بنفسي وذلك اثناءبحثي عن معلومة تفيدني في إخراج هذا المخطوط ومنها نسخ اخرى لدى االشيخ الفاضل محمد أحمد عاموه مدرس جامع دحمان بسوق الهنود بالحديدة .

(2) مخطوطة في مكتبة المؤرخ عبد الرحمن الحضرمي برقم م/ح 2 .

(3) نسخة موجودة لدى الاخ يحيى بن محمد الجنيد ذي السفال ذكرها واطلع عليها القاضي اسماعيل الاكوع المرجع هجر العلم ومعاقله الجزء الثاني ص1146-1147 (الاكوع).

(4)(5) القاضي اسماعيل الاكوع المرجع هجر العلم ومعاقله الجزء الثاني ص (1146-1147).

أ- السبب الأول أن المؤلف هو الذي ترجم لنفسه في آخر المخطوطة الأصلية (ح) .

ب- السبب الثاني أورد الشيخ عبدالرزاق الخولاني تلميذ شيخ الإسلام إبن السانة تأريخ وفاة شيخه ومكان الوفاة وموضع قبره في نفس المخطوط (ح).

والنص كاملا كما يلي : (انتقل إلى رحمة الله تعالى المؤلف سيدنا العلامة الوحيد في مصره بالعلم والعمل وإزالة المنكرالفهامة أحمد بن عبدالله السانة رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فسيح جناته ثالث شهر صفر 1122هـ اثنتين وعشرين ومائة بعد الألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في بلده بمخلاف أصاب في المخلاف[1] الذي يقال له نقذ[2] في شرقي جبل السانة[3] وقبره ثم معروف مشهور رحمه الله رحمة الابرار ووقاه عذاب القبر والنار وأسكنه جنات تجري من تحتها الانهار.

- نص ترجمة المؤلف لنفسه :-

كان لهجرة الصحابي الجليل أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وأفراد قبيلته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر كبير وواضح على وادي زبيد ومدينته المباركة تمثل في نشر تعاليم الإسلام وبذلك أصبحت مركزا علميا ولها تأثيرها الواضح على المدن اليمنية الأخرى وذلك من خلال تواصل الهجرة إليها بعد أن قام أفراد قبيلة الاشاعرة بأول هجرة إلى الرسول محمدصلى الله عليه وسلم وبهذا كرس ورسخ للعلماء وعلى مدى أربعة عشرقرنا تأصيلا لنشر العلم وأسسه رواية ودراية وهذاالتأثير العلمي واضح برفد القرى والحواضر اليمنية بالعلماء والقضاة والمفتين كان من المهاجرين إلى مدينة زبيد شيخ الإسلام إبن السانة والذي أحسن صنعا عندماوثق تأريخ دخوله مدينة زبيد ونص ذلك كما يلي[4]:-(قال مؤلفه الفقير إلى الله تعالى أحمد بن عبدالله السانة الأصابي ثم الزبيدي رزقه الله الإنابة وجعل أعماله مقرونة بالإثابة أمين وأحسن لدنه مآبه أمين كان دخولي مدينة زبيد حرسها الله تعالى غرة شهر رمضان سنة سبع وسبعين والف فأخذت في القراءة حتى أكملت بقية القرآن في شوال ثم أخذت في التجويد ثم في الفقه وساير الفنون شيئا فشيئا مع تخلل أسفار إلى الأهل تارة وإلى الأبواب الإمامية تارة للحاجات التي لاغنى للحي عنها وكان أقرب سفرة سافرتها العام الماضي1109هـ إلى المولى امير المومنين الإمام إبن الإمام والضرغام بن الضرغام... المهدي بن المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم[5]بن محمد بن علي ذي الفضل المستفيض والكرم الطويل العريض اعزه الله تعالى) (6)

ب:- الفائدة العلمية من هذه الترجمة :-

1 - لَقَب بَشيخ الإسلام لمكانته وعظمته العلمية ولشهرة هذه المدينة العلمية ولكونه أيضادرس وتعلم وتولى المناصب فيهاومنها نظارة الأوقاف.

2 - بين شيخ الإسلام أنه هاجروقدِمَ زبيد طالبا للعلم في شهر رمضان من عام 1077هـ. وبذلك فإنه قد أمضى ثلاثة وخمسين عاما❖ في

(1) (2) (3) كلها مواقع في وصاب العالي .

(4) المخطوط موضوع الدراسة.

(4) (5) مولده 1047 هـ ولاية الحكم 1097 هـ وفاته 1130هـ.

- دعا لنفسه بعد وفاة المؤيد في بلاد الحجرية وتلقب اولا بالناصر ثم بالهادي ثم بالمهدي ونازعه امراء آل القاسم بن محمد وجمعوا جموعهم عليه وكادوا ان يحصروه بالمنصورة ولكن حدث ان هطل المطر فتسلل خفية وخرج في عدد يسير وقبض على خصومه كلهم وكانوا مجتمعين في خيمة واحدة واودعهم السجن وفي اثناء حكمه حدثت فتنة المحطوري وقداشاع بالناس انه لايوثر فيه الرصاص فنهب اتباعه البلاد وقتلوا الرعايا حتى تم للمهدي القضاء عليه .

المراجع مصادر الفكر العربي الإسلامي تاليف عبدالله محمد الحبشي نقلا عن المصادر التالية : المؤرخ زبار نشر العرف ج2 ص454

- وكذا زيد بن صالح بن ابي الرجال الروض الزاهر في سيرة الامام الناصر نسخة خطية سنة 1310بمكتبة المتحف البريطاني لندن رقم 3847 الواسعي فرجة الهموم ةالحرص 68-69.

❖ المدة التي امضاها العلامة أحمد السانة في مدينة زبيد هي اربعون عاما فقط ابتداء من عام 1077هـ إلى 116هـ . وليس

زبيد طالبا ومعلما ومفتيا وناظرا للأوقاف وبعدها رحل عن المدينة بسبب حادثة الزيادة في الجامع الكبير وكانت وفاته في بلاده نقذ بجوار جبل يقال له سانة حيث دفن بالقرب من هذا الجبل(إنظر نص وفاة المؤلف).

3 - يفيدنا شيخ الإسلام بأنه وصل المدينة ودرس القرءان ابتداء من شهر رمضان وحتى شوال ثم بدأ بتعلم سائر العلوم .

4 - يبين لنا شيخ الإسلام بأنه كان ذا أسفار كثيرة مرة إلى الأهل ومرة أخرى إلى الأبواب السلطانية حسب وصفه (لحاجات لاغنى للحي عنها).

5 - يخبرنا شيخ الإسلام بأنه سافر إلى الإمام المهدي محمد عام 1109هـ أي بعد إثنين وثلاثين عاما من دخوله مدينة زبيد وفي نظري أرى أن تعدد الأسفار إلى الإمام كانت بالنسبة له أمراً مهماً وخاصة في تلك الفترة الزمنية بعد توليه نظارة الأوقاف في مدينة زبيد وذلك بأمر من الإمام .

ج- عصر شيخ الإسلام (ابن السانة) وصراعاته :-

1 - الحياة السياسية :-

ولد شيخ الإسلام في أواخر القرن الحادي عشر الهجري ومات في نهاية الربع الأول من القرن الثاني عشر الهجري وقدكانت فترة شيخ الإسلام توافق زمن حكم الأئمة الأولى على اليمن و الممتدة من تأريخ 1045هـ 1265-هـ/1635-1849م .

وقد كانت لشيخ الإسلام مكانة وود واحترام عند الامام المهدي نستخلصهامن خلال ترجمة المؤلف السابقة:

وبعد أن ظهرت مكانة ونبوغ شيخ الإسلام وتميز عن أقرانه بمميزات علمية وسياسية منها توليه الإفتاء ونظارة الأوقاف بأمر من الإمام المهدي محمد بن أحمد حصلت له الكثير من المشاكل والتي أفرزتها وشاية وحسد بعض فقهاء وعلماء عصره تأزمت من خلالها العلاقة بين الشيخ العلامة يحيى بن عمر الأهدل والتي لم تمسها أية شائبة وبين شيخ الإسلام وقدإزادادت تأزما بينهما في الزيادة الحاصلة في الجامع الكبيرمن قبل شيخ الإسلام مما أدى إلى تدخل فقهاء الحرمين والعراق والشام لحل هذه الخلافات. والخاصة بإضافة الغرف المستحدثة في الجامع الكبير وأنتهت بذلك لصالح شيخ الإسلام بفتوى علمية ببقاء هذه المقاصير والمسمى رباط السانة بالجامع الكبير.

وهناك روايات متعددة وأحاديث وروايات يتداولها العلماء السابقون و المعاصرون ومنها هذه الرواية والتي إعتمدت على نقلها من خلال بحث للشيخ عبدالله قاسم الوشلي قائلا[1] .

- الحادثة الأولى (ومن أساليب التواصل العلمي بين فقهاء مدرسة زبيد الفقهية وغيرهم أن فقهاءها كانوا إذا اشتد الخلاف بينهم حول مسألة فقهية وتبادلوا بينهم المصنفات حولها، يحتكمون إلى فقهاء الحرمين، والعراق، والشام، وأبرز مسألة حصل فيها خلاف شديد هي مسألة مشروعية البناء الزائد في جامع زبيد حيث أشتد فيه الخلاف بين الفقيه المحدث يحيى بن عمر مقبول الأهدل المتوفى سنة (1147هـ) والعلامة مفتي زبيد أحمد بن عبدالله السانة المتوفى سنة (1116هـ) حيث كان الأول يمنعه والثاني يجيزه وتبادلا فيما بينهما الرسائل حول الجواز وعدمه في معركة علمية شهيرة، ووقف علماء اليمن بين مؤيد للجواز ومؤيد للمنع ، ثم أرسلت هذه الرسائل والفتاوى إلى علماء مكة ، والعراق، والشام، فكان منهم من يؤيد السانة ، ومنهم من يؤيد الأهدل . وقفت على هذه المعركة العلمية في كتاب كبير بمكتبة آل المحنبي بمدينة التربية شرقي زبيد ، قد أكلت الأرضة كثيراً من أوراقه..

كما أورد الكاتب ان المدة التي عاشها ابن السانة في زبيد ثلاثة وخمسين عاما.

(1) مدرسة الفقه الزبيدية وصلاتها ببلاد الحجاز والعراق والشام صـ 375(1423هـ 2002-م).

هذا وقد ورد أن شيخ الإسلام أرسل سؤالا إلى القاضي طه إبن عبد الله السادة حينما كان مفتيا في زبيد وذلك بخصوص الزيادة في الجامع الكبير فأقر القاضي طه بهذه الزيادة ثم إضطر صاحب الإعلان إلى ترك زبيد عام 1116هـ تقريبا[1]

- الحادثه الثانية والتي يرويهالنا سيدي وشيخي العلامة أحمد داودالبطاح الأهدل رحمه الله وسمعتها ايضا من السيد العلامة الفاضل أحمد عبد القادر الأهدل وكذا من الشيخ العالم الفاضل عبد الرحمن سليمان ثابت المزجاجي قائلا:-

(كان شيخ الإسلام عالما فقيها محبا للعلوم الشرعية الإسلامية وقد تولى الافتاء و القضاء فخرج به والده وهو صغير إلى خارج زبيد وقال والده يابني أهل زبيد أهل علم فإذا سألوك عن مسألة فقل لهم في المسألة وجهان فلم يزل كذلك حتى سئموا من هذا الكلام فقالوا له مرة (أفي الله شك) فقال فيها الوجهان فعرفوا حقيقته.

ورواية أخرى أنهم كتبوا مرة على باب الشبارق (كم أعز الله قوما بعدما كانوا ذبالة) فقرأها شيخ الإسلام شطر هذا البيت الأول فأخذ فحماً من الأرض وأتم البيت قائلا:-

(كم أعز الله قوما بعدما كانوا زبالة .

من له في الكون شيئٌ لايمت حتى يناله)

2 - الحياة العلمية:-

إمتاز العصر الذي عاش فيه شيخ الإسلام بالتواصل العلمي والإبداع الأدبي في العديد من مجالات العلم وذلك بسبب إهتمام وإخلاص وإجتهاد العلماء في نشر العلم وكذا مساعدة وحث أبناء المدينة وتجارها على بناء المدارس والمساجد. ولذلك إستمرت هذه الهجرة من جميع أنحاء المعمورة.

وفي عهد الأئمة تواصلت واستمرت أيضا النهضة العلمية في المساجد والأربطة وكان أهم رباط تأسس في تلك المرحلة رباط السيد العلامة يحيى بن عمر الأهدل والمعروف حاليا برباط يحيى بن عمر المشهور بالادريسي ويقع في حارة العلي شمال المدينة وقدكان ومازال هذا الرباط يؤدي دوره العلمي وله أثر روحي وهورمز من رموز الإسلام في زبيد ، وبهذا غدت المدينة كعبة العلم ومقصد العلماء والصالحين إلى هذا الوقت كما أن سكان المدينة تعاونوا على دعم الحياة الفكرية والثقافية وتوارثها الأبناء عن الآباء ومازالت هذه الصفات قائمة.

وأهم ما عرفت به هذه الأربطة والمدارس الإسلامية نشر العلوم الإسلامية على مختلف فنونها الشرعية واللغوية والأدبية مع معرفتهم بعلم الفلك والطب والحساب والمنطق ونشر الوسطية وسماحة الدين والأخلاق ونبذ لغة التشدد والتطرف والرضى بالأقوال العلمية والإجتهادات السليمة.

الفصل الثاني

تحليل لمواضيع الكتاب ونصوص المؤلف

أ- إثبات ان المخطوطة من تأليف ابن السانة:-

تزخر العديد من المكتبات العالمية بالمخطوطات العربية ولكننها في ظل المتغيرات الثقافية والإعلامية وأهمها سهولة الحصول على هذا المخطوط عبر هذه الوسائل المتعددة ومنها (الشبكة العنكبوتية) فقد حاولت أن افرد عنوانا خاصا بصحة ونسبة هذا المخطوط إلى شيخ الإسلام حتى لايتعرض المؤلف للتغيير أو التحريف أوالسطو كما أردت من خلال هذه الدراسة أن أظهر هذه المعلومة الجديدة وهي أن اليمنيين هم أول من إبتكرواهذا الأسلوب العلمي ودليل ذلك فان الوجه الحضاري والوعي العلمي في اليمن قد سبق كل القدرات العربية العلمية ومواهبهم الفذة وبرغم هذه التصانيف العديدة والمتنوعة في كل المجالات العلمية إلا أن هناك عددا قليلا ممن قاموا بتقليد كتاب (عنوان الشرف الوافي للعلامة

(1) القاضي اسماعيل الاكوع المرجع هجر العلم ومعاقله الجزء الثاني ص (1146-1147) نقلا عن ملحق البدر الطالع ونفحات العنبر و نشرالعرف.

إسماعيل المقري الشاوري) وتراجمهم معروفة ومشهورة نجملهم كالتالي:-

- ثلاثة من اليمن وهم:-

- اسماعيل بن ابي بكر المقري الشاوري المتوفى في زبيد مؤلف عنوان الشرف الوافي في علم العروض والتاريخ والنحو والقوافي [1]
- برهان الدين ابراهيم بن عمر البجلي مؤلف كتاب برهان البرهان في الجبر والحساب والخطأين والاقدار والفرائض، من أعلام المائة العاشرة للهجره [2]
- أحمد بن عبد الله السانة صاحب هذا الكتاب الذي بين يديك المسمى الإعلان[3] .

- اثنان من مصر وهما:-

- القاضي بدر الدين محمد بن محمد المعروف بابن كميل الدمياطي المتوفى سنة 878هـ [4]
- الامام عبدالرحمن السيوطي صنف كتابا اسماه (النفحة المسكية والتحفة المكية) يضم مجموعة من العلوم مثل العروض والمعاني والبيان والبديع

- عالم واحد من حلب وهو:-

- الشهاب أحمد بن محمد بن محمد بن ظنبل الشغري المتوفى 881هـ [5]

ب- الأدلة العامة على نسبة المخطوط لابن السانة:

بعد قراءتي ومقابلتي لنصوص المخطوطتين (ح)،(ز) وجدت العديد من الأدلة الواضحة على نسبة هذا المخطوط إلى شيخ الإسلام ومن أدلة ذلك مايلي:-

1 - الدليل الأول ترجمة المؤرخين وذكرهم الدائم لمؤلفات شيخ الإسلام ومنها كتابنا هذا الإعلان.

2 - الدليل الثاني ورد في النسختين الأولى (ح) والثانية (ز) النص كما يلي :-

- (تم الكتاب الموسوم بالإعلان لسيدنا العلامة الفهامة صفي الإسلام أحمد بن عبد الله السانة حفظه الله تعالى في عام1114هـ)
- وهذه العبارة وردت بنفس الحروف والكلمات في المخطوطتين وكتبت أيضا في المخطوطة (ز)وذلك بعد وفاة المؤلف بـ141عاما وهذا دليل آخر على تسلسل نسبة الكتاب وتواتره عند العلماء ونسبته إلى شيخ الإسلام

3 - الدليل الثالث إن المخطوطتين خطتا بخط ناسخين مختلفين المخطوطة الأولى (ح) خطت بقلم تلميذه عبد الرزاق الخولاني الشافعي والمخطوطة الثانية (ز) خطت بخط عبدالله بن أحمد حسين المسلمي الموقري ممادل على وجود إتفاق على نسبة المخطوطة لشيخ الإسلام

4 -الدليل الرابع ورد نص في آخر المخطوطة (ح) يذكر فيها الناسخ أن المؤلف كان يشرف على كتابة وقرآءة هذه النسخة والنص للمؤلف منقول كما هومن المخطوطة (الحمد الله رب العالمين أما بعد حمدا لله ذي الجلال وشكره على جزيل النوال بعد ختم هذا الكتاب قراءة على مؤلفه اشرافا عديدة آخرها نهار الأحد صفر الخير سنة1115هـ كتبه عبد الرزاق بن عبد الله الخولاني الشافعي عفى الله عنهما ورزقه العلم والعمل أمين) وهذا النص يفيد بأن المخطوط لشيخ الإسلام وذلك لانه كتب تحت إشرافه وملاحظاته .

5- الدليل الخامس نفهم من النص التالي أن شيخ الإسلام راجع كتابه هذا الإعلان مرات عديدة إضافة إلى أنه أدام فيه التدريس لطلاب العلم مدة مديدة آخرها عام 1115هـ وورد أيضاهذا النص في آخر المخطوطة (ز) كمايلي: (فلما

(1) الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة اسماعيل المقري ط تحقيق المؤرخ عبدالرحمن الحضرمي جامع الأشاعر تحت الطبع صـ213.

(2) مخطوط بالجامع صنعاء. جامعة الاشاعر عبدالرحمن الحضرمي تحت الطبع صـ 256.

(3) اورده حاجي خليفة في كشف الظنون ج 2 صـ1176.

(4) اورده السيوطي في كتاب بغية الوعاة ج 4/ 1 عند توحمته لابن المقري الزبيدي.

(5) ذكره بن رجب الحنبلي في كتاب ردد الحَبَب في تاريخ أعيان حلب.

فرغت من تاليف هذا الكتاب الميمون إن شاء الله الذي سميته الإعلان وجعلته على نمط العنوان أعدت النظر فيه مرة بعد مرة وأدمت التدريس فيه نهارا ومساءً وبكرة مدة مديدة ومجالس عديدة آخرها الإثنين من ربيع الأول أو الثاني سلخ أوغرة من خمس عشرة بعد الف وماية من الهجرة .

6 - الدليل السادس ذكر الناسخ عبد الله بن أحمد حسين السلمي الموقري رحمه الله تعالى في المخطوطة (ز) تأريخ كتابته للمخطوطة قائلا (فرغت من كتابة هذه النسخة نهار الأحد شهر جماد الآخر عام 1263هـ) وذكر نسبة (الكتاب) المخطوطة إلى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الله السانة رحمه الله تعالى وبهذه الأدلة والشواهد تبين لنا بأن المخطوطة هي لشيخ الإسلام .

مقارنة بين كتابي المقري والسانة

حقيقة لقد كان للعلامة إسماعيل المقري رحمه الله السبق في تأليف مثل هذه المخطوطة والتي أظهرت مكانة هذا العالم ومدى إهتمام الدولة الرسولية بالعلم والعلماء وتشجيعهم بكافة الوسائل الممكنة حتى أوجدوا فيهم روح التنافس العلمي وأزدهرت بذلك مدينة زبيد بشكل كبير.

ولكنني بعدالإطلاع على كتاب عنوان الشرف الوافي للعلامة اسماعيل بن ابي بكر المقري رحمه الله تعالى النسخة المطبوعه حديثا بتحقيق الشيخ عبدالله الأنصاري والنسخة الثانية الخطية لعنوان الشرف والموجودة في مكتبة الاشاعرة والمكتوبة في عام 1270هـ قررت أن أضع مقارنة بين السابق و كتاب الإعلان لشيخ الإسلام أحمدعبد الله السانة رحمه الله تعالى النسخة (ح) خطت في عام 1114هـ والنسخة (ز) خطت في عام 1263هـ فوجدت في كتاب الشيخين نقاطا للاتفاق ونقاطا للاختلا ف . ولهذا أحببت أن أظهرهذه النقاط وهي كالتالي : -

اولا نقاط الاتفاق:-

1 - وافق إبن السانة إبن المقري في تكرار الفنون العلمية مثل العروض والفقه والنحو.

2 - كما وافق إبن السانة إبن المقري بوضع جميع الحروف وبعض الكلمات اللازمة في تركيبات الحروف المتقاطعة لتكون بذلك جملا مفيدة لفنون الكتاب.

3 - يظهر من خلال كتابة النصوص أن الشيخ ابن السانة إسترشد من الشيخ إبن المقري في وضع العبارات المناسبة وتجنب الدخول في الشروحات المطولة.

4 - وافق ابن السانة ابن المقري في وضع كتاب الفقه على شكل أفقي ثم بدأ بعلم العروض.

5 - وافق إبن السانة إبن المقري بوضع جميع نصوص النحو على شكل عمودي بعد وضعه للفن الأول وهو علم العروض .

ثانيا نقاط الاختلاف:-

1 - يعتبر شيخ الإسلام إسماعيل بن أبي بكر المقري صاحب السبق في ابتكار مثل هذا المؤلف والذي قلده من بعده خمسة من العلماء فقط على مستوى العالم العربي وقدسبق ذكرهم .

2 - يختلف الشيخ إسماعيل المقري عن إبن السانة في الأسباب التي أدت إلى تأليف كتاب العنوان و ذلك لأنه كما ورد كان يطمح في قضاء الأقضية بعد الشيرازي صاحب القاموس المحيط فأراد بتأليفه هذا الكتاب أن يتفوق على أقرانه وينال درجة رفيعة عند السلاطين. اماإبن السانة فقد ذكر الأسباب والدواعي إلى تاليف هذا الكتاب في عدة أسطر قائلا : (قال قائل قد كان مؤلفه غنيا عن هذا الأسلوب بغيره من الأساليب التى لاتبلغ إلى هذا القدر من الصعوبه، وفوات رشاقة العبارات والعذوبة، بأن يشرح كتابا من المتون، أو يختصر مبسوطاً أويبسط مختصرا، أويحل معقودا أو ينظم منثوراً فأقول ماذكر لاشك

فيه، بل لم تمس الحاجة إلى هذا الوضع أصلاً، بل أنا في تأليفه كالمتطوع؛ وهو أمير نفسه. وإنما الباعث غير ذلك. على أني أقول لو فعلت ما ذكر لكان صواباً، ولو سلكته لوجد الطاعن فيه ذهابا وإيابا، ولكني أقول: إنما يجرى كل إنسان على مساعدة طبعه، وينفق كل ذي وسع من وسعه ولله الحمد والمنة لاجرم أن طبايع القارئين كطبايع المؤلفين، كل قارئ يميل به طبعه إلى فن، وإن كان غيره أفيد منه وأحسن، وليس ذلك بخافٍ على ذي علم وإنصاف، على أنه لو تأمل الناظر وأجال فكره فى هذا الكتاب، عرف ما أُودع فيه بسبب هذا الأسلوب من غرائب اللغة، التى هي أول مطلوب لذوي الألباب. وماحواه من القضايا المنطقيه والدقائق الصرفيه والنحويه فى غالب أبوابه وألفاظه).

3 - كما كانت هناك نقاط إتفاق في بعض الفنون فإن هناك أيضا نقاط إختلاف ومن هذه الإختلافات أن الشيخ إبن المقري وضع علم التأريخ وعلم القوافي أما الشيخ إبن السانة فقد إختلف عن الشيخ ابن المقري وذلك بأن وضع علم التصريف وعلم المنطق وعلم التجويد وهذه الفنون هي التي أشار إليهاإبن السانة في نصه السابق بأنها الأصعب والأخطر وتتمثل صعوبتها في تركيبات أحرفها وكلماتها وأحكامها مع الإلتزام بنصوص العلماء ومذاهبهم وأقوالهم العلمية وفي إعتقادي تعمد الشيخ إبن السانة هذا الأختلاف بوضعه هذه الفنون الثلاثة حتى يتميز كتابه عن كتاب إبن المقري .

4 - يختلف الشيخ إبن السانة في أنه وضع ستة فنون وهي الفقه والعروض والنحو والتصريف والمنطق وتجويد القرآن عكس الشيخ ابن المقري الذي وضع خمسة فنون فقط وهي الفقه والعروض والنحو والتاريخ والقوافي.

5 - ألحق إبن السانة في كتابه الإعلان بعض الرسائل العلمية وعددها خمس رسائل فبذلك يكون الكتاب قد احتوى على أحد عشر فنا عكس إبن المقري والذي إلتزم بالفنون الخمسة فقط .

- **تصحيح :**

يتركز هذا البند على تصحيح المعلومة الخاصة وفاة المؤلف وزمن الإنتهاء من كتابه الإعلان فقد ورد في كتاب مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن لمؤلفه الباحث عبدالله محمد الحبشي المؤرخ اليمني في صـ339 قوله عن شيخ الإسلام (أحمد بن عبدالله السلمي المتوفى 1116هـ .

وفي هداية العارفين ورد إسمه هكذا (الإعلان بنعم الله الواهب الكريم المنان في الفقه والعروض والنحو والتصريف والمنطق وتجويد القرءان يقول فرغ منه 1118هـ) (فتحقق سنة وفاته)انتهى.

أقول هناك ملاحظتان على هذه المعلومات الواردة أعلاه فكان لابد أن أوضح ماصح عندي من معلومات :-

الملاحظة الأولى : تصحيح تاريخ الوفاة.

الملاحظة الثانية : تصحيح المعلومات الواردة في كتاب هداية العارفين والتي نقلهاأيضا المؤرخ الحبشي.

- **النصوص الصحيحة من المخطوطة (ح):-**

- **الملاحظة الأولى:**

- تفيدنا المخطوطة (ح) أن المؤلف توفي حسب ماأورده تلميذه ناسخ المخطوطة عبدالرزاق الخولاني الشافعي . (في شهر صفر1122هـ اثنين وعشرين ومائة بعد الالف) بعكس ماأورده المؤرخ عبدالله الحبشي أنه توفى في عام 1116هـ. وهذا التاريخ إنما صادف خروجه من مدينة زبيد والرجوع إلى بلاده بعدأن تحقق العلماء في موضع الزيادة بالجامع الكبير وافتوا بجوازها .

- **الملاحظة الثانية :**

- وجدت في آخر المخطوطة الثانية (ز) نقلا من كلام المؤلف النص التالي (فلما

فرغت من تاليف هذا الكتاب الميمون إن شاء الله الذي سميته الإعلان وجعلته على نمط العنوان أعدت النظر فيه مرة بعد مرة وأدمت التدريس فيه نهارا ومساءً وبكرة مدة مديدة ومجالس عديدة آخرها الإثنين من ربيع الأول او الثاني سلخ أوغرة من ربيع الأول أو الثاني خمس عشرة بعد الف وماية من الهجرة.

- ورد أيضا في المخطوطة الأصلية (ح) والمشرف على كتابتها وقراءتها شيخ الإسلام إبن السانة وناسخها تلميذه عبد الرزاق الخولاني الشا فعي (تم الكتاب الموسوم بالإعلان لسيدنا العلامة الفهامة صفي الإسلام أحمد بن عبد الله السانة حفظه الله تعالى في عام1114هـ) اذ من خلال الفقرتين يتبين لنا أن المؤلف فرغ من تاليفه عام 1114هـ واستمر في تدريس كتابه وتوضيح معانيه لطلاب العلم سنة كاملة إلى عام1115هـ بعكس ما أورده المؤرخ الحبشي نقلا عن هداية العارفين بانه فرغ من تاليفه 1118هـ

الفصل الثالث:-

اولا :- طرق قراءات كتاب الإعلان :-

تيسيراً لكل طالب وباحث فقد قمت بتمييز كل فن بلون مختلف عن الآخر حتى تسهل قراءة هذه الفنون ولهذا فإن على المطلع أن يتبع الخطوات التالية :-

1 - من أجل الحصول على كتاب الفقه لابد من القراءة اولاً بشكل أفقي وبحسب الطرق التقليدية المعروفة.

2 - العمل على تركيب الحروف والعبارات والمكتوبة باللون الأحمر والمبينة بالشكل العمودي؛ لتحصل على العروض (اللون الأحمر يرمز إلى كتاب العروض)

3 - القيام بتركيب الحروف والعبارات الخاصة بعلم النحو و المميز باللون الأزرق والمكتوب بالشكل العمودي (واللون الأزرق يرمز إلى كتاب النحو).

4 - العمل على قراءة الكلمات وبعض الحروف لعلم التصريف والمميزة باللون الأخضروالمكتوب بالشكل العمودي (واللون الأخضرالبحري يرمز إلى كتاب التصريف).

5 - يلي ذلك القيام بقراءة الكلمات والحروف لعلم المنطق والمميزة باللون القرنفلي والمكتوب بالشكل العمودي. (اللون القرنفلي يرمز إلى كتاب المنطق)

6 - وأخيرا يتم قراءة الحروف والكلمات لعلم التجويد والمميز باللون البرتقالي الفاتح والمكتوب بالشكل العمودي (واللون البرتقالي الفاتح يرمز إلى كتاب التجويد)

ثانيا :- نموذج للإخراج الأخير للكتاب وبحسب الالوان المذكورة سابقا

الحمد لله	الحمد لله الذي أوجب علينا	الحمد	على النعم وعلى سواها	الحمد	ليغنتم وكره وحرم ضد	الحمد	لنهجر ما لم يبح من الذم فبالحمد الله	الحمد لله
والشكر له	من ذي الإيمان ينم	الله و	ينمي ما أنعم وانما حَمدُا	لله	وشكره بتوفيقه فشكر الله	الله	عليه يتحتم أحمد	سبحانه
على النعم الـ	المعجز للخلق حصرها وأن توا	صلوة	عليه كلهم ويذلوا أ	على	الهمم وأشهد أن	لا	إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة	ة

ثالثا :- مواقع الفنون العلمية حسب الالوان :

1 - علم العروض2 - علم النحو 3 - علم التصريف 4 - علم المنطق 5 - علم التجويد

الحمد لله	الحمد	الحمد	الحمد	الحمد لله
والشكر له	لله و	لله	لله	سبحانه
على النعم الـ	صلوة	على	لا	هـ
عم	الله	محمد	نحصى	ذه
ي	والسلام	والصلوة	له ثناء	م
مهـ	علىمحمد	أبدا	هذه	ن
ال	وآله وصحبه	وبعد فهذا	طرفة	من
جلى	هذا	تأليف	في علم	من جل ذكره
لهـ	تأليف	في التصريف	المنطق	مقدمة في
هذه	في علم ا	الفعل نوعا	تحتوي	ع
نبذة في	لنحو	ن	على	لم
ع	الـ	ثلاثي ورباعي	المهم	التجويد
لم	نافع	فالأول	منه	ا
العروض	إن شاء	ماكان ماضيه	العلم	لم
الذي	الله	على	تصور	خا
به	تعالى	ثلاثة	وتصديق فا	ر
يتميز	الكلام	أحرف نحو	التصور	ج

الفصل الرابع الابداع الهندسي عند شيخ الإسلام:-

- المنهج المعتمد :-

تبين لنا المخطوطة بأن شيخ الإسلام بدأ أولاً بكتاب الفقه والمشتمل على العبادات والمعاملات الدينية والذي يعتبر أصل العلوم ثم تلى ذلك توزيع الفنون العلمية الأخرى وهذه الفنون كالتالي :-

- الكتاب الأول الفقه، الفن الثاني العروض ولواحقه، الفن الثالث النحو ولواحقه
- الفن الرابع المنطق ولواحقه، الفن الخامس التصريف ولواحقه الفن السادس علم التجويد ولواحقه.

أ- الشروط اللازم توفرها في صناعة مثل هذه المخطوطة:

لم يكن شيخ الإسلام هو صاحب الأسلوب المتقدم والمبتكرلهذا الفن عن غيره من المؤلفين ولكنه قلد في إعداد هذه الفكرة واستحدم نفس أسلوب إبن المقري والذي يعتبر العالم اليمني الأول والمبتكر لإسلوب هذا السفر الجليل والفريد ، و حينما تابعت دراستي المنهجية لغرض الوصول إلى معرفة كيفية صناعة هذه الفنون وماهي الشروط والمعاييراللازمة لصناعة مثل هذه المخطوطة فقد وجدت أن المؤلف إلتزم بشروط موضوعية هي كالتالي:-

1 - إختيارالموادالعلمية المطلوبة لهذا الكتاب .

2 - يتم دمج جميع الحروف والعبارات اللازمة لهذا المنهج مع مراعاة تشكيلات الحروف الخاصة ببعض العبارات .

3 - يتم الإلتزام من قبل المؤلف بنصوص العلماء وآرائهم ومصطلحاتهم وخاصة في مجال علم الفقه وعلم التصريف وعلم النحو، مع القيام بتركيب جميع هذه العبارات الواردة. وقد تحدث عنها المؤلف بقوله : (قيل هذا أضيق من الشعر وأصعب وأخطر منه وأتعب، لالتزامه مع هذه المراعاة في نقل المذهب، وغاية ضرورة الشاعر في البيت كله أمران أحدهما إقامة الوزن بأي لفظ كان والثاني تحضير الروي وهو يحصل بأدنى إمعان وبإي معنى من المعان).

4 - استخدم المؤلف اللون الاحمر لكتابة جميع الفنون حتى يتمكن القارئ من قرآءة هذه العلوم بكل سهولة ويسر.

5 - لابد من إتمام كل الفنون العلمية والمبنية على الشكل العملي وبتوازن كامل مع العبارات والجمل الوارده للعلوم والمبنية على الشكل الافقي.

ب:- محتويات المخطوطة:-

كتاب الإعلان يحتوي على 114 صفحة ، والنسخة التي قمت بدراستها هي الاصلية وقد ميزتها بالحرف (ح) نسبة إلى مدينة العلم تريم حضرموت وهي موجودة في مكتبة عامرة عامة تسمى الأحقاف، أتحفني بها صديقي وزميلي مدير المكتبة الأستاذ حسين الهادي رعاه الله ،وهذا الكتاب فريد من نوعه. وقد قسم إبن السانة الكتاب إلى أبواب وفصول ويمكن أن نجمل عدد هذه الفنون العلمية والموجودة في الكتاب بستة فنون هي كالتالي:-

(علم الفقه والعروض والنحو والمنطق والتصريف و علم التجويد وعند نهاية كل فن يتم شيخ الإسلام كتابه برسائل علمية وهذه الرسائل هي كالتالي رسالة في علم الخط ورسالة في دوريات الوصايا ورسالة في أول من الف في علم النحو وفضل العلم والعلماء وترجمة المؤلف لنفسه مع مدح للامام المهدي وأحاديث في فضل صلة الرحم ووجوب طاعة السلطان وعدم مخالفته، كما ذكر فضل السفر وفضل الأخوة في الله . وفي آخر الكتاب ذكر شيخ الإسلام الصعوبات التي واجهته في صناعة كتابه وسبب كتابته لمثل هذا المؤلف؛ وقد ذكر المؤلف في كتابه أهمية هذا الكتاب بلغة بسيطة كما تناول فيه ما يحتاجه الفقيه والأصولي من قواعد اللغة العربية وأصول الفقه قائلا (وطبايع القارئين كطبايع المؤلفين كل قارئ يميل به طبعه إلى فن، وإن كان غيره أفيد منه وأحسن، وليس ذلك بخافٍ على ذي علم وإنصاف، على أنه لو تأمل الناظر وأجال فكره فى هذا الكتاب عرف ما أودع فيه بسبب هذا الإسلوب من غرائب اللغة التى هى أول مطلوب لذوي الآلباب وماحواه من القضايا المنطقيه والدقائق الصرفيه والنحويه فى غالب الأبواب) وقد بين الكتاب ايضا كل ما يحتاج إليه أهل الشرع (الفقيه) وصاحب الفُتيا من كل العلوم .

فذكر علوما تكفي الفقيه وصاحب الفُتيا ولا يضرهم من وراء ذلك حواشي اللغة وغريبها والمذكورة في الكتاب .

(و أما علم النحو فيكفيهم منه طرف يعرفون به وجوه الإعراب الدائرة في هذه الأبواب) كما يهدف شيخ الإسلام أيضا إلى أن يعرف طالب العلم المعاني المتعلقة بالحروف ؛ وأما علم المنطق فذكر فيه فصولا تتعلق بتركيبه وتحسينه عقلا ومنطقا وعلى حسب مقتضى الخصائص ومقامات الأحوال طبقا لهدي الإسلام . وهنا يستحضرني بيتان من الشعر وجدتهما في مخطوطة للعلامة اسماعيل العلوي وهو من علماء القرن التاسع الهجري والبيتان كمايلي:-

اذا قيل ماحكم العلوم التي بها
تفرد من بين الأنام الفلاسفه
فقل سفه والله إن خالفوا الهدى
وإن وافقوا الحق المبين فلاسفه

ثم تحدث عن علم التصريف والذي اورده في الكتاب، وأفرد في آخر المخطوط فن علم التجويد وبين فيه جميع الاحكام المتعلقة بذلك .

وفي الاجزاء الأخيرة من كل فن أتم المؤلف كتابه بمجموعة من الرسائل الخاصة بعلم الخط

ورسالة في دوريات الوصايا وغيرها من المعلومات التي كانت سببا في هذا المؤلف والصعوبات التي واجهته أثناء إعداده لهذا السفرالفريد .

وهنا يمكن أن نترك المؤلف يحدثنا عن هذه الصعوبات : (وقد تضمن كتابي هذا ولله الحمد أطرافاً من نحو عشرة علوم ما عدا الفقه الذي هو المقصود وفي سمطه وسايط العقود فأ سأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعله مقبولا لديه وأن يرزقني الثواب الجزيل عليه فضلا منه ومناً، وأن يتجاوز عني ماأدخلته فيه من غير الحسنى، مما تعلمه ياربنا فأنت عالم السروأخفى من نحو تزكية نفس وقد سمعنا قولك الكريم (ولاتزكوا أنفسكم) أو ريآء بعمل وقد علمنا قولك الحكيم (ولايشرك بعبادة ربه أحدا) وغير ذلك مما أنت به أعلم . فأصلح اللهم منا ماكان فاسداً وأصرف عنا شر من كان حاسدا أو سيئ النظر والظن). ثم أضاف قائلا : (وإذا عثر المطالع فيه على ما يستوجب الإصلاح فتركه يكون قد ترك واجبا توجه عليه عند وجود الملكة، فالمسئول من الله تعالى أن يوفق من تأهل لإصلاح ما يوجد فيه من الخلل بعد أن يتصفح ويتأمل ويعرض الكلام مرارا على المتون (...) ولايظن أن وضعه كذلك كان لتساهل أوترك بحث لعجز ساعة فتور أو عجل، وإنما صعوبة التحرير، لاسيما هذا، هي الموجبة، للتنافر والغرابة فى كل مَثَل؛ وليس يعرف مصداق هذا إلا من له علم بالتحرير وعمل هذا . أو ربما قال قايل قد كان مؤلفه غنياعن هذا الأسلوب بغيره من الأساليب التي لاتبلغ إلى هذا القدر من الصعوبة وفوات رشاقة العبارات والعذوبة، بإن يشرح كتاباً من المتون أو يختصر مبسوطاً أويبسط مختصرا أويحل معقودا أو ينظم منثوراً، فأقول ماذكر لاشك فيه، بل لم تمس الحاجة إلى هذا الوضع أصلا، بل أنا في تأليفه كالمتطوع وهو أمير نفسه. وإنما الباعث غيرذلك. على أني أقول لو فعلت ما ذكر لكان صواباً ولو سلكته لوجد الطاعن فيه ذهابا وإياباً ولكنى أقول إنما يجري كل إنسان على مساعدة طبعه وينفق كل ذي وسع من وسعه ولله الحمد والمنة .

وقد أقر شيخ الإسلام بهذه الصعوبه وأن هذا العمل أصعب وأخطر عمل يقوم به لأنه لابد من مراعاة الجوانب الفقهية وأقوال العلماء المنقولة عن المذهب وارائهم العلمية (قيل هذا اضيق من الشعر وأصعب وأخطر منه وأتعب لالتزامه مع هذه المراعاة نقل المذهب، وغاية ضرورة الشاعر في البيت كله أمران أحدهما إقامة الوزن بأي لفظ كان والثاني تحضير الروي وهو يحصل بأدنى إمعان وبأي معنى من المعان)

ومن أهم ما أورده شيخ الإسلام في كتابه انه منح إجازة التعلم والتعليم لتلاميذه قائلا (الحمدلله رب العالمين وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد فقد قرأ عليّ الولد الرشيد الصالح الحبيب الطاهر من فضل الله قرأ الفصل باوفر نصيب عبد الرحمن بن أحمد عافاه الله هذا الكتاب الميمون إن شاء الله تعالى مرارا كثيرة وأزماناً متتابعة عديدة في مدد مديدة آخرها نهار السبت الثالث والعشرين من جماد الأول من سنة 1114هـ أحسن الله ختامها وقد أجزته في اقرائه واقراء غيره مما هو لي من منظوم ومنثور ومقروء ومسموع وفي كل ما يجوز لي وعني روايته على الشروط المعلومة لذلك، والقوانين المرسومة هنالك . وأوصيه بتقوى الله على كل حال وبالدعاء لي ولوالدي وساير أحبائي في الله . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كتبه الفقير إلى رضى الله تعالى أحمد بن عبد الله السانة عفى الله عنهما آمين قال مؤلفه حفظه الله تعالى آمين) .

كما أورد في هذه الخطبة تأريخ كتابة المخطوط والسنة التي دَرَّس فيها كتابه قائلا: (فلما فرغت من تأليف هذا الكتاب الميمون إن شاء الله الذي سميته الإعلان وجعلته على نمط العنوان أعدت النظر فيه مرة بعد مرة وأدمت التدريس فيه نهاراً

ومساءً وبكرة مدة مديدة ومجالس عديدة آخرها نهار الإثنين من ربيع الأول سلخ أو غرة من سنة خمس عشرة بعد ألف ومائة من الهجرة 1115هـ حتى صح عندي فقها وغيره ولم أزل في تلك الأزمان أباحث فيه الإخوان الذين أتاح الله لهم العلم ويسره فخاضوا لججه وسلكوا فجاجه سهله ووعره).

واخيرا ختم كتابه بالدعاء قائلا: (اللهم أغفرلي ما فرطت في هذا الكتاب وغيره واستر عوراتي وأقل عثراتي ودولني في الدارين، اللهم أهدني ويسرالهدى لي والهمني رشدي، وأن أذكرك بأفضل الذكر لاإله إلا الله، وأن أدعوك بأفضل الدعاء . الحمدلله ياحي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين . الحمدلله الذي له الخلق والأمر وصلى الله على محمد وسلم تسليماً . اللهم إنا نسألك من كل خير يبتغى في الدنيا والآخرة ونعوذبك من كل شر يتقى في الدنيا والآخرة، قال رجل لأبن عمر رضي الله عنهما بعد أن دعا بهذه زدني قال ما تركت شيئاً . اللهم إجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا، ومن فوقي نورا، ومن تحتي نورا، وعن أمامي نورا، ومن خلفي نورا، وأجعل في نفسي نورا، وأعظمني نوراً. اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي . وأجعل الحياة زيادة لي في كل خير. واجعل الموت راحة لي من كل شر . اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزايم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار . اللهم إني أسألك من الخير كله ماعلمت منه ومالم أعلم وأعوذبك من الشركله ما علمت منه ومالم أعلم آمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ج : مضمون العلوم الواردة في المخطوط:-

اولا الفقه:

بدأ المؤلف كتابه بالفقه الذي هومبتدأ عادة العلماء (العبادات و المعاملات وغيرها) هذا وقد قسم المؤلف كتاب الفقه إلى عدة كتب وأبواب وفصول بدأ اولا بكتاب الطهارة ثم قسم كتاب الطهارة إلى عدة أبواب وفصول وهي كالتالي باب (الحدث والوضوء والغسل والنجاسة والتيمم والحيض) ثم يلي الكتاب الأول الكتاب الثاني الصلا ة وقسمه إلى عدة أبواب مثل (باب صفة الصلاة و شروط الصلاة و سجود السهو و سجود التلاوة وصلاة النفل وغيرها من الأبواب الخاصة بالصلاة) ثم تلى ذلك الكتاب الثالث الجنايز ثم الكتاب الرابع وهي الزكاة وقسمه إلى أبواب مثل (زكاة النبات وزكاة النقد وزكاة المعدن وزكاة الفطرة وزكاة المال وتعجيل الزكاة) ثم تلى ذلك الكتاب الخامس الصيام والحق به بابا واحدا وهو باب الاعتكاف، ثم تبعه الكتاب السادس كتاب الحج وقسمه إلى عدة أبواب منه (باب المواقيت باب الإحرام باب محرمات الإحرام باب الإحصار) ويليه الكتاب السابع وهو كتاب البيع وقسمه إلى عدة أبواب (باب الربا باب المناهي باب الخيار باب البيع قبل القبض باب التولية باب بيع الأصول والثمار وباب الاختلاف وباب معاملة العبد) ثم يليه الكتاب الثامن وهوكتاب السَّلَمَ وقسمه إلى عدة أبواب (الإقراض والرهن والتفليس والحجر والصلح والحوالة والضمان) ثم الكتاب التاسع وحتى الكتاب الثاني عشر وهو (كتاب الشركة والوكالة والإقرار والعارية)وقد نظم المؤلف اسماء هذه الكتب الفقهية والتي هي بداخل المخطوط وعددها ثلاثة عشر بيتاجعلها بمثابة فهرسة لكتابه .

ثانيا:- العروض ولواحقه هذا هو الكتاب الأول والمبني بشكل عمودي وقد أفرد له الجانب الأيمن من المخطوط والحق بكتاب العروض رسالة صغيرة تتضمن رسالة في دوريات الوصايا وقد رمزت لهذا الكتاب باللون (الأحمر).

ثالثا:- النحو ولواحقه : يعتبرعلم النحو هو الفن الثاني المبني بشكل عمودي بعد علم العروض والحق المؤلف في نهاية الفن رسالة تتضمن معلومة في اول من قام بالتأليف في علم النحو ثم اتبعه بمعلومات عن فضل العلم والعلماء وقد رمزت لهذا الكتاب باللون (الازرق).

رابعا:- المنطق ولواحقه: يعتبرهذا الفن هوالثالث بعدعلم النحو وقد رمزت له ب (اللوان القرنفلي)

وتلحقه رسالة تتضمن ترجمة المؤلف لنفسه مع دعاء لأمير المومنين المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم وتلى ذلك أحاديث في فضل صلة الرحم وأحاديث على وجوب طاعة السلطان وعدله وعدم مخالفته .

خامسا :- التصريف ولواحقه: يقع هذا الفن في العمود الرابع بعد علم المنطق وقد رمزت له باللون (الاخضرالبحري) وفي آخر هذاالفن رسالة صغيرة تحتوي على أدعية مع بيان للمؤلف أوضح فيها سبب كتابته لهذا المخطوط والصعوبات التي واجهته ثم دعاء شامل.

سادسا:- التجويد ولواحقه : يقع علم التجويد في العمود الخامس والأخير وتحديدا على يسار جميع الصفحات وقد رمزت له باللون (البرتقالي الفاتح) وقد الحق المؤلف بفن التجويد رسالة في علم الكتابة وعلم الخط.

هذا و يظهرلنا أن المؤلف انتهى من إعداد الكتاب بنهاية علم التجويد ولواحقه وقد قال المولف (انتهت الترجيعات الخمس التي هي من الإعلان نهار الثلاثاء الثالث عشر شهر ربيع ثاني سنة 1114 هـ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم) . مع التنبيه إلى أن المخطوط يحتوي على عشرة فنون غير الفقه المكتوب أفقيا فيكون الاجمالي أحدعشر فنا . وذلك لأنه ألحق بالكتب العلمية تتمات برسائل صغيرة تنسجم مع مايهدف إليه الكتاب وقد سبق تفصيل ذلك .

وقد أورد المؤلف هذه الإشارة قائلا (وقد تضمن كتابي هذا ولله الحمد أطرافاً من نحو عشرة علوم ما عدا الفقه الذي هو المقصود وفي سمطه وسايط العقود فأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعله مقبولا لديه وأن يرزقني الثواب الجزيل عليه فضلا منه ومَنًّا) .

والله الموفق.



صفحة من المخطوط تحتوي على بعض من فهرس الكتاب المتضمن أبواب علم الفقه.

كتاب الاعلان بنعم الله الواهب الكريم المنان

في الفقه عماد الايمان

مترجمات في العروض والنحو والتصريف والمنطق وتجويد القران تعصم الذهن عن الخطا
في الفكر والنطق والوزن يعصم اللسان وتتمات تروق الطالب والذاكر
والكاتب والشاعر والمثابر على نصح الرعية والسلطان

تصنيف سيدنا وشيخنا العالم العلامة الفهامة
صفي الاسلام والمسلمين احمد بن عبدالله
السلمي الشهير بالسانة حفظه الله
تعالى ونفع به
وبعلومه امين
اللهم امين

الحمد لله رب العالمين هذه فهرسة هذا الكتاب المبارك في هذا الكتاب
خمسة اسطر ضابطة الاول في العروض والقوافي فمسايل من التركات بطرف
من الجبر والاقدار والحطاب مسايل دورية الثاني في النحو ففضايله
وبيان واضعه في فضايل العلم من حيث هو فاحاديث نحو ستة وثلثين
الثالث في التصريف فاحاديث نحو اربعين في بر الوالدين وفضل السلاطين والسفر
والاخوان ومأثور دعوات بالرحمة لذوي اوصاف الرابع في المنطق فادعيات
ونحوها فدعوات اخر ومأثور الخامس في تجويد القران العظيم فشي من علم الخط
ففوائد مما يتعلق بذلك والسبع التي تجري للعبد وهو في قبره اخرهن وهي من علم
علما او اجرى نهرا الى اخرها والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا جزى الله مؤلفه
عنا افضل الجزا
امين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

الورقة الأولى من المخطوطة (ح) والمختومية على عنوان المخطوطة
واسم المؤلف والفنون التي يحتوي عليها الكتاب.

المتاحف ودورها في حفظ وعرض التـــراث

عبد العزيز حمود الجنداري

مُقَدِّمَة

المتاحف مؤسسات تقام لخدمة المجتمع ولدراسة وصيانة وعرض الشواهد المادية عند الإنسان والطبيعة وذات القيمة الثقافية التي تؤدي إلى تعليم ومتعة الجمهور ، هذا هو التعريف الذي حدده المجلس العالمي للمتاحف (Icom).

والمتاحف أصبح علم قائم بذاته ويدرس في الجامعات كأحد العلوم الإنسانية وقد ظهرت فكرة المتاحف منذ العصور القديمة.

أنواع المتاحف :

نظراً لتنوع التراث الثقافي والذي خلفه لنا الأجداد عبر العصور التاريخية فقد تنوعت المتاحف بحسب المواد المعروضة :

1 - المتاحف الوطنية :

تختلف محتويات هذه المتاحف من بلد إلى آخر ففي اليمن المتحف الوطني بصنعاء يضم أجنحة رئيسية تشمل آثار ما قبل الإسلام وآثار الحضارة الإسلامية وجزء من مواد التراث الشعبي ومتحف عدن الوطني يضم آثار ما قبل الإسلام وآثار الحضارة الإسلامية، بينما يضم المتحف الوطني بتعز مخلفات أسرة بيت حميد الدين والتي حكمت اليمن قبل الثورة اليمنية الظافرة وهذا يصنفه من المتاحف التاريخية ، بينما المتاحف الوطنية في مصر تضم مقتنيات أثرية تعود لحقبة معينة من تاريخ مصر مثل المتحف المصري الذي يعود تاريخ مقتنيا ته لتاريخ مصر القديمة ومتحف الفن الإسلامي والذي يضم مقتنيات تعود للحضارة الإسلامية .

2 - المتاحف التاريخية :

وهذه المتاحف تضم مقتنيات تعود لفترة تاريخية محددة أو أشخاص معينين ومن أمثلتها كما ذكرنا المتحف الوطني بتعز ، ومتحف الأمير محمد علي في القاهرة بجمهورية مصر العربية .

3 - المتاحف الإقليمية :

وهذه المتاحف تختص بإقليم معين أو محافظة أو مدينة أثرية مثل المتحف الإقليمي بمدينة ظفار يريم العاصمة الحميرية المشهورة وهذا المتحف يعرض المقتنيات التي وجدت في المدينة والتي تعبر عن حضارة مزدهرة خلفت لنا الكثير من الشواهد التي تساعدنا على سبر أغوار التاريخ من خلالها.

ويوجد أمثلة أخرى لهذه المتاحف في البلاد العربية وأوروبا يتم عرض تاريخ المدن التي وجدت بها المتاحف.

4 - متاحف التراث الشعبي :

وهذه المتاحف تعرض تراث الشعوب وعاداتها وتقاليدها والصناعات الحرفية والحياة الاجتماعية، ومن أمثلة ذلك متحف التراث الشعبي بصنعاء ومتحف التراث الشعبي بعدن ، كما توجد هذه المتاحف في أوروبا بشكل كبير وهذه المتاحف لا تكتفي بعرض تراث شعوبها بل تراث الشعوب الأخرى باعتبار التراث والحضارة ملك للإنسانية جمعاً مثل متحف الطبيعة من هولندا والذي يعرض حضارة وتراث الشعوب الأخرى خصوصاً التي كانت تحت سيطرة هولندا فيما مضى .

5 - متاحف التاريخ الطبيعي :

وهذه المتاحف تعرض الحياة الطبيعية للإنسان والحيوان والأسماك والطيور والحشرات والزواحف، ولا يوجد أمثلة لها في اليمن حتى الآن وإن كان يوجد بالمتحف الوطني ثلاثة أسود محنطة مهداة من فخامة رئيس الجمهورية علي عبد الله صالح والتي ستكون نواة لقسم التاريخ الطبيعي أو ربما متحف مستقل في إطار مجمع المتحف الوطني ومتاحف التاريخ الطبيعي قليلة الوجود في عالمنا العربي ويوجد أمثلة كثيرة في أوروبا لعل من أهمها متحف التاريخ الطبيعي بليون بالمملكة الهولندية الصديقة وتحتوي على أكثر من ستة مليون تحفة .

6 - المتاحف الحربية والعسكرية :

وهذه المتاحف تختص بعرض الأسلحة وما يتعلق بها، والملاحم البطولية والانتصارات التي يحققها البلد عبر تاريخية ويوجد أمثلة في اليمن المتحف العسكري بصنعاء والمتحف العسكري بعدن والذي من خلالهما يتمكن الناس من معرفة تاريخ نضال الأمة اليمنية ضد الأئمة والاستعمار الأجنبي وفي مصر يوجد متحف عسكري في القاهرة أعد بطريقة رائعة وممتعة .

7 - المتاحف التعليمية :

أصبحت التربية والتعليم جزء أساسي من رسالة المتاحف لذا نجد معظم المتاحف تضم جناحاً أساسياً للطفل، بحيث يتمكن الطلاب من المشاهدة والرسم والتعامل مع نوعية معينة من الآثار بشكل مباشر، وقد بدأت معظم الدول بإنشاء متاحف تعليمية مستقلة توفرت فيها كل الوسائل التعليمية بهدف خلق وعي أثري بأهمية التراث وضرورة الحفاظ عليه ، وجعله مصدر فخر وإعزاز

8 - متاحف المواقع :

وهذه المتاحف تقام في المواقع الأثرية التي يتم فيها الحفر والتنقيب بطريقة علمية وعبر علماء مختصون، ويتم وضع المكتشفات فيها .

المهام المناطة بالمتاحف :

1 - اقتناء المجموعات الأثرية :

تختلف طرق اقتناء المجموعات الأثرية من بلد لآخر نتيجة لظروف كلاً منها وقد بدأ الاهتمام بعلم الآثار والبحث والتنقيب وما يتبعها من دراسات وأبحاث علمية فبعض البلدان اهتمت منذ وقت مبكر بالعمل الأثري وأرسلت بعثاتها لمختلف أنحاء العالم وتمكنت من جمع مجموعة كبيرة من اللقى الأثرية والتي تزدخر بها الآن ومتاحفها، وفي اليمن لم يبدأ الاهتمام بالعمل الأثري إلا منذ فترة وجيزة ، رغم وصول كثير من علماء الآثار والباحثين منذ القرن السابع عَشر مثل رحلة نيبور وزملائه في الدانمارك والذي وصل اليمن خلال 1762 - 1763م وتمكن من مقابلة الإمام المهدي عباس حاكم اليمن في ذلك الحين وتوالت الرحلات لعلماء أجانب وعرب والذين وجدوا صعوبة في دراسة المواقع الأثرية بسبب الإغلاق المحكم من قبل الأئمة وتمكن البعض من دراسة وقراءة ونسخ بعض النقوش مثل هاليفي ورنكيز وغيرهم بصعوبة بالغة .

وبعد الثورة الظافرة بدأ البحث العلمي الجاد وتوافدت البعثات الأثرية من مختلف أنحاء العالم للدراسة والبحث والتنقيب عن آثار حضارة عظيمة يزيد عمرها عن ثلاثمائة ألف عام ، وبدأت فكرة تجمع القطع الآثارية وتجهيز متحف لآثار اليمن .

واستمرت عملية الاقتناء ولهذا الغرض تم تكوين لجنة هيئة الآثار بغرض اقتناء الآثار المنقولة والتي بحوزة المواطنين مقابل مكافأة تدفع وبهذه الطريقة تم جمع مجموعة كبيرة من الآثار المختلفة التي تعود لمختلف العصور بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من ال مخطوطات سواء الرقية أو الورقية ، وكان المصدر الثاني لجمع المقتنيات هو الهبات والهدايا من قبل المسئولين والمواطنين للمتحف بحيث يتم منحهم شهادات تقديرية وتسجل وتعرض بأسمائهم في قاعات العرض والمصدر الثالث ما يصل إلى المتحف من بعض البعثات الأثرية العاملة في اليمن والمصدر الرابع هو ما يتم مصادرته من القطع الآثارية التي يحاول بعض ضعاف النفوس تهريبها خارج البلد ويتم إعادتها للمتاحف بحسب تخصصها .

2 - عرض المجموعات الأثرية ووسائل الايضاح :

تختلف أساليب عرض المجموعات الأثرية من بلد لآخر ومن متحف لآخر بحسب توفر الامكانات والخبرات المتحفية المتخصصة وتصميم مبنى المتحف نفسه فكثير من البلدان تستخدم القصور التاريخية كمتاحف ويتم تأهيل وإعداد قاعات بما يتناسب مع العرض المتحفي برغم ان المبنى بني كسكن وليس متحفاً وتختلف هذه المباني التاريخية من بلد لآخر فبعضها ملائم ومناسب للعرض المتحفي من حيث اتساع الغرف والصالات واتصالها ببعضها عبر بوابات وممرات تخدم العرض المتحفي وتساعد على إبراز المجموعات الأثرية بشكل جميل ورائع مثل متحف اللوفر في باريس بالجمهورية الفرنسية والذي يمثل نموذجاً رائعاً للمتاحف التي تستخدم القصور وبعض من البلدان تكون المباني ليست كبيرة جداً وربما تكون الغرف والصالات ليست بالاتساع المطلوب ورغم هذا يحاول العاملون في المتاحف الاستفادة منها وتهيئتها بصورة جميلة ومناسبة حيث ان هذه المباني تاريخية ويعتبرها البعض جزءاً من العرض فكثير من الزوار سواءً المحليين أو من مختلف الجنسيات يحبون التعرف على نمط قصور الحكام .

وهناك المتاحف الحديثة والتي صممت من البداية كمتحف روعي فيه متطلبات العرض المتحفي والخدمات الأساسية التي يحتاجها زوار المتاحف وبالتالي تساعد المصممين لإظهار إبداعهم في تصميم العرض المتحفي الجميل والرائع والذي يبرز جمال وأهمية التحف الأثرية بشكل مشوق وملفت للنظر .

ويعتبر عرض المقتنيات الأثرية من أهم وظائف المتحف ، ولابد أن تكون طريقة العرض مشوقة وملفتة لنظر الزوار بحيث تجعلهم يستقرؤون من خلال القطعة المعروضة الكثير من الأفكار والمعلومات ، على سبيل المثال تمثال معدي كرب يمكن معرفة من خلاله نوعية الملابس في العصر السبئي الذي تم فيه صنع التمثال

- نوعيه السلاح الذي يحمله ، نوعية الخط المكتوب على صدره وطريقة كتابتها - (سير المحراث)- المادة المصنوع منها التمثال ...الخ .

وقد تنوعت أساليب وطرق العرض المتحفي بحسب تخصص المتحف ونوعية المبنى الذي سيكون متحفا حيث إن بعضها يتم تصميمه وبناؤه والبعض يقع في قصور ومباني قديمة بنيت أصلا للسكن ثم يعاد تأهيلها بما يناسب العرض المتحفي ولعل أبرز أساليب العرض :

أ. العرض الزمني :

وفيه يتم عرض المجموعات الأثرية والتي تعود لفترة زمنية معينة بحيث تعرض مجموعة كل حضارة في قاعة خاصة بها في تسلسل زمني ،

وهذا الأسلوب معمول به حالياً في المتحف الوطني بصنعاء في قسم آثار ما قبل الإسلام ، حيث تم توزيع آثار كل مملكة يمنية قديمة خاصة بها .

ب. العرض النوعي :

وفيه يتم عرض المجموعات الأثرية بحسب نوع المواد المصنوع منها المقتنيات الأثرية مثل قاعة المعادن - الرقوق - المسكوكات .. الخ ويمكن أن تضم قطعاً صنعت في أزمان وتواريخ مختلفة، وهذا النظام أيضاً معمول في المتحف الوطني بصنعاء في قسم الآثار الإسلامية .

العرض النوعي الزمني :

وفيه يتم عرض المجموعات الأثرية لفترات زمنية محددة تكون المقتنيات الأثرية المعروضة من نفس المادة.

ج - العرض الموضوعي :

وفيه يتم عرض المجموعات الأثرية بشكل مواضيع بحيث حجيوضع في كل قاعة موضوع معين مثلا : الزراعة - الديانة - الحياة الاقتصادية ...الخ .

وسائل الإيضاح :

من الضرورة بمكان أن يوجد بالمتاحف وسائل إيضاحية متنوعة تبرز وتشرح القطع الأثرية المعروضة في صالات المتحف المختلفة ، وتختلف الوسائل من متحف إلى آخر بحسب نوعية المتاحف ومحتوياتها ورؤية الإدارة ، فبعض المتاحف تعتمد على الوسائل الحديثة مثل الأجهزة الإلكترونية كجزء مكمل للعرض ، والبعض الآخر يعتمد على البطاقات التعريفية ، والبعض يستخدم الحاسوب الآلي

ونحن في اليمن نمتلك ثروة أثرية عظيمة تدل على وجود حضارة مزدهرة وينبغي عرضها بالأسلوب الملائم والتنسيق الذي يجذب الزوار إلى المتاحف، مع مراعاة أنه لا يزال يوجد بعض الأمية، ولهذا السبب يجب أن نراعي عند إعداد المعارض المختلفة كيفية مخاطبة كافة زوار المتاحف على مختلف مستوياتهم التعليمية والثقافية، وهذه الوسائل تتمثل في :

1 - بطاقات الشروح الشاملة مع استخدام بطاقات صغيرة لكل القطع المعروضة على أن يراعي كتابتها بوسائل حديثة واستخدام البطاقات اللاصقة التي توضع على خزائن العرض أو داخلها ، منعاً للكتابة عليها وتشويهها من قبل البعض ، مع تغليف البطاقات التي خارج الخزانات برقائق بلاستيكية لسهولة تنظيفها، ويوجد أنواع كثيرة مستخدمة في معظم المتاحف.
2 - استخدام تكنولوجيا الإعلام من الآلات والتقنيات مثل الحاسوب والتلفزيون والفانوس وشاشات العرض ولا بد من استخدام هذه التقنيات أو بعضها لتكون الكلمة المسموعة والتي يمكن توصيل الرسائل المطلوبة إلى جمهور الزوار على مختلف مستوياتهم التعليمية ، وسيتم اختبار نوعية جيدة تصمد أمام عبث العابثين ومنها شاشات عرض (s s v p) وشاشات العرض المسطحة (Led) حيث يمتد عمرها الافتراضي لمدة 40 سنة تقريباً.
3 - تلفونات يحملها الزائر ذات سماعة تستخدم لنفس الغرض السابق
4 - استخدام الخرائط الإيضاحية لمواقع الحضارات، والمعارك ، والبريد، ..الخ .
5 - تستخدم بعض المتاحف طريقة برايل لشرح المعروضات حتى يتمكن العميان من التعرف على محتويات المتاحف .

الإضاءة :

تعتبر الإضاءة جزءاً مكملاً لإظهار جمال وروعة المعروضات في المتاحف وهي تختلف من متحف إلى آخر ومن قاعة إلى أخرى في نفس

المتحف وذلك لاختلاف المواد في صالات العرض، حيث وبعضها يتأثر بالضوء المباشر والبعض الآخر يحتاج إلى نوعية خاصة من الأجهزة ، وتقل الإضاءة وتكثر بحسب المادة المعروضة تنتقل عبر تركيزها على المواد العضوية وتكثر في الصالات التي يعرض فيها غير ذلك .

3 - تسجيل وتوثيق المجموعات الأثرية

يعتبر تسجيل وتوثيق المجموعات الأثرية المتنوعة العمود الفقري لأي متحف من متاحف العالم حيث تعطى بطاقة هوية لكل قطعة أثرية يقتنيها المتحف تشمل الرقم المتحفي ووصف القطعة وصفاً شاملاً ودقيقاً وتحديد مقاساتها ومصدرها، هل هي اقتناء عبر لجان هيئة الآثار ووزارة الثقافة، أم إهداء أم مصادرة من قبل قوى الأمن في المطارات أو النقاط العسكرية وغيرها، أم تم وصولها نتيجة حفرية علمية عبر بعثة معترف بها بالإضافة إلى تحديد مكان العثور عليها وتاريخها، إذا أمكن، وحالتها الراهنه، هل هي جيدة أم بها كسور أو شطوف، وهل تحتاج الى علاج معملي لإنقاذها مع تحديد هل تم دراستها ونشرها أم لا. وتكمن أهمية التوثيق أن القطعة إذا فقدت أو تعرضت للسرقة، لا سمح الله، يمكن استرجاعها بواسطة بطاقة التوثيق في أي مكان في العالم وفي حالة عدم توثيقها من الصعوبة بمكان استرجاع أي قطعة تغادر البلد بطريقة غير مشروعة .

والمتحف الوطني بصنعاء يمتلك ثروة هائلة من المقتنيات الأثرية والتي تعود لمختلف العصور التاريخية ابتداءً من عصور ما قبل التاريخ وعصر الحضارات اليمنية القديمة والعصر الإسلامي، بالإضافة الى مجموعة متنوعة للتراث الشعبي والذي تشتهر به معظم المناطق اليمنية .

وكان التسجيل والتوثيق في بادئ الأمر يتم بطريقة يدوية لمجموعة القطع الأثرية القديمة والتي تعود لفترة ما قبل الإسلام من قبل خبراء أجانب باللغة الإنجليزية ولم تنسخ معظم النقوش التي كتبت بخط المسند على اللوحات والقطع الحجرية ولم يتجاوز رقم التسجيل والتوثيق 2500 قطعة أثرية فقط. أما الآثار الإسلامية والتراث الشعبي فلم يهتم بها الخبراء ولم تأخذ نصيبها من التوثيق وظلت بدون أرقام ردحاً من الزمن ثم بدأت عملية توثيقها في سجلات بأرقام جديدة تبدأ من رقم (1) مما أحدث أزدواجية في التوثيق فكان لا بد من إعادة النظر كلياً في عملية التسجيل والتوثيق التي تمت سابقاً وتم وضع الخطط والبرامج من قبل إدارة المتحف لإعادة التوثيق من الصفر باللغة العربية وتم تعميم استمارات للتوثيق تشمل كل المعلومات الضرورية المطلوب تسجيلها عن أي قطعة أثرية مع مراعاة نسخ كل الكتابات الموجودة على القطع سواءً كانت بخط المسند أو اللغة العربية، وتم فتح سجل عام لكافة القطع الأثرية التي يمتلكها المتحف بشكل متسلسل مع مراعاة تحديد الفترة الزمنية التي تعود إليها سواءً كانت لفترة الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية أو التراث الشعبي. وتم إعداد دورة مستندية لتوثيق أي قطعة جديدة تصل الى المتحف حيث يقوم فريق استقبال القطع الأثرية بفحص القطعة الواردة ومطابقتها بالكشوفات المرسلة سواءً من وزارة الثقافة أو الهيئة العامة للآثار والمتاحف أو الجهات الأخرى أو هدايا من الجهات أو المواطنين ، ثم تقيد استمارة القطع بسجل الوارد، ويليها تسجيل وترقيم كل قطعة في السجل الأولي للمقتنيات الأثرية، ثم يتم توثيقها في الاستمارات الخاصة بالتوثيق والشاملة لكل البيانات ، ثم يتم تصوير القطعة من كافة الجوانب يليها عملية طباعة كروت التوثيق ونسخ النقوش وتثبيت الصور، ثم تحفظ الاستمارات والكروت في أرشيف التوثيق بعد تسجيلها في السجل العام لتوثيق المقتنيات الأثرية في المتحف .

ومع التطورات في علم المتاحف وثورة استخدام التكنولوجيا الحديثة في تسجيل وتوثيق (محتويات المتحف) بالحاسوب الآلي، وقد خطت إدارة المتحف الوطني خطوة جبارة في هذا المجال، حيث

تم إعداد خطة وبرنامج عمل لتوثيق المقتنيات الأثرية التي يتملكها المتحف آلياً ،وقد تم دعم هذا المشروع العظيم من قبل الصندوق الاجتماعي للتنمية حيث تم اعداد برنامج التوثيق من قبل مصمم برامج مختص روعي فيه كل متطلبات التوثيق الحديث، بحيث يمكن للباحث او العالم أو الموظف المختص استرجاع أي معلومة عن القطع الموثقة ، وتم تصنيفها زمنياً بحيث تنتمي كل قطعة أثرية إلى الحضارة التي تعود إليها ، فمثلاً يمكن معرفة القطع الأثرية التي تعود للفترة السبئية أو المعينية أو الحميرية أو القتبانية أو الحضرمية ، بالإضافة إلى التصنيف النوعي بحيث يمكن معرفة القطع المصنوعة من المعادن أو الأحجار أو الخشب ، وايضاً يمكن معرفة القطع الأثرية بحسب المحافظات والمدن والمديريات والقرى والعزل التى عثر عليها بها أو الواردة منها .

إن عملية تسجيل وتوثيق المجموعات الأثرية تحتاج خبرة وتدريبا للعاملين القائمين على هذا المشروع ليتمكنوا من إدارة هذا العمل العظيم بحيث يتم إعطاء كل قطعة حقها من الوصف وتبيان حالتها الراهنة واستخراج العناصر الزخرفية والجمالية التي تحتويها كل قطعة على حده، حيث يمكن من خلال القطعة الواحدة التعرف على نوعية الملابس التي كانت تلبس في عصر الحضارة السبئية مثلا ونوعية الحيوانات التي كانت تستخدم من خلال رسوم رحلات الصيد تطور الفنون من خلال القطع الأثرية التي تتحسن طريقة صناعتها وصقلها وإضافة مواد أخرى إليها، مثل الرؤوس النذرية والتي تطعم عيونها باحجار كريمة ، أيضاً الخطوط التي تكتب على اللوحات تبين مدى تطور الخط بطريقة كتابته حيث بدأت الكتابة باللغة اليمنية بطريقة الحفر على الاحجار وتكتب بطريقة سير المحراث، حيث تبدأ من اليمين والسطر الثاني يليه من اليسار ثم تطور الخط حيث كتب بشكل بارز ، واكتفى بالكتابة من اليمين. وكثير من الامثلة في مجموعتنا الأثرية والتي تمتلئ مخازن المتاحف اليمنية في العاصمة صنعاء وبقية المحافظات ، وكثير منها تحتاج الى تسجيل وتوثيق لإعطائها بطاقة وهوية وحمايتها من عبث الإنسان والزمان.

4 - ترميم وصيانة المجموعات الأثرية

تمتلك المتاحف اليمنية ومنها المتحف الوطني بصنعاء مجموعة كبيرة من المقتنيات الأثرية والتي تعود لمختلف الحضارات اليمنية الضاربة جذورها في أعماق التاريخ وكثير من هذه القطع الأثرية لم تصل إلى المتاحف عبر حفريات رسمية نفذت بطريقة علمية صحيحة روعي فيها سلامة القطع التي يتم اكتشافها، بل أكثرها تم اقتناؤها عبر اللجان المشكلة في وزارة الثقافة والهيئة العامة للآثار والمتاحف، وهذه القطع أستخرجت من باطن الأرض بطريقة عشوائية تتسبب في كثير من الأحيان لتعرضها لتلف والكسور والشطوف إذا كانت مصنوعة من الأحجار أو الرخام أو المرمر ، أما إذا كانت من المعادن فهي أشد خطورة حيث إن معظمها تعرضت للصدأ والأكاسيد وانتشار مرض البرونز الأخضر الطباشيري على أبدانها ن والذي يؤدي إلى تفتت المعدن وتحوله إلى مادة ترابية.

والمشكلة الأخرى المؤسفة عدم توفر مخازن مناسبة لخزن المجموعات الأثرية في معظم المتاحف اليمنية بحسب تصريح من المختصين من هيئة الآثار والمتاحف، ولا تتوفر في بعضها شروط التخزين المتحفي للقطع الأثرية من حيث توفر الأجهزة المناسبة لحماية ومراقبة التطورات للقطع الأثرية ، وهذا الأمر يساهم إلى حد كبير في تعرض الكثير من القطع لعوامل الرطوبة وتعرضها للمرض وانتشار البكتيريا وغيرها مما يؤدي تدريجياً إلى تلفها وانتهائها خصوصاً القطع المصنوعة من المواد العضوية كالمنسوجات والعظام والخشب وغيرها ..

وبهدف إنقاذ ما يمكن إنقاذه من مجموعتنا الأثرية والتي يمتلكها المتحف الوطني بصنعاء فقد

نشطت الإدارة في تأسيس معمل للترميم والصيانة بالمتحف وحتى تمكنت من إنشاء متواضع وتم تزويده بالآلات والمعدات الضرورية لترميم القطع الآثارية وتم توفير ما يمكن توفيره من المواد الكيماوية الضرورية لعملية الصيانة والترميم ، وتم تدريب وتأهيل اثنين من كوادر المتحف في بادئ الأمر على أعمال الترميم والصيانة ، وكانت البداية في المعمل المؤقت الذي تم إنشاؤه في المتحف الوطني بصنعاء لترميم وصيانة أ خشاب مسجد العباس بأسناف خولان ، والذي نقل إليه معظم خشب ومصندقات المسجد لترميمها وصيانتها تحت إشراف الخبيرة الفرنسية مارلين باريه والتي قضت ثمان سنوات من عمرها ومعها فريق العمل في إنجاز العمل الجبار ، والذي يعد أحد مفاخر اليمن وكلل أخيراً بالفوز بجائزة الآغا خان الدولية ، وقد تمكن فريق من المتحف من الاستفادة من ترميم الأخشاب .

ثم بدأت إدارة المتحف في إعداد الحفظ والبرامج لترميم وصيانة الأعواد الخشبية التي يمتلكها المتحف، ومكتوب عليها بأحد الخطوط اليمنية القديمة والمشهورة بخط الزبور والذي كان فحواها عبارة عن المراسلات بين ا لناس والعقود وقوانين وأخبار المحاصيل الزراعية ، والمكاييل وغيرها.

ويعود تاريخ بعضها الى القرن الثامن قبل الميلاد ، وكان معظم الأعواد في حالة سيئة وبدأ بعضها في بالتفتت ، فكان لابد من إنقاذها والحفاظ عليها للأجيال القادمة، وبدأت حملة الترميم في معمل الترميم والصيانة بالمتحف بنجاح كبير وتمكن فريق العمل من ترميم وصيانة وإنقاذ أكثر من ألف وسبعمائة قطعة أثرية من الأعواد الخشبية ، وكان الموضوع الأصعب والأخطر هو ترميم القطع الأثرية المصنوعة من البرونز نتيجة لحالتها السيئة والخطيرة واحتمال تعرضها للتفتت وتحول البرونز إلى تراب وخصوصاً ما يحمل على بدنه نصوصاً مكتوبة بخط المسند ، وعناصر زخرفية جميلة ورائعة تدل على براعة الفنان اليمني عبر تاريخه الطويل لذا فأعمال الصيانة كانت ضرورية لكشف أسرار هذه البراعة ومحاولة معرفة طريقة صناعتها والتقنية المتبعة لدى قدماء اليمنيين .

وقد تم ترميم مجموعة من القطع البرونزية في المتحف يزيد عددها عن مائة وثلاثين قطعة عبر فريق يمني محلي مدرب وفق الخطوات التالية :

- إعداد بيان حالة بكل قطعة قبل وأثناء وبعد الترميم وتسجيلها وتوثيقها وتصويرها في سجل خاص بمعمل الترميم .
- فحص القطع بالميكروسكوب لأماكن مختلفة في سطح الأثر .
- فحص وتصوير القطع الأثرية بالأشعة السينية وتحليل عينات من الاثر
- التنظيف اليدوي والميكانيكي لطبقات الصدأ والأكاسيد في الأثر .
- التنظيف الميكانيكي الموضعي بالكمادات للأجزاء الصعبة في الأثر والتي تم إزالتها يدوياً مثل البقع الخطيرة التي تأخذ اللون الأخضر الطباشيري (مرض البرونز) كلوريد النحاس القاعدي .
- تقوية الشروخ واستكمال الأجزاء الناقصة إذا تطلب الأمر من نفس مادة القطعة الأثرية.
- تثبيت وإلصاق الأجزاء المكسورة بالمواد الخاصة.
- العزل النهائي والتقوية بالمواد الخاصة الشفافة لحماية القطع الأثرية أثناء عرضها في القاعات أو حفظها في المخازن .

كما تم ترميم وصيانة مجموعة من القطع الاثرية البرونزية في معاهد الترميم ومعامل الترميم في المتاحف العالمية وفق اتفاقيات ثنائية رسمية. ولعل أهم هذه القطع هو تمثال معدي كرب والذي يعود تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد ، وتمثلا ذمار علي يهبر وابنه ثأران يهنعم والذي يعود تاريخهما إلى مطلع القرن الرابع الميلادي في معهد ماينز المشهور بألمانيا الاتحادية .

وأخيراً تمثال هوتر عثت بن رضو ايل والذي تم ترميمه وصيانته في معامل البحث والترميم بمتحف اللوفر بباريس الجمهورية الفرنسية في إطار اتفاقية التعاون بين المتحف الوطني بصنعاء ومتحف اللوفر، ثم تم عرضه في قاعة الشرق الأدنى بمتحف اللوفر لمدة ستة أشهر زاره وتعرف عليه ملايين الزوار من مختلف الجنسيات .

إن عملية الترميم والصيانة للمجموعات الأثرية هامة وضرورية جداً ولا يجب ان يستغني عنها اي متحف حفاظاً على كنوزه الأثرية وحسب علمي لا يوجد معمل ترميم إلا في المتحف الوطني بصنعاء ومعمل آخر في المتحف الحربي بصنعاء ، أما بقية المتاحف اليمنية فهي تعاني من عدم توفر المعامل لصيانة وترميم الآثار الموجودة بمعارضها ومخازنها. فهل آن الأوان لفتح معامل في المتاحف في عواصم المحافظات وتأهيل وتدريب كوادر المتاحف لأعمال الترميم والصيانة حماية لثروتنا الأثرية القومية ؟! أتمنى ذلك .